



مصر والشيعة

بين صراع الماضي وخطر المستقبل



مصر والشيعة

بين صراع الماضي وخطر المستقبل


بسم الله الرحمن الرحيم
مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

مِصْرُ وَالشِّيعَة

بَيْنَ صِرَاعِ المَاضِي وَخَطَرِ المُسْتَقْبَل

حمدي عبيد

مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المحتويات

* * *

* * *


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

مُقَـدِّمَة

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلاما على العبد المصطفى والنبي المجتبى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا ، وبعد :

« **مصر و الشيعة ... صراع الماضي وخطر المستقبل** » هو موضوع الصفحات الماثلة بين يديك أيها القارئ الكريم ، كنت قد انتهيت قبل ثلاث سنوات تقريبًا من كتابة مادة هذا الكتاب الذي صرفني عنه صوارف متعددة ، وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م وما صاحب تفكك بعض أجهزة الدولة من حالات الاضطراب ، ومعها ظن بعض أصحاب الأهواء والانحراف العقدي من المنتسبين إلى الإسلام أو غيرهم أن الفرصة أصبحت سانحة لغرس بذور مذاهبهم المنحرفة ظنا منهم ضعف مناعة المجتمع المصري الذي أبهر العالم باختياره الإسلام هوية ومنهجًا للحياة كما سبق أن اختاره عقيدة ، فنشطتْ عمليات التضليل باستخدام التأويل المنحرف تارة ، وأخرى بإحياء عدد من الأفكار والمذاهب الضالة لإحداث نوع من الفوضى الفكرية وحرب الأفكار لتشكيك الناس وصرفهم عن المشروع الإسلامي والعودة للمشروع العلماني الذي جر الظلم والفساد والخراب على البلاد والعباد والذي في ظله تجد المذاهب الباطنية والمنحرفة مأوًى لها .

ومن هنا كثرت الدعاية المنظمة والممنهجة من خلال تفعيل كافة فروع الخلايا النائمة للمشروع الشيعي وغيره في مصر باعتبار « أن عملية اختراق الحصار العربي ، إنما تبدأ من مصر ، وعملية السباحة عبر المحيط العربي تبدأ من مصر ، لا لأهمية مصر بين العرب وحسب ، ولكن للأهمية الاستراتيجية لمصر في اللعبة الدولية ، لأنه إن مالت مصر مال العرب »[١] .

---

(١) عباس خامه يار ، إيران والإخوان المسلمون ، ص ٢٣ .

واليوم تعالت الأصوات النشاز المطالبة بتأسيس أول حزب شيعي في مصر ، وغدا تتعالى المطالبات بحقوق الأقلية لنستيقظ على واقع طائفي قريب الشبه بالعراق ولبنان ، ومعه ومع باقي مشروعات التجزئة والتفتيت تتفكك أوصال الدولة ويتمكن أعداء الأمتين الإسلامية والعربية من إعادة ترسيم العالم الإسلامي من جديد وفق (سايكس بيكو جديدة) لأن مصر هى صمام أمان العالمين العربي والإسلامي ... هكذا قال التاريخ ، ولا يعنى هذا أن ذلك سيكون بمعزل عن الطموح الشيعي الإيراني حامل الإرث الصفوي في مبادئه ومناهجه[١] والذي تآمر ضد دولة الخلافة

---

(١) ومن أبرز سمات ذلك المنهج الصفوي :

« أ- استخدام القوة المفرطة في فرض التشيع ولو أدى إلى سفك الدماء .

ب- قمع التسنن مع استخدام التشهير المذهبي من خلال الحرص على إظهار سب الخلفاء والحض عليه .

ج- إنشاء مؤسسة عسكرية مذهبية خاصة (الشاهسون) الشبيهة بالحرس الثوري ، غير الجيش النظامي (القزلباش) للسيطرة على مجريات الأمور في عموم إيران وتوجيه شعبها لخدمة سياسة وأفكار الولي الفقيه الذي حل محل الشاه .

د- تصدير المذهب باستخدام كافة الوسائل المتاحة .

هـ- زرع الخلايا الشيعية النائمة في الدول السنية لتكوين مجتمعات الأقلية التي تدين للولي الفقيه بالولاء والتي غالبًا ما يحركها لإحداث الفوضى والفساد والتمرد ضد دولها .

و- التركيز على نقاط الإثارة والاختلاف بين السنة والشيعة وإهمال نقاط الاشتراك أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف ، بمعنى تضييق دائرة المشتركات الإسلامية وتوسيع دائرة المختصات تفاديا لاجتماع المسلمين في شعيرة دينية أو فريضة جامعة .

ز- الحرص على الاستيلاء على الأماكن المقدسة عند الشيعة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء والموصل والبصرة .

ح- تسييس شعائر الحج بإعلان البراءة من المشركين .

ط- تسييس صلاة الجمعة والأعياد وتحويل عاشوراء إلى منبر سياسي .

ي- وضع الشهادة الثالثة في الأذان : (أشهد أن عليًّا وليُّ الله) .

ك- تغيير اتجاه القبلة في مساجد إيران ، باعتبار أن قبلة أهل السُّنَّة خاطئة . =

العثمانية التي كانت تمثل القوة الأولى والوحيدة في العالم فعمل على إنهاكها وتفكيكها بالتحالف مع أعدائها من الدول الأوربية حتى سقطت وأصبحت دولها ـ الإسلامية ـ لقمة سائغة لتلك الدول الاستعمارية والتي لازالت تعاني من تبعات وآثار ذلك على كافة المستويات[(١)] .

وفي أيامنا تعيد الجمهورية الإيرانية الشيعية لعب الدور الوظيفي نفسه ـ وما حدث في العراق وأفغانستان ليس عنا ببعيد ـ متسترة في ذلك بالغطاء المذهبي بعد أن نجح المشروع الإيراني السياسي ـ إلى حد كبير ـ في أن يصبح متصدرًا ومعبرًا عن الحالة الشيعية فى العالم الإسلامي رغم ما بينهم من خلافات تصل إلى حد التكفير ، فتم تجييش الشعور الشيعي العام نحو مشروع عصر الظهور وقرب موعده والذي يستلزم التمهيد والتهيئة لتلك العودة المرتقبة لإمامهم الغائب والمسردب فى سرداب سامراء منذ عام (٢٦٠هـ) ، بزعم أنه سيتخذ من مصر منبرًا نحو العالمية حسبما عبرت نصوص كتبهم مستخدمين عددًا من الأبواق ومرتزقة المال الحرام ، فضلا عن الدعايات والشعارات المخادعة من أن المصريين سنة المذهب شيعة الهوى ، وهو الادعاء الذي أتيتُ على بيانه فتهاوى بفضل الله تعالى .

وقيامًا بطاعة الوقت أعدتُ النظر في مادة هذا الكتاب لأقدم من خلاله صيحة نذير... وتحذيرًا من الانخداع بالدعايات المضللة والشعارات الكاذبة ، والذي جاء في

= ل- السجود على التربة الحسينية .

م- ضرورة الدفن في النجف .

ن- جواز السجود للإنسان ، وهذه ابتدعها الشاه إسماعيل للقزلباشية ، فقد كان يأمر أن يسجد له ، ولذلك يسجدون للقبور ولو بخلاف القبلة ، بدعوى أنه سجود تعظيم لا سجود عبادة ، وفي الواقع قد سبقهم الإسماعيلية (الفاطمية) إلى ذلك .

س- ربط التشيع بالأساطير الفارسية.انظر : الدولة الصفوية فتنة دينية أم مؤامرة سياسية؟ للمؤلف .

(١) انظر : المرجع السابق .

تمهيد يُذكر بمكانة مصر التي بوأها الله تعالى إياها من خلال نصوص الكتاب والسنة مع ذكر شيء من فضائلها ومناقب أهلها ، وكيف كانت وما زالت درع الإسلام ، وأهلها خير أجناد الأرض ، كما يستفاد من حديث نبوي كريم ، ونهرها من خير أنهار العالم .

وقد أنجبت للحضارة الإنسانية بشكل عام ، وللحضارة الإسلامية بشكل خاص علماء أفذاذًا ، أسهموا في بنائها ، وشاركوا في نهضتها .

ومن ثم **جاء الباب الأول في عدة فصول** ليستعرض صفحات الصراع بين المصريين أهل السنة وبين الفكر الشيعي الوافد تحت الحراب والسيوف ، مبينًا مواقف الشيعة من مصر وأهلها وأقوال أئمتهم وعلمائهم والمنتسبين إليهم ، وذلك من نصوص كتبهم المعتمدة ، ومن فتاوى وتقريرات كبار علماء المذاهب الشيعية في مختلف عصور الدولة الإسلامية ، والتي يدور معظمها حول ذم مصر وأهلها ونيلها وطينها ، ولعن من دخلها وأقام فيها ، وعلى العكس من ذلك كان موقف رجال ونساء أهل البيت حيث وفدوا إليها ، وعاشوا على أرضها واغتسلوا وارتووا من ماء نيلها ، حتى بلغت ذريتهم في مصر ما يزيد على ألف ومئتين من البيت الطالبي وهو ما لا يوجد بالعراق فى تلك الفترة[١] ، الأمر الذي يؤكد بما لا يدع مجالا للشك عدم صحة تلك االنصوص المنسوبة لأئمة أهل البيت في ذم مصر وأهلها .

ومع أول فرصة سنحت للشيعة لحكم مصر من خلال الغزو الإسماعيلي العُبيدي (الفاطمي) (٣٥٨- ٥٦٧هـ) والاستيلاء على حكمها للقضاء على الخلافة العباسية السُّنية في بغداد ، لتكون لهم السيادة على العالم الإسلامي ، لأن من يحكم مصر يحكم الشام والحجاز ، فضلًا عن الاستفادة من موقعها الاستراتيجي ومواردها الاقتصادية ، ومعها تبدأ حلقات الصراع التي زادت فيها وتعددت وتنوعت جرائم تلك الدولة الشيعية الإسماعيلية ضد شعب مصر الذي لم

(١) ابن زولاق . فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، ص٤٦ .

يرض بالذل والضيم ، فتفنن في وسائل مقاومتها على الرغم من قوة قبضة الدولة العسكرية ، ومع ذلك لم يستسلموا ولم يتوانوا عن الحفاظ على عقيدة أهل السنة تجاه التحريف الشيعي ، فسطر شعب مصر المؤمن بتلك المقاومة الباسلة السطر الأخير في حياة تلك الدولة التي تبخرت آمالها ، وتحطمت أحلامها فى السيطرة على العالم الإسلامي على صخرة المقاومة المصرية .

ومن العجيب أن معظم من كتب عن الدولة العُبيدية ـ المعروفة بالفاطمية ـ يستفيض فى ذكر مقاومة أهل المغرب والشمال الإفريقي لها ، ولا يتطرق إلى ذكر مقاومة المصريين ، وربما ساعدهم في ذلك من يوهم القارئ من الكتاب والباحثين أن المصريين قد استسلموا وانقادوا لعقائد تلك الدولة ، وهو الأمر الذي دفعني إلى بيان وسائل المقاومة المصرية التي زلزلت أصول مذهب الدولة الإسماعيلي ، مما دعا أساطين المذهب إلى إعلان البراءة الظاهرية من أهم أصول مذهبهم (مثل : ادعاء علم الأئمة للغيب)؛ اتقاءً لسخرية المصريين؛ وهو الأمر الذي أوجد اختلافًا بين أصول الشيعة الإسماعيلية في مصر ، وبين شيعتهم في اليمن وفارس ، ولم يختلف الأمر كثيرًا عندما تولى الوزراء الشيعة الاثني عشرية حكم مصر حيث نهبوا ثرواتها وأذلُّوا أهلها .

وعلى الرغم من سعي الشيعة الحثيث ، وتنوع أساليبهم لنشر المذهب الشيعي في ربوع مصر فإن حكامهم خاب رجاؤهم وفشل سعيهم فى ذلك ، فمصر كانت ولا زالت ـ بفضل الله تعالى ـ سُنية المذهب ، سُنية الهوى ، تحب الصحابة وآل البيت عملًا بقول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] .

وبقول النبي ﷺ : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ،

قال عمران : فلا أدرى : أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[(١)] .

وقوله ﷺ : « لا تسبوا أحدًا من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[(٢)] ، وقوله ﷺ : بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ : « أما بعد : ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله - ورغَّبَ فيه - وقال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله فى أهل بيتي ، أذكركم الله فى أهل بيني ، أذكركم الله في أهل بيتي »[(٣)] .

وقال ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي »[(٤)] .

وبالتالي لم يبق للشيعة بمذاهبهم في مصر أثر ولا عين ، منذ أن طهر صلاح الدين الأيوبي مصر من أفكارهم المنحرفة . وفي العصر الحديث عاود الشيعة بمختلف مذاهبهم الكَرَّة للتسلل إلى مصر في الوقت الذي عاد فيه التشيع ليمارس دوره الوظيفي في خدمة أعداء الأمة الإسلامية **فجاء الباب الثاني ليقدم الإجابة عن سؤالين** :

الأول : هل التشيع خطر داهم على مصر والعالم الإسلامي ؟ أم أن تلك هواجس تاريخية انتهت بانتهاء زمنها ؟

والثاني : هل باتت مصر حقًّا في بؤرة هذا الخطر؟ وما هي مكامن هذا الخطر ؟ وما يمكن أن يحدثه المشروع الشيعي وما يقوم به من دور وظيفي يؤدى إلى الفوضى

---

(١) رواه البخاري في الشهادات (٥/٢٥٨-٢٥٩) ، وفضائل الصحابة (٧/٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤/١٩٦٤) .

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة ٧/٢١ مختصرا ، ومسلم في فضائل الصحابة ٤/١٩٦٧-١٩٩٨ واللفظ له .

(٣) رواه مسلم ٧/١٢٢ ، حديث رقم ٦٣٧٨ .

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣/١٦٢ ، حديث رقم ٤٧١٦ .

والاضطراب الاجتماعي والأخلاقي والانحراف السياسي ، فضلا عن تمكين أعداء الأمة من ثرواتها ومقدراتها ، وهو ما فصلتُ فيه القول على حسب ما سمح به السياق ، ومن ثم نبهت إلى تلك المحاولات الدؤوبة لذلك الزحف الأسود من خلال الإشارة إلى خطط واستراتيجيات جناحي الشيعة الإمامية المعاصرين من إسماعيلية ـ وبخاصة البُهرة ـ ، واثني عشرية للتغلغل في مصر تحت دعوى عصر الظهور أو غيره عند كل منهما ودور مصر البارز فيه وهو مما يخفى على الكثير ، ثم أتبعت ذلك بملحقٍ للوثائق من أمهات كتب الشيعة لتدلل على بعض ما ذكرت .

فجاء الكتاب ـ بفضل الله تعالى ـ في شكلٍ موسوعي حيث تطرق إلى جوانب عدة : جغرافية ، وتاريخية ، وعقائدية ، وسياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وعلمية فى بيانٍ لطبيعة هذا الصراع وصُوَره ونتائجه ، وأيضًا لبيان خطورة خطط واستراتيجيات التغلغل الشيعي في المجتمعات السنية ومصر في القلب منها .

ومما يزيد القلب اطمئنانًا بعد تتبع كل هذه العناصر السالفة أن الدولة العُبيدية (الفاطمية) إن كانت قد نشأت في اليمن وتوسعت في المغرب العربي ، إلا أنها قد اكتسبت شهرتها وقوتها في مصر ، ومن ثَم تحطمت على صخرتها ، وكذلك ستتحطم فيها ـ بإذن الله تعالى ـ أحلام كل أصحاب الأفكار الباطلة والمذاهب المنحرفة ، فمصر كنانة الله في الأرض ، وما أرادها جبار بسوء إلا قصمه الله تعالى .

ومن نافلة القول الإشارة إلى أن المقصود بالسنة والجماعة هنا : الذين هم على هدي الرسول ﷺ وأصحابه علمًا واعتقادًا وقولًا وعملًا وأدبًا وسلوكًا ، وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والذين اجتمعوا على الكتاب والسنة وعلى أئمتهم ، وأئمة الهدى المتبعين لهم ، وكل من سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل والسلوك إلى يوم الدين ، مثل الأئمة الأربعة وسفيان الثوري وابن عيينة والأوزاعي وابن المبارك ، ومن سار على دربهم ، وهم الذين استقاموا على الاتباع وجانبوا

الابتداع في كل مكان وزمان ، فهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة . قال ابن حزم : « وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة – فأهل الحق: هم الصحابة رضي الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين ، رحمة الله عليهم ، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها ، رحمة الله عليهم »[١] .

والمقصود بالشيعة هم الشيعة الإمامية سواء الإسماعيلية بفرعيها البُهرة والأغاخانية أو الاثني عشرية و « هم الذين شايعوا عليًا ، رضي الله عنه ، على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية ، إما جليًا أو خفيًا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقيةٍ من عنده ، وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهى ركن الدين لا يجوز للرسل ، عليهم السلام ، إغفاله أو إهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت العصمة للأنبياء والأئمة وجوبًا عن الصغائر والكبائر ، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقدًا إلا في حالة التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك »[٢] .

وبينهما فروق عقدية تلاشى بعضها في القرون المتأخرة ، حيث ما كان يعد غلوًا في السابق عند الاثني عشرية أصبح من مقررات وضروريات المذهب الآن ، يقول عالم الرجال الاثني عشري عبد الله المامقاني : « إنا قد بينا غير مرة أن رمي القدماء الرجل بالغلو لا يعتمد عليه ولا يركن إليه لوضوح كون القول بأدنى مراتب فضائلهم (يعنى الأئمة) غلوًا عند القدماء ، وكون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب التشيع غلوًا عند هؤلاء ، وكفاك في ذلك عدّ الصدوق نفي السهو عنهم غلوًّا

(١) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ٢/١١٣ .

(٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ، /١٤٦-١٤٧ .

مع أنه اليوم من ضروريات المذهب ، وكذلك إثبات قدرتهم على العلم بما يأتي (أي علم الغيب) بتوسط جبرائيل والنبي غلوًا عندهم ومن ضروريات المذهب اليوم »[(١)] ، وهو ما أشارت إليه فقط ... مجرد إشارات إلى مواضع من ذلك دون تفصيل في ثنايا السطور أو في الهوامش حيث فصلتُ فيها القول في بحث آخر « هل التشيُّع الإمامي : الإسماعيلي والإثنا عشري وجهان لعقيدة واحدة ؟ » .

وقد يقول من قَلَّتْ درايته واطلاعه : إن صور ونماذج الانحرافات التي ذكرتها عند الشيعة يوجد مَنْ تطرف وقال بمثلها بعضُ المنتسبين لأهل السنة .

والجواب : نعم إن الشذوذ والتطرف لا يخلو منه بعض أتباع الشرائع السماوية والأديان الوضعية ، من أصحاب الأمراض النفسية ، أو البعيدين عن نور الوحي الإلهي وتعاليم النبوة ، ولكن الفرق أن يُقر هذا الشذوذ ويصبح عقيدة ويحتفى بأصحابه ، أو أن يقاوم ويحذر منه ومن أهله ويقام عليهم الحكم الشرعي الواجب في أمثالهم . فعلى مدار التاريخ الإسلامي لم يظهر أي انحراف أو شذوذ في المجتمعات السنية - وكلها كانت حالات فردية - إلا بادر علماء وحكام أهل السنة بالتصدي له واستئصال شأفته حفاظًا على عقيدة الأمة .

والتاريخ حافل بالمواقف المشهودة والأقوال المأثورة في هذا الجانب ، أما عند الشيعة فحالات الانحراف تعادل أضعاف مثيلاتها عند السنة ، وقد مثلت حالات انحراف جماعية تحميها دول بمؤسساتها الدينية لدرجة أن أصبح هذا الغلو والانحراف من مقررات ومبادئ الفرقة حسب اعتراف كبار علمائهم ، وأصبح أصحابه من كبار العلماء والمراجع ، ومن خلال فصول الكتاب سيتضح لك المقال ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) عبد الله المامقاني ، تنقيح المقال في أحوال الرجال ، ٣/ ٢٤٠ . ، وانظر : هل التشيع الإمامي الإسماعيلي والاثنا عشري وجهان لعقيدة واحدة ، للمؤلف .

وفى النهاية : فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس ، فالشكر لله تعالى أولًا ودائمًا وأبدًا ، ثم الشكر لفضيلة أستاذي المؤرخ الأستاذ الدكتورعبد الحليم عويس ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وقد أدركته المنية قبل كتابة مقدمة وتقريظ لهذا الكتاب حسب طلبه ، أسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته وأن يتقبله في الصالحين .

والشكر موصول لفضيلة الشيخ القاضي صالح بن عبد الله الدرويش المحب لمصر وأهلها لإسهامه في فكرة الكتاب ، وللأستاذ الفاضل رجل المواقف الكاتب السياسي والمحلل الاستراتيجي الأستاذ طلعت رميح ، الذي تفضل بمراجعة الباب الأخير ، ولأخي الحبيب أبي محمد الشيخ أشرف عبد المقصود ، لجهده الواضح في المساعدة على إخراج الكتاب بالشكل اللائق ، واختياره الموفق لعنوانه .

ومع اعترافي بالقصور والتقصير في معالجة موضوع الكتاب ، لكن حسبي أنني قد بذلتُ فيه غاية الجهد من حيث الالتزام بمنهجية البحث العلمي بقدر المستطاع، بما فيها من الرجوع إلى المصادر والمراجع المعتمدة عند السنة والشيعة ، على اختلافها وتنوعها ، بحثًا وتوثيقًا ، منها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو بغيرها ، سعيًا وراء صحة المعلومة ودقتها ، للعمل على تحليلها وربطها بأختها ليكتمل البنيان حسب المستطاع ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

أبو محمـد

حمـدي عبيـد

الإسماعيلية في ٣ ربيع الأول ١٤٣٣هـ

الموافق : ٢٦ يناير٢٠١٢م

تمهيد

مصر في القرآن والسنة
وعطاؤها العلمي

المبحث الأول : مصر في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الثاني : عطاء مصر العلمي


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

توطئة

مصر إذا جاءت في القرآن الكريم منونةً فهي تدل على أي أرض من الحضر « غير البداوة والصحراء » ، قال تعالى : ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ﴾ [البقرة : ٦١] .

أما إذا جاءت غير منونة ، فهي تدل على تلك المدينة الكبيرة ، والتي يحدها البحر المتوسط من جهة الشمال ، وبلاد السودان من الجنوب ، ويحدها شرقًا فلسطين والأردن والمملكة العربية السعودية ، ومن الغرب الجمهورية الليبية ، وتتميز مصر بمناخها المعتدل صيفًا وشتاءً .

يقول الشيخ الإمام الفقيه أبو محمد الحسن بن زولاق : « إن من محاسن مصر : اعتدال هوائها وبردها ، وأن مزاج هوائها لا يقطع أحدًا عن التصرف ، كما يقطع حر بغداد أهلها عن التصرف في معايشهم ، ويخلو أكثر الطرقات بها نهارًا ، وكذلك بردها ، وإن برد مصر ربيع ، وحرها قيظ »(١) .

قال القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري(٢) :

ما مِثْلُ مصرٍ في زمانِ ربيعِها لصفاءِ ماءٍ واعتدالِ نسيمِ
أقسمتُ ما تحوي البلادُ نظيرَها لما نظرتُ إلى جمالِ وسيمِ

ويقول علي عبد سعد الغماري الأندلسي :

لم لا أهيم بمصر وأرتضيها وأعشق
ولم ترَ العينُ أحلى من مائها أن تملق(٣)

---

(١) ابن زولاق ، فضائل مصر ، ص١٠٢-١٠٣ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ١/٣٥٠ .

(٣) المصدر السابق ١/٣٥١ .

وتسمى مصر بأرض الكَنانة – أو الكِنانة[١] ، والكنانة : هي الجعبة التي يحفظ فيها الفارس السهام ، ذلك أن مصر بلد المجاهدين والمقاتلين الأشداء .

وقال المقريزي في خططه[٢] : « كان اسمها جزلة . وقيل : سميت بمصريم ابن مركائيل بن وابيل بن عربان بن آدم . . وهذا هو مصر الأول .

وقال القلقشندي في صبح الأعشى[٣] : « مصريم بن براجيل بن رزائيل » .

وقيل : بل سميت بمصر الثاني ، وهو مصرام بن فثراوش الجبار بن مصريم الأول .

وقيل : بل سميت بعد الطوفان بمصر الثالث ، وهو : مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، وهو اسم أعجمي لا ينصرف .

وقيل : هو اسم عربي مشتق ، إذ المصر في لغة العرب اسم للحد بين الأرضين ، فتقول أهل هجر : اشتريت الدار بمصورها ، أي بحدودها » .

ويقول المسعودي في مروج الذهب[٤] : « وهي مصر ، واسمها كمعناها ، وعلى اسمها سميت الأمصار ، ومنه اشتق هذا الاسم عند علماء البصريين – المصريين » .

---

(١) حديث : « مصر كنانة الله في أرضه ، ما طلبها عدو إلا أهلكه الله » حديث لا أصل له ، أورده السخاوي في « المقاصد الحسنة » (١٠٢٩) ، وقال : لم أره بهذا اللفظ في مصر ، وعزاه المقريزي في « الخطط » لبعض الكتب الإلهية ، انظر : ابن تيمية في « أحاديث القصاص » (٦٣) ، الشوكاني في « الفوائد الموضوعة » (١٠٢) ، العجلوني في « كشف الخفاء » (٢٣٠٩ ، ٢٣١١) ، الألباني في « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » ، حديث رقم (٨٨٨) .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ٢٨/١ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣١٤/٣ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٥٥/١ .

ويطلق على سكان مصر : « قبط »[١] قبل الإسلام وبعده . . ومع الأيام ذابت الأجناس فيها ، وأصبح الشعار « مصريًّا » ، سواء كان من أصل قبطي أو عربي أو إفريقي ، فأصبحت النسبة إلى الاسم . . وغدت مصر مصدر عز وفخار للجميع بحيث كانوا لا يعرفون غير لقب : مصري . . عربي .

وكان المصريون يعتبرون العرب الفاتحين قومًا من بني جنسهم ، فقد هاجر العرب إلى مصر قبل الإسلام بآلاف السنين ، ثم جاء الإسلام مهيبًا بالشرق - وخصوصًا مصر - بالنهوض من كبوتها بعد ألف سنة اجتاحتها فيها سطوة الغريب من الفرس والرومان ، فاستطاعت بالإسلام أن تسترجع ماضيها المجيد ، لا في ميدان السياسة فحسب ، بل في ميدان الثقافة والعلم ، وقد كان لرابطة الدم ورابطة التعاون والمساواة أكبر الأثر في خلق جو من القربى بين العرب والمصريين ، في

(١) يذهب فريق من الباحثين إلى أنها نسبة إلى قبط ، أكبر أولاد مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، والذي قسم أرض مصر بين أبنائه الأربعة (قبط ـ أشمون ـ أزيب ـ عاصا) أرباعًا ، فلما كثر أبناء قبط والمنتسبون إليه وغلبوا على سائر البلاد دخل غيرهم في نسبهم فقيل للكل قبط مصر ، وروي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أنه قال : دعا نوح ، عليه السلام ، ربه لولده وولد ولده : مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، وبه سميت مصر ، وهو أبو القبط فقال : اللهم بارك فيه وفي ذريته وأسكنه الأرض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد ، ونهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات ، وسخر له ولولده الأرض ، وذللها لهم ، وقوها عليهم . (انظر : المقريزي ، الخطط ١/٢٢٧ ، ، القلشقندي ، صبح الأعشى ، ٣/ ٣١٣ ، النويري ، نهاية الأرب ١/٣٤٧) . وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بنى حام بن نوح ، عليه السلام ، ودعا العرب مصر : « دار القبط » نسبة إلى قفط وهي أقرب مدن وادي النيل إلى البحر الأحمر ، وبناء على ذلك تكون كلمتا « قبطي » و « مصري » بمعنى واحد . (لجنة التاريخ القبطي . « تاريخ الأمة القبطية » ، وزارة المعارف (١٩٣٢م) وبالتالي فإن النسبة تطلق على المسلمين والنصارى المصريين على حد سواء ، خلافًا لمن يحاول قصرها على نصارى مصر فقط لأهداف سياسية ، راجع أيضًا : « معجم المصطلحات » : حمدي عبيد ، ملحق بالجزء الثاني من « الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة » (٢/١١١٣) .

أغلب فترات التاريخ الإسلامي بهذه البلاد[١] .

ومما يحق لمصر أن تفخر به في مضمار صناعة الحضارة الإسلامية أنها : « إحدى الأمم القليلة التي تخلت عن ماضيها الوطني – طواعية واختيارًا رغم ماضيها العريق بين أمم الأرض – وعن لغتها القديمة ، ورمت بنفسها في أحضان الإسلام والمدنية الإسلامية ، فلم يقض فتح العرب لإيران والهند على لغتهما القومية، ولم يقض على العقائد الدينية التي وجدت فيهما قبل الفتح قضاءً تامًّا ، ولم يمنع اعتناق الأتراك للدين الإسلامي من الاحتفاظ بلغتهم القومية . ونرى الأندلس التي كانت تزدهر فيها حضارة إسلامية بعد أن فتحها العرب تُغلب على أمرها في أواخر العصور الوسطى وتعود ثانية دولة مسيحية الدين بعيدة عن اللغة العربية »[٢] .

وقد حبا الله – تعالى – مصر بالكثير من المحاسن والفضائل التي لن أطيل في ذكرها والاسترسال فيها ، فالمراد من هذه السطور : التنبيه على مكانة مصر وأهلها في الكتاب والسنة ، وآثار السلف الصالح ، وما تحمله تلك الآثار من إشارات ودلائل ، متضمنة الرد على الأقوال الشعوبية[٣] الباطلة ، التي نسبت لأئمة آل البيت

---

(١) أحمد شلبي . موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٣١/٥ .

(٢) زكي محمد حسن ، مصر والحضارة الإسلامية ، ص٢٤ . ومما يؤكد هذا الاختيار الطوعي للإسلام ولغته : أن تعداد المصريين زمن الفتح الإسلامي كان أكثر من ستة ملايين نسمة من الرجال ممن تجب عليهم الجزية ـ أي ماعدا الشيوخ والنساء والأطفال ـ كما يذكر ابن عبد الحكم في « فتوح مصر وأخبارها » ولك أن تتخيل كم كان إجمالي تعداد المصريين وقتئذ؟! بينما كان تعداد جيش الفتح الإسلامي ما يقارب ستة عشر ألف رجل . انظر : د . سيدة الكاشف ، مصر في فجر الإسلام،ص٢٣٠ .

(٣) **الشعوبية** : إحدى حلقات المكر السيِّئ ضد الإسلام وأهله ، متسترة أحيانًا بحب آل البيت والتشيع لهم ، وأحيانًا بستار الآداب والفنون وتهدف في جملتها إلى إذاعة موجة الإلحاد والانحلال الاجتماعي والسخرية من أصول الأديان والنظم الاجتماعية من خلال : إثارة الشكوك حول المحرمات تارة ، أو الهجوم على الثقافة العربية والانتقاص من شأن العرب ، والتشكيك فيهم ، مع =

التي يدعي الشيعة الاثنا عشرية الانتساب إليهم ، والتي أكدها كبار علمائهم في كتبهم المعتمدة عن مصر وأهلها . . سائلًا الله جل وعلا التوفيق والسداد .

موازين ربانية :

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكون تبيانًا لكل شيء ، يقول تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] ؛ لأن فيه الحق المبين ، ومما ورد في كلام الله عز وجل بيان حقيقة خلق الإنسان وأصله ، وبيان المقياس الشرعي في المفاضلة بين الناس عند الله عز وجل وكذلك بيان الحكمة الربانية في اختلاف الناس في وضعهم الاجتماعي ... هذا غني وذاك فقير ، هذا ذكي وذاك غبي ، وهذا سليم معافى وذاك مريض مبتلى .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

آية عظيمة . . فيها بلاغة عجيبة ، تفصيلًا للواقع البشري مع ذكر الحكمة والعلاج معًا في اختلاف ذلك الواقع ، وبيان الحقيقة الناصعة الجلية في تفضيل الناس ، وبيان منزلتهم عند خالقهم سبحانه وتعالى .

يقول صاحب الظلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ والكريم حقًّا هو الكريم عند الله . وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ... وهكذا تسقط جميع الفوارق ، وتسقط جميع القيم ، ويرتفع

= إعلاء الشخصيات غير العربية في التاريخ الإسلامي ، وإشاعة مفاهيم الفلسفة اليونانية أو الشرقية من خلال الترجمة والنشر تارة أخرى . ومن أشهر رموز الشعوبيين : أبو نواس ، بشار ابن برد ، حماد عجرد ، إخوان الصفا ، ابن الراوندي ، محمد بن زكريا الرازي ، وغيرهم . للمزيد انظر : معجم المصطلحات . حمدي عبيد ، ملحق الجزء الثاني من الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة ، ١٠٧٨/٢ .

ميزان واحد بقيمة واحدة ، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر ، وإلى هذه القيمة (التقوى) يرجع اختلاف البشر في الميزان .

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي ، بل المجتمع الإنساني العالمي ، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق نوعًا من ألوانه فتخفق ؛ لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم ، الطريق إلى الله . . ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمعة من راية الله ، فلا بد من الاستمساك بحقيقة الإيمان وقيمة التقوى » اهـ[١] .

وقد رسَّخ رسول الله ﷺ هذا المبدأ ، وكسَّر الأعراف الجاهلية ووضعها تحت قدميه ، وربى أصحابه ، رضي الله عنهم ، على هذا الهدي ، وكان عليه الصلاة والسلام يهتم بهذا الأمر غاية الاهتمام ، أترى يوم أن قال الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري - وهو المشهور بالتواضع والزهد - لصحابي جليل آخر - وهو : بلال بن رباح - دونه في النسب ، قال له كلمة هينة ، وعلى الرغم من أنها حقيقة ، إلا أن فيها غمزًا ولمزًا له ، وافتخارًا عليه ، فغضب رسول الله ﷺ وقال لأبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية »[٢] .

وهكذا كان رسول الله ﷺ يؤصل مبدأ الأخوة بين المؤمنين في كثير من أقواله وأفعاله ، والأدلة على ذلك كثيرة ، أكثر من أن تحصى ، فنجده ﷺ يولي أسامة بن

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٣٣٤٨/٦ ، بتصرف يسير .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦/١و١٢٣/٢-١٢٤ و١٢٤/٤-١٢٥) وفي « الأدب المفرد » (١٨٩) ، ومسلم في صحيحه (٩٣/٥) ، وأبو داود في سننه (٥١٥٨) ، والترمذي في سننه (١/ ٣٥٣) ، وابن ماجه في سننه (٣٦٩٠) ، والبيهقي في سننه (٧/٨) ، وأحمد في المسند (٥/ ١٥٨و١٦١) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٢٨٢) ، وفي صحيح سنن أبي داود (٥١٥٧) ، وفي صحيح الجامع (٧٨٢٢) .

زيد ، رضي الله عنه – على صغر سنه – قيادة الجيش ، وفيه أكابر الصحابة ومن هم أفضل منه نسبًا ومنزلة . . وعلى الرغم من كونه مولى من الموالي ، ومع ذلك ولّاه الرسول الكريم ﷺ ، ورضي به الصحابة الكرام . . وقد ولى ﷺ أيضًا « عتاب بن أسيد »[١] ، أميرًا على مكة وفيها عشيرته وقبيلته قريش ، أشرف العرب نسبًا ، وأصبح هذا من بعده سلوك أهل الإيمان في القرون المفضلة .

ومع مرور القرون ، وضعف التدين ، وانتشار البدع ، وظهور الفرق واستحكام الأهواء ، اختلفت الموازين ، واضطربت المعايير ، وشاعت المقاييس المادية في الحكم على الناس وتقييمهم . وفي القرون المتأخرة بعد هيمنة الغرب على العالم الإسلامي ، وتقسيم دولة الخلافة الإسلامية إلى دول ودويلات عربية وغير عربية ، غنية وفقيرة ، ظهرت مشاكل لا حصر لها بين تلك الدول والشعوب ، وقامت بينهم ثارات وحروب ، وأصبح السب والذم يعم الجميع ، ووجدت نارُ الفتنة مَنْ يَزيدُها اشتعالًا حتى احترقت منها القلوب ، وتربت عليها الأجيال ، وعانت منها الحكومات والشعوب على حدٍّ سواء .

ومن منا لا يتذكر الحرب الأهلية في لبنان ، وأفقها الطائفي ، وكيف أتت على الأخضر واليابس فيه ، أو مافعلته حركة أمل الشيعية بالتعاون مع حزب الكتائب النصراني والصهاينة ضد الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا من مذابح يندى لها جبين الإنسانية ، أو الحرب الطائفية في البوسنة والهرسك التي شنها الصرب الأرثوذكس ضد المسلمين ، على الرغم من أنهم عاشوا جميعًا تحت نير الشيوعية ، فكانت الحرب الشعواء مخلِّفةً المآسي والدمار .

---

(١) عتاب بن أسيد بن أبي العيص ، أسلم يوم فتح مكة ، واستخلفه النبي ﷺ عليها لما سار إلى حنين ، وظل واليًا عليها في عهد أبي بكر ، رضي الله عنه ، حتى توفي يوم وفاة أبي بكر ، رحمهما الله . انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ٤٦/٣ ، بتصرف .

ومنذ بداية قرننا هذا تطل الطائفية برأسها البغيض في العراق في لَوْثَةٍ شعوبيةٍ جديدة ، تغذيها ثقافة الحقد والكراهية ، سالت معها الدماء أنهارًا ، وأصبحنا نرى عبر وسائل الإعلام المختلفة أشلاءً لقتلى بلا رءوس ، وأحيانًا لا نستطيع أن نميز بينهم ، وبالتالي تفككت أوصال الدولة ، وضاعت هيبتها ، وانعدم الأمن والأمان في أرجائها ، ثأرًا لإرثٍ تاريخي موهوم ، وهو ما نرى بدايته في البحرين ولبنان وجبال صعدة باليمن من تمرد للحوثيين – الشيعة الزيدية المتحولين للاثني عشرية – ضد الدولة ، كل هذا وفق استراتيجية شعوبية متسترة بستار التشيع ، لم يسلم منها شعب من الشعوب الإسلامية .

فمصر عندهم بئس البلاد ، والشام وأهلها أشر من الروم ، والمدينة وأهلها شر من أهل مكة ، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة[1] ، والأكراد حي من الجن تحرم مخالطتهم[2] ، والسودان وشعبه يجب هجرهم[3] ، وباقي الشعوب الإسلامية بالجملة ، كلهم أولاد بغايا – زنًا – ما خلا شيعتهم[4] .

(١) روى الكليني في « الكافي » بسنده عن أبي عبد الله ، عليه السلام ، أنه قال : أهل الشام شر من أهل الروم ، وأهل المدينة شر من أهل مكة ، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة . ٢/٣٩٠ حديث رقم (٣) .

(٢) وفي رواية أخرى : « إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة ، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة ، أخبث منهم سبعين ضعفًا » ٢/٣٩٠ حديث رقم (٤) ، وفي الحديث الذي يليه في الكافي يروي الكليني بسنده عن أبي عمر قال : قلت لأبي عبد الله ، عليه السلام : أهل الشام شر أم أهل الروم ؟ فقال : إن الروم كفروا ولم يعادونا ، وإن أهل الشام كفروا وعادونا .

(٣) روى الكليني أيضًا في باب (من كره مناكحته من الأكراد والسودان وغيرهم) : وفي رواية « لا تنكحوا من الأكراد أحدًا فإنهم جنس من الجن كشف الغطاء عنهم » . الكافي ٥/٣٥٢ ، وهو ما أكده علماؤهم مثل : عبد علي الحويزي في تفسير نور الثقلين ١/٦٠١ ، والطوسي في النهاية ص٣٧٣ ، وابن إدريس الحلي في السرائر ٢/٢٣٣ ، وغيرهم .

(٤) الكليني ، المرجع السابق ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام : إياكم ونكاح الزنج فإنهم خلق مشوه . ٥/ ٣٥٢ .

بل كربلاء وطينتها أفضل من مكة المكرمة وحرمها ، والكوفة ومسجدها أفضل من بيت المقدس ؛ لأن المسجد الأقصى على ما تذكره كتب الحديث والتفسير عند الشيعة لا وجود له في القدس إنما هو في السماء الرابعة . . وليسعد اليهود بهدم الأقصى وبناء الهيكل ، ولا عزاء للمسلمين(١) .

* * *



(١) أورد معظم مفسري الشيعة مثل : العياشي في تفسيره ، والبحراني في « البرهان في تفسير القرآن » ، والفيض الكاشاني في « الصافي » ، والطبطبائي في « الميزان » ، وعبد علي الحويزي في « نور الثقلين » ، وغيرهم عددًا من الروايات التي تؤيد ذلك في بداية سورة الإسراء ، ومنها : (عن سالم الحناط عن رجل عن أبي عبد الله ، عليه السلام ، قال : سألته عن المساجد التي لها فضل؟ فقال : المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله ﷺ . قلت : والمسجد الأقصى جعلت فداك؟ قال : ذلك في السماء ، إليه أسرى رسول الله ﷺ . فقلت : إن الناس يقولون إنه بيت المقدس؟ فقال : مسجد الكوفة أفضل منه) . هاشم البحراني ، البرهان في تفسير القرآن ، ٥٢٢/٤ ، ط/١٤١٩هـ-١٩٩٩م . وستأتي الإشارة إلى ذلك مفصلة في الفصل الأخير من هذا الكتاب .

المبحث الأول

مصر في القرآن الكريم والسنة النبوية

أولا : مصر في القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى مصر في كتابه العزيز في أكثر من ثلاثين موضعًا ، تصريحًا وتلميحًا .

١ - قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٩] .

٢ - ويقول تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٨٧] .

فالله سبحانه وتعالى قد صرح بذكر مصر في الآيتين مع أن السياق ينسجم بدون ذكر البلد « مصر » ، ولكن المولى جل وعلا صرح بذكر مصر للدلالات التي لا تخفى على من تأمل الآيات ، فذكر البلد فيه تشريف لها ، حيث لم تذكر في مقام الذم ، وإنما ذكرت في مقام الثناء والمدح ، ففي الآية الأولى ذكر الأمان ، وفي الثانية ذكر التأكيد على بني إسرائيل في إقامة منازلهم بمصر مساجد مستقبلة القبلة ، يصلون فيها سرًّا .

وقد يستفاد من هذه الآية - والله تعالى أعلم - : أن التصريح بمصر جعل لهذا الاسم مكانة مما حدا بأهل مصر أن يفتخروا بالانتساب إليها وترك ما عداها .

وقد وصف الله تعالى مصر بأنها بلاد مباركة ، يقول تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الظاهر أنهم ورثوا أرض القبط . . والأرض هي أرض الشام ومصر . . ومشارقها ومغاربها : جهات الشرق والغرب بها »(١) .

وقال ابن الجوزي : « فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : مشارق الشام ومغاربها ، قاله الحسن .

والثاني : مشارق أرض الشام ومصر .

والثالث : أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها »(٢) .

بل خص الله تعالى منطقة الطور وما حولها من أرض مصر بأنها أرض مقدسة : قال تعالى : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٢١] .

قال ابن كثير : عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴾ قال : هي الطور وما حوله . والمقصود بالمقدسة أي المطهرة المباركة(٣) .

كما ذكر ابن جرير الطبري حاكيًا إجماع أهل التأويل والسير والعلماء والأخبار أن المقصود هو : الطور وما حوله(٤) . وهو الذي أقسم به الله تعالى تعظيمًا لشأنه ، وإظهارًا لقدرته جل وعلا وآياته وكتبه ورسله ، كما في سورة التين : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ [التين : ١ - ٣] الآيات .

وتلك البقعة المباركة والأرض المقدسة كانت المكان الوحيد في هذا الكون الذي شهد التجلي الإلهي ، يقول جل وعلا : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٠٨/٤ .

(٢) ابن الجوزي ، زاد المسير ٢٥٣/٣ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٧٥/٣ .

(٤) ابن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، ١٦/٦ .

فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]

فأكرم به من شرفٍ وفضلٍ ، وحق لأرض مصر أن تزهو وتفتخر على أراضي الدنيا بهذا التكريم الإلهي .

وأخيرًا : وصف الله تعالى أرض مصر ومنازلها بمنازل الصدق ، حيث يقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس : ٩٣] .

قال الطبري : « مبوأ صدق : منازل صدق ، قيل : عنى بذلك : الشام وبيت المقدس ، وقيل : عنى بذلك : الشام ومصر ، وعن الضحاك قال : (منازل صدق) : مصر والشام »[١] .

وقد يقول قائل : بأن ما ذكرناه فيه تكلّف . فأقول : عليك بالأحاديث الآتية ، ففيها النص الصريح الصحيح على مكانة مصر ووصية النبي ﷺ بأهلها خيرًا لمن يعظم النصوص ويعمل بها .

ثانيا : مصر في السنة النبوية :

بَوَّب الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في « صحيحه » : « باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر » : عن أَبِي ذَرّ ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا » . قَالَ : فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ ، فَخَرَجَ مِنْهَا . وعنه أيضًا أنه قال : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا

---

(١) المصدر السابق .

إِلَى أَهْلِهَا ؛ فَإِنَّ لَهمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا - أَوْ قَالَ : ذِمَّةً وَصِهْرًا - فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا » . قَالَ : فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ ، فَخَرَجْتُ مِنْهَا .

قال الإمام النووي : « قَوْله ﷺ : « سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَر فِيهَا الْقِيرَاط ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّة وَرَحِمًا . . . » وَفِي رِوَايَة : « سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاط » ، وَفِيهَا : « فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّة وَرَحِمًا أَوْ قَالَ : ذِمَّة وَصِهْرًا » . قَالَ الْعُلَمَاء : الْقِيرَاط : جُزْء مِنْ أَجْزَاء الدِّينَار وَالدِّرْهَم وَغَيْرهمَا ، وَكَانَ أَهْلُ مِصْر يُكْثِرُونَ مِنْ اسْتِعْمَاله وَالتَّكَلُّم بِهِ . وَأَمَّا الذِّمَّة : فَهِيَ الْحُرْمَة وَالْحَقّ ، وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الذِّمَام . وَأَمَّا الرَّحِم : فَلِكَوْنِ هَاجَرَ أُمّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ »[1] .

* وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا ؛ فإن لهم ذمة ورحمًا » ، فقيل له : ما الرحم الذي ذكر رسولُ الله ﷺ لهم؟

قال كعب بن مالك : كانت هاجرُ أمُّ إسماعيل منهم ، وفي رواية : « إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا ؛ فإن لهم ذمة ورحمًا »[2] .

وعليه ، فإن المصريين أخوال إسماعيل ، عليه السلام ، وهو الذبيح ، ووالد عرب الحجاز ، ومنهم النبي ﷺ ، وهم كذلك أخوال إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، فأمه مارية القبطية من قرية صفن ، شرقي النيل ، بمركز مَلَّوِي ، محافظة المنيا ، بصعيد مصر .

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن يزيد بن أبي حبيب : أن أبا سلمة بن

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (٨/٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/٦١) ، والحاكم في المستدرك (٣/٦٠) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٩٨) .

عبدالرحمن حدثه أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته أن يخرج اليهود من جزيرة العرب ، وقال : « الله الله في قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عُدة وأعوانًا في سبيل الله »[١] .

وعن عمرو بن حريث وأبي عبد الرحمن الحيلي : أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم ستقدمون على قومٍ جعدٌ رءوسهم ، فاستوصوا بهم خيرًا ، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله »[٢] ، يعني قبط مصر .

وفي حديث النواس بن سمعان ، رضي الله عنه : أن جبل الطور بأرض مصر حرزٌ لنبي الله تعالى عيسى ، عليه السلام ، ومن معه من المؤمنين آخر الزمان ، وفيه : « ثم يأتي قوم قد عصمهم الله منه ... فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة . . فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني أخرجتُ عبادًا لا يدان[٣] لأحدٍ بقتالهم ، فحرّز[٤] عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب[٥] ينسلون . . . » الحديث[٦] .

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩٠٦٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٦٣) : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » .

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (١٤٤٣) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٨٠٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٦٤) : « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح » .

(٣) يدان : تثنية يد ، قال العلماء : معناه : لا قدرة ولا طاقة ، يقال : ما لي بهذا الأمر يد ، وما لي به يدان ، لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد ، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه .

(٤) أي ضمهم واجعله لهم حرزًا ، يقال : أحرزت الشيء أحرزه إحرازًا ، إذا حفظته وضممته إليك ، وصنته عن الأخذ .

(٥) الحدب : النشز ، قال الفراء : من كل أكمة ، من كل موضع مرتفع ، وينسلون : يمشون مسرعين .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، برقم (٢١٣٧) .

وفي مصر أثر من آثار الجنة ، ونهر من أنهارها : فعن مالك بن صعصعة ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « بينما أنا في الحطيم مضطجعًا ، إذْ أتاني آتٍ فقدّ ما بين هذه إلى هذه ، فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا ، فغسل قلبي بماء زمزم ، ثم حشي ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له : البراق . . . ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، قلت : ما هذان يا جبريل؟ قال : أما الباطنان : فنهران في الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات »[١] .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « سيحان وجيحان والفرات والنيل ، كلٌّ من أنهار الجنة »[٢] .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « فجرتْ أربعة أنهار من الجنة : الفرات والنيل وسيحان وجيحان »[٣] .

قال المناوي : « **(من أنهار الجنة)** ، أي : هي لعذوبة مائها وكثرة منافعها وهضمها وتضمنها لمزيد البركة وتشرفها بورود الأنبياء وشربهم منها ، كأنها من أنهار الجنة ، أو أنه سمى الأنهار التي هي أصول أنهار الجنة بتلك الأسامي ، ليعلم أنها في الجنة بمثابة الأنهار الأربعة في الدنيا ، أو أنها مسميات بتلك الأسماء ، فوقع

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب المناقب ، باب المعراج برقم (٣٨٨٧) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ، برقم (٢٨٣٩) .

(٣) قال الألباني في « السلسلة الصحيحة » رقم (١١١) : رواه أحمد (٢/٢٦١) وأبو يعلى في مسنده (٤/١٤١٦مصورة المكتب الإسلامي) والخطيب في « تاريخه » (١/٤٤ ، ٨/١٨٥) عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه مرفوعًا . وهذا إسناد حسن .

الاشتراك فيها ، أو هو على ظاهره ، ولها مادة من الجنة »[١] .

وصدق الشاعر إذ يقول :

النيلُ مائي وفي أرض الكِنانة ما يُشجي مِنَ الحبِّ والأشواق تزدانُ
فيها الحضارةُ والأمجادُ ماثلةٌ علمٌ وفهمٌ وإسلامٌ وإيمانُ

ثالثا : مصر عند علماء السلف الصالح :

هذه طائفة من أقوال السلف الصالح في فضل مصر وأهلها :

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما : « قبط مصر أكرم الأعاجم ، وأسمحهم يدًا ، وأفضلهم عنصرًا ، وأقربهم رحمًا بالعرب عامة ، وبقريش خاصة ، ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين يخضر زرعها ، أو تثمر ثمارها »[٢] .

قال أبو عبد الرحمن المصري ، خالد بن يزيد الجمحي : قال كعب الأحبار : لولا رغبتي في بيت المقدس ، لما سكنت إلا مصر ، فقيل له : فلم؟ فقال : لأنها معافاة من الفتن ، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه ، وهو بلد مبارك لأهله فيه[٣] .

وعن أهلها يقول يحيى بن سعيد : جُلْتُ البلاد فما رأيت الورع ببلد من البلدان أعرفه إلا بالمدينة وبمصر[٤] .

وعن مصر يقول ابن الكندي : وأجمع أهل المعرفة أن أهل الدنيا مضطرون إلى مصر يسافرون إليها ، ويطلبون الرزق بها ، وأهلها لا يطلبون الرزق في غيرها ، ولا

(١) محمد عبد الرؤوف المناوي . فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ٤/١٥٥ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص٥٥ .

(٣) ابن ظهيرة ، محاسن مصر والقاهرة ، ص١٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ١/٢١ .

(٤) ابن الكندي ، فضائل مصر المحروسة ، ص٢٨ .

يسافرون إلى بلد سواها ، حتى لو خير بينها وبين بلاد الدنيا لغنيَ أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا[١] .

ويصف أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضي العراق خير مصر الوفير بقوله : سألت أحمد بن المدبر عن مصر فقال : كشفتها فوجدت غامرَها أضعاف عامرِها ، ولو غَمَرَها السلطان لَوفت له بخراج الدنيا[٢] .

وهو ما يؤكده الصحابي الجليل عمرو بن العاص ، وقد وليها بعد أن فتحها لسنوات وخبر خيراتها ؛ حيث قال : « ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة »[٣] .

ولذلك يقول سعيد بن أبي هلال (ت ١٤٩هـ) : « مصر أم البلاد وغوث العباد »[٤] .

ويُلخص ابن خلدون علو مركز مصر وارتفاع مكانتها في العالم الإسلامي بقوله : « ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم والصنائع »[٥] .

* * *

---

(١) انظر : ابن الكندي ، فضائل مصر المحروسة ، ص٢٨ ، والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٣٠/٢ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ٣٤٨/١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ابن الكندي ، فضائل مصر المحروسة ، ص٢٨ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، فصل في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم ، ص٤٨١ .

المبحث الثاني

عطاء مصر العلمي

أولا : شهادة التاريخ وتأكيد الواقع لمكانة مصر الراسخة :

صفحات التاريخ شاهدة للذين خاضوا غمار البحار في أولى معارك أهل الإسلام البحرية؟ التاريخ يشهد بأن جند مصر بقيادة أميرهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح ومعهم معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، وجند الشام سطروا بحروف من نور بطولات هذه الملحمة في سجل التاريخ ، يوم أن كسروا الروم وأنزلوا بهم شر هزيمة على شواطئ الإسكندرية في موقعة « ذات الصواري » سنة ٣١هـ[١] .

بل اسألوا التاريخ عن صلاح الدين الأيوبي - بطل حطين وقاهر الصليبيين ومحرر القدس - عندما جاءت معه العساكر المصرية والجيوش المشرقية سنة ٥٨٣هـ[٢] .

وعن توران شاه ، ملك مصر ، وقائد مجاهديها يوم المنصورة ، يوم أسر المصريون لويس التاسع ، ملك فرنسا سنة ٦٤٨ هـ في دار (ابن لقمان) ، حتى فدى نفسه بأربع مائة ألف درهم ، وعوض ما أتلفه في دمياط من الحواصل بثمان مائة ألف دينار .

قف واسأل التاريخ يحكي لك عن بطولات المصريين يوم « عين جالوت » سنة

---

(١) انظر : الطبري ، تاريخ الطبري ، ٧٠/٥ ، وابن الأثير ، الكامل ، ١٥٣/٣-١٥٧ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٥٨/٧ .

(٢) عن معركة حطين ، انظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٦٠-٧٣ ، والعماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص١٧-٤٥ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٨٧/٩ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٨٧/٢-١٩٢ ، والمقريزي ، السلوك ، ٩٣/١ .

٦٥٨ هـ ، تحت قيادة حاكمهم سيف الدين قطز ، وقائده الظاهر بيبرس ، وشعارهم يوم الملحمة « وا إسلاماه » ، يوم أن أنقذ الله تعالى بهم العالم الإسلامي من التتار ، وطهر بهم بلاد الشام من شر هؤلاء التتار . . . بل حمى الحضارة الإنسانية بأسرها من مصير مظلم كانت ستلقاه إذا مضى المغول في طريقهم إلى إفريقيا الغربية ، ثم أوربا[(١)] .

وإذا قلبت صفحات التاريخ ستجد أن عامة جند الإسلام في فتوحات شمال إفريقية كانوا من المصريين (العرب والمسلمين الأقباط) الذين دخلوا في دين الله أفواجًا ، وحملوا راية الإسلام عالية خفاقة . . وأهل مصر إلى اليوم ما زالوا كما كانوا على مر العصور ذخرًا للإسلام وقوة للمسلمين .

كما هاجر إلى مصر أنبياء الله تعالى : إدريس ، وإبراهيم الخليل ، وإسماعيل ، ولوط ، ويعقوب وأولاده ، ويوسف وإخوته ، ومن بعدهم : موسى وهارون وغيرهم عليهم السلام[(٢)] ، فعاشوا فيها وشرفت بهم ، وسيرًا على دربهم فقد دخلها من الصحابة الفاتحين ، رضي الله عنهم : عمرو بن العاص فاتح فلسطين ومصر وليبيا ، والزبير بن العوام حواري النبي ﷺ ، وقائد جيش المدد لفتح مصر ، ففتح الله - تعالى - به حصن « بابليون » مع الصحابة الكبار : المقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، على رأس أربعة آلاف فارس .

ومن هؤلاء رضي الله عنهم : عبد الله بن حذافة السهمي - فاتح عين شمس - وخارجة بن حذافة - فاتح الفيوم وأخميم والصعيد - وعمير بن وهب الجمحي - فاتح دمياط وشمال مصر - وعقبة بن عامر الجهني ، فاتح جنوب مصر .

---

(١) انظر : المقريزي ، السلوك ، ١/٤٣٠-٤٣١ .

(٢) ابن الكندي ، فضائل مصر ، ص٢٠ ، والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/٥٢-٥٧ .

كما دخلها : أبو الدرداء ، وفضالة بن عبيد ، وعمرو بن علقمة ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو أيوب الأنصاري ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهم ، رضي الله عنهم[(١)] .

ثانيا : عطاء مصر العلمي للأمة الإسلامية :

أ – أئمة وعلماء مصريون :

خلال العصور الإسلامية المتعاقبة أنجبت مصر علماء ربانيين ، ودعاةً مجاهدين، حملوا عقيدة الإسلام ودافعوا عنها ، من هؤلاء الأئمة :

١ – عالم مصر وفقيهها : **الليث بن سعد** ، **رضي الله عنه** : الذي قال في حقه الإمام الشافعي : « الليث أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به » ، وفي رواية عنه : « ضيعه قومه »[(٢)] . فقد أجمعوا على جلالته وأمانته وعلوِّ مرتبته في الفقه والحديث ، كما قال الإمام النووي[(٣)] .

٢ – شيخ الإسلام : **عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي** ، إمام أهل الديار المصرية ، رضي الله عنه : قال ابن خلكان : « وكان الإمام مالك بن أنس يكتب : إلى عبد الله بن وهب فقيه مصر ، وما كتبها مالك إلى غيره »[(٤)] .

٣ – الإمام **عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري** ، تلميذ الإمام مالك النجيبُ ، رضي الله عنه[(٥)] .

٤ – الإمام أبو يعقوب : **يوسف بن يحيى البويطي** ، أكبر أصحاب الإمام

(١) ابن الكندي ، فضائل مصر ، ص٢٠–٢٢ .
(٢) ابن حجر العسقلاني . الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية ، ص٢٥ ، ٢٦ .
(٣) النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، ٧٤/٢ .
(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣٦/٣ .
(٥) ابن زولاق ، فضائل مصر ، ص٢٩ ، والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٠٣/١ .

الشافعي ، رضي الله عنه : قال الربيع : كان أبو يعقوب من الشافعي بمكان مكين ، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة ، فيقول : « سل أبا يعقوب » ، فإذا أجاب أخبره ، فيقول : هو كما قال . مات أبو يعقوب في سجن بغداد مسلسلًا في القيد والغل ، ثابتًا على معتقد أهل السنة في القول في القرآن ، سنة إحدى وثلاثين ومئتين[١] .

٥ - **ناصر مذهب الشافعي** : أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى ، رضي الله عنه : قال عنه الشافعي : « لو ناظره الشيطان لغلبه »[٢] .

٦ - صاحب الشافعي وخادمه ، وأوثق من روى كتبه ، أبو محمد : **الربيع بن سليمان المرادي** الجيزي ، رضي الله عنه[٣] .

٧ - **الإمام ابن دقيق العيد** ، رضي الله عنه : قال عنه الحافظ الذهبي : « كان جامعًا لفنون العلم موصوفًا بالصلاح والتأله ، معظمًا في النفوس »[٤] .

٨ - **الإمام أبو جعفر الطحاوي** : أحمد بن سلامة الطحاوي ، رضي الله عنه : نسبة إلى طحا ، قرية من صعيد مصر ، قال عنه الحافظ الذهبي : « الإمام العلامة ، الحافظ الكبير ، محدّث الديار المصرية وفقيهها ، شيخ الحنفية ، برع في الفقه والحديث ، وصنّف التصانيف »[٥] .

قال عنه ابن كثير : « الفقيه الحنفي ، صاحب التصانيف المفيدة ، والفوائد الغزيرة ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة »[٦] .

---

(١) ابن زولاق ، فضائل مصر ، ص٣٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٠٦/١ .

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية ٩٣/٢ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٠٦/١ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٤٨/١ .

(٤) الحافظ الذهبي ، العبر ، ٣١٧/٣ .

(٥) الحافظ الذهبي ، العبر ، ١١/٢ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٨٦/١١ .

٩ - قاضي قضاة مصر : **بكار بن قتيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كان عظيم الحرمة ، وافر الجلالة ، من العلماء العاملين ، قاضي الديار المصرية ، له أخبار في العدل والعفة والنزاهة والورع »(١) .

١٠ - **شيخ الإسلام الحافظ الإمام المنذري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري ، رضي الله عنه : قال عنه الحافظ الذهبي : « ما كان في زمانه أحفظ منه »(٢) .

١١ - **الحافظ شرف الدين الدمياطي** : أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف التوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : شيخ الحفاظ الكبار - كالمزي والذهبي وابن سيد الناس والسبكي - قال عنه تلميذه الحافظ المزي : « ما رأيت في الحديث أحفظ من الدمياطي »(٣) .

١٢ - **الحافظ العراقي** : أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال عنه تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني : « لم أر أعلم بصناعة الحديث منه ، وبه تخرجت ، . . . ، وكان كثير الحياء والعلم الوافر ، وافر الجلالة والمهابة ، على طريق السلف ، وغالب أوقاته في تصنيف أو إسماع ، مع الدين والأوراد ، وإدامة الصوم ، وقيام الليل ، وكريم الأخلاق ، ظاهر الوضاء ، كأن وجهه مصباح ، ومن رآه عرف أنه رجل صالح »(٤) .

١٣ - **الحافظ ابن حجر العسقلاني** : أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : صاحب « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » ، من أئمة الدنيا في الحديث ، شهد له شيخه العراقي بالحفظ في كثير من المواطن وكتب له

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ١٥٨/٢ .

(٢) السيوطي . حسن المحاضرة ، ٣٥٥/١ ، وابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢٧٧/٥ .

(٣) الحافظ الذهبي . تذكرة الحفاظ ، ١٤٧٧/٤ ، ١٤٧٨ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر ، ٢٧٥/٢-٢٧٩ .

بخطه هذه الشهادة مرارًا[١] .

١٤ - **الحافظ الهيثمي** : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي رحمه الله: تلميذ الحافظ العراقي ، وصاحب « مجمع الزوائد » . قال عنه البرهان الحلبي : « كان من محاسن القاهرة ، ومن أهل الخير ، غالب نهاره في اشتغال وكتابة ، مع ملازمة خدمة الشيخ في أمر وضوئه وثيابه ، ولا يخاطبه إلا بـ (سيدي) حتى كان في أمر خدمته كالعبد »[٢] .

١٥ - **الحافظ السِّلفي** : أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلفي رحمه الله : نزيل الإسكندرية ، حيث عاش فيها خمسة وستين عامًا ، وبها دفن ، قال الحافظ الذهبي : « لا أعلم أحدًا حدث نيفًا وثمانين سنة سوى الحافظ السِّلفي ، وكان ينسخ الجزء الضخم في ليلة ، وكان مكبًّا على الاشتغال والمطالعة والنسخ وتحصيل الكتب »[٣] .

١٦ - **الحافظ شمس الدين السخاوي** : وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ، أبو الخير السخاوي رحمه الله ، ولد بمدينة القاهرة ، بحارة بهاء الدين ، بالقرب من باب الفتوح الآن ، عام ٨٣١ هـ .

والإمام شمس الدين مؤرخ كبير ، وعالم حديث وتفسير وأدب شهير ، من أعلام مؤرخي عصر المماليك ، تتلمذ على الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ومات بالمدينة المنورة ، صنف أكثر من مئتي كتاب ، من أشهرها : « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع »[٤] .

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر ، ٢٧٧/٢ ، وابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢٧٠/٧ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، ٢٠٠/٥ .

(٣) الذهبي ، العبر ، ٧١/٣ .

(٤) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ١٥/٨ .

١٧ - **الإمام جلال الدين السيوطي** : أبو الفضل ، جلال الدين ، عبد الرحمن ابن الكمال أبي بكر بن محمد ، سابق الدين ، الأسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : المعروف بـ : جلال الدين السيوطي ، صاحب العلوم والفنون ، ولد في غرة رجب سنة ٨٤٩هـ ، ونشأ نشأة طيبة صالحة على يد الفقيه الحنفي الكمال بن الهمام ، صاحب « فتح القدير » ، وأحد الأوصياء عليه[(١)] .

وعن نفسه يقول الإمام : « رزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع على طريقة العرب البلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة »[(٢)] . توفي يوم الجمعة ، التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٩١١هـ ، ودفن بالقاهرة[(٣)] .

ومن نافلة القول : أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ استقر به المقام في مصر ، وفيها جدد مذهبه ، وابتكر فيها كتبًا لم يُسبق إليها ، وسئل عنها الإمام أحمد بن حنبل : ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين أحب إليك أو التي بمصر؟ قال : عليك بالكتب التي وضعها بمصر ، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يُحكمها ، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك الكتب »[(٤)] . وفي مصر مات ، وفي أرضها دفن رَحِمَهُ ٱللَّهُ . ومن أعلام مذهبه : سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، رضي الله عنه ، الذي رحل إليها واستقر بها ... وغيرهم من العلماء والمحدثين .

ب - علماء مصريون في القراءات وعلوم القرآن الكريم :

لعلماء القراءات من أهل مصر قصب السبق والقدح المعلى في خدمة القرآن الكريم

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٨/٥١-٥٥ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/٢٨٨

(٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٨/٥١-٥٥ .

(٤) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ٩/٩٧ .

حتى صدق فيهم قول القائل : « إن كان الله تعالى قد أنزل القرآن الكريم بالحجاز ، إلا أنه تعالى قد حفظه في مصر ، أو قد رتله أهل مصر » ، وقد برع في علوم القرآن الكريم وقراءاته الكثير من العلماء المصريين ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر[١] :

١ـ **الإمام ورش** : أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله القبطي المصري القرشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، مولى آل الزبير ، ولد سنة ١١٠ من الهجرة ، قرأ القرآن وجَوَّده على نافع ، وهو الذي سماه ورشًا ؛ لشدة بياضه ، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بمصر ، فلم ينازعه فيها منازع ، مع براعته في العربية وعلم التجويد ، وقد أنعم الله عليه بصوت حسن لا يمل سامعه ، وإليه تنسب رواية ورش عن نافع للقرآن الكريم[٢] .

٢ـ **العلامة أبو الحسن السخاوي** : الإمام علم الدين أبو الحسن الهمداني السخاوي المقرئ المفسر النحوي اللغوي الشافعي ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ، ولد بسخا من أعمال مصر ، سنة ٥٥٨ أو ٥٥٩ هـ ، وبعد أن تلقى العلم على يد علمائها ، سافر إلى دمشق للإقراء في جامعها ، فقصده الطلاب من الآفاق وازدحموا عليه ، وتنافسوا في الأخذ منه ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ١٢من جمادى الآخرة سنة ٦٤٣هـ [٣] .

٣ـ **العالم النحوي خالد الأزهري** : زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجانى الأزهري المعروف بالوقاد النحوي ، عالم بالقراءات ، ولد بجرجا بصعيد مصر ، وتوفي سنة ٩٠٥ هـ[٤] .

---

(١) للمزيد انظر : عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي . هداية القاري إلى تجويد كلام البارى ، من ص٦٢١ : ص٨١١ .

(٢) الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، ١/١٥٢-١٥٥ .

(٣) الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، ٢/٦٣١-٦٣٥ .

(٤) انظر : السخاوي ، الضوء اللامع ، ٣/١٧١-١٧٢ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٨/٢٦ .

٤ـ **الشيخ سلطان المزاحي** : نسبة إلى مزاح من قرى مصر ، إمام الأئمة وبحر العلوم وسيد الفقهاء في عصره ، توفي في السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٠٧٥ هـ[١] .

٥ـ **البناء الدمياطي** : العالم الفقيه أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشافعي ، الشهير بالبناء ، من كبار علماء الحديث والقراءات ، وله فيه كتب جليلة تنم عن سعة اطلاعه وزيادة اقتداره في هذا الفن ، توفى في محرم سنة ١١١٧هـ[٢] .

٦ـ **العلامة المنصوري** : علي بن سليمان بن عبد الله المنصوري المصري ، شيخ القراءات بالآستانة ، عاصمة الخلافة الإسلامية ، وناشر علم القراءات فيها ، توفي في الثالث من المحرم سنة ١١٣٤ هـ ، ومن آثاره : تحرير الطرق والرواية فيما تيسر من الآيات في وجوه القراءات ، وكتاب حل مجملات طيبة النشر في القراءات[٣] .

٧ـ **العلامة الجمزوري** : وهو سليمان الجمزوري المقرئ صاحب « تحفة الأطفال في تجويد القرآن » وغيرها ، والتلميذ النجيب للنور الميهيّ ، أخذ عنه القراءات والتجويد ، والشيخ سليمان الجمزوري من أعيان القرن الثاني عشر الهجري ، كان حيًّا حتى عام ١١٩٨هـ[٤] .

٨ـ **العلامة الشيخ حسن بن خلف الحسيني** : نسبة إلى « بني حسين » من قرى صعيد مصر ، توفي في الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٣٧٢هـ ، له من

(١) انظر : المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٢/٢١٠-٢١١ ، وعمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ١/٧٧٣-٧٧٤ .

(٢) انظر : الجبرتي ، عجائب الآثار ، ١/٨٩-٩٠ ، وعمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ١/٢٤٤ .

(٣) انظر : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ٢/٤٤٧-٤٤٨ .

(٤) المصدر السابق ، ١/٧٨٦ .

المؤلفات : إتحاف البرية بتحرير الشاطبية ، والرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم[١] .

٩ـ العلامة الشيخ **محمد بن علي خلف الحسيني** : المشهور بالحَدَّاد ، من كبار علماء المالكية ، وشيخ عموم القراء والمقارئ بالديار المصرية سنة ١٣٢٣ هـ ، وقد قرأ عليه خلق كثيرون ، من أبرزهم : سماحة مفتى مصر الأكبر العلامة حسنين محمد مخلوف ، وقد توفي الشيخ الحداد عام ١٣٥٧ هـ[٢] .

١٠ـ **العلامة المتولي** : شيخ القراء والإقراء بالديار المصرية في وقته ، وهو : محمد بن أحمد بن عبد الله المتولي ، الشهير بالمتولي ، كان واسع الحفظ والاطلاع ، شديد الضبط للقراءات المتواترة والشاذة ، محيطًا بعلوم الرسم والضبط والفواصل ، على دراية فائقة بمذاهب القراء والرواة والطرق ، وله زهاء أربعين مصنفًا في القراءات وغيرها من علوم القرآن[٣] .

١١ـ العلامة أبو شرع **المرصفي** : محمد بن أحمد بن سليمان المرصفي ، المكنى بأبي شرع ، وهو عالم محقق ثبت مدقق في القراءات وعلومها ، تتلمذ عليه كبار العلماء والمقرئين ، توفي سنة ١٣٦٢ هـ .

١٢ـ العلامة **نور الدين علي بن محمد الملقب بالضَّبَّاع** : شيخ القراء والإقراء بالديار المصرية ، من أئمة علم التجويد والقراءات والرسم العثماني وضبط المصحف الشريف وعد الآي وغيرها ، له أكثر من ثلاثين مؤلفًا في علم القراءات ،

---

(١) انظر موقع الإنترنت :

www . Tajweedhome . com

(٢) الزركلي ، الأعلام ، ٧/١٩٦-١٩٧ ، وعمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ٣/٥١٠ .

(٣) انظر ترجمته كاملة على موقع الإنترنت :

www . mazameer . com

ما بين مطبوع ومخطوط ، توفي في ١٤ رجب عام ١٣٨٠ هـ[١] .

١٣ – **العلامة الخليجي** الإسكندري محمد بن عبد الرحمن : وكيل مشيخة المقارئ والإقراء بالإسكندرية ، وصاحب مؤلفات لا يُستغنى عنها في علم التجويد ، من أعيان القرن الرابع عشر الهجري[٢] .

١٤ – العلامة الشيخ **أحمد بن عبد العزيز بن أحمد الزيات** : المشهور بالشيخ عبد العزيز الزيات ، من علماء العلوم الشرعية والعربية ، وإمام القراءات بلا نظير ، وقد حصل على يديه عددٌ لا يحصيه العدُّ على الإجازات في التجويد والقراءات السبع والعشر الصغرى والكبرى ، وذلك من داخل مصر وخارجها ، وتلامذته من كبار علماء التجويد والقراءات في هذا العصر ، وقد توفي هذا العالم الجليل يوم الأحد السادس عشر من شهر شعبان عام ١٤٢٤هـ[٣] .

١٥ – العلامة المحقق : الشيخ **عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي** ، رئيس قسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، صاحب المؤلفات الوفيرة في علم القراءات ، والتي تربو على العشرين مصنفًا ، غير التحقيقات النفيسة لأمهات كتب القراءات ، وقد تتلمذ على يديه جم غفير من العلماء والقراء من شتى أنحاء العالم الإسلامي ، توفى في الخامس

---

(١) انظر ترجمة مستفيضة عنه على موقع الإنترنت : موقع الفرقان ، جمعية المحافظة على القرآن .

(٢) انظر ترجمته على الموقع :

www . semanoor . com

(٣) انظر ترجمته كاملة على الموقع :

www . montada . gawthada . com

عشر من المحرم لسنة ١٤٠٢ هـ [١] .

وإذا ذُكِرَ مقرئو القرآن الكريم فلا شك أنه يأتي في المقدمة من هؤلاء المجودين والمتقنين من القراء المصريين أمثال المشاهير في العصر الحديث : الشيخ محمد رفعت – الشيخ محمود خليل الحصري – الشيخ محمد صديق المنشاوي – الشيخ محمود صديق المنشاوي – الشيخ عبد الباسط عبد الصمد – الشيخ مصطفى إسماعيل – الشيخ محمود علي البنا ، رحمهم الله جميعًا ، وأمثالهم ، وأمثالهم ، أعداد لا تحصى .

ج – علماء مصريون معاصرون :

ومازال نهر العطاء متدفقًا « الشيخ محمد عبده – الشيخ المراغي ، شيخ الأزهر – الفقيه والقاضي محمد شاكر – العلامة المحدث أحمد محمد شاكر – والعلامة الشيخ محمد حامد الفقي – الإمام الشيخ حسن البنا – المفتي الأكبر الشيخ حسنين مخلوف – العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – الشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، أول إمام مُوَحَّد للحرم المكي في العصر الحديث – الأستاذ سيد قطب – الإمام الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر – الشيخ إسماعيل صادق العدوي إمام وخطيب الجامع الأزهر – الشيخ محمد متولي الشعراوي – الفقيه القاضي جاد الحق علي جاد الحق ، شيخ الأزهر – الفقيه الشيخ عطية صقر ، رحمهم الله تعالى » ، وغيرهم ، وغيرهم من العلماء والمحدثين والمؤرخين .

* * *

(١) انظر ترجمته في موقع :

www . maroc-quran . com


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

البَابُ الأَوَّل

مِصْرُ والشِّيعَة وصِرَاعِ المَاضِي


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

الفصل الأول

مصر وأهلها عند الشيعة الاثني عشرية


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

المبحث الأول

مصر وأهلها في روايات الشيعة الإمامية الاثني عشرية

هذه هي مكانة مصر وأهلها في الكتاب والسنة ، وعند علماء أهل السنة ، لتنظر وتقارن بما رواه وقرره علماء الشيعة الاثني عشرية عن مصر وأهلها في كتبهم المعتمدة ، وعلى لسان مراجعهم وآياتهم العظمى ، لترى الفرق واضحًا جليًّا ، وهاكم طرفًا يسيرًا منها :

١ـ « بئس البلاد مصر ، وماؤها وثمارها وطعامها يورث الدياثة » :

– قال عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي في كتاب « نور الثقلين » ، في تفسير قول الله تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المائدة : ٢١] ، فيما نقله من روايات الأئمة : « عن رواد الرقي قال : سمعت أبا عبد الله ، عليه السلام ، يقول : كان أبو جعفر ، عليه السلام ، يقول : نعم الأرض الشام ، وبئس القوم أهلها ، وبئس البلاد مصر ، أما إنها سجن من سخط الله عليه ، ولم يكن دخول بني إسرائيل مصر إلا من سخطه ، ومن معصية منهم لله ؛ لأن الله قال : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ يعني الشام ، فأبوا أن يدخلوها ، فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفيافيها ، ثم دخلوها أربعين سنة » . ثم قال : « وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلا بعد توبتهم ورضا الله عنهم »(١) .

ويروي أيضًا في كتابه « نور الثقلين » : « عن أبي عبد الله ، عليه السلام ، قال : لما بلغ أمير المؤمنين ، عليه السلام ، أمر معاوية وإنه في مئة ألف قال : من أي القوم؟ قالوا : من أهل الشام ، فقال عليه السلام : لا تقولوا من أهل الشام ، ولكن قولوا : من أهل

---

(١) عبد علي الحويزي ، نور الثقلين ، ٦٠٧/١ ، رواية رقم (١١٤) ، وأيضًا : المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٠١/٥٧ ، باب ٣٦ ، حديث رقم ١٣ ، الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي ، ٢٦/٦ .

الشوم من أبناء مصر ، لعنوا على لسان داود ، فجعل الله منهم القردة والخنازير . . . » ، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ، اهـ[١] .

– وعن الرضا ، عليه السلام ، أنه قال : « ما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر ، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها » .

وفي رواية : « إن أهل مصر يزعمون أن بلادهم مقدسة ، قال : وكيف ذلك؟ قلت : جعلت فداك ، يزعمون أنه يحشر من جبلهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب . قال : لا ، لعمري ما ذاك كذلك ، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر ، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها ، ولقد قال رسول الله ﷺ : « لا تغسلوا رءوسكم بطينها ، ولا تأكلوا في فخارها ، فإنه يورث الذلة ويذهب بالغيرة » . قلنا له : قد قال ذلك رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم »[٢] .

– « انتحوا مصر ، لا تطلبوا المكث فيها ، فإنه يورث الدياثة »[٣] .

– عن أبي الحسن الرضا ، عليه السلام ، أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تغسلوا رؤوسكم بطين مصر ، فإنه يذهب بالغيرة ، ويورث الدياثة »[٤] .

– وفي رواية عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : « سمعت الرضا ، عليه السلام ، يقول – وذكر حديثًا في ذم مصر – فقال : ولقد قال رسول الله ﷺ : « لا تغسلوا رءوسكم بطينها ، ولا تأكلوا في فخارها ، فإنه يورث الذلة ، ويذهب بالغيرة » ، قلنا له – يعني الرضا – : وقد قال ذلك رسول الله ﷺ؟ قال : نعم »[٥] .

---

(١) عبد علي الحويزي ، نور الثقلين ، ١/ رواية رقم (٣١٠) .

(٢) حسين النورسي الطبرسي : مستدرك الوسائل (٢/٣١١) .

(٣) المجلسي ، المصدر السابق ، ٦٠/٢١١ .

(٤) الكليني ، الكافي ، ٥/٣١٨ .

(٥) المصدر السابق نفسه .

- وعن علي بن أسباط ، عن أبي الحسن ، عليه السلام ، قال : « لا تأكلوا في فخارها ، ولا تغسلوا رءوسكم بطينها ، فإنها تورث الذلة ، وتذهب بالغيرة »(١) .

وفي رواية أخرى : عن أبي عبد الله - جعفر الصادق ، عليه السلام - في حديث قال : « قال أبو جعفر - محمد الباقر ، عليه السلام - : إني أكره أن أطبخ شيئًا في فخار مصر ، وما أحب أن أغسل رأسي بطينها ، مخافة أن تورثني تربتها الذل ، وتذهب بغيرتي »(٢) .

٢ـ نيل مصر يُميت القلوب :

- وعن يعقوب بن يزيد ، رفعه ، قال : قال أمير المؤمنين - يعنون : علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه - : « ماء نيل مصر يميت القلوب »(٣) .

- وعن جعفر الصادق ، عليه السلام ، قوله : « انفجرت العيون من تحت الكعبة ، وماء نيل مصر يميت القلوب ، والأكل في فخارها وغسل الرأس بطينها يذهب بالغيرة ويورث الدياثة »(٤) .

٣ـ أبناء مصر ملعونون على لسان داود ، عليه السلام :

أبناء مصر لعنوا على لسان داود ، عليه السلام ، فجعل الله منهم القردة والخنازير(٥) .

٤ـ مصر أرض الحتوف :

عن أبي إبراهيم الموصلي قال : قلت لأبي عبد الله ، عليه السلام : إن نفسي

---

(١) الحر العاملي ، وسائل الشيعة ٥٢٤/٣ ، وأيضًا : المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢١١/٥٧ .

(٢) الحر العاملي ، المصدر السابق نفسه .

(٣) الكليني ، الكافي ، ٣٩١/٦ .

(٤) المجلسي ، مصدر سابق ، ٤٥١/٦٣ .

(٥) المصدرالسابق ، ٢٠٨/٦٠ ، القمي ، تفسير القمي ، ص٥٩٦ .

تنازعني مصر . فقال : ومالك ومصر ، أما علمت أنها مصر الحتوف ، ولا أحسبه إلا قال : يساق إليها أقصر الناس أعمارًا[١] .

* * *



(١) المجلسي ، المصدر السابق ، ٥٧/٢١١ .

المبحث الثاني

موقف الشيعة من العلماء المصريين

١ـ اتهام الأزهر بتحريف أمهات الكتب المعتمدة عند أهل السنة تأييدًا لمذهبهم :

يقول محمد إبراهيم الموحد القزويني الشيعي في كتابه « الإمام علي خليفة رسول الله » : « لقد تواردت الأنباء بأن جامعة الأزهر بالقاهرة وبدعم من دولة عربية شكّلت لجنة سرية بهدف إعادة النظر في جميع الكتب والمصادر المعتمدة ، وفي طليعتها « صحيح البخاري » ، والهدف من ذلك : حذف ما ترى حذفه ، وتحريف ما ترى تحريفه من الأحاديث المروية في فضائل أهل البيت ، مما يمكن أن يستدل به الشيعة على أحقية مذهبهم ، وقد أحيطت هذه اللجنة بالسِّرِّيَّة والكتمان ، وطبعت بعض المصادر طباعة حديثة وحذفت منها أحاديث أو حُرِّفت منها بعض كلماتهم الحساسة ، كتحريف كلمة خليفتي إلى خليلي وما شابه ذلك ... »[١] ، وهذا محض افتراء وادعاء لا يقوم على سند من الواقع أو المنطق .

٢ـ موقف الشيعة من الإمام الشيخ محمد أبو زهرة :

الشيخ محمد أبو زهرة الإمام العَلَم الأصولي الفقيه صاحب التصانيف المشهورة والمواقف المشهودة ، على الرغم من أنه أحد الذين بذلوا جهدهم في إنجاح مسيرة التقريب بين السنة والشيعة حيث انضم إلى أصحاب النيات الطيبة من علماء السنة ، فإن دينه وتمسكه بالمنهج العلمي حالاَ بينه وبين التقريب على أساس التغاضي عن الباطل أو الإقرار به ؛ إذ هو حين يجلي تلك الصفحات المشرقة من تاريخ أئمة آل البيت ، رحمهم الله تعالى ، كالإمام زيد بن علي بن الحسين في كتابه الموسوم

---

(١) إبراهيم الموحد القزويني ، « الإمام علي خليفة رسول الله » ، ص٦٧ - ٦٨ .

باسمه ، أو في كتابه الآخر عن الإمام الصادق ، ويشير فيهما إلى مواقفهما العلمية والعملية الناصعة ؛ ينتقد فيهما بشدة الإمام الشيعي محمد بن يعقوب الكُليني صاحب كتاب الكافي لإيراده فيه عدة روايات منسوبة لأبي عبد الله جعفر الصادق ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وهو منها براء تؤكد تحريف القرآن الكريم بالإضافة ، إلى الغلو في الأئمة ومنحهم صفات الربوبية ، فما كان من الشيخ أبو زهرة ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، إلا أن جاهر بحكمه على الكُليني بأنه باعتقاده بما ورد في هذه الروايات فإنه لا يستحق أن يكون من أهل الإيمان ، وهو الأمر الذي جعلَ (الإمامَ أبو زهرة) عرضة للتشهير والاتهام بالكذب والتلفيق بل الحكم عليه بالفسق والكفر على حسب ما ذكره عبد الرسول الغفار في كتابه « بين الكُليني وخصومه . . . موقف أبو زهرة من الكليني » والذي يصفه فيه في أكثر من صفحة بتلك الصفات المذمومة تلميحًا حينًا وتصريحًا حينًا آخر ، إلى أن يقول : « هذا هو محمد أبو زهرة في تلفيقاته ...

وهذا هو بطل التاريخ الباحث الناقد ...

وهذا هو طالب الحقيقة الذي طالما نهج بالمنطق والمنهج العلمي ...

فأي الشخصيتين أحق بالفسق والتكفير ؟ الكليني أم أبو زهرة ؟ »(١) .

٣ـ طعن الشيعة في عرض الشيخ الشعراوي :

على الرغم من جهود الشيخ محمد متولي الشعراوي المخلصة والنابعة من إيمانه كغيره من علماء أهل السنة في دفع عجلة التقريب بين السنة والشيعة لعلهم يأخذون بأيديهم إلى كلمةٍ سواء ، لكنه لم يشفع له ذلك حيث سُبَّ عِرض الشيخ ، واتُّهم بالفعل الفاضح البذيء ، وهو العفيف الوقور الذي صحبتْ أنفاسُه كتابَ الله تعالى ، تلاوة وتدبرًا وتفسيرًا ، حيث كال له شيخهم ياسر الحبيب (البغيض)

---

(١) عبد الرسول الغفار ، الكليني وخصومه . . موقف أبو زهرة من الكليني ، ص٢٩ ، ٣٠ .

الكويتي الاتهامات أثناء جوابه على السؤال الآتي من أحد الشيعة :

هل كان عمر بن الخطاب (لع) - يقصد لعنه الله - يتداوى بماء الرجال ، وكان يشكو مرض ...[١] ، فما المقصود بذلك مع التوضيح ؟ وهل كان (لع) مخنثًا ؟

فأجاب المذكور بعد المقدمة بقوله : « وشاهدنا في النصوص السابقة عن الإمامين المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهما) أن الذين ابتزوا حقوق أهل البيت وظلموهم وأسموا أنفسهم بأمراء المؤمنين ، إنما يكونون في الواقع من هذا الصنف القذر ، ولذا صنف الشيخ عبد علي الحويزي صاحب تفسير نور الثقلين (قدس سره) كتابًا خاصًّا في هذا الموضوع أثبت فيه بدلائل استشفها من نصوص وأشعار شتى أن هذه الخصلة القذرة كانت في جميع خلفاء الجور ، بدءًا من أبي بكر بن أبي قحافة ، وحتى آخر خلفاء بني العباس ، لعنة الله عليهم أجمعين » .

ويتابع الحاقد ياسر (البغيض) الكويتي فيقول : « ولا شك بأن من أول هؤلاء الذين مارسوا هذا الفعل الشنيع واستمرؤوه الخبيث عمر بن الخطاب - لعنة الله عليه - وفي شأن الممقوت هذا وردت روايات من كتب الخاصة - يقصد الشيعة - والعامة - يقصد أهل السنة ، وهذا كذب وافتراء - ... كما قد حكى لي العلامة الأزهري المصري الشيخ حسن شحاتة بأن الشعراوي إنما كان مواظبًا على هذه السنة ! ... »[٢] .

فماذا ينقمون من الشيخ ؟ أم أرادوا هدم رموز أهل السنة ، وبخاصة المشتغلون منهم بالقرآن الكريم !! والأمر كما قيل :

رمتني بدائها وانســـــلت !!

---

(١) يعجز القلم عن أن يكتب كل ما ورد في السؤال وإجابته ، ولذا أحيل القارئ إلى ملحق الوثائق .

(٢) www . olqatrah-org/quastion/index . php? Id = 15

٤- الإخوان المسلمون إخوان الشياطين ...

هكذا وصفهم آية الله صادق خلخالي رئيس المحاكم الثورية في إيران في أعقاب مجزرة حماة عام ١٩٧٩م ، وليس من المستغرب أن يتخذ الشيعة مواقف أكثر حدة من المنتمين للتيار السلفي بشكل عام لاهتمامهم البالغ بحراسة العقيدة مما يُعَكر صفوها ، وذلك رغم إعلان السلفيين حبهم وولاءهم لآل بيت النبي ﷺ ، وتبرئهم ممن ينتقصهم أو يسلبهم حقهم ، أو يغلوا فيهم ويرفعهم فوق مكانتهم مع تأكيدهم على تولي وحب أصحاب النبي ﷺ الذين تُوفيَ وهو عنهم راض . ولكن الغريب حقًا ذلك الموقف العدائي الشديد من الإخوان المسلمين رغم ما قدمته الجماعة لفكرة التقريب بين السنة والشيعة منذ مؤسسها الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسلامة نية وصفاء طوية نحو تحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة على أمل استعادة الخلافة الإسلامية بعد التخلص من الاحتلال الجاثم على صدر الأمة الإسلامية.ومن ثم دأب المخلصون من علماء أهل السنة الذين راجت عليهم حيل الشيعة المبطنة بالتقية مثل دعواهم موافقة الشيعة للسنة في الأصول وإنما الخلاف فقهي فقط مثل الذي بين المذاهب السنية الفقهية .

وهذا ما رشح مما ذكره الأستاذ /عمر التلمساني المرشد العام السابق للإخوان المسلمين في كتابه (ذكريات لا مذكرات) عن قول الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « الشيعة فرق تشبه على التقريب ما بين المذاهب الأربعة عند أهل السنة . . وهناك بعض فوارق من الممكن إزالتها ، كنكاح المتعة ، وعدد الزوجات للمسلم ، وذلك عند بعض فرقهم ، وما أشبه ذلك ، مما لا يجب أن نجعله سببًا للقطيعة بين أهل السنة والشيعة . . »[١] .

---

(١) عمر التلمساني . ذكريات لامذكرات ، ص٢٤٩- ٢٥٠ .

ولذلك استقبل قادة الإخوان في مصر نواب صفوي عام ١٩٥٤م[١] - استقبالًا حارًا وفتحوا له أبواب المركز العام في مصر ، ثم في سوريا ليحاضر شباب الإخوان، وعندما أصدر الشاه محمد رضا بهلوي حكما بإعدامه عام ١٩٥٥م سافر وفد من الإخوان للتوسط في عدم تنفيذ الحكم فيه ، ولكنه تم عدم السماح بمغادرة ذلك الوفد الطائرة التي كانت تقلهم من مطار بغداد وبالتالي لم يصلوا طهران .

وبعد نجاح ثورة الخميني وإزالة حكم الشاه عام ١٩٧٩م سافر وفد رفيع المستوى من قيادات الإخوان من أكثر من دولة لتهنئته بنجاح ثورته ، وقد أخذ الحماس بعضهم لمبايعته إمامًا للمسلمين ، وقرض بعضهم فيه شعرًا[٢] ، وسَير آخر مظاهرات عارمة في بلاده ابتهاجًا بنجاح تلك الثورة ، هكذا كانت مواقف للإخوان المؤيدة للحكومة الشيعية سياسيًا دون الالتفات للجانب العقائدي عند الشيعة ، فماذا كان الموقف الشيعي ردًا لجميل الإخوان الذين استغلوهم لتحسين صورتهم داخل العالم السني ؟؟

---

(١) نواب صفوي : شيعي متعصب ، ولد في طهران عام ١٩٢٤م ، درس في الحوزات العلمية في قم والنجف ، وأسس منظمة (فدائيان إسلام) للتخلص من خصومه من علماء الشيعة أمثال د . أحمد الكسروي ، آية الله البرقعي ، . . . الذين خرجوا على المذهب وحاولوا تخليصه من الشركيات والخرافات المتعددة ، أوخصومه السياسيين من حكومة الشاه محمد رضا بهلوي ، وقد أعدم عام١٩٥٥م بسبب محاولة اغتيال حسين علاء رئيس وزراء إيران آنذاك .

(٢) وفي صوت الإخوان في لبنان (مجلة الأمان) ، ومن فرط حماسه يبايع الأستاذ / يوسف العظمة القيادي بجماعة الإخوان المسلمين بالأردن الخميني زعيمًا وإمامًا لنجاحه في ثورته بقوله :

بالخـــميني زعيمًا وإمامًا … هد صرح الظلم لا يخشى الحمام
قد منحناه وشاحًا ووسامًا … مــن دمـانا ومضـــينا للأمـــام
ندمر الشرك ونجتاح الظلام … ليعـــود الكـــون نـورًا وسـلام

د. عز الدين إبراهيم . موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية،ص٤٣ .

يتفاوت الموقف الشيعي من الإخوان على حسب استراتيجية السياسة الإيرانية داخلياً وخارجياً ، ففي الوقت الذي يُضَيقُ فيه الخناق على أهل السنة داخل إيران ما بين تهميش وإقصاء وتهجير ، أو بين اعتقال وتنكيل وتعذيب لم تسلم جماعة الدعوة والإصلاح – الإخوان المسلمون بإيران – من أن ينالها نصيب من ذلك ، فقد اعتقل مؤسس الجماعة ومرشدها الشيخ ناصر السبحاني بسجن مدينة (سنندجن) ليعلن عن وفاته بعد عام من سجنه تحت وطأة التعذيب عام ١٩٩٠م ، وهو مانال رفيق دربه الشيخ فاروق فرساد من اعتقال وتعذيب لعدة سنوات ، ولما ضاقوا به ذرعا تم إبعاده إلى مدينة (أرومية) لمدة خمس سنوات ليتم اغتياله بعد انقضائها عام ١٩٩٦م ، رحمهما الله تعالى ، وتقبلهما في الشهداء الصادقين[(١)] .

بينما نجد سياسة الشيعة في خارج إيران يحكمها نفعية فجة (براجماتية) يعبر عنها المستشيع المصري محمد الدريني التابع للتيار الصدري بالعراق بقوله : « عندما نتحالف مع الإخوان ويخرج قادتهم في الفضائيات ويقولون إن الشيعة مسلمون ، فهذا من شأنه أن يخفف من حدة نظرة المخالفين لنا ، وعندما نتبنى قضية عبود الزمر زعيم تنظيم الجهاد وغيره من المعتقلين فهي بالتأكيد تعطي انطباعا لدى الراديكاليين الإسلاميين بأن الشيعة مسلمون والدليل أن الإخوان متحالفون معهم وهكذا ... »[(٢)] .

هذا بعينه ماتسعى إليه المرجعيات الشيعية في إيران وغيرها لخداع المسلمين وتسهيل عملية الزحف الأسود نحو المجتمعات الإسلامية وهو ما ستأتي الإشارة إليه بالتفصيل لاحقًا ؛ وربما لحداثة عهد بعض المتشيعين المصريين بعالم التشيُّع وأبجدياته من التقية وغيرها تراهم يخرجون عن النص ويفصحون عن مكنون

---

(١) أسامة شحادة ، من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران ، ص٧٣-٧٤ .

(٢) موقع العربية نت بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٩م ، نقلا عن المرجع السابق ، ص٦٢ .

عقيدتهم في جميع المنتسبين لأهل السنة – وما تخفي صدورهم أكبر – ، ومن هؤلاء أحمد راسم النفيس الذي لايترك مناسبة تمر دون الطعن واللمز في الإخوان حيث يصفهم تارة « بالفجور الأخلاقي الذي أدمنه هؤلاء الأفاكون »[(١)] .

وتارة يتهم الشيخ حسن البنا بأنه مؤسس فكر التكفير[(٢)] ، وأخرى يصف المستشار مأمون الهضيبي المرشد العام الأسبق بأنه « نموذج للعامل على غير بصيرة لم تزده شدة السير إلا بعدًا عن الطريق الواضح »[(٣)] ، وفي حواره مع صحيفة الأهرام اليومية بتاريخ ٢٠١١/٥/٦م يدعي أنه قد سمع بأذنه « الشيخ محمد الغزالي حين كان في زيارة لمنزلنا بالمنصورة يقول لأحد أعضاء الجماعة : مصطفى مشهور لو حكم مصر مش هيكون أحسن عليك من مناحم بيجن »[(٤)] .

ويكلل آية الله صادق خلخالي – رئيس المحاكم الثورية في إيران – ذلك بتصريحه في أعقاب مجزرة حماة معلنًا تأييده حكومة حافظ الأسد وتوجيه الاتهام للإخوان المسلمين بمسؤوليتهم عن الأحداث واصفًا إياهم بأنهم إخوان الشياطين[(٥)] .

ولعل الخميني كان أصرح منه في حكمه على الإخوان المسلمين عقب تلك الأحداث بقوله : « إن هذه الطائفة ، هي طائفة شيطانية متحالفة مع الاستكبار العالمي ، لذا يجب استئصالها »[(٦)] .

والأمثلة والشواهد كثيرة لو استطردنا في سردها قد تخرجنا عن موضوع الكتاب .

---

(١) أحمد راسم النفيس . رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر ، ص١٣ ،

(٢) أحمد راسم النفيس . الجماعات الإسلامية محاولات لاستمساخ الأمة ، ص١٧٨

(٣) المرجع السابق ، ص٥٩ .

(٤) للمزيد انظر : أسامة شحادة ، من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران ، ص٦٢-٧٠ .

(٥) انظر : عباس خامه يار . إيران والإخوان المسلمون ، ص٢٥٢ .

(٦) صحيفة نور – مجلد ١٢ ص ٨٤-٨٥ .

فهل انتبه الإخوان المسلمون لحقيقة موقف الشيعة من أهل السنة وهم منهم كما انتبه إليه عدد من علمائهم ودعاتهم؟ [(١)] .

---

(١) أذكر منهم : الدكتور/مصطفى السباعي عميد كلية الشريعة بدمشق ومرشد عام الإخوان المسلمين في سوريا ، وأحد المتحمسين والداعمين لفكرة التقريب بين السنة والشيعة التي تبين له زيفها بما صدر عن زميله في الفكرة الشيعي عبد الحسين شرف الدين مما لايحتمل سماعه وجدان وضمير أي مسلم من الطعن في الصحابة وأم المؤمنين عائشة . . . فانكشفت له حقيقة وزيف موقفهم المتسربل بالتقية ، وإبراءً لذمته صرح بقوله : « ولكن الواقع أن أكثر علماء الشيعة لم يفعلوا شيئًا عمليًا ، وكل مافعلوه جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة ، وإساءة الظن بهم ، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار ، بل إن بعضهم يفعل خلاف ما يقول في موضوع التقريب ، فبينما هو يتحمس في موضوع التقريب بين السنة والشيعة ، إذا هو يصدر الكتب المليئة بالطعن في حق الصحابة ، رضي الله عنهم ، أو بعضهم ، ممن هم موضع الحب والتقدير من جمهور أهل السنة » . ومن ثم يكشف الهدف من خدعة التقريب بأن « المقصود من دعوة التقريب هو تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة » مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع ، ص ٢٤ . وليس أدل من ذلك ماوضحه بالتفصيل الشيخ سعيد حوى أحد كبار منظري وعلماء الإخوان في كتابه (الخومينية شذوذ في العقائد شذوذ في المواقف) وذلك على إثر أحداث (حماة) عام ١٩٧٩م ، وخذلان الخميني لوفد الإخوان الذي طلب منه الضغط على سوريا لوقف مجزرة حماة والذي لم يف بوعده بل كان داعمًا لتلك المجزرة ، دليل ذلك زيارة رئيس المحاكم الثورية بإيران آنذاك آية الله صادق خلخالي لتأييد حكومة حافظ الأسد وتوجيهه الاتهام للإخوان المسلمين بمسؤوليتهم عن الأحداث على ما سبقت الإشارة إليه ، وهكذا حسمت إيران موقفها بإعلان علي أكبر ولاياتي -وزير الخارجية الإيرانية السابق- « بأن إيران تقف إلى صف الرئيس حافظ الأسد » . أسامة شحادة : من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران ، ص٤٨ . مما يعني أنها قد قررت أن تعطي الأفضلية لعلاقاتها الدولية على صلاتها المفترضة مع الإخوان المسلمين . وما أشبه الليلة بالبارحة فهاهي إيران وأذنابها من الشيعة بالعراق ولبنان يعيدون نفس الدور ولكن بشكل أكبر حيث الدعم العسكري والبشري والمادي والسياسي لبشار الأسد لقتل الألاف من أهل السنة في سوريا على مدار أشهر مستخدمًا أفتك الأسلحة الحربية ضد المدنيين العزل ، وأوضح مما ذكره الشيخ سعيد حوى ما دونه الأستاذ عدنان سعد الدين أحد أبرز القيادات التاريخية للإخوان المسلمين =

.. . .

= في سوريا في مذكراته بأن « الخطأ الفادح ، أو الخطيئة الكبرى بتعبير آخر : ما ارتكبه قادة التيارين الإسلامي والقومي في بلاد الشام والعراق ، من تصميم أكثرهم على تجهيل الأجيال الصاعدة لحقيقة الحركات الباطنية ، والجماعات السرية في تاريخها ، وفي واقعنا المعاصر ، وصرفهم عن التحدث في هذه الموضوعات أو الاهتمام بها ، أو التحذير منها ، بدعوى الخشية على الوحدة الوطنية ، وإثارة الحساسيات بين أبناء الوطن الواحد !

وإذا كان هذا التفكير مقبولًا على صعيد العمل السياسي ، ووجوب إقصائه عن برنامج الأحزاب في الساحة السياسية ، فإنه لخطأ فادح إخفاء وطمس الكيد الباطني ، وما ينبثق عنه من خطط وبرامج ، ومخططات على الصعيد الفكري ، الفقهي والفلسفي ، وتجهيل الأمة –ولاسيما قادة الفكر– بها ، وعدم تحصينهم من شرورها وأخطارها ، لتكون لديهم المناعة مما يبيت لأمتنا العربية والإسلامية من مؤامرات ، مازلنا نكتوي بنارها ... عندما ظهرت حركة الخميني– الذي خدع المسلمين في جنبات الأرض بوعود ظهر فيما بعد كذبها من : تحرير القدس وفلسطين ، وأداء صلاة الشيعة في الحج مع عامة المسلمين ... إلخ – : طار الناس فرحًا ! واندفعوا وراء الخميني ؛ دونما وعي أو تبصر ، وبجهل مطبق بتاريخنا العربي والإسلامي ، وبجهل أكبر بعقائد وأفكار الحركة الخمينية!! » ، ثم أخذ يسرد أمثلة حية سببت له خيبة الأمل التي انتابته بعد أقل من عام على استلام الخميني الحكم وإعلان دولة ولاية الفقيه ، فبعد أسبوع من اعتلاء عرش الطاووس في طهران هبطت طائرة ياسر عرفات بصحبة الوفد الفلسطيني كأول وفد يزور الخميني بعد ثورته ، وفي لقاء للأستاذ عدنان سعد الدين مع هاني الحسن سفير فلسطين في إيران حدثه عن تجربته قائلًا : « لم أكتشف انتمائي لأهل السنة والجماعة – أو سنيتي حسب تعبيره – إلا في إيران ، عندما أقمت في طهران سفيرًا لفلسطين ، من شدة مارأيت من تعصب شيعي ذميم ضد المسلمين الآخرين » . وفي لقاء آخر جمعه بابن عمر رئيس المركز الثقافي السوداني والوحيد في طهران – مقابل سبعة عشر مركزًا ثقافيًا إيرانيًا بالخرطوم يبشرون فيها بزواج المتعة وإسقاط صلاة الجمعة ... حتى يظهر الإمام – كما ذكر الأستاذ عدنان الذي أردف قائلا : « حدثني ابن عمر رئيس المركز الثقافي الوحيد في طهران في زيارة لي في الفندق بالخرطوم قائلًا : لم أر أشد تعصبًا من هؤلاء لمذهبهم بصورة تجعل الإنسان في يأس من التفاهم معهم ، أو التعاون مع قادتهم ومؤسساتهم » ، وهكذا يسوق الأمثلة تترى ، ويذكر في المثال الأخير أنه في ذات مرة دعي =

. . . .

= بصحبة نخبة مختارة من العاملين في حقل الدعوة من الشرق ، وآخرين من المقيمين في الغرب ، منهم ما بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين مشاركًا من قيادات جماعة الإخوان لمناقشة سبل الدعوة ووسائل تبليغها ، وقد أثارت كلمته أحد القادة المشاركين الذي حاول منعه من إتمام كلمته لولا تدخل أبي بدر الشيخ عبدالله المطوع رئيس جمعية الإصلاح بالكويت - الإخوان المسلمين - وذلك بسبب أنه قال : « أيدنا جميعًا الخميني في انتصاره على الشاه ، فرحنا بذلك ، وبالطروح التي صدرت عنه بادئ ذي بدء ، ولكن لم تمض على ذلك أشهر قليلة ، حتى ظهر ماكان خافيًا عبر الإذاعة الناطقة بالعربية في الأحواز ، وفي كتبهم التي تنال من الخلفاء الراشدين الثلاثة : أبي بكر وعمر وعثمان ، رضي الله عنهم ، وإصرارهم على الاحتفاظ بالجزر الثلاث : أبوموسى ، وطنب الكبرى ، وطنب الصغرى ، التي احتلتها حكومة الشاه ، مستغلة ضعف دولة الإمارات أمام جبروت إيران ، لتنزعها من أهلها بالقوة ؛ بدعوى أن حكومة الخميني لايمكن أن تعيدها للاستعمار » ومن ثم يقول : « وعاد كل منا إلى بلده ، فحدث لغط كبير في أوساط الجماعة حول الثورة الخمينية ، بين مؤيد لها ومعارض ، أو متحفظ عليها ، أو حيران تجاهها ، فشكلت الجماعة لجنة من علمائها لبحث العقائد الشيعية ، وفقه الشيعة ، وسياستهم ، وموقفهم من المسلمين ، فقدمت اللجنة العتيدة دراسة رصينة انتهت فيها إلى أن :

- بين السنة والشيعة فروعًا يمكن تجاوزها .

- وخلافات تمس الجوهر ، وتصادم العقيدة ؛ لايمكن تجاوزها ، أو التغاضي عنها ، مثل : الإمامة ؛ التي هي عند الشيعة : ركن من أركان الإسلام كالشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج ، وأنها وقف من الله ؛ كالقرآن الكريم - أيْ منزلةً - يخرج من الملة من ينكرها ، ومن لايؤمن بها ، وأن الأئمة الاثني عشر معصومون ... » .

ويدلل على ذلك بإيراد نتف من أقوال الخميني ؛ لأن الجدل حول عقيدته ، وأفكاره ، وآرائه السياسية والفقهية يحتاج إلى مجلدات مطولة ، مثل قوله عن الأئمة في كتاب الحكومة الإسلامية : (لايتصور فيهم السهو والغفلة) ، وينقل قوله عن الصحابيين الجليلين أبي بكر وعمر مما ورد في كتابه كشف الأسرار : « ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين ، وإن مثل هؤلاء الأفراد الجهال ، الحمقى ، الأفاقين ، والجائرين غير جديرين بأن يكونوا في موضع الإمامة ، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر » ، وينقل من حمم الخميني السوداء على =

٥- وكالة الأنباء الإيرانية « مهر » تتهم الشيخ يوسف القرضاوي بأنه ماسوني وعميل للصهيونية :

الشيخ يوسف القرضاوي واحد من أبرز رجالات دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية في العصر الحديث ، حيث بذل لها وفيها بإخلاص سنوات من عمر

= الخليفتين من نفس الكتاب قوله عن الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : « إن أعماله نابعة من أعمال الكفر والزندقة ، والمخالفات لآيات ورد ذكرها في القرآن الكريم) ، وفي الوقت الذي ينقل قوله كتاب الحكومة الإسلامية : « إن لأئمتنا مقامًا لايبلغه ملك مقرب ولانبي مرسل » يتهم النبي محمدًا ﷺ بالفشل في إقامة العدل بما ذكره بتاريخ ١٩٨٠/٦/٢٨ في خطاب إلى الشعب الإيراني ؛ بمناسبة ذكرى الإمام المنتظر في الخامس عشر من شعبان بقوله : « فكل نبي من الأنبياء إنما جاء لإقامة العدل ؛ لكنه لم ينجح ! حتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، الذي جاء لإصلاح البشر ، وتهذيبهم ، وتحقيق العدالة لم يوفق في ذلك -أيضا- فالذي سينجح في تحقيق العدالة في كل أرجاء العالم هو المهدي المنتظر » انظر : كتاب الراصد . مواقف العلماء والمفكرين من الشيعة الاثني عشرية ، ص٢٩٣-٢٩٧ . نقلاً عن : مذكرات عدنان سعد الدين ، دار عمار ، الأردن ، ٤٠١/٢ .

وعلى طريق الشيخ **مصطفى السباعي وعدنان سعد الدين** سار الدكتور **يوسف القرضاوي** أخيرًا بما ستأتي الإشارة إليه ، ويقول الدكتور راغب السرجاني عن الانحراف الشديد الذي تعاني منه المناهج الشيعية « فإننا نستطيع أن نجزم باستحالة التقريب العقائدي والفقهي بينهم وبين المسلمين السنة ، فالشيعة ليست مذهبًا من المذاهب كما يعتقد البعض ، وإنما هي انحراف عن الطريق المستقيم ، وأي تقريب بين الطريق المستقيم وبين الانحراف ما هو إلا انحراف أيضًا ، ولكن بدرجة أقل ، وهذا ليس مقبولًا البتة في الشريعة الإسلامية . . . وأي محاولات للتقريب العقائدي والفقهي بين السنة والشيعة ماهي إلا محاولات لتبديل الدين وتحريفه ، وهذا ما لاينبغي أن نسعى إليه . . وليراجع الجميع مواقف العلماء الذين سعوا إلى التقريب في فترة من فترات حياتهم ثم اكتشفوا استحالة ذلك مع كثرة محاولاتهم » . الشيعة نضال أم ضلال ، ص١٣٩ ، وقريبٌ منه ماصرح به المتحدث الرسمي للإخوان في مصر محمود غزلان ، والداعية وجدي غنيم .

أكرر : فهل ينتبه الإخوان المسلمون لما انتبه له كبار قادتهم !؟

دعوته ، داعيًا إلى التقريب بين السنة والشيعة بوجه أخص ، تحدوه النية الطيبة في توحيد شطري الأمة الإسلامية تجاه ما يتهددها من مؤامرات خارجية ، وقد قدم بنفسه نموذجًا عمليًا باختياره آية الله محمد على التسخيري - مستشار الشؤون الثقافية للمرشد الأعلى في إيران - نائبًا له في اتحاد علماء المسلمين ، وسعى إلى التعريف به من خلال برنامجه الشهير بقناة الجزيرة الفضائية « الشريعة والحياة » ، وكثيرًا ما دافع عن الشيعة في أكثر من محفل حفاظًا على وحدة الأمة ، وعلى أمل أن يستجيب الطرف الآخر لمتطلبات تلك الوحدة ، ووضع أصولًا وقواعد لذلك ، بيد أن الطرف الشيعي لم يستجب لذلك ، مما اضطره أن يكسر حاجز الصمت الذي دام سنوات طويلة بعد أن تبين له أن فكرة التقريب ما هي إلا مطية للشيعة للتغلغل في البلاد السنية في الوقت الذي يتوانى فيه علماء أهل السنة عن تحصين تلك المجتمعات ضد دعاوى وشبهات الشيعة بزعم حماية مسيرة التقريب على حسب قول فضيلته ، وقد صرح الشيخ القرضاوي في لقائه بنقابة الصحفيين في مصر أنه قد طلب من المسؤولين الإيرانيين الشيعة ما هو أبسط من ذلك ، حيث طالب بمساواة أهل السنة في إيران بغيرهم من اليهود والنصارى والمجوس عبدة النار في حرية إقامة شعائرهم وبناء ولو مسجدٍ واحدٍ لهم في طهران أسوة بأتباع الأديان المذكورة الذين يمتلكون العديد من المعابد والكنائس فيها ، فيقول : « ومما قلته للإخوة أيضًا في إيران : إن أهل السنة في طهران يقدرون بمليونين أو أكثر ، وهم يطالبون منذ سنين بإقامة مسجد لهم ، يجتمعون فيه لأداء فريضة صلاة الجمعة ويشاركهم في ذلك السفراء العرب والمسلمون ، فلم تستجب السلطات لهم حتى الآن » ، فجاهر بحقيقة موقفه الذي قصم ظهر مشروع التقريب وفكرته ، محذرا من خطر الشيعة وعقيدتهم ، مصرحًا بقوله : « إن خطر الشيعة يكمن في محاولتهم غزو المجتمع السني ، وهم مهيئون لذلك بما لديهم من ثروات بالمليارات ، وكوادر

مدربة على التبشير بالمنهج الشيعي في البلاد السنية » .

فما كان من أصدقاء الأمس إلا أن تخلوا عن التقية لتظهر أنيابهم ومعها تنطلق علي الشيخ حمم وبراكين الحقد الأسود متناسين كل مواقف وكلمات الرجل السابقة معهم ، فتسابقت الأقلام والمواقع الشيعية في تسفيه الشيخ القرضاوي والخوض في عرضه ، والتعريض والافتراء على حياته الخاصة ، حتى وصل الأمر بوكالة مهر الإيرانية للأنباء أن تصفه بأنه نائب عن حاخامات اليهود وزعماء الماسونية العالمية ، فكتب حسن هاني زاده - خبير الشؤون الدولية بوكالة مهر للأنباء ، قائلًا بعد مقدمة طويلة : « لقد فقد الشيخ القرضاوي وزنه بتفوهه بمثل هذه الكلمات البذيئة ضد شيعة آل رسول الله ﷺ . . ألا يحق للشعوب الإسلامية أن تشكك بانتماء الشيخ القرضاوي السياسي وتتساءل :

هل بات الشيخ القرضاوي يتحدث بهذه التصريحات نيابة عن زعماء الماسونية العالمية ، أو عن الحاخامات اليهود؟ »

ونحن نذكر هذا ليس دفاعًا عن العلامة القرضاوي فقط ، وإنما لبيان أن هذا منطق المنافق : إذا خاصم فجر !!

ولم يقتصر الأمر على كبار الشيعة في إيران بل شاركتهم بعض خلاياهم النائمة على ضفاف النيل بمصر ، والتي تدين لهم بالولاء وتأتمر بأمر الولي الفقيه في إيران ، ولعل أبرز مثال على ذلك ماصرح به المستشيع المصري (أحمد راسم النفيس) الذي وضع بالوكالة كتابا خاصًا (القرضاوي وكيل الله أم وكيل بني أمية) ليملأه بالسب والطعن في القرضاوي ، فضلًا عن كم المغالطات التاريخية التي لاتخفى على من له أدنى علاقة بالتاريخ الإسلامي . . ولكنها العقد النفسية والجهل المركب ، وصدق من قال :

فلا والله لايرجى فلاحٌ لأهل الجهل أو سوء النيات

وبعد ... فما مر بك غيض من فيض روايات الشيعة الإمامية الاثني عشرية

ومواقفهم الشاهدة على شعوبية وقحة ضد العرب وأقاليمهم ، وأهل السنة وأجناسهم، على ما ستأتي الإشارة إليه ، وتخص مصر وأهلها وطينها ونيلها بما لا تخص به غيرها ، على الرغم من الروايات الصحيحة والصريحة في بيان فضل مصر وأهلها ونيلها ، والتي مرت بك .. فتأمل وقارن ، لتعلم أن روايات الشيعة المنسوبة لأئمة آل البيت ، رضي الله عنهم ، مكذوبة ومدسوسة عليهم ، تكذبها مواقفهم العملية التي سيشار إليها في الفصل التالي ، بإذن الله تعالى .

* * *



المبحث الثالث

آل البيت في مصر

بعد بيان مكنون عقيدة الشيعة في مصر وأهلها على ضوء ما ورد في أمهات كتب المذهب المعتمدة والمحتفى بأصحابها وبيان فتاوى وتقريرات والمواقف العملية لعلماء المذهب وقادته أشير في إشارات سريعة لمواقف الحب والتقدير المتبادل بين أئمة أهل البيت ، رضوان الله تعالى عليهم ، وبين مصر وأهلها :

فهذه عقيلة بني هاشم السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، تخير بين الشام ومصر ، فتختار مصر موطنًا ومستقرًّا - على المشهور لا على التحقيق[(١)] - ، حيث قدمتها بعد خيانة أهل الكوفة من الشيعة لسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي ، رضي الله عنهما ، والتخلي عنه ، وتسليمه لحتفه ومن معه من نساء وأطفال آل البيت[(٢)] ، حتى قال فيهم أبو عبد الله : « تبًّا لكم أيتها الجماعة ، وترحًا ، وبؤسًا لكم ، حين استصرختمونا ولهين ، فاستصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفًا كان في أيدينا ، وحمشتم علينا نارًا أضرمناها على

(١) يقول مفتي مصر الشيخ محمد بخيت مطيعي : « جزم كل من ابن الأثير في تاريخه ٤/٤٨ ، والطبري ٢/٢٦٤ وما بعدها .. بأن السيدة زينب بنت علي ، رضي الله عنها ، وأخت الحسين ، رضي الله عنه ، قد عادت مع نساء الحسين أخيها ، ومع أخوات الحسين بعد مقتله إلى المدينة ، ولا عبرة بمن يشذ عنهما - أي الطبري وابن الأثير - وعليه فلا مدفن لها في مصر ، ولا جامع ، ولا مشهد . قلت : وأما هذا المسجد والضريح الرئيسي المشهور بالقاهرة فهو لزينب أخرى بنت علي .. وكلاهما من أهل البيت ، رضي الله عنها » مرقد العقيلة زينب لمحمد حسنين السابقي ص ٥٨ ، نقلاً عن صحيفة الفتح .

(٢) وهذا مما لا تستطيع الشيعة أن تنكره ، حيث يؤكد ذلك أحد كبار علمائهم المعاصرين السيد محسن الأمين بقوله : « بايع الحسين عشرون ألفًا من أهل العراق ، غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم » محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ١/٣٤ .

عدوكم وعدونا ، فأصبحتم إلبًا على أوليائكم ، ويدًا لأعدائكم . . فلا ذنب كان مني إليكم ، فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا ، والسيف مشيم ، والجأش طامش ، والرأي لم يستحصف ، ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا ، وتهافتم إليها تهافت الفراش ، ثم نقضتموها سفهًا وضلة . . أجل والله ، خذل فيكم معروف ، نبتت عليه أصولكم ، وأنذرت عليه عروقكم ، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر ، وأكلة للغاصب ، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين ، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها . . »[١] .

ومن ثم ناداهم الحر بن يزيد ، أحد أصحاب الحسين وهو واقف في كربلاء صارخًا فيهم : « دعوتم هذا العبد الصالح ، حتى إذا جاءكم أسلمتموه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، فصار كالأسير في أيديكم ، لا سقاكم الله يوم الظمأ »[٢] .

وعندئذ دعا الحسين ، رضي الله عنه ، على شيعته قائلًا : « اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقًا ، واجعلهم طرائق قددًا ؛ ولا ترضي الولاة عنهم أبدًا ، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا »[٣] . وقد صدق فيهم دعاء الحسين ، رضي الله عنه ، فالشيعة أكثر الطوائف افتراقًا وتمزقًا .

ومن بعده قالت لهم فاطمة الصغرى : « أما بعد : يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، إنا أهل البيت ، ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا ، فجعل بلاءنا حسنًا »[٤] .

وهذه روايات كتبهم تؤكد ذلك ، حيث يروي أبو عمرو الكشي ، إمام الجرح والتعديل في فرقتهم ، بسنده إلى الإمام جعفر الصادق قال : « ما أنزل الله سبحانه آية

---

(١) الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/٢٤ .

(٢) أبو عمر الكشي ، رجال الكشي ، ص٢٥٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

(٤) المفيد . الإرشاد ، ص ٢٣٤ ، الطبرسي ، إعلام الورى بأعلام الهدى ، ص ٢٤٢ .

في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع »[١] .

ويقول : « إن ممن ينتحل هذا الأمر - أي التشيع - لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا »[٢] ، هذا كلام إمام مذهبهم ، الذي ينتسبون إليه ... فأيم الله لو شجوا رءوسهم بالسيوف ، وضربوا أجسادهم بالجنازير ، وتباكوا على أبي عبد الله الحسين ، رضي الله عنه ، ما كفر ذلك عنهم خيانتهم له ولآل بيته .

وأمعن النظر فيما قالته عقيلة بني هاشم ، السيدة زينب بنت علي ، رضي الله عنها ، لأسلافهم من شيعة الكوفة ، بعدما خانوا الحسين ومن معه لما رأت نساء الكوفة يندبن متهتكات الجيوب ، لما وقع بآل البيت من مصاب ، فقالت لهم بعد الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : « أما بعد ، يا أهل الكوفة الختل والخذل ، أتبكون؟! فلا سكنت العبرة ، ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم ، ألا وإن فيكم الصلف الصنف ، وداء الصدر الشنف ، وملق الأمة ، وحجز الأعداء ، كمرعى على دمنة ، أو كفضة على ملحودة ، ألا ساء ما تزرون ، أي والله فابكوا كثيرًا ، واضحكوا قليلًا ، فقد ذهبتم بعارها وشنارها ، فلن تدحضوها بغسل أبدًا ، وإنما ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم ، ومنار محجتكم ، وسيد شباب أهل الجنة . . ويلكم يا أهل الكوفة ، ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون . . أتدرون أي كَبِدٍ لرسول الله ﷺ فريتم ، وأي دم له سفكتم ، وأي كريمة له أبرزتم؟ لقد جئتم شيئًا إدًّا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا . . » .

وبذلك يتبين لنا لماذا لم تختر عقيلة بني هاشم ، ولا نساء أهل البيت الكوفة

---

(١) المفيد ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، الطبرسي ، المصدر السابق ، ص ٩٤٩ .

(٢) الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/٢٤ .

منزلًا ومستقرًّا بين من ينتحلون التشيع ، بل اختارت – على المشهور – مصر ملاذًا آمنًا ومستقرًّا كريمًا في كنف أهلها من أهل السنة ، حيث يعرفون لها ولآل البيت جميعًا حقهم ، ويرعون مكانتهم[(١)] ، وقد اختزل أحد الشعراء ذلك المشهد بقوله :

لما رجعت من الشآم ليثرب من بعد فاجعة الإمام الحسين
طلبوا إليك الظعن للبلد الذي تستوطنيه خارج الحرمين
فاخترت مصر فرحبت بك وانثنت تهتز من شرف على الكونين

فدخلت مصر يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ٦٢هـ . واستقبلها والي مصر : مسلمة بن مخلد بصحبة أعيانها ، وحملها إلى داره بالحمراء القصوى عند بساتين الزهري سابقًا ـ حي السيدة زينب حاليًا ـ فأقامت به حتى دفنت في حجرتها! لتكون أول من دفن من آل البيت بمصر على المشهور .

ومن بعدها توافد رجال ونساء آل البيت للإقامة بمصر ، فهذه السيدة رقية بنت علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، التي عاشت فيها ودفنت في أرضها بمنزلها .

وأيضًا : السيدة أم سلمة ، فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، عاشت فيها ودفنت في حجرتها بمنطقة الدرب الأحمر ، كما في

(١) انظر : العبيدلي النسابة ، السيدة زينب وأخبار الزينبيات ، ص١٨ ، وأيضًا د . بنت الشاطئ ، السيدة زينب بطلة كربلاء . . ومراعاة للأمانة العلمية فإن موضوع دخول السيدة زينب . . ودفنها في مصر مثار اختلاف بين المؤرخين بين مثبت ونافي على أن ضريحها الحالي كان جزءا من نهر النيل حتى القرن ١٩ والمعروف ببركة البغال ، وأنها ، رحمها الله تعالى ، قد توفيت في بيت زوجها بالمدينة كما يذكر ابن سعد في طبقاته ، وابن كثير في البداية والنهاية ، ويؤيد أصحاب هذا الرأي رأيهم بأن معظم هذه المشاهد إنما بنيت بحسب رؤى منامية للشعراني وشيخه الخواص بتجديد تلك القبور والبناء عليها ، وتحرزا ومراعاة لهذا الاختلاف قلت على المشهور خروجا من الخلاف ، وعلى كل لا ضير ولا يخل بالاستدلال إذا استثنينا السيدة ، زينب رضي الله عنها ، من جملة من دخلوا مصر من أهل البيت ورحبت بهم فقد زادوا عن ألفين ومئتين وليس هذا بالعراق ، ومنهم سادة وسيدات أهل البيت .

« الخطط الجديدة » لعلي باشا مبارك .

وكذلك : السيدة سُكَينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، التي دخلت مصر[١] بعد مقتل زوجها مصعب بن الزبير ، رضي الله عنه [٢].

وفي مصر عاشت السيدة نفيسة الكبرى ، رحمها الله تعالى ، زوجة الخليفة الأموي : الوليد بن عبد الملك بن مروان ، عندما كان واليًا عليها قبل أن يتولى الخلافة ، وبعد طلاقها منه أثناء خلافته فضلت مصر على غيرها ، كعادة نساء أهل البيت ، فلحقت بابنة عمها سكينة بنت الحسين ، وعاشت ودفنت في بيتها الذي وهبه لها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، والي مصر حينئذ ، والمعروف حاليًا بمسجد السيدة نفيسة بمصر القديمة ، حيث كانت تتعبد فيه ، ثم جاءت من بعدها نفيسة الصغرى بنت الحسن الأنور ، رضي الله عنهم ، يذكر السخاوي وابن خلكان أن السيدة نفيسة الصغرى بنت الحسن الأنور دخلت مصر سنة ثلاث وتسعين ومئة - على خلاف في ذلك - مع زوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق ، رضي

(١) واختلف في وفاة السيدة سكينة ، رضي الله عنها ، بين المدينة ومكة ومصر .

(٢) كأن التاريخ يعيد نفسه ، فبعد عشر سنوات على واقعة كربلاء يلقى مصعب بن الزبير بن العوام والي الكوفة نفس مصير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسيد الشهداء الحسين بن علي ، رضي الله عنهم ، بالسبب نفسه ، وهو خيانة أهل الكوفة ، لتعود السيدة سكينة لتخاطبهم مثلما فعل من كان قبلها من نساء آل البيت ، وذلك بقولها : « والله يعلم أني أبغضكم ، قتلتم جدي عليًا ، وقتلتم أبي الحسين ، وزوجي مصعبًا ، فبأي وجه تلقوني؟ أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة » . السيدة سكينة ، بنت الشاطئ ، ص٨٩ ، نقلًا عن : عيون الأخبار ٦١٢/٢ . ومن اللافت للنظر والجدير بالتأمل هنا : أمر زواج الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك باثنتين من فضليات نساء أهل البيت : السيدة زينب بنت الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، والسيدة نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، على الرغم مما يشاع من سوء العلاقة بين آل البيت والبيت الأموي ، أفلا يدل هذا على حسن العلاقة بين أبناء الآل والأصحاب ؟!

الله عنهم ، فتلقاها أهل مصر في مظاهرة من الحب والترحاب بالهوادج من العريش حتى دخلت مصر(١) ، وبها استقرت ، وشاع فضلها وعلمها ، وكان لها فضل كبير في حضور الإمام الشافعي إلى مصر ، والاستقرار بها . ولما مات حملوه إلى دارها فصلت عليه مأمومة بالإمام أبي يعقوب البويطي ، ودعت له ، وشهدت فيه خير شهادة ، وقد توفيت ، رحمها الله ، بعد الإمام الشافعي بأربع سنوات .

ومن رجال أهل البيت الذين قدموا مصر وأكلوا في فخارها وشربوا من أقداحها ، واغتسلوا بماء نيلها : **والد السيدة نفيسة الصغرى** : الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ الذي دخل مصر في خلافة المأمون العباسي بصحبة ابنته سنة ١٩٣هـ ، ومات بعدها بشهر ، وبها دفن بيدَ أنه أقل شهرة من ابنته .

وأيضا : **السيدة عائشة بنت جعفر الصادق** ، التي حضرت إلى مصر بعد موقعة الفخ مع إدريس بن عبد الله ، لتجد فيها مستقرًّا وملاذًا آمنًا ، حتى دفنت في أرضها سنة ١٤٥هـ ، في بيتها في الميدان المسمى إلى الآن باسمها في حي مصر القديمة .

ودخلها **محمد بن جعفر بن محمد الصادق** بصحبة أبنائه أم كلثوم والقاسم ، وقد توفيت بمصر أم كلثوم ودفنت في تربتها ، وفي أيام أحمد بن طولون سكن في مصر عبد الله بن القاسم الشبيه وأولاده : القاسم وأبو جعفر بن القاسم من بعده ، ورحل إليها عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعاش بها حتى دفن عند درب الكندي ، في الوقت الذي توافد على مصر من أحفاد الحسن بن علي ، رضي الله عنهم ، كثيرون حيث تولوا نقابة الأشراف فيها ، ومن أشهرهم : علي بن الحسن المعروف بابن طباطبا ، ومحمد بن إسماعيل بن محمد وأخوه أحمد بن محمد ... وقد ولد لهم ذرية كثيرة عدها ابن زولاق إلى ألفين

---

(١) انظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ص٧٣ .

ومئتين من البيت الطالبي ، حيث قال : « وانتهت عدة أبي طالب بمصر إلى ألفين ومئتين وليس هذا بالعراق »[١] .

فهل ترى أيها الحصيف الكريم أن هذه الصفوة من آل البيت لم يطلعوا على هذه الروايات التي تحذر من مصر وأهلها وطينها ومائها . . ؟! أترك الحكم لك ، لتتأكد من قول أبي عبد الله جعفر الصادق ، رضي الله عنه ، كما هو مذكور في كتبهم : « لو قام قائمنا بدأ بكذابي شيعتنا فقتلهم »[٢] .

وَلِمَ لا يطعن الشيعة في مصر وأهلها ! وقد ذهبوا إلى كفر مخالفيهم أهل السنة – والقول بنجاستهم ، وعدم جواز تغسيل ميتهم ، أو الصلاة عليه ، بل وبطلان عبادتهم .

ونظرًا لكثرة الروايات وتعدد مصادرها في تكفير أئمة أهل السنة ، واستحلال دمائهم وأموالهم ، وتكفير طوائفهم والمنتسبين إليهم ، فسأكتفي بذكر بعضها في الفصل التالي .

* * *

---

(١) ابن زولاق ، فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، ص٤٦ .

(٢) الخوئي ، معجم الرجال ، ص١٦٨ ، عن الكشي ترجمة ابن أبي زينب الأسدي ، ح رقم ٥ ، ٩ ، ١١ ، ١٨ .


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

الفصل الثاني

موقف الشيعة من الأئمة الأربعة والمنتسبين إليهم

المبحث الأول : موقف الشيعة من الأئمة الأربعة وعلماء أهل السنة

المبحث الثاني : موقف الشيعة من الأشاعرة

المبحث الثالث : موقف الشيعة من الصوفية

المبحث الرابع : تكفير كثير من الشيعة لأهل السنة بوجه عام والحكم بنجاستهم


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

المبحث الأول

موقف الشيعة من الأئمة الأربعة وعلماء أهل السنة

روى الكليني بسنده عن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي الحسن موسى ، عليه السلام : جعلت فداك! فقهنا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس ، حتى إن الجماعة منا لتكون في المجلس ، ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ، ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم ، فربما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء ، فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به ؟

فقال : « هيهات ، هيهات ، في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم » ، قال: ثم قال : « **لعن الله أبا حنيفة ، كان يقول : قال علي ، وقلت** »[(١)] .

وقد طعن محدثهم محمد بن طاهر القمي في الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد قائلًا : « **خاتمة في أحوال الأئمة الأربعة لأهل السنة وبعض فتاويهم الركيكة وعقائدهم السخيفة** »[(٢)] .

وقال شيخهم محمد رضا الرضوي : « **ولو أن أدعياء الإسلام والسنة أحبوا أهل البيت لاتبعوهم ، ولما أخذوا أحكام دينهم عن المنحرفين عنهم ، كأبي حنيفة ، والشافعي ، ومالك ، وابن حنبل** »[(٣)] .

ونجد أكثر هذه الروايات الباطلة والمكذوبة في الموروث الطائفي للشيعة منذ قامت لهم دولة في عهد الصفويين تنشر التشيع وتحميه ، فما إن دخل الشاه عباس الأول (١٠٣٤هـ - ١٦٢٤م) بعد احتلاله بغداد حتى حوَّل قبر الإمام أبي حنيفة

---

(١) الكليني ، الكافي ، ١/٥٦ .

(٢) محمد بن طاهر القمي ، الأربعين ، ص٦٤١ .

(٣) محمد رضا الرضوي ، كذبوا على الشيعة ، ص٢٧٩ .

النعمان ، رضي الله عنه ، إلى كنيف ، سيرًا على سنة سلفه الشاه إسماعيل الصفوي الذي نبش قبر الإمام أبي حنيفة ووضع كلبًا أسود مكانه عند الاحتلال الأول لبغداد .

وفي هذا يروي محدثهم نعمة الله الجزائري في كتابه « الأنوار النعمانية » قائلًا : « إن السلطان الأعظم شاه عباس الأول ، لما فتح بغداد أمر بأن يجعل قبر أبي حنيفة كنيفًا ، وقد أوقف وقفًا شرعيًّا بغلتين ، وأمر بربطهما على رأس السوق ، حتى إن كل من يريد الغائط يركبهما ويمضي إلى قبر أبي حنيفة لقضاء حاجته ، وقد طلب خادم قبره يومًا ، فقال له : ما تخدم في هذا القبر وأبو حنيفة الآن في أسفل الجحيم؟ فقال : إن في هذا القبر كلبًا أسود دفنه جدك الشاه إسماعيل لما فتح بغداد قبلك ، فأخرج عظام أبي حنيفة وجعل موضعها كلبًا أسود ، فأنا أخدم ذلك الكلب . . . »[١] .

وفي كتاب « فتن عصر الظهور الشريف » لعبد الحليم الغزي يذكر في المقام الثاني : « في تعريف المرجئة لعنة الله عليهم » ، وفي هذا المقام ينقل عن شيخه الطريحي من كتابه « مجمع البحرين ومطلع النيرين » أن المقصود بالمرجئة هم الأشاعرة ، ومن ثم يعلل حكمه الذي بوب به مقالاته بقوله : وفي حديث آخر قال : ذكرت المرجئة والقدرية والحرورية فقال عليه السلام : « لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا يعبدون الله »[٢] . ثم يقول « ثانيًا : وقال الشيخ الثقة أبو محمد الحسن النوبختي (ره) في كتاب الفِرَق : ... ثم ذكر (ره) افتراق المرجئة إلى أربع فرق وذكر طائفة من وجوههم ورجالاته - هكذا والصحيح رجالاتهم - :

١ - أبو حنيفة . ٢ - مالك بن أنس . ٣ - محمد بن إدريس الشافعي .

٤ - سفيان بن سعيد الثوري . ٥ - ابن أبي ليلى . ٦ - شريك بن عبد الله .

وغيرهم من أبناء العامة والمخالفين لمذهب الحق الأبرار من المرجئ - هكذا

---

(١) نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية ، ٢/٣٢٤ .

(٢) عبد الحليم الغزي ، فتن عصر الظهور الشريف ، ص١٥٢ .

والصحيح المرجئة - إلا هؤلاء »[١] .

ويعارض محدثهم يوسف البحراني القول المنسوب للإمام الشافعي في حب آل البيت :

لو شق قلبي رأوا وسطه خطين قد خطا بلا كاتب
الشرع والتوحيد في جانب وحب أهل البيت في جانب

فأجابه البحراني بقوله :

كذبت في دعواك يا شافعي فلعنة الله على الكاتب
بل حب أشياخك في جانب وبغض أهل البيت في جانب
عبدتم الجبت وطاغوته دون الإله الواحد الواجب
فالشرع والتوحيد في معزلٍ من معشر النصاب يامن
قدمتم العجل مع السامري على الأمير ابن أبي طالب
محضتم بالود أعداءه من جانب الحرب ومن غاصب
وتدعون الحبَّ ما هكذا فِعْلُ اللبيب الحازم الصائب
قد قرروا في الحب شرطًا له أن بغض المبغض للصاحب
وأنتم قررتم ضابطًا لتدفعوا العيب عن العائب
بأننا نسكت عما جرى من الخلاف السابق الذاهب
ونحمل الكل عن محمل الـ خير لنحظى برضا الواهب
تبًّا لعقل عن طريق الهدى أصبح في تيه الهوى عازب[٢]

سبحان الله العظيم ... إن الإمام الشافعي يعبر عن شدة حبه لأهل البيت ولم يذكر أبا بكر وعمر ولا غيرهما ، فما لهؤلاء القوم الذين تستعر قلوبهم بنار الغل

---

(١) المصدر السابق ، ص١٥٣ .

(٢) أحمد الميانجي ، مواقف علماء الشيعة ، ٣/٢٦ .

والحقد والكراهية ، فما يفتأ أحدهم يلتمس أي مناسبة حتى تتطاير منه زفرات الحقد على الصديق أبي بكر والفاروق عمر ، رضي الله عنهما ، فيصفهما تارة بالجبت والطاغوت ، وهما الصفتان الأشهر لهما في كتب الشيعة ، أو بالعجل والسامري ، ويجعل من حبهما أو الرضا بما أجمع عليه المسلمون في توليهما للخلافة بعد رسول الله ﷺ كفرًا بالإله الواحد الأحد ، ومخالفة للشرع ، ومناقضة للتوحيد ، ومن ثم يلمز اعتقاد أهل السنة من أن الصحابة كلهم عدول ، وهم أفضل هذه الأمة ، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة ، ومحبتهم دين وإيمان ، وبغضهم كفر ونفاق ، مع الكف عما شجر بينهم ، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم .

فها قد كشف لك اللثام بما لا يدع مجالًا للشك عن موقف أولئك الطِّغام من أئمة أهل السنة ، ليس من الصحابة والتابعين فحسب ، ولا الأئمة الأربعة ، ولا السفيانين والأوزاعي ، بل كل من سار على دربهم وسلك سبيلهم إلى قيام الساعة ، حتى وإن تفاوتت درجة اتباعه لهم أو انتسابه إليهم مثل : الأشاعرة والماتريدية والصوفية بشتى طرقها .

* * *

المبحث الثاني

موقف الشيعة من الأشاعرة

يحكم علماء الشيعة على الأشاعرة قاطبة بالكفر والخلود في النار ، ويؤكد ذلك محدثهم نعمة الله الجزائري بقوله : « فالأشاعرة ومتابعوهم أسوأ حالًا في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى . . فمعرفتهم له سبحانه على هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب التي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم الكفار »[١] .

ويقول السيد مصطفى الخميني : « هذه الشبهة ربما أوقعت الأشاعرة في الهلكة السوداء والبئر الظلماء ، حتى أصبحوا مشركين ، أو ذاهلة عقولهم عن الدين »[٢] .

وهو ما يدندن به دائمًا « محمد صالح المازندراني » في شرحه لأصول الكافي في أكثر من موضع ، ومنها : تعقيبه على حديث النبي ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة » بقوله : هم الأشاعرة وغيرهم من القائلين بالجبر[٣] .

ويؤكد ذلك بقوله : « فالأشاعرة أنذل وأنزل من أن يفهموا هذه المعاني »[٤] .

بينما يضرب محدثهم يوسف البحراني مثالًا على انحرافهم وضلال اعتقادهم ومدى ما يحمله أولئك من حقد على أعلام الأشاعرة فيقول :

« وإنه ليعجبني أن أنقل كلامًا للغزالي الذي هو حجة إسلامهم ، لتطلع بذلك

---

(١) نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية ، ٢٧٨/٢ .

(٢) السيد مصطفى الخميني ، تفسير القرآن الكريم ، ١٠٣/١ .

(٣) محمد صالح المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١١/٥ .

(٤) المصدر السابق ١٠٢/٢ .

على خبث سرائرهم ، وقبح مرامهم . . . فسرح بريد نظرك في أطراف هذا الكلام ، الذي هو كلام إمام أولئك اللئام ، وحجة إسلام تلك الطغام »[١] .

* * *



(١) يوسف البحراني ، الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب ، ص١٣٧ .

المبحث الثالث

موقف الشيعة من الصوفية

على الرغم من محاولات التقارب المخادع من الشيعة لاختراق الصوفية والتصوف بدعوى التقارب العقدي بينهما ، ليكونوا لهم جسرًا ومعبرًا إلى البلاد السنية ، متحصنين بسلاح التقية ، بإخفاء حقيقة معتقدهم في الصوفية بمختلف طرقها ، غير مفرقين بينهم ، فإن الشيعة لم تدرِ أن جموع الصوفية بطرقها لا تقبل قولهم في القرآن الكريم ، فضلا عن البراءة من الشيخين أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، أو الطعن أو السب واللعن لهما ، بل تترضى عن كل أصحاب النبي ﷺ الذي مات وهو عنهم راض ، عملًا بوصيته ﷺ : « الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضًا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه »(١) .

ويأبى الله إلا أن يفضحهم على فلتات لسان علامتهم ومحققهم المعاصر ، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي - وما تخفي صدورهم أكبر - وذلك بقوله : « قد تبين وتحقق لك مما أوردناه في شرح هذا الكلام لأمير المؤمنين ، عليه السلام : أن مذاهب الصوفية بحذافيرها مخالفة لمذهب المتشرعة الإمامية الحقة ، شيد الله بنيانه ، وأحكم قواعده وأركانه ، كما ظهر لك أن الآيات والأخبار في لعنهم وطعنهم والتعريض والإزراء عليهم ، لعنهم الله تعالى ، متضافرة ، وأن الأخبار التي تمسكت بها هذه الفئة الضالة المبتدعة المطرودة الملعونة ، إما موضوعة مجعولة ،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٨٧/٤ (١٦٩٢٦) و٥٤/٥ (٢٠٨٢٣) و٥٥/٥ (٢٠٨٢٤) و٥٧/٥ (٢٠٨٥٤) والترمذي (٣٨٦٢) في سننه ، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم (٢٩٠١) ، وضعيف الجامع برقم (١١٦٠) ، وضعيف سنن الترمذي .

أو متشابهة مؤولة ، أو ضعيفة سخيفة ... فويل لقوم اتخذوا سلفهم الذين مهدوا لهم البدعات ، وموَّهوا لهم الضلالات أربابًا فرضوا بالشّبلي والغزالي وابن العربي والجنيد أئمة ... خذلهم الله تعالى في الدنيا وضاعف عليهم العذاب في العقبى ... »[١] .

ولقد عقد لهم محدثهم وفقيههم الحر العاملي فصلًا كاملًا في كتابه « رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية » ، وقد سرد فيه الروايات والأقوال التي تطعن في الصوفية وتوجب لعنهم والبراءة منهم ، ومما جاء في هذا قوله : « لا يوجد للتصوف وأهله في كتب الشيعة وكلام الأئمة إلا بالذم ، وقد صنفوا في الرد عليهم كتبًا متعددة ، ذكروا بعضها في فهرست كتب الشيعة . قال بعض المحققين من مشايخنا المعاصرين : اعلم أن هذا الاسم - هو اسم التصوف - كان مستعملًا في فرقة الحكماء الزائغين عن الصواب ، ثم بعدها في جماعة من الزنادقة وأهل الخلاف من أعداء آل محمد ، كالحسن البصري ، وسفيان الثوري ، ونحوهما ، ثم جاء فيمن جاء بعدهم وسلك سبيلهم ، كالغزالي رأس الناصبين لأهل البيت . . روى شيخنا الجليل الشيخ بهاء الدين محمد العاملي في كتاب « الكشكول » قال : قال النبي ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم الصوفية ، ليسوا مني ، وإنهم يهود أمتي ، وهم أضل من الكفار ، وهم أهل النار ، يحلقون للذكور رؤوسهم ، ويرفعون أصواتهم للذكر ، يظنون أنهم على طريق الأبرار ، بل هم أضل من الكفار ، وهم أهل النار ، لهم شهقة كشهقة الحمار ، وقولهم قول الأبرار ، وعملهم كعمل الفجار** »[٢] .

ويؤكد محمد بن حسن الحر العاملي التواتر في الأحاديث الدالة على تكفير

---

(١) حبيب الله الهاشمي الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢١/١٤ .

(٢) الحر العاملي ، رسالة الاثنى عشرية في الرد على الصوفية ، ص ١٣-١٦ ، ووسائل الشيعة للمؤلف نفسه ، ٣١/٤ ، الفصول المهمة ، عبد الحسين الموسوي ، ٩٢/٢ .

الصوفية بقوله : « **إن الأحاديث الواردة في ذم الصوفية عمومًا وخصوصًا ، وفي لعنهم وتكفيرهم وبطلان كل ما اختصوا به متواترة تقرب من ألف حديث ، وليس لها معارض** »[١] .

وأكثر من ذلك : ما يذكره علامتهم محمد تقي المدرسي في مقالته « الموقف الرسالي من التصوف » بقوله : « ومن خلال قراءتنا لهذه الأحاديث نعرف ليس فقط مذهب الإمام - يعني جعفر الصادق - من الصوفية ، بل وأيضًا الحجج التي يسوقها الإمام في الأحاديث الأخيرة التي تدحض أدلة المتصوفة بقوة :

روي عن أبي عبد الله الصادق ، عليه السلام ، حين سأله رجل عن قوم ظهروا في ذلك الزمان ، يقال لهم : الصوفية . قال : « **إنهم أعداؤنا ، فمن مال إليهم فهو منهم ، ويحشر معهم ، وسيكون أقوام يدعون حبنا ، ويميلون إليهم ، ويتشبهون بهم ، ويلقبون أنفسهم بلقبهم ، ويقولون أقوالهم ، ألا فمن مال إليهم فليس منا ، وأنا منه براء ، ومن أنكرهم ورد عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله** ﷺ » .

وعندما سئل الإمام الصادق ، عليه السلام ، عن بعض أئمة التصوف في عهده ، نعته الإمام ، عليه السلام ، بفساد المذهب ، فقد روي عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري أنه قال : « سئل أبو عبد الله الصادق ، عليه السلام ، عن حال أبي هشام الكوفي - يقصد أبا هاشم الكوفي الصوفي - ، قال : إنه كان فاسد العقيدة جدًّا ، وهو الذي ابتدع مذهبًا يقال له : التصوف ، وجعله مفرًّا لعقيدته الخبيثة - وفي بعض النسخ : مفرًّا لنفسه الخبيثة - وأكثر الملاحدة ، وجُنة لعقائدهم الباطلة » .

ثم يذكر موقف الإمام الرضا من التصوف فيقول : « ولم يزل أئمة الهدى بعد الإمام الصادق ، عليه السلام ، يحذرون الأمة من هذا الاتجاه الخطير ، وبالذات

---

(١) الحر العاملي ، رسالة الاثنى عشرية في الرد على الصوفية ، ص٤ .

الإمام الرضا الذي وجد فرصة مناسبة من خلال ولايته للعهد في عهد المأمون العباسي ، وفيما يلي بعض النصوص المأثورة عنه ، عليه السلام : روي عن الإمام الرضا : « لا يقول بالتصوف أحد إلا لخدمة أو ضلالة أو حماقة » .

ثم يردف الكاتب ببيان موقف الإمام الهادي من الصوفية فيقول : « وكان الإمام الهادي ، عليه السلام ، جالسًا في مسجد الرسول (ص) – سبحان الله ، عند ذكر الأئمة يسلم عليهم ، أما عند ذكر النبي ﷺ لا يكلف نفسه بأكثر من الاختصار بـ (ص) !! – إذ أتاه جماعة من أصحابه ، منهم أبو هاشم الجعفري ، رضي الله عنه ، وكان رجلًا بليغًا ، وكانت له منزلة عظيمة عنده ، عليه السلام ، ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا في جانب مستديرين ، وأخذوا بالتهليل ، فقال عليه السلام : « **لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين ، فإنهم حلفاء الشياطين ، ومخربو قواعد الدين ... أورادهم الرقص والتصدية ، وأذكارهم الترنم والتغنية ، فلا يتبعهم إلا السفهاء ، ولا يعتقد بهم إلا الحمقاء ، فمن ذهب إلى زيارة أحد منهم حيًّا أو ميتًا فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان . فقال له رجل من أصحاب الإمام ، عليه السلام : وإن كان معترفًا بحقوقكم؟ قال : فنظر إليه شبه المغضب ، وقال : دع ذا عنك ، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقولنا ، أما تدري : إنهم أخس طوائف الصوفية ، والصوفية كلهم من مخالفينا ، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا ، وإنْ هم إلا نصارى ومجوس هذه الأمة ، أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون** » .

ثم يذكر موقف إمامهم العسكري من التصوف ، معقبًا بذكر مواقف علمائهم ، ويخص منهم أحمد بن محمد الأذربيجاني ، المعروف بالمقدس الأردبيلي ، الذي ألف كتاب « حديقة الشيعة » في الرد على الصوفية ، موضحًا فيه أن أكثر علماء الشيعة مثل الشيخ المفيد وابن بابويه قد حكموا على طوائف الصوفية بالضلال .

ومن أمثلة ذلك قوله : « ... لا تلتفتوا إلى الصوفيين فإنهم خلفاء الشياطين ،

ومخربو قواعد الدين ، ينزحون لإراحة الأجسام ، ويتهجدون لتصيير الأنام ، فمن أعان أحدًا منهم فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان ، وعبادة الأوثان ، ومن أعان أحدًا منهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان »[(١)] .

ولا يكتفي بهذا بل يذهب إلى أنهم مجوس هذه الأمة فيقول : « **الصوفيون إن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة ، أولئك الذين يجاهدون لإطفاء نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره المشركون** »[(٢)] .

بينما يؤكد نعمة الله الجزائري – أحد أبرز علماء الدولة الصفوية – بأن التصوف طريقة الفلاسفة الزائغين والزنادقة الملحدين ، وذلك بقوله في كتاب « الأنوار النعمانية» تحت عنوان « **ظلمة حالكة في بيان أحوال الصوفية والنواصب** » : « **اعلم أن هذا الاسم وهو التصوف ، كان مستعملًا في فرقة من الحكماء الزائغين عن طريق الحق ، ثم استعمل بعده في جماعة من الزنادقة** »[(٣)] .

ويذهب المجلسي ـ شيخ الدولة الصفوية ـ إلى أنهم إباحيون فيقول : « والحلاجية ضرب من أصحاب التصوف وهم أصحاب الإباحة ، والقول بالحلول ، وكان الحلاج يتخصص بإظهار التشيع وإن كان ظاهر أمره التصوف ، وهم قوم ملاحدة وزنادقة ، يموهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم ، ويدّعون للحلاج الأباطيل »[(٤)] .

ثمّ يختم محمد تقي المدرسي مواقف علماء الشيعة من التصوف بذكر آية الله المرعشي وموقفه من التصوف فيقول : « من مراجع مدينة قم المقدسة ، من تصدى للتصوف بقوة ، فقد بين سماحة آية الله العظمى العلامة السيد شهاب الدين النجفي

---

(١) أحمد بن محمد الأذربيجاني المقدسي الأردبيلي ، حديقة الشيعة ، ص٥٦٤ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية ، ٢/٢٨١ .

(٤) المجلسي ، بحار الأنوار ، ٦١/٢٦٥ .

في كتابه « إحقاق الحق » : « **عندي أن مصيبة الصوفية على الإسلام من أعظم المصائب ، تهدمت بها أركانه ، وانثلم بنيانه ، وظهر لي بعد الفحص الأكيد والتجول في مضافير كلماتهم ، والوقوف على ما في خبايا مطالبهم ، والعثور على مخبياتهم ، بعد الاجتماع برؤساء فرقهم أن الداء سرى إلى الدين من رهبنة النصارى ، فتلقاه جمع من العامة – يقصد أهل السنة – كالحسن البصري والشبلي ومعروف – يقصد الكرخي – وطاووس والزهري وجنيد ونحوهم . . . بحيث ما أبقوا حجرًا من أساس الدين . . . »**[١] .

مع أن من هؤلاء الذين ذكرهم السيد شهاب الدين النجفي من أئمة أهل السنة .

* * *



---

(١) وللمؤلف بحث بعنوان « موقف علماء الشيعة من الصوفية وموقف أئمة التصوف من التشيع » يسر الله إتمامه .

المبحث الرابع

تكفير كثير من الشيعة لأهل السنة بوجه عام والحكم بنجاستهم وعدم جواز تغسيل ميتهم أو الصلاة عليه ، وبطلان عبادتهم

يقول آيتهم العظمى محسن الحكيم : « وكيف كان فالاستدلال على النجاسة ... وأخرى بالنصوص المتجاوزة حد الاستفاضة ، بل قيل : إنها متواترة ، المتضمنة كفرهم »[(١)] . ويقول آيتهم العظمى أبو القاسم الخوئي : « يمكن أن يستدل على نجاسة المخالفين بوجوه ثلاثة : ذكر منها :

الأول : ما ورد في الروايات الكثيرة البالغة حد الاستفاضة من أن المخالف لهم كافر . . . والأخبار الواردة بهذا المضمون من الكثرة بمكان »[(٢)] .

ويقول في « مصباح الفقاهة » : « وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية »[(٣)] . وهذا ما أكده آيتهم العظمى الخميني عندما قال بنجاستهم وكفرهم ـ يقصد نجاسة أهل السنة وكفرهم ـ : « الروايات دلّت على كفرهم ، كموثقة الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (ع) . . . . » .

ومن قبلهم ذهب مرجعهم محمد الحسن النجفي إلى هذا في أكثر من موضع من موسوعته « جواهر الكلام » التي بلغت (٤٣ مجلدًا) ، أكتفي بما ذكره في ٦٢/١٢ بقوله : « لا يخفى على الخبير الماهر ، الواقف على ما تضافرت به النصوص ، بل تواترت من وجوب لعنهم وسبهم وشتمهم وكفرهم – يقصد المخالفين ، ومنهم أهل السنة (النواصب في زعمه) – وأنهم مجوس هذه الأمة ،

---

(١) محسن الحكيم ، مستمسك العروة الوثقى ، ٣٩٢/١ .

(٢) أبو القاسم الخوئي ، كتاب الطهارة ، ٨٤/٢ .

(٣) أبو القاسم الخوئي ، مصباح الفقاهة ، ٣٢٣/١ .

وأشرّ من النصارى وأنجس من الكلاب »[١] .

وبالتالي فإن كان أهل السنة كفارًا في معتقدهم فمن باب أولى تجوز غيبتهم حسب تصريح آيتهم العظمى أبي القاسم الخوئي في محاولة يائسة لتحريف قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحجرات : ١٢] قال : إن المستفاد من الآية والروايات هو تحريم غيبة الأخ المؤمن – (يقصد الشيعي الإمامي) بينما غيره يطلق عليه لفظ المسلم أو المخالف – ومن البديهي أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين ، وهذا هو المراد أيضًا من مطلقات أخبار الغيبة »[٢] .

وهذا ما أكده إمامهم وآيتهم العظمى مؤسس دولتهم الحديثة الخميني في تفسيره للآية نفسها بقوله : « وما اشتملت على الأخ لا تشملهم أيضًا لعدم الأخوة بيننا وبينهم ، بل وجوب البراءة منهم ومن مذهبهم ومن أئمتهم ، كما تدل عليه الأخبار واقتضته أصول المذهب . . فإنها في مقام تفسيرها اعتبرت الأخوة فيها ، فغيرنا ليسوا بإخواننا وإن كانوا مسلمين »[٣] .

ولذلك قالوا صراحة بجواز قتل أهل السنة وأخذ أموالهم ، يقول محدثهم يوسف البحراني : « **الصريح من الأخبار لاستفاضتها وتكاثرها كفر المخالف وحل ماله ودمه ، بما لا تحوم حوله شبهة النقص والإبرام في كتاب « الشهاب الثاقب » ، والقول بالكفر هو المشهور بين الأصحاب من علمائنا المتقدمين** »[٤] .

---

(١) محمد الحسن النجفي ، جواهر الكلام ، ١٢ / ٦٢ .

(٢) أبو القاسم الخوئي . المصدر السابق ، ص٣٢٤ .

(٣) الخميني . المكاسب المحرمة ، ١/٢٥٠-٢٥١ .

(٤) يوسف البحراني ، الحدائق الناضرة ، ٣/٤٠٥ .

وينتهي في المجلد العاشر من كتابه « الحدائق الناضرة » إلى : « **إن ما دلت عليه الأخبار ، وصرح به أولئك العلماء الأبرار أنه لو أمكن لأحد اغتيال شيء من نفوس هؤلاء وأموالهم ، من غير استلزامه لضرر عليه أو على أحد إخوانه ، جاز له فيما بينه وبين الله تعالى** »[1] . وهذا شبيه بموقف اليهود من غيرهم كما يقول التلمود !!

وقد ترتب على قولهم بكفر أهل السنة ألا يُغَسَّل ميتهم ، ولا يُصَلَّى عليه ، إلا أن تدعو إلى ذلك ضرورة – من جهة التقية – يقول شيخهم المفيد (ت ٤١٣هـ) : « لا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسل مخالفًا للحق في الولاية ، ولا يصلي عليه إلا أن تدعوه ضرورة إلى ذلك من جهة التقية ، فيغسله تغسيل أهل الخلاف ، ولا يترك معه جريدة ، وإذا صلى عليه لعنه في صلاته ولم يدع له »[2] .

وإذا اضطر للصلاة على السني – المخالف – فإنه يلعنه في التكبيرة الرابعة بما ذكره ابن بابويه القمي : « اللهم أخْزِ عبدك وابن عبدك هذا ، اللهم أصْلِه نارك ، اللهم أذقه أليم عقابك وشديد عقوبتك ، وأورده نارًا ، واملأ جوفه نارًا ، وضيّق عليه لحده ؛ فإنه كان معاديًا لأوليائك ومواليًا لأعدائك ، اللهم لا تخفف عنه العذاب ، واصبب عليه العذاب صبًّا »[3] .

فإذا رفعت الجنازة فإنه يدعو عليه بقوله : « اللهم لا ترفعه ولا تزكه » .

سبحان الله العظيم . . هذه ليست أحاديث موضوعة أو ضعيفة يتحججون بإنكارها عند النقاش وإقامة الحجة ، ولكنها فتاوى وتقريرات كثير من مراجع المذهب الشيعي الاثني عشرية من علماء وآيات ، والتي تؤصل لثقافة الحقد والكراهية في نفوس أتباعهم ، والتي تجد متنفسًا لترجمتها عمليًّا من قتل وتشريد

(١) المصدر السابق ، ١٠/٣٦٠ .

(٢) المفيد . المقنعة ، ص ٨٥ .

(٣) علي بن بابويه القمي ، فقه الرضا ، ص١٧٨ .

وتنكيل بالمخالفين عندما تسنح لهم أدنى فرصة ، وما يحدث لأهل السنة في إيران والأحواز العربية المحتلة والعراق ليس عنا ببعيد !!

لماذا يكرهوننا ؟

ما كدتُ أطوي صفحة هذا الفصل حتى بادرني أحد المحبين المتابعين لسطوره المليئة بالنصوص المسيئة لمصر وأهلها وعلمائها ... بسؤاله : **لماذا يكرهوننا ؟ هل هو إرث التنافس الحضاري بين الفارسية والمصرية القديمة؟ أم الحقد على مصر لموقعها الاستراتيجي الذي جعلها منذ فجر التاريخ محط الأنظار ، وأرض الملاحم والرباط إلى يوم القيامة لتجاورها مع الأرض المباركة ؟ أم لأن الله تعالى قد كرمها بذكرها في القرآن الكريم عن غيرها تصريحًا وتلميحًا في أكثر من موضع كما أشرت من قبل ؟ أو لأنها وصية النبي ﷺ للمسلمين؟ وربما لمواقفها القوية من المشروع الشيعي منذ أن وضع ابن سبأ بذرته الخبيثة في جسد الأمة والتي نمت وترعرعت في ظل الدولتين الشيعيتين البويهية والعبيدية (الفاطمية) ؟ أو ...**

فقاطعته مهدئًا من روعه قائلًا : قد يكون كل ما ذكرته صحيحًا ، بالإضافة إلى ذلك الميراث الآسن من العقد المحملة بها النفسيةُ الفارسيةُ التي انحرفت بالتشيع من مفهومه السياسي المنحصر في قضية الأولوية أو الأفضلية في خلافة المسلمين بين علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، رضي الله عنهما ، إلى مفهومه الديني العقائدي باختراعهم نظرية الإمامة الإلهية بدعوى النص الإلهي على أفرادها وما تبع ذلك من القول بالعلم الإلهي والولاية التكوينية للأئمة[١] ، وغير ذلك من عقائد

---

(١) الولاية التكوينية للأئمة حسب التعريف الشيعي الاثني عشري لها معنيان : « الأول : القدرة على فعل المعجزات أو التصرف في الطبيعة والكون قدرة ملازمة أو ليستخدمها متى شاء بحجة أن الله أعطاه هذه القدرة ، وأن هذه القدرة قد تكون دون توسط المولي » العاملي ، الولاية التكوينية ، ص ٢٢ - ٢٣ =

الغلاة التي أصبحت فيما بعد من ضرورات ومقررات المذهب الاثني عشري حسب تصريح كبار علمائهم[١] ، فكل تلك العقائد ولدت عقدًا مثل : عقد الشعور الدائم بالاضطهاد والمظلومية الموشحة بالسواد الذي أصبح شعارهم متعديا ملابسهم وآدابهم وفنونهم إلى مسحة البؤس والحزن وروح الانتقام التي تسربت إلى داخل النفسية الشيعية بشكل عام ونتيجة لذلك تأصلت فيها عقد : الشك ، والتوجس ، والخوف الدائم الذي دفعهم إلى الغدر المستلزم للمراوغة والخداع مع استمرار الدجل والكذب ، كل هذا أنتج عندهم عقدة العدوان والانتقام من المخالفين[٢] .

ولمنهجة حالات الاحتقان هذه وتثويرها بشكل دائم داخل النفسية الشيعية اخترعت الجمعية السرية التي تدير دولة الآيات في مراحلها وأطوارها التاريخية المختلفة عدة أشكال من الطقوس والأدعية والزيارات للقبور والمراقد التي أضفوا عليها القداسة ، ووضعوا الأحاديث في فضل البكاء والتباكي على الحسين ، رضي الله عنه ، لاحظ هنا أنهم لم يظهروا هذا الجزع على أبيه – علي – ولا على غيره من شهداء أهل البيت ، رضي الله عنهم ؟!

ولإبقاء جذوة عقد الشعور بالظلم والاضطهاد مستقرة في القلوب ، أنشأوا الحسينيات وأقاموا الاحتفالات الدورية ، ونتيجة طبيعية لهذه النفسية الكارهة لكل من حولها أن تنتج هذا الموروث الثقافي الأسود ، وتنجح في وضعه على لسان

والمعنى الثاني : « أن الولاية التكوينية تعني « الوساطة في الفيض » ، أو بمعنى أن الإمام قلب الكون ومحوره الذي ترتبط جميع أجزاء الكون به كارتباط أعضاء جسم الإنسان بقلبه ، أو بمعنى أن الإمام بالنسبة للكون كالروح بالنسبة للبدن ، فهو المنسق لأفعال أجزاء الكون ، كما أن الروح منسقة لأفعال أعضاء البدن ... » خالد بن محمد البديوي ، أعلام التصحيح ، ص ٩٥ .

(١) انظر : عبد الله الممقاني ، تنقيح المقال في أحوال الرجال ، ٣/ ٢٤٠ .

(٢) انظر : د . طه الدليمي ، التشيع عقيدة دينية أم عقدة نفسية ، مركز التنوير للدراسات الإنسانية .

الأئمة من آل البيت لتجد قبولًا ورواجًا لدى المغفلين من الأتباع ، وفي الأعم الأغلب تنسبه للإمام جعفر الصادق الذي يعلن رَحِمَهُ اللهُ براءته مما ينسبونه إليه بقوله : « إن ممن ينتحل هذا الأمر ـ التشيع ـ ليكذب علينا حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه »[(١)] ، ويقول : « لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا ، وما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع ، ولو قام قائمنا لبدأ بكذابي الشيعة فيقتلهم »[(٢)] . فإن فعلوا هذا مع من يعتقدون عصمتهم وعلمهم الإلهي ، فما بالك بمن هم دونهم؟!!

وفي الفصل التالي سيتجلى لك – بإذن الله تعالى – أثر تلك العقائد في سياسة دولهم ، وبخاصة عندما حكم الشيعة مصر .

* * *

(١) الكليني . الكافي ، كتاب الروضة ، ح رقم ٣٦٢ .

(٢) الخوئي ، معجم الرجال ، ١٦٨١ / عن الكشي . ترجمة بن أبي زينب الأسدي .

الفصل الثالث

عندما حكم الشيعة مصر

انحرافات . جرائم . مظالم

المبحث الأول : الدولة العبيدية « الفاطمية » في مصر

المبحث الثاني : أساليب ووسائل الشيعة في بث مذهبهم

المبحث الثالث : انحرافات الشيعة الإمامية والإسماعيلية العقائدية

المبحث الرابع : جرائم الشيعة الاجتماعية ومظالمهم الاقتصادية للمصريين .


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

المبحث الأول

الدولة العبيدية (الفاطمية) في مصر

(٣٥٨هـ / ٩٦٩م - ٥٦٧هـ / ١١٧١م)

تعد الشيعة الإسماعيلية التي زعمت الانتساب الفاطمي[(١)] إحدى روافد الرافضة الإمامية التي خرجت من عباءتها الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أيضا .

وقد افترقت الإسماعيلية عن الخط العام للإمامية سنة (١٤٨هـ) بعد وفاة إمامهم السادس جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ .

وكدأب فرق الشيعة يتم افتراقهم الدائم عند موت كل إمام لهم ، وما ذلك إلا لعدم وجود أصول عقدية يبنى عليها المذهب سوى اعتقادهم في الإمام والإمامة ، وإنما نشأت عقائدهم بشكل تراكمي فكان لكل عصر من عصورهم عقائده المتأثرة بالاتجاهات العلمية السائدة في ذلك العصر[(٢)] .

ودائما ما يبدأ الافتراق بينهم عبر فريق يدعي غيبة ذلك الإمام (المتوفى) وأنه لم يمت وسيرجع ، ويعيش ذلك الفريق على هذا الأمل ، وآخر يترك التشيع بالكلية لإدراكه تهافت الدعوى التي قام عليها مذهب الإمامية ، وثالث يتنافس أتباعه في تنصيب أحد أبناء إمامهم ، أو إخوانه فينشطر المذهب إلى عدة فرق ، ومن ضمن هؤلاء افترقت الإسماعيلية بقولها بإمامة إسماعيل بن جعفر وابنه محمد بن إسماعيل من بعده ، في الوقت الذي قالت فيه الاثنا عشرية فيما بعد بإمامة موسى الكاظم أخيه

---

(١) يقول الدكتور عبد الله السلومي : « إن التستر في الولاء لآل بيت الرسول ﷺ وسيلة لتحقق لهم غرضين في آن واحد :

- الإمعان في التستر والحماية على مواقفهم وعدم تعرضهم للاتهام والانتقام .
- الإساءة لآل البيت من خلال إضفاء صفات عليهم لا يقرها الشرع » . الغلو والفرق الغالية ، ص١٦٤ .

(٢) علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ٢/٢١٨ .

الأصغر ، وتسلسلت الإمامة عندهم حتى محمد بن الحسن العسكري المختبئ بالسرداب – في زعمهم – منذ عام (٢٦٠هـ) ، ولم يخرج إلى الآن ، بينما توقفت الإمامة عند الإسماعيلية حتى إمامهم السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر ، ولذلك سموا بالإسماعيلية ، ومن ثم انتقلت بعد ذلك إلى مَنْ يدّعون أنهم أبناؤه على تجاوز منهم في بعض مراحلهم حيث وافقوا الاثني عشرية فيما خالفوهم فيه من قبل من اعتراضهم على انتقال الإمامة إلى الإخوة بدلًا من الأعقاب ، وأقصد به من القول بإمامة موسى الكاظم بعد أخيه إسماعيل ورفض الإسماعيلية ذلك لمخالفة أصل الإمامية جميعًا في انتقال الإمامة في الأعقاب – الأبناء – ؛ لأن الإمامة عندهم لا ترجع القهقرىٰ بعد الحسن بن علي ، رضي الله عنهما .

ومثال وجه الشبه هذا : ما فعله المعز لدين الله الإسماعيلي بتغيير وصيته لابنه عبد الله بعد وفاته في حياته ، وبالنص مرة أخرى لابنه الآخر العزيز بالله ، ولم يجعلها في أبناء عبد الله[١] . وبعد وفاة المستنصر أعلن ابن عمه أبو ميمون عبد المجيد الملقب بالحافظ (٣ ربيع الأول ٥٢٦هـ) أنه الخليفة الفاطمي إمام الزمان وهو ليس من الأبناء ولا من الإخوان .

وفي العصر الحديث يعيد الأغاخان الثاني (ت١٣٠٢هـ) ما فعله المعز مع ولده بالنص على ابنه شهاب الدين بعد وفاته في حياته بالنص مرة أخرى على أخيه محمد شاه (ت١٩٥٧م) والذي ضرب كل الأصول والقواعد بالنص منه هو الآخر على حفيده حارمًا أولاده من الإمامة[٢] .

وقد اتخذت الإسماعيلية طرق الباطنية وبخاصة الخطابية وزاد انحرافها عن انحراف الاثني عشرية التي تكفرهم – وإن تسرب كثير من عقائد الإسماعيلية

---

(١) مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص٢٢٥ ، ٢٢٧ .

(٢) جميل أبو العلا ، الباطنية وموقف الإسلام منها ، ص ٢٧-٢٨ .

إليها[١] ، وكثر دعاتها واستمرت دعوتها إلى أن قامت لهم دويلة بحضرموت باليمن (٢٢٦ - ٣٠٣هـ) وأخرى أكبر منها شأنًا وقوة بالمغرب العربي والتي عرفت تاريخيًّا باسم الفاطمية (٢٥٩ - ٥٢٤هـ) رغم عدم نسبتهم على التحقيق للسيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، ولا لأحد من أهل البيت، والأولى تسميتها بالعبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله المهدي[٢] ، ومن ثم انطلقت صوب مصر لتعيد كتابة تاريخها وتزاحم الدول الكبرى في التاريخ الإسلامي، مستغلة أخطاء الدولة الإخشيدية في مصر وحالة الانهيار الاقتصادي والاجتماعي التي شهدتها البلاد وأدت إلى تذمر أهلها، وتطلعهم إلى مَنْ يعيد الاستقرار إلى البلاد، ولو كان مخالفًا لهم في المذهب والمعتقد.

ويصف المقريزي هذا الانهيار الاقتصادي والاجتماعي بقوله : « أفرطت الشدة في سنة سبع مئة وثمان وخمسين، وهلك الضعيف من الناس، وأكلوا الميتة والجيفة، وكانوا يسقطون موتى من الجوع، وزاد الوباء وكثر الموتى ولم يلحق دفنهم ولما يحفر لهم حفرٌ وينزل فيها عدد كثير، ويردم عليهم التراب من غير صلاة ولا غسل ولا كفن، واختلفت القلوب فيها، ووقع غلاء شديد حتى بلغ الخبز كل رطل بدرهمين، والحنطة كل ويبة[٣] بدينار وسدس مصري، فلما بلغ الخبر بهذه الأحوال إلى المعز وهو بإفريقية سير جوهرًا إليها »[٤] ، ولكن قبل أن يرسل إليها جوهرًا لغزوها، غزا عقولها بالدعاة والمبلغين متسترين بمبدئهم الأصيل في دينهم (التقية) والذي ما كان لهم أن يتمكنوا من

(١) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٢-١٤.

(٢) عبيد الله المهدي المعروف بعبيد المكتئب، انظر : الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١٤٠. وهو عبيد الله الملقب بالمهدي : سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الأحوازي. وأصله من المجوس. : إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية عقائد ومذاهب، ص٨٩.

(٣) الويبة : وحدة للمكاييل المصرية وهي كيلتان، والويبة اثنان وعشرون مدًّا بمد النبي ﷺ. د. أحمد الرباعي، المعجم الاقتصادي، ص٤٨٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/ ٥٩٠.

مصر إلا من خلاله حيث المكر والخديعة - محاولين التغلغل بين مختلف فئات وطبقات الشعب المصري ، كل بما يناسبه ، ضاربين على الوتر الحساس للمصريين في ذلك الوقت من أنه لن يسود العدل ويعم الرخاء إلا على يد إمام من نسل رسول الله ﷺ .

يقول المقريزي : « وكانت بمصر للمعز لدين الله دعاة استدعوا خلقًا في البلد ، وكانوا يقولون : إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الأسود ، يعنون كافور الإخشيدي »(١) .

ويعتبر « فيروز » من كبار دعاتهم ، وكذلك صهره أبو علي أول من أنشأ للفاطميين مدرسة في مصر لنشر المذهب الشيعي والدعوة إليه ، ومن بعده ابنه محمد أبو الحسين الذي بلغ أعلى مراتب الدعوة ، وأما الداعي أبو جعفر بن نصر فقد اتخذ من بيته مجمعًا للعلماء والعظماء ، فكانت لجهود هؤلاء الأثر البالغ في نشر بعض تعاليم المذهب ؛ تمهيدًا لانتقال العبيديين من المغرب إلى مصر .

ويذكر المقريزي أنه « ما زال أمر الشيعة يقوى بمصر إلى أن دخلت سنة خمسين وثلاث مائة ، ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذِكْر السلف - سب السلف والنوح - قتل فيها جماعة من الفريقين وتعصب السودان على الرعية فكانوا إذا لقوا أحدًا قالوا له : من خالك؟ فإن لم يقل معاوية بطشوا به وشتموه ، ثم كثر القول : معاوية خال علي »(٢) ، ومن وقتها اتخذه المصريون شعارًا في مواجهة المد الشيعي : « معاوية خالي وخال المؤمنين » ، وكاتب الوحي ، ورديف رسول الله ﷺ « وأحيانًا » معاوية خال علي من ها هنا »(٣) - لا يقصدون بذلك تفضيل معاوية على ، علي رضي الله عنهما ،

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/١٠٢ .

(٢) المقريزي ، الخطط ٢/٣٣٩-٣٤٠ .

(٣) المصدر السابق .

وقد مر بك موقفهم من أبنائه من رجال أهل البيت ونسائه . ومن ذلك : أنه في عهد كافور الإخشيدي وردت الأخبار بنهب بني حسن الطالبيين - الشيعة - بمكة للحُجاج المصريين ، مما دفع المصريين إلى التظاهر عند كافور الإخشيدي صائحين « معاوية خال علي وحثوه على نصرة الحُجاج على الطالبيين الشيعة »[١] .

لم يقتصر العُبيديون (الفاطميون) على الدعاة فقط ، وإنما استخدموا وسائل أخرى للتعبئة النفسية والمعنوية التي تساعد على نشر المذهب في مصر مثل : توزيع دينار المعز ، وضرب العملات التذكارية وتوزيعها على المصريين ترغيبًا لهم في اعتناق المذهب ، وكذلك صناعة المنسوجات التي تحمل اسم المعز والتي تحمل عبارات التوحيد والرسالة المحمدية ، وإعلان نسب الفاطميين[٢] ، الأمر الذي انخدع به المصريون الوطنيون فضلًا عن العرب منهم ، وبخاصة القرشيون الذين استوطنوا الصعيد لحماية ثغوره من الحملات الخارجية ، وذلك على أمل استعادة مكانتهم التي تعمد العباسيون الحط منها وإهمالها وإبعادهم عن أنظمة الحكم لحساب الأتراك ، ومما زاد الطين بلة وزاد من حنقهم على الدولة العباسية قرار الخليفة العباسي المعتصم سنة ٢١٨هـ بإسقاط العرب من الديوان وحرمانهم من العطاء واستبدالهم بالجند من الأتراك والموالي[٣] . وبذلك كان العُبيديون (الفاطميون) الشيعة أول من أقاموا للدعاية مناصب رسمية في دولتهم[٤] .

وهكذا كانت الأرض ممهدة والأجواء صالحة لقبول الوجود العُبيدي

---

(١) المصدر السابق .

(٢) نجوى كيره ، حياة العامة في مصر ، ص ٣٨١ . هذا الكتاب من الدراسات الجادة والمتميزة التي فتحت لي آفاقا متعددة لدراسة الدولة العبيدية .

(٣) المقريزي ، الخطط ، ٧٣/١ ، والجدير بالذكر هنا أن آخر والي عربي على مصر هو عنبسة بن إسحاق الضبي (٢٣٨-٢٤٢هـ) ، وأول والي تركي هو : يزيد بن عبد الله (٢٤٢-٢٥٣هـ) .

(٤) عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، ٢ / ١٨٣ .

(الفاطمي) بها لا رغبة في المذهب ولكن أملًا في التخلص من الانهيار الاقتصادي والاجتماعي الذي حل بالبلاد . ودخل جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٠٨م وأقام الخطبة للمعز وأمر المؤذنين بإضافة « حي على خير العمل » في الأذان ، وكتب للمصريين عهدًا بالأمان. ثم بدأ في إنشاء القاهرة كحاضرة للدولة ومقرًا لها ولأنصارها ودعاة مذهبها ، وبني الجامع الأزهر فيها والذي كان يطلق عليه جامع القاهرة ليكون جامعة يتخرج منها الدعاة لنشر المذهب الشيعي بين طبقات الشعب المصري في مقابل الجامع العتيق – جامع عمرو بن العاص – في الفسطاط والجامع الطولوني في القطائع .

ولما أحس المصريون بالخديعة حاولوا الانقضاض على الفاطميين الذين لجأوا إلى المكر والخديعة مرة ثانية باستصدار فتوى من القاضي نظرًا لاحترام المصريين لمكانته ، على هيئة سؤال هذا نصه : « ما تقول يا قاضي في هذه المسألة؟ فقال : ما هي؟ فقالوا : ما تقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضي إلى الجهاد لقتال الروم فمنع أليس له قتالهم؟ فقال لهم القاضي : نعم ، فقالوا : وحلال قتالهم؟ قال : نعم[(١)] .

وأوهمهم بأنه ما أتى إلا لرفع راية الجهاد ضد الروم ، والتي لم ترفعها الدولة طول عهدها ، بل تحالفت مع الروم الصليبيين ضد المسلمين .

ومن بعدها سعى جوهر إلى كسب ود المصريين من خلال توزيع الصدقات والأموال ، إلى أن هُيئ المناخ تمامًا لاستقبال المعز لدين الله الفاطمي الذي دخل مصر عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م بصحبة القبائل المغربية بقيادة قبيلة كتامة بالإضافة إلى العبيد الذين جاء بهم من إفريقيا ، وأعد لهم جوهر استقبالًا فخمًا ، وأكمل المعز ما بدأه جوهر بمخاطبة مشاعر المصريين يومئذ ووعدهم بحماية الحجاج وتوفير الأمن والأمان لهم من بطش بني حسن الطالبيين الشيعة في مكة ، وعدم السماح لهم بتعطيل الحج بسببهم مرة ثانية ، وأكد لهم أنه لم يرد بدخوله مصر زيادة في الملك

(١) المقريزي ، الخطط ، ١/١٠٧ .

ولا في المال ، وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد .

ولما استتب له الأمر ، ودانت له البلاد أراد أن يشيع جوًّا من الرهبة حتى يهابه المصريون ولا يفكرون في القيام ضد دولته ، فعمل على قتل العلماء الذين يحرضون على الفاطميين ويظهرون فساد عقيدتهم للناس ، ومنهم العالم الزاهد أبو بكر النابلسي الذي جاء به مقيدًا ، ولما ناقشه وتبين له صحة ما قاله أمر بإشهاره وضربه وسلخه ، يقول ابن كثير : جيء بيهودي فأخذ يسلخه وهو صابر محتسب يتلو القرآن الكريم حتى رق له اليهودي فطعنه بسكين حتى يرحمه من العذاب(١) .

فكان هذا إيذانًا ببداية عصر جديد ومرحلة تاريخية هامة في تاريخ المصريين والشيعة العبيديين على حد سواء ، بل وفى التاريخ الإسلامي بشكل عام حيث قامت دولة تنافس الدولة العباسية وتحاول أن تسيطر على أقاليمها منطلقة من مصر حيث موقعها الاستراتيجي ووفرة إمكاناتها المادية ، فتعاقب عليها الحكام العبيديون في مرحلتين يمكن تسمية المرحلة الأولى بالدولة الفاطمية الأولى (٣٥٨هـ - ٤٦٥هـ) والتي انتهت بانتهاء الشدة المستنصرية ، لتبدأ المرحلة الثانية للدولة (٤٦٦هـ - ٥٦٧هـ) وفيها تسلم قيادة الدولة الوزراء العسكريون - وزراء السيف - وانتقلت الوزارة من وزارة تنفيذ إلى وزارة تفويض حيث اتسم خلفاؤها بالضعف مما اضطرهم إلى تعيين وزراء من السنة تارة أو الاستعانة بالصليبيين تارة أخرى لحماية ملكهم .

ليس المقصود هنا سرد تاريخ الدولة الفاطمية وبيان أصول مذهبها الشيعي وأحوال حكامها بقدر إظهار أساليبها في الدعوة إلى مذهبها ، مع ما خلفه ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية وفكرية سيئة على المجتمع المصري ، ومع بيان موقف المصريين منها لنعي الدرس من حقائق التاريخ .

* * *

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٨٤/١١ .

المبحث الثاني

أساليب ووسائل الشيعة في بث مذهبهم

تراوحت أساليب الشيعة في نشر مذهبهم والتمكين لدولتهم بين الترغيب بذهب المعز تارة ، والترهيب بسيفه تارة أخرى ، بيدَ أنه في غالب الأحوال لم يعمد الفاطميون إلى نشر مذهبهم في مصر بالقوة سوى فترات محدودة من تاريخ دولتهم ، وذلك بعد فشل هذا الأسلوب (القوة) في المغرب العربي ، ولذلك تنوعت وتعددت الوسائل والأساليب الناعمة للدعوة في مراحل الدولة المختلفة ، و التي يمكن تقسيمها على النحو الآتي :

أ – **مرحلة التهيئة** : وقد سبقت الإشارة إلى ما قام به الدعاة من تهيئة النفوس وتمهيد البلاد لاستقبال جيش الفاطميين بقيادة جوهر الصقلي وما قام به من خداع للمصريين ؛ بإيهامهم أن حرية الاعتقاد مكفولة لهم ، وأن أهل السنة لن يضيق عليهم أو تمارس عليهم ضغوط مذهبية لتحويلهم إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي .

ب – **مرحلة تأسيس الدولة** : لم يقتصر على هذا بل عمل على إحلال الشيعة محل المصريين السنة في المناصب المهمة بالدولة ، مع العمل على محو كل آثار المذهب السني على خلاف ما تعهد به في عهد أمانه للمصريين ، مما دفع قلة من المصريين إلى التظاهر باعتناق المذهب الشيعي الإسماعيلي رغبة منهم في الاحتفاظ بمناصبهم ، كما دفع الأمر نفسه بعض الذميين إلى اعتناق ذلك المذهب بعد دخولهم الإسلام لنفس الغرض ، بمعنى أن هذا المذهب لم يتمكن من قلوبهم ، إنما كان إظهارهم لاعتناقه تحقيقًا لمآرب شخصية[١] .

ج – **مرحلة استقرار الدولة وانطلاق الدعوة** : يمكن تقسيم هذه المرحلة إلى

---

(١) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ٣/٤٣٤ .

مرحلتين : مرحلة الاستقرار التي لم تدم طويلًا ، والاضطراب والانهيار ، وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية الدولة الفاطمية ، وقد تنوعت فيهما وتعددت أساليب الشيعة في الدعوة لمذهبهم ، حيث لم يأل دعاة الشيعة جهدًا في محاولة اجتذاب المصريين بكل الطرق الممكنة مثل :

أولًا : استغلال سلطان الفكر بما له من تأثير في النفوس للدعاية لمذهبهم من خلال أسلوبين :

أ - المساجد :

ركز الشيعة الفاطميون ابتداءً على المساجد السنية الكبيرة والتي زاحموا فيها الدروس السنية بتدريس المذهب الشيعي جنبًا إلى جنب ، فكان جامع عمرو بن العاص من أشهر مراكز الحياة العقلية في مصر خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ، وكانت تعقد فيه الحلقات العلمية بصورة دورية ومنتظمة ، وكانت أهمها تلك التي تعقد عصر يوم الجمعة حيث يفد إلى الجامع الكثير من الفقهاء ورجال التفسير والحديث وعلماء الأدب واللغة ، وقد حازت العلوم الدينية المكانة الأولى في التدريس في هذا الجامع حيث درست المذاهب السنية ، ثم أصبح هناك مجال لتدريس المذهب الشيعي ، كما صرح بذلك المقريزي . أي لم يكتف الفاطميون بمزاحمة أهل السنة في مساجدهم بل أنشئوا مساجد خاصة بهم لترويج مذهبهم بين المصريين ، مثل :

١ـ الجامع الأزهر : والذي كان يعرف بجامع القاهرة ، وقد بناه جوهر الصقلي (٣٦١هـ/٩٧١م) في أثناء بنائه للقاهرة على غرار المسجد الطولوني بالقطائع ، وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ليكون مدرسة لتخريج الدعاة لنشر المذهب الشيعي بين فئات الشعب المصري[١] ؛ ولذلك اهتم به الحكام الفاطميون وشجعوا

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٣٨/٢ .

العلماء والفقهاء على الجلوس فيه ، فكان مقرًّا لقاضى القضاة ، وداعي الدعاة والمحتسب[١] ، يمارسون فيه اختصاصات مناصبهم .

ولترسيخ هويته المذهبية عُقد فيه أول احتفال بعيد النصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م ، وبعد ثلاث سنوات ونصف السنة من افتتاحه في أواخر حكم المعز سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م ألقى قاضى القضاة علي بن أبي حنيفة من بني النعمان القيرواني أول الدروس على جمهور الحاضرين في مبادئ الفقه الشيعي حيث أملى عليهم محتوى كتابه « الاختصار » ، ثم تتابعت حلقات تدريس المذهب الشيعي عدا بعض الفلتات التي سمحوا فيها لبعض علماء أهل السنة بتدريس علوم اللغة العربية لبعض الوقت .

وبوجه عام يلاحظ أن الدروس في الجامع الأزهر قد اقتصرت على توضيح المبادئ العامة للفقه الشيعي بجانب الدروس اللغوية والأدبية ، لينتخب المتميزون من الطلبة ليلتحقوا بدار الحكمة لتلقي أصول المذهب بشكل أكثر عمقًا وأكثر تخصصًا ، في الوقت الذي اهتم فيه داعي الدعاة الشيعي بعقد المجالس الخاصة للنساء لتفقيههن وتلقينهن مبادئ الفقه الشيعي ، وبذلك ظل الجامع الأزهر لمدة أربعين عامًا متصلة يقوم بدوره في نشر المذهب الشيعي .

كما أنشأ المعز لدين الله مسجدًا على النيل خارج القاهرة سماه بجامع المعز[٢] ، وينسب للسيدة تغريد زوجة المعز أم العزيز بالله بناء جامع القرافة والذي عرف بجامع الأولياء أو مسجد القبة[٣] ، أما العزيز بالله فقد وضع أساس مسجده ومات دون أن يتمه فأكمله الحاكم وتسمى باسمه بعد أن كان اسمه جامع الأنور[٤] .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ٢/٣٩٠-٣٩١ .

(٢) ناصر خسرو ، سفر نامَهْ ، ص٥١ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤/٨ .

(٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢/١٣٩ .

٢ - **جامع الحاكم** : ويأتي في المرتبة الثانية من حيث المساحة (١٤٠٠٠متر مربع) بعد المسجد الطولوني بالقطائع ، ومن بعده بنى الحاكم في جنوبي الفسطاط جامع راشدة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م) ، كما بنى جامع المقس (٣٩٣هـ) ، وينسب إليه بناء ثلاثة مساجد معلقة وجامع بالإسكندرية أمر ببنائه سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م)(١) .

٣ - **مسجد الوزير يعقوب بن كلَّس** : الذي شيده في قصره وعين له الأئمة والقراء ، وحرص على عقد حلقات أسبوعية لتدريس المذهب الشيعي (الإسماعيلي) من خلال درسه الأسبوعي الذي يحضره الفقهاء والقضاة والأدباء ، بالإضافة إلى درسه الآخر في جامع عمرو بالفسطاط(٢) .

٤ - **مساجد أخرى** : وفي عهد الحافظ لدين الله أنشأ مشهد النور الذي دفنت فيه الشريفة مريم بنت عبد الله بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي بن طباطبا ، وكذلك مشهد السيدة رقية ، ومشاهد ومساجد أخرى في الجيزة ، وفي مدينة المحلة الكبرى (مسجد الغمري) ، أما في الصعيد فقد أنشئوا مساجد في أسوان وقوص وإسنا ، ومنها الجامع العتيق بسوهاج (محرم ٥٣٩هـ/١٠٣٧م) لعل من آخرها الجامع الأفخر الذي بناه الظافر في القاهرة بعد وفاة الحافظ لدين الله لتتكامل منظومة نشر مبادئ المذهب من خلال تلك المساجد ، ولإعطائها المكانة المتميزة حرص الخلفاء على صلاة الجمعة والأعياد فيها ، وبخاصة جامع الحاكم وراشدة .

ب - المعاهد العلمية والمكتبات :

لم يقتصر أسلوب العبيديين (الفاطميين) في نشر مذهبهم على المساجد فقط والتي كانت بمثابة مراكز للتجمع وتعليم مبادئ المذهب واستكشاف وانتقاء أفضل العناصر لدفعهم إلى المرحلة الثانية حيث التأصيل العلمي والمنهجي وفقه أصول

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥٤/٤ .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ٣٤١/٢ ، ٣٦٣ .

المذهب الشيعي الإسماعيلي ، فأنشئوا لذلك دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله (٣٨٦هـ - ٤١١هـ/ ٩٩٦ - ١٠٢١م) كأحد المعاهد العلمية المتخصصة تحت إشراف قاضى القضاة وداعي الدعاة وخصصوا بها ثماني عشرة قاعة للدرس ، وألحقوا بها مكتبة دار العلم ورصدوا لها الأوقاف الغنية للصرف على العاملين فيها وتوفير الأوراق والأقلام ونحوها ، وبذلك أصبحت من أهم مراكز الدعوة في العصر الفاطمي ، حيث يجتمع فيها داعي الدعاة بالدعاة لتنظيم أمور الدعوة ونشر المذهب الشيعي بين المصريين ، ومنها تخرج الفتوى الرسمية ، ولعظم مكانتها ومهمتها دفن فيها أعظم فلاسفة المذهب الشيعي الإسماعيلي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي (ت ٤٧٠هـ) ، ومنها تخرج عدد من الدعاة الإسماعيليين الذين نقلوا المذهب إلى فارس واليمن ، ولذلك ضمت المكتبة عددًا وافرًا من الكتب الفلسفية والطبيعية التي يقوم عليها المذهب بالإضافة إلى كتب المذهب الخاصة التي لا تباح للعامة .

وخِداعًا للدارسين وجذبًا لكبار علماء أهل السنة جعلوا الدراسة فيها ابتداءً للمذهبين السني والشيعي ، ثم ما لبثوا أن أبعدوا علماء أهل السنة عنها وقتلوا البعض الآخر[١] ، واستمرت في أداء مهمتها إلى أن أغلقها الأفضل بن بدر الدين سنة ٥١٣هـ/١١٠٩م لبثها المبادئ التي تنادي بألوهية الحاكم بأمر الله ، ولكنها فتحت أبوابها للطلاب مرة ثانية ولكن بشروط قللت من دورها السابق وعين عليها داعي الدعاة حسن بن آدم ، ومع زيادة الانقسام الإسماعيلي ، وزيادة نفوذ الوزراء المناوئين للمذهب تقلص دورها ونشاطها إلى أن هدمها صلاح الدين الأيوبي ليبني على أنقاضها مدرسة للشافعية في إطار سلسلة الإجراءات التي اتخذها لإعادة مصر مرة أخرى إلى المذهب السني ، ومحو كل أثر للتشيع .

---

(١) محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجامع الأزهر ، ص٥٢ .

ثانيا : القضاء :

كان القضاء أحد أساليب الدعوة غير المباشرة للمذهب الشيعي ، فعلى الرغم من أن عهد الأمان الذي أبرمه جوهر الصقلي مع المصريين كان يقضى بأن يكون القضاء وفق المذاهب السنية ، فإنه تحايل عليه أولًا بإلزام القاضي السني بالحكم وفق عقائد المذهب الشيعي (الإسماعيلي) ، ثم انتقل إلى الخطوة الثانية بإشراك القاضى الشيعي (عبدالعزيز بن النعمان) للنظر في قضايا المغاربة الشيعة ، ثم شيئًا فشيئًا عزل القاضي السني ليتولى القضاء قضاة من المذهب الشيعي .

وهكذا استمر الحال إلى أواخر الدولة العُبيدية (الفاطمية) حيث عهدوا بمنصب القضاء لبعض قضاة أهل السنة بشرط أن يصدروا أحكامهم طبقًا للمذهب الشيعي ، ولضمان ذلك عينوا معهم أربعة من فقهاء الشيعة ، بيدَ أنه في عهد الوزير أبي علي بن الأفضل تم كسر تلك القاعدة سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م بتعيين أربعة قضاة : اثنين من السنة واثنين من الشيعة ، وأعطى لكل فريق منهما صلاحيته في إصدار الأحكام وفق مذهبه ، ولكن سرعان ما تم قتل أبي علي بن الأفضل ليعود الأمر إلى ما كان عليه[١] .

ثالثًا : صبغ الحياة بالمظاهر الشيعية :

وتمثل ذلك في الإكثار من إقامة الاحتفالات بالمناسبات المقدسة عند الشيعة وابتداع أخرى لتسريب حالة من الانتماء والتقديس لها في الوجدان المصري .

ومن ذلك :

أ - **الاحتفال بيوم عاشوراء** : عند قبر السيدة أم كلثوم والسيدة نفيسة والذي نقل بعد ذلك إلى الجامع الأزهر شمالي المشهد الحسيني ، وقد أكثروا فيه من

(١) عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ص١٣٥-١٣٧ .

البكاء والنواح وبالغوا في إظهار الحزن ، وأسرفوا في الإنفاق على هذه المناسبة ، وإنشاد القصائد والمراثي ، وزادوا من بدعهم فيه من مهاجمة أسواق أهل السنة وإتلاف أموالهم والاعتداء عليهم ، وزيارة القبور وإطلاق البخور في هذا اليوم والزعم أنه يبرئ من العين والنظرة ، وتكحيل النساء لعيونهم وتخضيب أيديهم بالحناء ، ومن لم تفعل ذلك فكأنها ما قامت بحق عاشوراء[١] .

ب - **عيد الغدير** : ويحتفل به الشيعة في يوم الثامن من ذي الحجة من كل عام ، وقد انتقل الاحتفال به من الدولة البويهية إلى مصر ، وأول مرة يحتفل به في مصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م بعد دخول المعز إليها .

ويذكر المقريزي أن هذا العيد عند الفاطميين أعظم من عيد النحر ؛ لكثرة ما يذبح فيه من الذبائح ويوزع فيه من اللحوم والصدقات[٢] .

ج - **ابتداء الاحتفال بالموالد** : مثل : المولد النبوي ، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحسين ، رضي الله عنهم .

وكذلك الاحتفال بمولد الخليفة الفاطمي والذي بدأ الاحتفال به في عهد الخليفة الفاطمي الآمر[٣] .

د - **الاحتفال بتنصيب ولي العهد** : وغيره من الأعياد التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، وفى هذه الاحتفالات كانت توزع الصدقات والأطعمة والحلوى ، أن أبا علي أحمد بن الأفضل قد أبطل هذه الاحتفالات عندما استقل بشؤون البلاد (٥٢٤ - ٥٢٦هـ /١١٣٠ - ١١٣١م) إرضاء للمصريين السنة ، ولكنها عادت لسابق عهدها بعد موته .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ٣٨٥/٢ ، وانظر : آدم مِتْز ، الحضارة الإسلامية ، ١١٤/٢ .

(٢) المقريزي ، المصدر السابق ، ٣٨٩/٢ .

(٣) المقريزي ، المصدر السابق ، ٣٨٤/٢ .

رابعًا : أساليب ووسائل أخرى مثل :

أ ـ تخصيص مكان في دار الخلافة يعرف بالسقيفة يجلس فيه الخليفة كل ليلة يستقبل أصحاب المظالم والشكاوى ، فإذا ما وقف مظلوم تحت السقيفة وقال بصوت عال : « لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلي ولي الله » يأمر الخليفة بإحضاره ويعهد إلى وزيره وقاضيه بحل مشكلته(١) .

ب ـ الأمر بكتابة اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت عمومًا ، وكتابة الدعاء الفاطمي بعد اسم الخليفة هكذا : « صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه ».

ج ـ توزيع القبائل المغربية الشيعية على البلاد لترويج أصول وعقائد المذهب بين أبناء المدن والقرى المصرية البعيدة عن مركز الدعوة : بعد أن سمح المعز العبيدي للقبائل المغربية التي شكلت جيش العبيديين بالسكنى حول قصر الحكم بالقاهرة ، أصبح لكل قبيلة حارة عرفت باسمها ، فمثلا قبيلة زويلة سكنت في الحارة المعروفة إلى اليوم باسمها ، وأهل برقة في الحارة البرقية بمنطقة الدراسة اليوم، ونظرًا لكبر حجم قبيلة كتامة(٢) ، ولما تمثله من قوة عسكرية جعلتها بحق عصبًا للجيش فقد اختط لها منطقة واسعة تتناسب مع عددهم بمنطقة باب الخلق ، أما القبائل الأخرى فكانت لها حارات خاصة بها داخل سور القاهرة مثل الباطلية في منطقة الباطنية الآن ، والجودية وبني سوس والشعرية بباب الشعرية الذي مازال محتفظًا بالاسم نفسه ، وفي خارج القاهرة استقرت قبيلة لواتة البربرية بالمنوفية ، وتوزعت أحلاف تلك القبيلة في مدن الدلتا وخاصة البحيرة والفيوم . أما الإسكندرية فاستقر بها العديد من المغاربة في أثناء محاولات الغزو العبيدي السابقة لاستقرارهم في مصر ، ولذلك غلبت بعض

---

(١) عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ١٢٤/٢ ، ١٢٥ .

(٢) انظر : حسن خضير ، علاقات الفاطميين مصر ودول المغرب العربي ، ص٣٤٠-٣٤١ ، نقلا عن : أحمس حسن صبحي ، الدعوة الفاطمية ، ص١٤٩-١٥٠ ، باختصار شديد .

مصطلحاتهم دليلًا على حجم انتشارهم حيث تحول اسم السوق إلى زنقة كما يسميه المغاربة ، كما انتشرت في قرى الدلتا الأسواق المغربية ، وفي الصعيد كانت مدينة قوص موئلًا للمغاربة الوافدين إلى مصر[١] .

وهو الأمر الذي مد في عمر الدعوة الباطنية بعد قضاء صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ عليها واستمرارها في بعض مدن الصعيد حتى القرن الثامن الهجري .

د - منح العلماء مرتبات شهرية مقابل إقبالهم على تعلم المذهب الشيعي ، وإجزال العطايا والمكافآت لمن يحضر مجالسهم ويستمع إلى كتبهم .

هـ - استخدم الحكام الشيعة جميع الأساليب لكسب ود المصريين من الإكثار من الصدقات ، وتوزيع الأطعمة والأكسية وأنواع الحلوى على الأغنياء والفقراء على حد سواء ، على الرغم من أن عامة المصريين لم ينلهم من خيرات بلادهم إلا الفتات ؛ فكانت الهوة بين المصريين والخلفاء والوزراء سحيقة ، والتفاوت بين الطبقتين كبيرًا ، وقد عبرت عنه إحدى المصريات عندما وقفت تحت دار الأفضل بن بدر الدين الجمالي قائلة : « يا دار فيك من كل شيء ، فمتى يرى في كل دار منك شيء »[٢] .

و - إنشاء المؤسسات الاجتماعية لكسب ود المصريين تجاه مذهبهم وسياستهم .

ز - ترويجًا للدعوة العبيدية الشيعية تحت ستار التسلية استخدم خيالُ الظل لتسلية الشعب من خلال قصص موجهة لنشر عقائد المذهب ومفاهيمه بعد أن كان حبيسًا في القصور الفاطمية فقط ، أو للترفيه عن الجنود في ثكناتهم[٣] .

* * *

(١) المرجع السابق ، ص١٥٣- ١٥٤ بتصرف .

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص٦٧ .

(٣) مختار السويفى ، خيال الظل والعرائس ، ص١٦٩-١٧٠ . نقلا عن : نجوى كيرة ، مرجع سابق .

المبحث الثالث

انحرافات الشيعة العقائدية

على الرغم من السياسة الناعمة التي انتهجها العُبيديون (الفاطميون) الشيعة لنشر مذهبهم في مصر بعد فشل تجربتهم في نشر المذهب بالقوة في بلاد المغرب ، فإن تاريخ دولتهم في مصر جللته صفحات سوداء مرصعة بالانحرافات العقدية التي خلَّفت العديد من الأزمات والنكبات الاقتصادية والانحرافات الاجتماعية ؛ كما أدت إلى ظهور الصراع بين طبقات المجتمع وتتابع الثورات على مدى التاريخ العُبيدي (الفاطمي) الذي هدد استقرار الدولة ؛ وكان سببًا في انهيارها ، وهذا لا ينفي بالطبع أن الفترة الأولى من حكم العُبيديين (الفاطميين) وبخاصة في زمن المعز لدين الله ، والعزيز بالله نعمت بالهدوء والاستقرار المجتمعي والازدهار الاقتصادي ، ولكنها كانت فترات مؤقتة عبر تاريخ الدولة ، سرعان ما تبدلت إلى محن وأزمات على الرغم من احتفائها ببعض مظاهر المدنية التي ظهرت بالقاهرة الفاطمية فقط دون سائر أقاليم القطر المصري ، وقد تمثلت في مبان فخمة من قصور ومساجد لا تعبر سوىٰ عن بعض مظاهر التمدن ، في حين كانت تلك الدولة الشيعية بمسلكها العقدي المنحرف وسلوكها السياسي ونظمها الاجتماعية المضطربة تمثل إحدى مراحل الانهيار الحضاري للدولة الإسلامية .

ولا يغرنك في ذلك دفاع بعض المؤرخين والكتاب (مثل بعض أساتذة التاريخ المتأثرين بمناهج وآراء المستشرقين أمثال بروكلمان وغيره) عن تلك الدولة وآثارها العمرانية ، أو تأويل انحرافات حكامها وبخاصة الحاكم - بأمر إبليس لا بأمر الله - الذي كان مضرب المثل في الانحراف والاضطراب العقلي ، وهو الأمر الذي دفعنا في هذا البحث إلى الاستشهاد دائمًا بأقوال المقريزي كأكثر المؤرخين تحيزًا للدولة

العبيدية (الفاطمية) لدرجة أن يعتمد على تأريخه باحثو الإسماعيلية الذين يوثقونه ويلقبونه بالمؤرخ العادل[١]، وذلك حتى لا أُتهم بالتحيز ضدها .

يؤكد هذا التعاطف الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله في ترجمة المقريزي : (كان ينشر محاسن العبيدية ويفخم شأنهم ، ويشيد بذكر مناقبهم ...)[٢] ، لكنه ـ بحق ـ كان متبعًا منهجًا علميًا سليمًا يعتمد فيه على المصادر المعاصرة لأحداث ووقائع هذه الدولة – مثل كتب ابن زولاق ، والمسبحي ، والقضاعي وغيرهم– ، بالإضافة إلى استفادته من محفوظات القصور الفاطمية ، توافق ذلك كله مع شدة حبه لمصر الذي دفعه للاهتمام بتاريخها والذي عبر عنه في مقدمة كتابه الخطط بقوله : (كانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب أترابي ... وجؤجؤي الذي رَبا جناحي في وكره ، وعش مأربي ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، ولازلت منذ شدوت العلم وآتاني ربي الفطانة والفهم ، أرغب في معرفة أخبارها وأحب الإشراف على الاغتراف من آبارها ...)[٣] .

فجاءت كتبه شاملة لمعظم أوجه الحياة المصرية : سياسيًا ، واجتماعيًا ، وفكريًا ، واقتصاديًا ، والتي ما استطاعت أن تنفك عن الإشارة إلى ما تخللها من انحرافات ومنها العقائدية موضوع هذا المبحث لكثرتها وتنوع صورها على ما سترى .

ونظرًا لاتساع الرقعة الزمنية المعبرة عن تلك الانحرافات والجرائم العقائدية التي لم تقتصر على زمن الدولة الفاطمية / العبيدية (٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ – ١١٧١م) فقط إنما امتد تأثيرها إلى يومنا هذا في أشكال مختلفة وصور متعددة

(١) أنظر : زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، الباب الرابع ، ص٤.

(٢) الشوكاني . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ص٩٦ .

(٣) المقريزي ، الخطط ، ٥-١/٦ .

يلاحظها المتابع في شكل تيارات أدبية متسترة بمذاهب الحداثة[١] ، أو ما بعدها تارة ، أو في شكل مذاهب فلسفية تارة أخرى ، حيث في الفلسفة بغيتهم ومنتهى آمالهم ، يؤكد ذلك رسالة عبد الله بن الحسن إلى قائده (سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي) التي ينصحه فيها بقوله : (إذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به ، فعلى الفلاسفة مُعوِّلنا ، وإنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء ، وعلى القول بقدم العالم)[٢] .

فلهم في كل زمان دعوة ومقالة جديدة بكل لسان[٣] .

يقول الشيعي الإسماعيلي مصطفى غالب : (من المعلوم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها على عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان فاختلفت باختلافها وتشعبت آراؤها ونظرياتها حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد أو أن تصهر في بوتقة واحدة)[٤] ، ومع ذلك يكاد أن يُجمع المؤرخون أنه في نهايات حكم العزيز بالله (٣٤٤ - ٣٨٦ هـ / ٩٥٥ - ٩٩٦م) بدأت دراسة عقائد المذهب الشيعي الإسماعيلي

---

(١) الحداثة بشكل عام مذهب فكري ونظرية ذات فلسفة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط ، وإنما تسعى إلى نبذ القديم الثابت من العقائد والشرائع والقيم ورفض السائد المألوف وكل ماهو معروف إلا الظواهر الثورية والباطنية والفلسفية ، بدأت الحداثة في العالم العربي على يد حفنة من الشيعة والبعثيين والماركسيين ، ومن أشهرهم : بدر شاكر السياب الشيعي العراقي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وجبران خليل جبران ، وخليل مطران ، ويوسف الخال ، وعلي أحمد سعيد (أدونيس) الشيعي العلوي ، و عبد الوهاب البياتي ، وأحمد الصافي النجفي ، وحسين مروة ، ومن المصريين: أمل دنقل ، وجابر عصفور ، وأحمد عبد المعطي حجازي ، و نصر حامد أبو زيد وغيرهم . انظر : حمدي عبيد ، الحداثة ، مجلة الراصد ، العدد٣٥ .

(٢) عبد القادر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٢٩٤-٢٩٥ .

(٣) الشهرستاني ، الملل والنحل،١/١٩٢.

(٤) مصطفى غالب ، مقدمة كنز الولد .

وغدا الدعاةالعبيديون(الفاطميون) يتناولونها بالبحث والدراسة حيث وفرت لهم الدولة مع امتدادها الزمني والجغرافي الفرصة السانحة لذلك والتي استمرت هذه الدراسات على ضوء تلك الأصول الأولى سواءً فيما انشق عنها باسم الدروز ، أو فيما يمثلها من الفرع الشيعي الإسماعيلي المستعلي (البوهرة) ، أو النزاري (الأغاخانية) إلى يومنا هذا . وقد قامت فلسفة الدعوة عندهم على أساس نظرية التعليم المبنية على التشكيك في العقل وأنه قابل للخطأ والصواب ، ولذا لا ينبغي الاعتماد عليه في أمر الدين الذي يتطلب اليقين ، فالعقل وحده عاجز عن معرفة الله ، ومن ثم كان من الضروري الاعتماد على مصدر آخر هو المعلم المعصوم أي الإمام الإسماعيلي[١] .

وبعيدًا عن الاستطراد في الامتداد الزمني والجغرافي لتلك العقائد ، فإنه بإجمال يمكن القول أن الشيعة الإسماعيلية كدأب الشيعة الإمامية بفرقها كانت نظرية الإمامة والوصية الإلهية هي ركن الزاوية والمحور الذي على أساسه صيغت كافة عقائدهم بدءًا من اعتقادهم في الله تعالى وقصة الخلق انتهاءً بمفهومهم للبعث والقيامة والحساب ، فلم تكن الإمامة أحد أركان الدين فحسب بل (هي الإيمان بعينه وهي أفضل الدعائم وأقواها ، ولا يقوم الدين إلا بها ، ولا يصح الإيمان بالله وبالرسول إلا بالإيمان بالإمام والحجة)[٢] ، وأنها (تستمر مدى الدهر وأنه لو فُقِد الإمام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد)[٣] .

على حسب اعتقادهم الفاسد ، وبالتالي فالإمامة عندهم أعظم الدعائم السبع التي بني عليها الإسلام : والصوم ، والحج ، والجهاد)[٤] ، ولذلك اعتبروا رتبتها

(١) حسن محمود الشافعي ، المدخل لدراسة علم الكلام ، ص٨٧ .

(٢) حميد الدين الكرماني ، المصابيح في إثبات الإمامة ، ص١٢.

(٣) عارف تامر ، الإمامة ، ص٦٥-٦٦.

(٤) يروي قاضي قضاة الدولة العبيدية (الفاطمية) النعمان بن حيون المغربي عن الإمام محمد الباقر أنه =

أعظم قدرًا وأفضل منزلة من النبوة والرسالة ، وقد أطلقوا على النبوة والرسالة رتبة (الاستيداع) ، وعلى الإمامة والوصاية رتبة الاستقرار ، بزعم أن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، كان وصيا للنبي محمد ﷺ ، قد استلم منه في زعمهم النبوة والرسالة والإمامة ، وأن الأئمة من نسل ولده الحسين ، رضي الله عنه ، استلموا الإمامة فقط ، وبالتالي فإن الوصاية أعلى مقامًا من الإمامة على ما ستأتي الإشارة إليه لاحقًا .

ونظرًا لطبيعة البحث الفلسفي الذي قد لا يفيد غير المتخصصين حيث نهل الشيعة الإسماعيلية عقيدتهم من ينابيع المدارس اليونانية الفلسفية مع ما اقتبسوه من الفكر البرهمي (الهندوسي والبوذي) ، بالإضافة إلى ما أخذوه من اليهودية فابتدعوا بذلك مزيجًا عجيبًا من تلك العقائد والفلسفات كلها والتي أخضعوها لفكرتهم عن الإمامة بعد أن صبغوها بالصبغة الإسلامية لتصبح عقيدة لهم ، لذلك سأكتفي بالإشارة إلى خلاصة معتقداتهم على النحو الآتي :

أولًا : توحيد الله تعالى :

يصرح الشيعة الإسماعيلية (الفاطميون) كباقي الشيعة الإمامية بإيمانهم بالله جل وعلا وملائكته وكتبه ورسله من حيث المنطوق ، بينما يختلفون مع جمهور المسلمين من حيث المفهوم ، إن لم يكن من حيث الذات المقدسة وما تختص به من أسماء حسنى وصفات عليا فقط ، وإنما من حيث ما يختص به وحده من أحكام

= قال : بني الإسلام على سبع دعائم الولاية أفضلها ...)دعائم الإسلام ،٢/١، ويوافقهم الشيعة الاثنا عشرية على أن الولاية أعظم دعائم الإسلام ، يروي الكليني بسنده عن أبي جعفر – الباقر – أنه قال : بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه) أصول الكافي ، كتاب الإيمان ، والكفر باب دعائم الإسلام ،٢٨/٢ ،رقم ٣ . ابن بابويه القمي ، إكمال الدين ، ص١٤٧.

الربوبية وما يستلزمها من أحكام الألوهية التي يجب أن تصرف العبادة له جل وعلا وحده ، وإن خالفهم الشيعة الاثنا عشرية في اعتقادهم في ذات الله تعالى وبعض أحكام ربوبيته سبحانه من حيث الخلق والرزق والموت والبعث والنشور ، بيدَ أنهم وافقوهم فيما عدا ذلك ، وإن كان في مراحل لاحقة عن زمن الفاطميين حيث أصبحت عقائد الغلاة المفوضة هي المعبرة عن أصول المذهب الشيعي الاثني عشري[١] .

وبالتالي فإن خلاصة معتقد الشيعة الإسماعيلية (الفاطمية) في الله تعالى يتمثل في الآتي :

أ ـ موافقة لفلسفة أرسطو في تفسير الوجود : وملخصها أن – الله تعالى عن إفكهم – لا يفكر إلا في ذاته وأنه لم يخلق الخلق ولا يعتني به ... قال الشيعة الإمامية الإسماعيلية أن الله – تعالى عن كفرهم ـ لم يخلق الخلق مباشرة ، ولم يُبْدع ـ هكذا قالوا حيث يتحاشون نسبة الخلق إلى الله تعالى ـ سوى ما أسموه بالعقل الأول ، وأنه تعالى لا يعلم شيئًا غير ذاته ، حيث احتجب عن مخلوقاته بهذا العقل الأول الذي أضحى البابَ إليه ، وبالتالي فإنهم قد جردوا الله تعالى عن كل صفاته بعد أن جردوه عن أسمائه سبحانه ، وقد وافقهم الشيعة الاثنا عشرية في نفي الصفات بينما خالفوهم في نسبة الأسماء الحسنى له جل وعلا ، وإلا فكيف يتصور وجود ذات ليس لها اسم ولا صفة ، أو وجود ذات لها اسم وليس لها صفة.. يستحيل هذا ولا يكون إلا في المعدومات ، وبالتالي المبدع الأول الذي أبدع لهم العقل الأول ـ حسب قولهم ـ يكون عدمًا ليس بذات ولاصفة له ولا اسم ، إذًا فكيف للمعدوم ـ أو للناقص – فاقد الحياة والقدرة والعلم أن يبدع الكامل الحي القادر العليم ... منتهى التناقض ﴿ وَمَن لَّمْ

---

(١) المقاني ، تنقيح المقال في أحوال الرجال ، ٣/٢٤٠ ، حيث صرح بأن ما كان يعتبر غلوا في الماضي أصبح اليوم من ضروريات المذهب .

يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٤٠] .

يؤكد هذا الاعتقاد الفاسد المتناقض الداعي الشيعي الحامدي بقوله : (إن الله لا يوصف بوصف ، ولا يسمى باسم ، فلا يقال عليه حيٌّ ، ولا قادرٌ ، ولا عالمٌ ، ولا عاقلٌ ، ولا كاملٌ، ولا تامٌّ ، ولا فاعلٌ ، لأنه مُبْدِع الحي القادر ، العالم التام ، الكامل الفاعل ـ يقصدون به العقل الأول ـ ولا يقال عنه ـ أي عن الله ـ ذات ، لأن كل ذات حاملة للصفات)[١] ، بينما يصف اللهُ تعالى ذاته المقدسة في قاعدة كلية بقوله جل وعلا : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] والتي تتضمن إثبات كل ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء وصفات لله تعالى ، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تحريف أو تعطيل، ويقول تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر : ٢٢-٢٤] .

ب ـ يعتقدون أن العقل الأول ، أو الكلي ، أو ما أطلقوا عليه السابق ، أصبح هو الإله الخالق الرازق المدبر المحيط العليم الواحد الأحد الصمد الذي استحق لفظ الجلالة (الله) وباقي الأسماء الحسنى ، يقول الداعي الشيعي الإسماعيلي حجة العراقيين وفليسوف دعوتهم حميد الدين الكرماني : « إن اسم الإلهية لا يقع إلا على المبدع الأول »[٢] .

ويقول : (الاسم الأعظم والمسمى الأعظم ، وإن لفظ (الله) من أعظم الأسماء التي تقع على المبدع الذي هو الموجود الأول ، فبذلك استحق إطلاق

---

(١) إبراهيم الحامدي ، كنز الولد ، ص١٣-١٤.

(٢) حميد الكرماني ، راحة العقل ، ص١٩٥.

لفظ الله عليه)[١] .

ج ـ تؤمن الشيعة الإسماعيلية بتعدد الخالقين حيث نسبوا للعقل الأول والنفس الكلية التي انبعثت منه – حسب اعتقادهم الفاسد – بداية الخلق ، وبذلك وافقوا المجوس الثنوية في القول بإلهين ، كما قالوا كذلك بخلق الكواكب والأفلاك للمخلوقات الكونية جميعًا وتدبير أمورها[٢] .

وبذلك شابهوا قول الصابئة ، وهذا قولٌ ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم : ٩٠] .

وعلى هؤلاء جميعًا وأمثالهم ، رد الله تعالى بآيات محكمات تنير العقول الحائرة وتأخذ بلباب القلوب الضالة ، وتهدي الفطر السليمة ، حيث كيف يتجرءون على هذا القول الساذج والله جل وعلا يقول : ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف : ٥١] .

ويقول سبحانه وتعالى :﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]

وعن تفصيل نشأة الكون التي تدعي الشيعة الإسماعيلية خلق الكواكب له ، يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لكل من قال بقولهم : ﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا

---

(١) المصدر السابق ، ص١٩٥-١٩٦.

(٢) ولضبط هذا القول الفاسد يقول ابن حزم : (إن تأثير الكواكب على الأرض لاينكر من دون أن يعني ذلك أن لها عقلًا وإرادة ، فهي تؤثر بطبعها ، فالقمر مثلًا يؤثر بطبعه بالمد والجزر ، مثلما النار بطبعها بالإحراق ، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الطبائع والسنن الكونية جمعاء ، فهو مدبر الكون وخالقه) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ، ١٦/٤ .

رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢] .

د – إن التوحيد عند الشيعة الإسماعيلية ينحصر في معرفة الحدود ومراتبها ، لا في توحيد الرب البارى المعبود ، ويقصدون بالحدود : الحدود الروحانية وهي العقول العشرة والأفلاك والكواكب والنجوم ، والحدود الجسمانية الذين هم : الناطق (النبي) والوصي و إمام الزمان وكذلك خدام الدين من أتباعه . ولا يتم هذا التوحيد عندهم إلا بنفي وتجريد الله البارى سبحانه وتعالى عن كل الأسماء والصفات ، يقول حميد الدين الكرماني : (إن سلب الصفات ونفيها عن الله هو أصل مذهبنا ، وعليه قاعدة دعوتنا ، وهو المعتمد في توحيد معبودنا ، والمقصود في أنحاء كلامنا وإيرادنا)[(١)] .

يقول إدريس عماد الدين صاحب (زهر المعاني) : (فكل إمام في زمانه هو اسم الله في عصره ، وطاعتهم له هو جهة العبادة له ، فمن عرف إمام زمانه وأخذ عهده ، وسلم في جميع أموره ، وعرف حدوده وأقرَّ بها وأدى لكل حد حقه ولم يلحد فيه فقد عرف الله بحقيقة المعرفة ، ووحَّده من وجه توحيده ، ومن رأى إمام زمانه بغير الصورة ، وجهل مقامات الحدود – أي الأئمة – فما عرفه ، ولا عرف الله ولا وحَّده ولا أطاعه ، ولا عبده ، فكانت طاعته لغير الله وعبادته في غير مرضات الله ، ولا تمسك بحبل الله ، وكان شاكًّا في الله مشركًا)[(٢)] ؛ لأنهم يعتبرون

---

(١) يلاحظ هنا : أنه من النادر أن يستخدم الشيعة الإسماعيلية لفظ الجلالة (الله) في كتبهم للدلالة على الذات الإلهية المقدسة ، وقد مر بك سبب ذلك ، وإنما يقولون : «من لا تتجاسر نحوه الخواطر » . حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، ص١٤٨-١٤٩.

(٢) إدريس عماد الدين القرشي ، زهرالمعاني ، ص١٦٤.

الإشراك الذي هو نقيض التوحيد ، (أن يشرك بولاية أمير المؤمنين ومن نصبه الله وليًا وإمامًا ، فيجعل معه غيره ، ويجحد بولايته)[١] .

وهو مافسر به فليسوف تلك الدعوة الشيعية جعفر بن منصور اليمن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] .

هـ - **وعلى حسب ما سبقت الإشارة إليه عن العقل الأول وصفاته حسب اعتقادهم الباطل ومن أن الله – تعالى عن زعمهم – قد اتخذه حجابًا** ، وجعله بابًا ، فإنه لا يتوسل إلا به ، ولا يناجى إلا من جنابه ، ولا يوجد إلا من أسبابه ، ولما كان الإمام في الدنيا يقوم مقام العقل الأول في العالم الروحاني وقد تحلى بكل صفاته الإلهية ، وأنه بعد موته ينتقل حسب اعتقادهم إلى الهيكل النوراني الحاجب والباب للعقل الأول- ويسمونه جنة المأوى - ، وأن باقي الأنبياء والأئمة والأولياء من المستجيبين لدعوتهم (الحدود الجسمانية) ينتقلون بعد موتهم إلى الفلك العاشر ليقوموا مقام العقل العاشر في تدبير أمور الكون ، وقد رتبوا على ذلك أنه أصبح لا يتوسل إلا بهؤلاء الأئمة وأتباعهم ، ولا يدعى إلا إياهم ، ولا يستغاث إلا بهم ، ولا يطلب إلا منهم ، وقد أورد الداعي الشيعي الطاهر الحارثي نماذج لتلك الأدعية في كتابه (الأنوار اللطيفة) من الفصل الأول إلى الخامس من السرادق الخامس من الباب الثالث ، مشيرًا إلى أنه لا تتم عبادة المعبود إلا بمعرفة هؤلاء الحدود والتوسل بهم فيقول : « اللهم إني أتوسل إليك بأول من توجته بتاج الإبداع ، وخصصته بشرف البداية والاختراع ، السارية قواه في الفلك الأعظم ... وبعاشره مدبر عالم الطبيعة المظهر في أكوانها الصور البديعة » .. ثم انتقل بعد ذلك للتوسل بعالم الدين (الحدود الجسمانية) فقال : « وأسألك اللهم بأول من قلدته بقلائد النطق والرسالة ،

(١) جعفر بن منصور اليمن ، الكشف ، ص٥٣ .

وسربلته بسرابيل الشرف والجلالة ... وبثانيه الذي شمسه في أفقه ، وجعلت بيان علمه في لسانه ونطقه ...)[١] .

ولعل في ذلك إشارة إلى حقيقة فكرة التوسل الباطنية ودعاء المقبورين من الأئمة عند الشيعة ، والأولياء عند متفلسفة الصوفية التي انتقلت إلى عوامهم[٢] .

وهؤلاء قد فاقوا المشركين الأولين الذين أقروا لله تعالى بالربوبية من الخلق والرزق والموت والحياة ، يقول تعالى عن المشركين الأولين : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

فكان شركهم على عكس الشيعة الإسماعيلية ومن وافقهم الذين جردوا الله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله ونسبوها لغيره ، فجاء شرك الأولين شرك واسطة وتقريب لا شرك خلق وإيجاد ، وشرك تسبب لا شرك استقلال ، ولهؤلاء وأولئك يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] . ويقول سبحانه :﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ * يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [الحج : ١٢-١٣] .

ويقول الشاعر :

يــاداعــيــا غــيــر الإلــه تــقــربــا   في زعــمــه لــلــواحــد الــديــانِ
أنــســيــتَ أنــكَ عــبــدُه وفــقــيــرُه   ودعــاؤه قــد جــاء في الــقــرآنِ

---

(١) للمزيد من التفصيل لمعتقدهم في الله تعالى ، وأسطورتهم في نشأة الكون ومراتب العقول والأفلاك ووظائفهم ، ينظر كتاب «الأنوار اللطيفة » الداعي الشيعي طاهر الحارثي ، والملحق بكتاب « الحقائق الخفية عن الشيعة الإسماعيلية والاثني عشرية » للمؤلف الشيعي الإسماعيلي محمد حسن الأعظمي، الباب الثالث من السُرادق الخامس ، الفصل الأول ، ص١٧٢ وما بعدها .

(٢) حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، ص١٧٢-١٧٦.

اللهُ أقربُ من دعوتَ لكربةٍ وهو المجيبُ بلا توسُّطِ ثانِ
ليس التوسلُ والتوسطُ بالهوى بل بالتقى والبِرِّ والإحسانِ
هذا كتابُ الله يفصل بيننا هل جاء فيه توسلوا بفُلان
إن التوسل في الكتاب لواضحٌ وإذا فطنتَ فإنه نَوْعان[١]

ويقصد بالنوعين :

ـ **التوسل المشروع** الذي كان موافقًا لما شرع الله من التقرب بالطاعات والأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى ويرضاها ، ويجمعها صور ثلاث : التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، أو بالعمل الصالح ، أو بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه.

ـ ويقصد بالثاني **غير المشروع** : الذي نهى عنه الشرع من التوسل بالأصنام والأوثان مع تعدد أشكالها ، والذي يتضمن الدعاء والاستغاثة وما شابه ذلك.

و – انتشار علم التنجيم والسحر :

لا غرو أن الفلسفة قد بلغت في الدولة العبيدية (الفاطمية) شأنًا كبيرًا ، وبخاصة في العصر الفاطمي الأول حيث قامت عقيدة الشيعة الإسماعيلية على العقل (عقلهم القاصر) وتمييز الإلهيات من الطبيعيات ، وعقيدتهم في العقول العشرة وتأثيراتها ، ولذا رعاها الخلفاء وأغدقوا على أصحابها الأموال والهبات وبخاصة الخليفة المعز لدين الله (ت ٣٦٥ هـ) ، والحاكم بأمر الله (ت ٤١١ هـ) والحافظ لدين الله (ت ٥٤٤ هـ) ، وبذلك أصبحت الفلسفة تمثل صلب مراتب الدعوة الباطنية المتدرجة ، فعلى الداعي أن يلقن المدعو أن لأحكام الشريعة الإسلامية معاني رمزية أخرى ، فيشجع المدعو على النظر في الفلسفة وقراءة كلام

---

(١) عبد الظاهر أبو السمح ، حياة القلوب بدعاء علام الغيوب ، ص٩٩.

أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، وينهاه عن التسليم بقبول الأخبار وإلغاء الاحتجاج بالسمعيات - أدلة الكتاب والسنة - وإنما جل اعتماده على الأدلة العقلية حتى يصل بالمدعو في نهاية مراتب الدعوة (المرتبة التاسعة) بأن يتخذ من الفلسفة نبراسًا ومن أعلامها أنبياء ، ويرفض الشريعة وأحكامها[(١)] .

وعلم النجوم أحد العلوم التي اهتمت به تلك الفلسفة ، كما حظي برواج وتشجيع من الدولة المسماة بالفاطمية حتى أصبح له تأثير كبير على توجيه سياسة خلفاء الدولة ، وبالتالي أصبح للمنجمين مكانة متميزة في بلاط الحكام ، وذلك بأقسامه الثلاثة :

- علم الحسابيات : كعمل التقاويم واستخراج التواريخ[(٢)] .

- علم الطبيعيات : كالاستدلال على الفصول الأربعة من خلال انتقال الشمس في البروج الفلكية ، ومعرفة الكواكب ومناظرها ومطالعها ، ومعرفة الأمطار ، والقبلة ، ومواقيت الصلاة ، وساعات الليل والنهار[(٣)] . وعن هذين القسمين يقول الإمام البغوي : (أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس كالذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه) .

وقد حققت القاهرة والفسطاط في هذين القسمين الريادة وبرز عدد من العلماء وظهرت لهم اختراعات ومؤلفات في علم الفلك ، مثل علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم (ت ٣٩٩ هـ) صاحب اختراع البندول (الرقاص) لحساب الزمن[(٤)] .

وكذلك العالم أمية بن أبي الصلاح ، صاحب رسالة (العلم بالأسطرلاب) وغيرها ، كما برز في علم الرياضيات والهندسة عدد من النوابغ ، منهم : الشاعر أمية بن أبي

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ٢/٢٦٥ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، ٣/١١٢٧-١١٢٨ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ٣/١١٤١-١١٤٢ .

(٤) علي عبد الله الدفاع ، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك ، ص٦٨-٧٧ .

الصلت صاحب (الاقتصار في الهندسة)[١] ، والقاضي الرشيد أحمد بن علي الأسواني صاحب (منية الألمعي وبغية المدعي) ، وأشهر مهندسي مصر أبو علي المهندس المصري[٢] ، وأبو الحسن علي بن سليم بن البواب ، والمهندس محمود بن ناصر المكيني .

فإن كان قد ازدهر هذا العلم بقسميه المشار إليهما آنفًا فقد ازدهر أيضًا القسم الثالث من علم النجوم المنهي عنه وهو :

– علم الوهميات الذي يزعم أن للنجوم تأثيرًا في هذا العالم وأنها تدبر الكون ومنها يصدر الخير والشر ، وأن حركات النجوم تحدث جميع الحوادث في هذا الكون ، واعتقاد الشيعة الفاطمية (الإسماعيلية) في هذا إنما هو مذهب فلاسفة اليونان ، وهو ما صرح به إخوان الصفا في رسائلهم من أن الكواكب مخلوقة خلقها فاعل مختار[٣] ، وهو الإله الأعظم ، وأودع في كل كوكب منها قوة مخصوصة ، وفوض تدبير العالم إليها (وبالتالي يصدر عنها السعادة والشقاوة والموت والحياة) ، على حسب نظريتهم في العقول العشرة[٤] .

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٥٣٩/١ ، وعمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ٣٩٧/١ .

(٢) أحمد تيمور باشا ، المهندسون في العصر الإسلامي ، ص٤٠ .

(٣) المقريزي ، المصدر السابق ، ٣٦/٢ ، ولذلك اشتهر عدد كبير من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام أمثال ابن حوقل (ت ٣٨٠هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) ، وإخوان الصفا من المعاصرين للدولة الفاطمية بالانتماء إلى الفكر الشيعي الإسماعيلي والدعوة إليه ، انظر : د . محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص٩٢ .

(٤) اعتقاد النفع والضر في النجوم على أن لها تأثيرًا لم يقتصر على الشيعة الإسماعيلية ، بل انتشر ذلك في كثير من كتب الشيعة الاثنى عشرية المعتمدة رغم ما ثبت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال : « من طلب علم النجوم تكهن »القضاعي ، دستور معالم الحكم ، ص١٨٦ . ومع ذلك ينسب الكذب الكليني في أوثق كتب الحديث عندهم « روضة الكافي » إلى جعفر =

وبعض علمائهم جعل لكل يوم من أيام الأسبوع طلسمًا وتعويذة مثل الحاج محمد صالح الجوهري في كتابه « ضياء الصالحين » ، ومما لا شك فيه أن هذا كفر وشرك أكبر ، والقائل به زنديق حيث نسب التدبير إلى الكواكب من دون الله أو مع الله ، تعالى عن كفرهم(١) .

وقد ذكر ابن خلدون فصلًا في مقدمته يذم فيه صناعة النجوم بعنوان (فصل في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها) ، وقال : (والنبوات منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها ، وقد بان بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها)(٢) .

وكان للخليفة الحاكم بأمر الله اهتمام بالغ بعلم التنجيم ، وكان يكثر من الصعود على جبل المقطم للاطلاع على الكواكب لمعرفة الغيب ، ولذلك قرب إليه المنجم علي بن عبد الرحمن بن يونس الصدفي (ت ٣٩٩ هـ).

= الصادق ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : « من سافر أو تزوج والقمر في العقرب لم ير الحسنى » . ويخصص علامتهم وشيخ الإسلام عندهم المجلسي في كتابه « بحار الأنوار » فصلًا عن تعويذات بعض الأئمة بكلمات أعجمية غير معروفة المعنى ، منها على سبيل المثال لا الحصر: « ٣ مكا :حرز لأمير المؤمنين المؤمنين ، صلوات الله عليه ، للمسحور والتوابع والمصروع والسم والسلطان والشيطان وجميع ما يخافه الإنسان ، ومن علق هذا الكتاب لايخاف اللصوص والسارق ، ولاشيئًا من السباع والحيات والعقارب وكل شئ يؤذي الناس ، وهذه كتابته : بسم الله الرحمن الرحيم ، أي كنوش أي كنوش ، أرشش عطنيطنيطح ياميطرون فريالستون ، ماوما ساما سويا ، طيطشالوش فيطوس ... » بحار الأنوار ، ٩١/١٩٣ .

(١) مثل : كتاب شموس الأنوار وكنوز الأسرار لابن الحاج التلمساني ٣٢٧هـ/٩٣٨م ، شمس المعارف الكبرى لأبي العباس البوني ٦٢٢ هـ/١٢٢٥م ، المتحف المصري لوحة ١٣٠/١٣١ سجل رقم ١٥٧١٣/١٥٧١٤ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ٣/١٢١٧-١٢٢٢ .

ولعل هذا يفسر لنا حالة الاضطراب التي عانى منها الحاكم .

يذكر ابن القيم أن المنجم قال للخليفة الحاكم العُبيدي : (إن بساحة بركة رميس مجدًا قديمًا وتحته كنز عظيم ، وسأله أن يتولى هو هدمه ، فإن وجد الكنز وإلا بناه هو من ماله وأودعه السجن . فاتفق أصحاب الكنز فطاش الحاكم بذلك وسلم زمام أمره للتنجيم الفكري ؛ فقام المنجم وطلب من الحاكم - الخليفة - أن يغير دولته ومملكته ليكون ذلك هو مقتضى الحكم النجومي ، فصار الحاكم يأمر في يومه بخلاف ما يأمر به في أمسه ، فأمر بسَبِّ الصحابة على رؤوس المنابر ثم أمر بقطع سبهم ، وأمر بقطع شجرة الزيتون ، ثم أباح الخمر ، وأهمل الناس في نهب الجانب الغربي من القاهرة ، ثم ضبط الأمر حتى أمر الناس أن يتركوا حوانيتهم دون إغلاق ، ثم عمد إلى كل متول في دولته ولاية فعزله ، وآخر المطاف حكم المنجمون للحاكم أن يركب على الحمار إلى جبل المقطم في أكثر الأيام وينفرد وحده ويخاطب زحل بما علموه إياه من كلام ، وحكموا له أن إذا فعل ذلك فهو سالم النفس من كل إيذاء ، فلزم ذلك فخرج يومًا الجبل على عادته منفردًا وقد استعد له قوم بسكاكين تقطر منها المنايا فقطعوه هناك وأعدموا جثته فلم يعلم لها خبر ، فاعتقد بعض أتباعه أنه غائب منتظر) ![1] ، كما اختص الخليفة الفاطمي الحافظ بخدمته سبعة من المنجمين .

وكان لابن يونس المنجم تصرفات غريبة ، شأن باقي المنجمين ؛ حيث يصفه ابن خلكان بأنه كان يصعد إلى جبل المقطم ليرى كوكب الزهرة ، ثم يقوم بنزع ثوبه وعمامته ، ويلبس ثوبًا نسائيًّا لونه أحمر ، ومقنعة حمراء يتقنع بها ، ويُخرج عودًا يضرب به ويطلق البخور ، وكان يضع فوق رأسه طرطورًا مما

---

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ٣ / ٦٩- ٧٠ .

يضحك الناس من منظره ورثاثة ملابسه[١] .

ولولع الخلفاء المنتسبين للفاطميين بالتنجيم والمنجمين انتشر بين السودان[٢] والمغاربة الزعم بمعرفة الغيب من خلال علم الرمل ، أو كلام الودع الذي يستجلب من البحار . لذلك ظهرت خلال هذا العصر كتب السحر ، وراجت الخرافة ، وانتشرت الأحجبة والتعاويذ السحرية ، وقد اشتهروا بعمل هذه التعاويذ بالمواد النجسة أحيانًا ، أو التحجب بالآيات القرآنية مما أدى إلى طباعة المصحف الشريف في أحجام صغيرة جدا ، وقد احتفظ لنا المتحف المصري بنماذج من هذه التعاويذ والأحجبة والتمائم[٣] ، بالإضافة إلى طاسة الخضة النحاسية التي ادعوا مقدرتها على شفاء بعض الأمراض . ومما لا شك فيه أن التنجيم من شعب السحر الذي ينافي التوحيد ؛ لقول النبي ﷺ : « ما اقتبس رجل علمًا من النجوم إلا اقتبس بها شعبة من السحر زاد ما زاد »[٤] .

ولذلك فالسحر يدخل في الشرك من جهتين :

(- من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ، ومن التعلق بهم ، وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه .

- ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ، ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك ، وذلك من شعب الشرك والكفر)[٥] .

---

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ، ٤٣٠/١ .

(٢) المقصود بهم الذين أتى بهم المعز من السودان الغربي (من غرب إفريقيا) ضمن جيشه .

(٣) رواه أبو داود ٢٢٦/٤ برقم ٣٩٠٥ ، وابن ماجه ١٢٢٨/٢ برقم ٣٧٢٦ ، وأحمد ٢٢٧/١ ، وصححه الألباني في الصحيحة ١٧٩٣ .

(٤) لوحة ١٣٠/ ١٣١ سجل رقم ٢٢٥٧١٣/٢٥٧١٣ - المتحف المصري .

(٥) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، القول السديد شرح كتاب التوحيد ، ص٧٠٤-٧٠٥ .

ثانيًا : النبوة وحقيقة الإمامة الإلهية والوصية :

لا يقل اعتقاد الشيعة العبيدية (الفاطمية) في النبوة والإمامة خطورة وانحرافًا عمَّا سبق ذكره في مقام اعتقادهم في الله تعالى ، فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، ونسله من بعده وبخاصة من ولد الحسين ، رضي الله عنه ، ومنهم حسب اعتقادهم الباطل قائم القيامة محمد بن إسماعيل النبي السابع بعد نبينا محمد ﷺ متمم في زعمهم لدور النبوة والرسالة في السبعة آلاف سنة الأولى من دورات هذه الحياة الأبدية السرمدية في اعتقادهم ، وأن علي بن أبي طالب والأئمة من نسل الحسين ومنهم محمد بن إسماعيل نبيهم ورسولهم لم يكونوا من نسل آدم عليه السلام ، وإنما هم من نسل رائد الصفوة المختارة الذين عدتهم ثمانية وعشرون من تلك المخلوقات الشبحية التي نزلت إلى الأرض في شكل جسماني قبل آدم واستقرت في جزيرة (سرنديب) ، ورائدهم هذا الذي كان أكثرهم علمًا وإيمانًا بالعقل الأول والعقول العشرة والأفلاك ؛ لذا استحق أن يقوم مقام العقل الأول في العالم البشري والذي أوصى بمقامه هذا لولده من بعده ، ليصعد هو بعد موته إلى العقل الأول ليسبحه ويقدسه ويكون هو ومن يلحق به من نسله من بعده ، وعدتهم مئة وأربعة وعشرون ألف صورة ، ذلك الهيكل النوراني الذي يحيط بالعقل الأول فيما يعرف بجنة المأوى التي هي تلي العقل الأول مباشرة وتسبق النفس الكلية فكان ذلك الهيكل حجابًا له وبابًا إليه - تذكر فكرة التوسل والاستغاثة الباطنية - وهكذا في كل دورة مدتها سبعة آلاف سنة إلى أن استكملت مدة خمسين ألف سنة عدة دور الكشف لتضعف بعدها دعوتهم ويبدأ دور الستر بظهور آدم ، عليه السلام ، كأول نبي ، ويطلقون عليه الناطق ، حيث يقيمه إمام ذلك الزمان ويأمره بالدعوة يكمل له قوانين شريعته التي هي رموز وإشارات إلى الحدود الروحانية والجسمانية ليصبح ذلك الإمام مستودعًا مقابل نبي تلك الفترة الذي يصبح ناطقًا .

وعلى ذلك تستمر دورة النطقاء (الأنبياء والرسل) ومعهم دورة أئمتهم المستودعين في دور الستر هذا والذي مدته سبعة آلاف سنة إلى الدور السادس أي دور سادس رسل الله تعالى ، ويقصدون به النبي محمدًا ﷺ الذي هو عندهم ناطق هذه الفترة ، بينما عمه أبو طالب في زعمهم الباطل هو إمامه المستودع الذي أوفى خدمته ، وأوكل له شريعته التي هي رموز وإشارات للحدود الروحانية والجسمانية الدالة على توحيد الله تعالى وتنزيهه ، ثم يزعمون أن الناطق - النبي محمدًا ﷺ - قد أقام وصيه علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، من بعده وانتقل إلى دار كرامته ليعهد الوصي - علي بن أبي طالب - من بعده إلى ابنه الحسن ليكون إمامًا مستودعًا ثم نص على ولده الحسين ليكون إمامًا مستقرا لتجري الإمامة متسلسلة في أبنائه إلى وفاء دور الإتمام بمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ليتمم بنبوته ورسالته التي تنسخ شريعته شريعة من قبله - يقصد شريعة النبي محمد ﷺ[١] - ، ليستمر دور الستر إلى وفاء سبعة آلاف سنة هي عمر الدنيا ليجازي - حسب معتقدهم الفاسد - قائم القيامة محمد بن إسماعيل كافة الخلائق من أهل دور الكشف في الثلاثة آلاف السابقة على دور الستر وكذلك الأولين والآخرين من أهل دور الستر ، ليبدأ دور كشف جديد لمدة خمسين ألف سنة جديدة يتولى فيها ولد القائم تدبير عالم الكون، ليدخل هذا الكور في أدوار متعددة من الكشف والستر إلى الكشف والستر هكذا لمدة ثلاث مائة وخمسة وستين ألف سنة ، لتبدأ الكَرَّة من جديد أبدًا سرمديًّا .

وهكذا أكون قد عرضت لك خلاصة معتقد الشيعة الإمامية الإسماعيلية المنحرف في النبوة والإمامة الإلهية والوصية ، والتي فصل فيها الداعى الشيعي الإسماعيلي (طاهر الحارثي) القول في كتابه « الأنوار اللطيفة » في عشرات

(١) يقول طاهر بن إبراهيم الحارثي :« إن قيام محمد بن إسماعيل يعتبر تمام دور الستر واتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس » الأنوار اللطيفة ، ص١٢٩-١٣٠.

الصفحات لحدوتة – أقصد أسطورة – نشأة الكون واعتقادهم في الله والأنبياء والأئمة والقيامة والحساب[(١)] التي لم يستطيعوا ترويجها في المجتمع المصري رغم بلورتها وصياغتها خلال مدة حكمهم وما بعدها مما يعد انحرافًا ما بعده انحراف .

وقد ترتب على ذلك :

أ – اعتقادهم في النبوة والأنبياء :

١ – يعتقد الشيعة الإسماعيلية (الفاطمية) أن النبوة مكتسبة ، ومما قالوه في ذلك : « إن من تصفو نفوسهم وتتهذب أخلاقهم تصير نفوسهم بعد ذلك متهيئة لقبول الوحي والإلهام »[(٢)] . على حسب التعاليم والمجاهدات التي رُسِمَت لهم لمدة أربعين عامًا ، بعدها تتنزل عليهم ما يتوهمونهم ملائكة ، ولكنها في حقيقتها الشياطين .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ – ٢٢٢] .

٢ـ يعتقدون أن الأئمة أعظم رتبة من الأنبياء ؛لأن الأئمة من نسل تلك المخلوقات الشبحية المنزلة من السماء التي سبق الإشارة إليها والمخلوقة من نور الله ، ولكنهم يضيفون النبي محمدًا ﷺ لتلك الخلقة النورانية على أن محمدًا وعليًّا خُلقا من نورٍ واحد.

وقد أطلقوا حسب ما مر بك على النبوة والرسالة رتبة (الاستيداع) ، بينما الإمامة والوصاية رتبة (الاستقرار) ، مستدلين بأن إبراهيم ، عليه السلام ، اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية والإمامة ، وابنه إسماعيل استلم منه الوصاية والإمامة

---

(١) انظر كتاب « الأنوار اللطيفة » لطاهر بن إبراهيم الحارثي الملحق بكتاب « الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية » لمحمد حسن الأعظمي ،ص٩٤- ١٨٠ .

(٢) إخوان الصفا ، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، تحقيق : تامر عارف ،ص١١٦-١١٧.

بأمر الله ، وكان مستترًا بها بينما إسحاق أخوه حجة ظاهرة له ؛ لأن اسماعيل وأولاده في اعتقادهم - الضال - أصحاب مقامات إلهية وذو هياكل نورانية)(١) .

وأن عبد المطلب ومن بعده ولده أبو طالب عم النبي ﷺ استلم رتبة النبوة والرسالة والإمامة والوصاية التي سلمها بزعمهم للنبي محمد ﷺ عندما ارتقى في الرتب الإلهية وأصبح مقامًا إلهيًّا استلم النبوة والرسالة ، بينما يعتقدون أن المقام الإلهي لعلي بن أبي طالب أتم وأكمل حيث اتصل بالعقل العاشر اتصالا كليا واتصلت به المواد الإلهية فوق ما اتصلت بكل مقام مثله وبعده سوى ولده القائم (محمد بن إسماعيل) ، وهكذا كان اعتقادهم في مقامات الأئمة(٢) .

٣ - تعتقد الشيعة الإسماعيلية بالنبوة والرسالة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فضلًا عن مقامي الوصاية والإمامة ، يقول الداعي إدريس عماد الدين القرشي : (ولما انتقل الرسول من هذه الدار ، وارتقى إلى عالم الملكوت ، ودار القرار ، قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مقامه بأمر الله سبحانه ووحيه ، وهو جامع المراتب الأربعة : النبوة والرسالة بتسليم النبي إليه ذلك ، ونصه عليه ، والوصاية والإمامة ، لكونه مجمع المستقرين من أول الثلاثة آلاف سنة)(٣) .

والأمر كذلك مع الحسين بن علي ، رضي الله عنه ، ومع محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، رضي الله عنه ، وذلك دون الحسن بن علي ، رضي الله عنه ، الذي يعتبرونه إمامًا مستودعًا كل مهمته الاحتفاظ بهذه المراتب الأربعة وتسليمها للإمام المستقر (الحسين) بعد أن يزول عنه الخطر(٤) .

---

(١) طاهر بن إبراهيم الحارثي ، الأنوار اللطيفة ، ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق ، ص١٢٤-١٢٥.

(٣) إدريس عماد الدين القرشي ، زهر المعاني ، ص١٥٧ .

(٤) المصدر السابق .

٤ – يعتقد الشيعة الإسماعيلية خلافًا لجمهور المسلمين أن أولي العزم من الرسل سبعة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي بن أبي طالب ثم محمد ابن إسماعيل(١) .

٥ – يعتقدون أن الوحي يتنزل على الأنبياء من العقل الأول الذي يصلهم عبر الحدود الروحانية من الأفلاك والعقول (الملائكة الكروبيين) على أشكاله الثلاثة ، ويحصل في اليقظة والإغفاء من التكليم ، أو من وراء حجاب ، أو من خلال الرسول المتمثل في شكل جبريل والذي يسمونه بالخيال .

٦ – تعتقد الشيعة الإسماعيلية أن محمد بن إسماعيل أفضل من النبي محمد ﷺ على اعتبار أن كل خلف أفضل من سلفه ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥] .

٧ – لا يعتقدون بختم النبوة ولا ختم الإمامة ، حيث إنهما مستمرتان أبدًا سرمديًا في كل دور ، وفي هذا الدور يعتقدون بنبوة ورسالة محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق المتممة والناسخة لشريعة من قبله – أي النبي محمد ﷺ – يقول الطاهر الحارثي الداعي الشيعي : (أن محمد بن إسماعيل يعتبر متممًا للدور خاتمًا للرسل المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به ، ... إذ بقيامه تمام دور الستر ، واعتقاد دور الكشف ، ونسخ شريعة الرسول السادس – يقصد النبي محمدًا ﷺ – وبذلك نطق مولانا المعز – يقصد المعز لدين الله أول متخلفيهم لا خليفتهم في مصر – في دعاء يوم السبت حيث قال : وعلى القائم بالحق ، الناطق بالصدق ، التاسع من جده ، الرسول من آدم ، وسابع الأوصياء من شيث، وسابع الأئمة من البررة إلى قوله (عنه) الذي شرفته وعظمته وكرمته ، وختمت به عالم الطبيعة ، عطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ ،

(١) السجستاني ، النبوات ، ص٨٩٣.

كل ذلك بالقوة لا بالفعل ...)[١] .

٨ – تعتقد الشيعة الإسماعيلية بأن المقصود باللفظ المكرر في الشهادة الثانية في الأذان (أشهد أن محمدا رسول الله) ليس محمد بن عبد الله ﷺ النبي الأمي ، وإنما المقصود به محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق نبيهم ورسولهم[٢] .

٩ – على الرغم من إثبات الشيعة الإسماعيلية (الفاطمية) لمعجزات أئمتهم إلا أنهم يتأولون معجزات الأنبياء والمرسلين جميعًا تأويلًا باطنيًا على غير ظاهرها ، سواء كانت هذه المعجزات حسية أو معنوية ، على ما ستأتي الإشارة إليه لاحقًا ، إن شاء الله تعالى .

ب – اعتقاد الشيعة في الأئمة :

سبق الإشارة إلى اعتقاد الشيعة الإمامية الإسماعيلية في أئمتهم والذي لا يخالفهم فيه الكثير من الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، وذلك من حيث مقامات الأئمة الإلهية النورانية والتي لا تقتصر عليهم فقط ، وإنما ضموا إلى ذلك الهيكل

---

(١) طاهر الحارثي ، الأنوار اللطيفة ، ص١٣٠ . زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، ص ٧٠-٧١ .

(٢) زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، ص٩٨.

وفي العصر الحديث تُصَرّح الشيعة الإسماعيلية الأغاخانية بأن كلمة التوحيد ولفظ الشهادة عندهم هي : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، وأشهد أن أمير المؤمنين علي الله « إسماعيلي تعليمات ، الكتاب الأول للمدارس الإسماعيلية في باكستان ، ص٢ ، نقلًا عن : خادم إلهي بخش ، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع الإسلامي بشبه القارة الهندية ، ص ٣١٨ ، وتترجم الجملة الأخيرة من كلمة الشهادة : « بأني أشهد أن عليًا هو الله ، وأن عليًا من الله عز وجل » كتاب المبتدئين ، المقرر على الصف الأول بالمدارس الإسماعيلية بالهند ، ص٣ ، نقلًا عن المرجع السابق نفسه .

أما الفرع الآخر من الإسماعيلية وأعني بهم البُهرة الذين يتمسكون بكل عقائد الفاطميين فسيأتي مزيد بيان لعقائدهم في الباب التالي ، إن شاء الله تعالى .

النوراني والمقام الإلهي للسيدة فاطمة ، رضي الله عنها[١] .

على حسب اعتقادهم الشركي والذي قام على اعتقادهم في نظرية المثل والممثول الأفلاطونية والتي قالت بها الكيسانية[٢] .

وما تمخض عنها من نظام الحدود الروحانية والجسمانية فقالوا : (الإمام مثل والسابق ممثول ، والحجة مثل والتالي ممثول .. وكل صفات العقل الكلي أو العقل الأول أو السابق أو المبدَع الأول أو الموجود الأول - الله تعالى في نظرهم - أُسبغت على الإمام ؛ لأن العقل الكلي في العالم العلوي يقال له الإمام في العالم الجسماني ، فكل صفة هي للعقل الكلي تكون هي للإمام)[٣] . بمعنى أن للإمام

---

(١) انظر : طاهر الحارثي ، الأنوار اللطيفة ،ص١٢٨ . وبهذا الاعتقاد الفاسد في المقامات الإلهية قال آية الله العظمى الخميني إمام الشيعة في هذا الزمان :« إن لأئمتنا مقامًا محمودًا لايبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل » « الحكومة الإسلامية ، ص٥٢. وعن كنه أو ذات السيدة فاطمة الزهراء ، رضي الله تعالى عنها ، يقول الخميني : «لم تكن الزهراء امرأة عادية ، كانت امرأة روحانية ، امرأة ملكوتية ...كانت إنسانًا بتمام معنى الكلمة نسخة إنسانية متكاملة .. امرأة حقيقية كاملة ..حقيقة الإنسان الكامل ، لم تكن امرأة عادية ، بل هي كائن ملكوتي تجلى في الوجود بصورة إنسان ...بل كائن إلهي جبروتي ظهر على هيئة امرأة . « المرأة في فكر الإمام الخميني ، ص٢٣-٢٤ إصدار السفارة الإيرانية بدمشق ، محمد فاضل المسعودي ، الأسرار الفاطمية ، ص٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) **الكيسانية** : إحدى فرق غلاة الشيعة أتباع المختار بن عبيد الله الثقفي ، وقد تبنت عددًا من المناهج التي بها فيما بعد معظم فرق الشيعة من إمامية وباطنية مثل : النهج الوراثي للأئمة بدلًا من الشورى ، ونظرية الوصية من الإمام لولده من بعده ، وأن الدين طاعة رجل ، وأنه لا دين لمن لا إمام له ، وأن لكل ظاهر باطن ، ولكل تنزيل تأويل ، ولكل شخص روح ، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة ، وأنه قد اجتمع في علي ، رضي الله عنه ، جميع الأسرار . وغير ذلك ، والكيسانية نسبة إلى كيسان مولى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ، وقائد شرطة المختار الثقفي الذي تعقب قتلة الحسين بالقتل ، وقيل كيسان لقب المختار الثقفي ، وبه سميت فرقة الكيسانية . انظر : عبد القادر البغدادي ، الفرق بين الفرق، ص٤٧ ،

(٣) زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، ص٣٧ .

الصفات العلى والأسماء الحسنى كما هي لله ، تعالى عن قولهم .

ولتأصيل هذا المعتقد الفاسد يُزوِّرون أقوالًا - كدأب الشيعة دائمًا - على الأئمة الأخيار من آل البيت ، رضي الله عنهم ، فينسبون إلى الباقر محمد بن علي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : (ما قيل في الله فهو فينا ، وما قيل فينا فهو البلغاء من شيعتنا)[١] .

سئل الصادق عن صفة الرب ؟ فقال : « خمس كلمات - الله أحد - محمد الصمد - فاطمة - لم تلد الحسن - ولم يولد الحسين - ولم يكن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كفوًا أحد » يقول صاحب شمس الشموس : وقول الصادق هذا إشارة إلى ألوهيتهم ، فأما النواسيت - الأجساد - فهي مولدة[٢] .

وبذلك كانت الإمامة والولاية عندهم ركن الإسلام الأول ، ويعتقدون بأن رتبتها أعظم قدرًا من النبوة ، وأن الوصي أفضل من الإمام وأعظم ، وأن لكل نبي وصيًّا ، وكان علي وصي محمد ﷺ ، وبه ختمت مرتبة الوصاية حسب اعتقادهم الفاسد والذي وافقهم عليه الشيعة الاثنا عشرية ، وأصل هذا المعتقد وأول من صرح به هو (عبد الله بن سبأ) اليهودي مدعي الإسلام ، ومن جملة ما سبق يمكن الإشارة إلى أبرز معالم اعتقادهم في الأئمة على حسب الآتي :

١ - ادعاء الألوهية وعلم الغيب :

إن ادعاء الألوهية وعلم الغيب وصرف حقوق الربوبية لغير الله سبحانه وتعالى من أعظم الجرائم وأظلم الظلم .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ، وعلى الرغم من أن كتب الظاهر للفاطميين ـ بخاصة في المرحلة المصرية ـ ما فتئت أن تنفي عن

---

(١) إبراهيم الحامدي ، كنز الولد ، ص١٦٥ .

(٢) زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، ص ٣٦ .

أئمة الدولة علم الغيب أو ادعاء الألوهية ، في مقابل صد الانتقادات الحادة لأهل السنة ، فإنه سرعان ما ينكشف المستور من خلال تصريحات وكتابات علماء وشعراء المذهب حيث يصفون الأئمة بعلم الغيب ، وأن عندهم خبر ما كان وما يكون ، وهم عليمون بما في الصدور ، و ...

ليس هذا فحسب ، بل يعتقدون أن لأئمتهم جميع الصفات الإلهية والأسماء الحسنى ، فالإمام هو الخالق البارئ المصور ، والعليم القدير ، والعزيز ذو انتقام ، والحكيم الحميد ، والفعال لما يريد[(١)] .

وقد سبقت الإشارة إلى أن الإمام في العالم الجسماني يقابل العقل الفعال في العالم الروحاني ، وبالتالي فإنه قد انسحبت عليه جميع الأسماء الحسنى التي هي الثابتة للعقل الفعال - بزعمهم - .

ويقول جعفر بن منصور اليمن : (علي - يقصد أمير المؤمنين ابن أبي طالب - روح الله القدسية التي أخضع لها كل المخلوقات ، وفعله السبب إلى توحيده ، والدليل إلى وجوده ، إذ نعته الله بصفته ، فهو جنب الله ، وعينه وأذنه ووجهه ويده لتأنس الخلائق إلى معرفة توحيده بإقامة حدوده)[(٢)] .

أي أنه يمثل الإنسان الإلهي (الإنسان الكامل) بزعمهم ؛ ليأنس الناس إلى الله ولا ينصرفوا عنه ، ويرتب على ذلك أن (كل قائم في عصره فهو اسم الله الذي يدعى به في ذلك العصر ، كما قال الله عزوجل : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠])[(٣)] .

---

(١) زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ،ص٣٦ .

(٢) جعفر بن منصور اليمن ، أسرار النطقاء ، ص٥٦ .

(٣) جعفر بن منصور اليمن ، الكشف ، ص١٠٩ .

ويوضح الكاتب الشيعي مصطفى غالب ذلك بقوله : (إن الإمام هو علي- يقصد ابن أبي طالب- أداة الباري من حيث الوحدة الحقيقية إذا كان مجردًا عن الجسم ، فإذا ظهر الإمام بصورة الجسم كان اسمًا من أسماء الله وصفة من صفاته ، وإذا اتحدت صفاته العليا كان هو الله في الحقيقة)(١) .

ويشرح شهاب الدين أبو فراس سر معتقدهم الإلحادي هذا بقوله : (واعلم بأن الإمام الموجود للأنام لا يخلو منه مكان ، ولا يحوزه مكان ؛ لأنه إلهي الذات ، سرمدي الحياة ، ولو لم يتأنس بالحدود والصفات - أي لو لم يظهر في الشكل الإنساني - لما كان للخلق إلى معرفته وصول)(٢) ! تعالى الله عما يقول الكافرون علوًّا كبيرًا .

يقول المعز لدين الله للحسن بن أحمد زعيم القرامطة : (... وليعلم من الناس من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أنا كلمات الله الأزليات ، وأسماؤه التامات وأنواره الشعشانيات ، وأعلامه النيرات ، ومصابيحه البينات ... وأنا لكما كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] فاستشعروا النظر فقد نقر الناقور)(٣) .

وبذلك يزول العجب مما كتبه شعراء الدولة أمثال ابن هانئ الذي ملأ ديوانه بإضفاء صفات الألوهية وأحيانًا وصف النبوة على المعز لدين الله ومدحه بها فيقول :

---

(١) مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص٢٤ .

(٢) شهاب الدين أبو فراس ، رسالة مطالع الشموس ، ضمن رسائل الإسماعيلية ، جمع : عارف تامر ، ص٣٣ .

(٣) زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، ص٢٩-٣٢ .

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ   فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ
وكأنما أنتَ النبيُّ محمدٌ   وكأنما أنصارُكَ الأنصارُ
أنتَ الذي كانتْ تبشرنا به   في كُتبها الأحبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتقين ومن به   قد دوخ الطغيان والكفارُ
هذا الذي ترجى النجاةُ بحبه   وبه يحيط الإصر والأوزارُ
هذا الذي تجدى شفاعتُه غدًا   حقًّا وتُخمد إن تراه النارُ[1]

ويقول في قصيدة أخرى يمدح المعز :

تدعوه منتقمًا عزيزًا قادرًا   غفارًا موبقة الذنوب صفوحًا
أقسمتُ لولا أن دُعيتَ خليفةً   لَدُعيت من بعد المسيح مسيحًا
فكأنما ملك القضاء مُقدّرًا   في كلّ أوب والحمام مُتيحًا
شَهِدَتْ بمفخرك السمواتُ العُلى   وتنزّل القرآنُ فيك مديحًا[2]

ويظهر عجزه عن مدحه بعجزه في وصف صفات كماله بقوله :

لما مدحتك كي أزيدك سؤددًا   هل في كمالك موضعٌ لمزيدِ
مالي وذلك والزيادة عندهم   في الحد والنقصان من المحدودِ
أثنى عليك شهادة لك بالعلى   كشهادتي لله بالتوحيد[3]

ومن بعده سار على دربه شعراء الدولة أحد الأدوات المهمة لترويج عقائد المذهب، والذين يفاخر بهم طائفة من المخدوعين من الكُتاب على أنهم إحدى الصور المضيئة لحضارة الدولة العُبيدية (الفاطمية) ، ولا أدري أي إضاءة يقصدون في تلك الأبيات الداكنة السواد ، والمظلمة بصور الشرك والوثنية ؟! فهذا الأمير

---

(١) ابن هانئ ، ديوان ابن هانئ ، ص١٤٦.

(٢) ابن هانئ ، ديوان ابن هانئ ،ص٧١-٧٤.

(٣) المصدر السابق ، ص١١٣ .

تميم يقول في أبيه المعز بأنه ممثول النبي محمد ﷺ فيقول :

وإنك أنتَ المصطفى المِلكُ الذي بطاعته من ربِّنا نتقَرَّبُ
عليكَ صلاةُ الله ما طلع الضُّحى وما حَنَّ للأوطانِ من يتغرَّبُ[(١)]

ويمدحه بقوله أيضًا :

يا حُجّةَ الرَّحمنِ عند عباده وشهابَهُ في كُلِّ أمرٍ مُشْكِلِ
من لم يكن في صومِهِ متقرِّبًا بِكَ، فصومُه لم يُقبلِ[(٢)]

وهذا أبو الحسين الأخفش يمدح الآمر بأحكام الله بقوله :

بَشَرٌ في العين إلا أنه عن طريق العقل نورٌ وهُدَى
جَبَلٌ إن تدركه أعيننا وتعالى أن تراه جسدا
تدرك الأفكار فيه بانيا كاد من إجلاله أن يُعبدَا[(٣)]

وفيه يقول شاعر آخر :

هذا أمير المؤمنين بمجلس أبصرتُ فيه الوحيَ والتنزيلا
وإذا تمثل راكبا في موكبٍ عاينتُ تحت ركابه جبريلا[(٤)]

وفي سنة (٤٠٥ هـ - ٤٠٧ هـ / ١٠١٥ م - ١٠١٧ م) يتجلى الانحراف في أبشع صوره ، إذ يدعي نفر ممن قدموا من بلاد فارس (حمزة اللباد الزوزني ، الحسن بن حيدرة الفرغاني ، محمد بن إسماعيل أنوشكين الدرزي) ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي داعين إلى إبطال النبوة والشرائع ، وقد بدأوا دعوتهم هذه من الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) معقل أهل

---

(١) محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الفاطمي ، الشعر والشعراء ،ص٢٦٨.

(٢) المرجع السابق ، ص١٦٩.

(٣) محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ،ص١٥٩.

(٤) زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، ص٣٠.

السنة في الفسطاط ، وهو الأمر الذي أحدث صدامًا شديدًا بين الفريقين ، بينما لم يحرك الحاكم بأمر الله ساكنًا ، حيث وافق الأمر هوى في نفسه . يقول النويري : (إنه عنّ له أن يدعي الألوهية ويصرح بالحلول والتناسخ ، ويحمل الناس عليه وألزم الناس أن يسجدوا له إذا ذكر ...)[(١)] .

مما جرأ تلك الطغمة الفاجرة على أن تعلن على الملأ : أن روح الله قد حلت في الحاكم ، ولذا دعا الفرغاني الناس أن يركعوا أمامه ، وقد وصل به الهوس مبلغًا إذ وقف ذات يوم في الجامع العتيق صائحًا : أنت الواحد الأحد .. المحيي المميت ، وأحيانًا يصيح قائلًا : باسم الحاكم الرحمن الرحيم ، مما أثار غِيرة المصريين أهل السُّنة الذين لم يتورعوا أن يقتلوا الفرغاني بعد ثمانية أيام من بداية دعوته في أثناء سيره في موكب الحاكم الذي لم يستطع هو وجنوده أن ينقذوه .

لم تنته هذه الدعوى الآثمة بموت الفرغاني وإنما جددها حمزة اللباد في سنة (٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) بعدما سانده الحاكم فزاد أتباعه من الشيعة الذين سموه (هادي المستجيبين) ، فأعلن ثانية تأليه الحاكم حتى ضج منه المصريون وشكوه إلى القاضي الذي قدم له أحد أتباع حمزة رقعة مكتوب في أولها : (بسم الله الحاكم الرحمن الرحيم) ، وفيها أمره بالاعتراف بألوهية الحاكم ، ثم تطاول على القاضي مما أثار العامة على حمزة وجماعته فقتلوهم ، وعلى هذا الدرب سار ثالثهم محمد بن إسماعيل الدرزي الذي حظي بمساندة الحاكم أيضًا فنشط في دعوته حتى سنة (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) فقاومه المصريون حتى فر من مصر إلى بلاد الشام ، فكان جزاء أهل مصر لدفاعهم عن نقاء التوحيد الخالص لرب العالمين أن سلط الحاكم عليهم عبيده للانتقام منهم فهاجموا الحمامات والمنازل

---

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ١٩٧/٢٨ .

يأخذون ما فيها ويهينون أصحابها[(١)] .

ويصف السيوطي ذلك بقوله : (إن أهل مصر قاتلوا قتالًا عظيمًا ، والنار تعمل في الدور والحريم ، واجتمع الناس في الجوامع ، ورفعو المصاحف وجأروا إلى الله ، وما انجلى الحال حتى احترق من مصر ثلثها ونهب نحو نصفها وسبي حريم كثير .. »

وهذا لون آخر من ألوان الانحراف العقائدي وفيه يفتري الكذب وينطق الكفر مؤيد الدين الشيرازي بنسبته إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال : (أنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا الباطن ، وأنا بكل شيء عليم ، وأنا الذي رفعت سماءها ، وأنا الذي دحوت أرضها ، وأنا أنبت أشجارها ، وأنا الذي أجريت أنهارها)[(٢)] .

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢/١١٧-١١٨ .

(٢) مؤيد الدين الشيرازي ، المجالس المؤيدية، ص١٧٤. زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ، ص ٣٧ . ويشاركهم الشيعة الاثنا عشرية في القول بهذا الغلو – وإن حاول بعضهم التخفيف من ذلك الغلو – يقول المجلسي (وقال عليه السلام : أنا دحوت أرضها ، وأنشأت جبالها ، وفجرت عيونها ، وشققت أنهارها ، وغرست أشجارها ، وأطعمت ثمارها ، وأنشأت سحابها ، وأسمعت رعدها ، ونورت برقها، وأضحيت شمسها ، وأطلعت قمرها ، وأنزلت قطرها ، ونصبت نجومها ،... وأنا الأول والآخر والظاهر والباطن وبكل شيء عليم) بحار الأنوار ، ٣٥/ ٣٥٣ . وبوب ثقتهم الكليني بابا في كتابه أصول الكافي ترجم له بقوله : (إن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا) وأيد ذلك بما نسبه لجعفر الصادق –بزعم– أنه قال : (إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم ، وإن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وإنهم لايموتون إلا باختيار منهم) أُصول الكافي ، كتاب الحجة ، ٢٥٨/١.

وعلى درب هؤلاء الباطنية يسير الخميني بتأكيده على « أنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية ، والولاية باطن الخلافة .. فهو عليه السلام بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت ، ومع الأشياء معية قيومية ظلية إلهية ، ظل المعية القيومية الإلهية ، إلا أن الولاية لما كانت في الأنبياء أكثر خصهم بالذكر » مصباح الهداية ، ص ١٤٢ . وتحت قوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢] يقول الخميني : أي ربكم الذي هو الإمام . المرجع السابق ، ص ١٤٥ . ومرجع ذلك الانحراف هو إيمانه بعقيدة وحدة الوجود وانتصاره لها =

وفي مناقضة صريحة لنصوص القرآن الكريم ، حيث يصف الله تعالى نفسه بأنه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢] يقول جعفر بن منصور اليمن في تأكيد هذا المعتقد : (القائم بالسيف يعلم الجهر من القول وما كنتم تكتمون)[(١)] .

يقول حميد الدين الكرماني في الحاكم بأمر الله : (وله معجزات ومعجزات ، وإخبار بالكائنات قبل كونها وإظهار للعلم المكنون)[(٢)] .

والله تعالى يقول : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥] .

نعوذ بالله من الخذلان !!

٢ - السجود للأئمة :

من العادات التي أصلها الفاطميون في مصر والدول التابعة لهم وأمروا بها : تقبيل الأرض وتقبيل أقدام الخلفاء والسجود لهم في الطرقات ، ولم يستثن من ذلك حاكمًا ، ولا فترة من فترات القوة أو الضعف من اتباع تلك العادة المرذولة ، وليس هذا فقط ، وإنما إذا ذكر الحاكم بأمر الله في محفل فعلى كل من سمع اسمه أن يسجد ويقبل الأرض إجلالًا له[(٣)] ، وإذا ما مر في الطريق سجد له أهل الأسواق في

= حيث يعتبر أنه لا ظهور ولا وجود إلا له تبارك وتعالى ، والعالم خيال عند الأحرار ، المرجع السابق ص ١٢٣ ، والذي بناه على قواعد ابن عربي الوجودية، ولذلك لا يستحيي أن ينسب للأئمة أنهم قالوا : « لنا مع الله حالات ، هو هو ، ونحن نحن ، وهو نحن ، ونحن هو » المرجع السابق ، ص١١٤ ؛ لتتأكد من باطنية عقيدة الشيعة الاثني عشرية أيضًا .

(١) جعفر بن منصور اليمن ، أسرار النطقاء ،ص٢١٨ ، ٣١٧ .

(٢) حميد الدين الكرماني ، المصابيح في إثبات الإمامة ، ص٢٤ .

(٣) النويري ، نهاية الأرب ،٢٨/١٩٧-٢٠١.

أثناءِ مروره ، كما أمر الرعية أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إعظامًا لذِكْره واحترامًا له عندما يذكره الخطيب على المنبر في أثناء الصلاة في الجامع .

ويحلل ابن كثير شخصية الحاكم بشكل أوضح بقوله إنه : (كان كثير التلون في أفعاله ، وأحكامه وأقواله جائرة ، وقد كان يروم أن يدعي الألوهية كما ادعاها فرعون ، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفًا إعظامًا لذِكْره واحترامًا لاسمه ، فُعِلَ ذلك في سائر ممالكهم حتى إنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم ممن كان لا يصلي الجمعة)[١] .

وبذلك فاق الحاكم بأمر الله سلفه في ادعاء الألوهية (فرعون) ، حيث لم يأمر فرعون المصريين بالسجود عند ذكر اسمه ، ولكنها رواسب الجاهلية التي تسربت إلى كافة العقائد الشيعية وخاصة الإسماعيلية وريثة الخطابية التي ادعى صاحبها أبو الخطاب الأسدي حلول الجزء الإلهي في جعفر الصادق الذي أعلن براءته منه ومن أتباعه[٢] .

يضاف إلى ذلك من الطقوس : أنه عندما يسمع قاضي القضاة الأذان لصلاة الجمعة في رمضان يتوجه إلى المنبر فيقبل أول درجة وبعده متولي بيت المال ومعه المبخرة ، وما زالا يقبلان درجة بعد درجة إلى أن يصلا إلى ذروة المنبر ، ويفتح القاضي بيده التزرية ويرفع الستر ويتناول متولي بيت المال المبخرة ويقبلان الدرج وهما نازلان - أي يقبلان الدرج صعودًا ونزولًا - ، وعندما يخرج الخليفة والمقرئون بين يديه يتلقونه بالقراءة إلى أن يصل إليه ويزر عليه القبة ثم ينزل ويقف

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢/٩-١٠ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروضة الزاهرة ، ص٣٧-٣٨ . المقريزي ، الخطط ، ٢/٢٨١ . .

على الدرجة الأولى ويجهر المقرئون ثم يكبر المؤذن .

ويبلغ إذلال المصريين ذروته من الشيعة حكامًا ووزراء ، حيث أمروا الناس بتقبيل أيديهم أو ركاب فرسهم ، وأمروا صفوة المصريين أن يقبلوا ركبتهم ، أما عامة المصريين فيقبلون الأرض بين أيديهم ، وإلى اليوم يسجد البُهرة – من بقايا الشيعة الفاطميين – للداعي المطلق للطائفة[١] .

ثالثًا : التأويل الباطني وجريمة القول بتحريف القرآن الكريم :

إذا كانت الإمامة الإلهية تمثل الركن الأول والقاعدة الأساسية التي قامت عليها عقيدة الشيعة الإمامية الإسماعيلية –والاثنى عشرية ، وإن كان ذلك على خلاف في أشخاص وأعداد الأئمة – ، فإن التأويل الباطني طبقًا لنظرية المثل والممثول يعتبر الركن الثاني الذي يدعم نظريتهم في الإمامة ويحقق غايتهم في التشكيك في المصادر الأصلية للأديان وإبطال كافة الشرائع والمعاد ، ولأهمية هذا الركن سموا بالباطنية على أن لكل شيءٍ ظاهرًا محسوسًا في هذا الكون له معنى آخر خفي يعرف بالمعنى الباطن ، ليس هذا فحسب بل سحبوا هذا الاعتقاد الباطل والفهم المنحرف على النصوص الشرعية وأحكام الشريعة التي أصبحت تمثل في معتقدهم الظاهر ، بينما باطنها يمثل الحقيقة ، وأن صاحب الشريعة هو الرسول – يقصدون النبي محمدًا ﷺ – بينما صاحب الحقيقة – أي الذي يعرف المراد منها على حقيقتها – هو علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، الوصي في اعتقادهم[٢] ، وكدأبهم دائمًا لترويج عقيدتهم على المخدوعين فيهم ينسبون ذلك إلى النبي ﷺ كذبًا وزورًا أنه قال : (أنا صاحبُ التنزيل ، وعليٌّ صاحبُ التأويل)[٣] ، ولمكانة القول الباطن ،

---

(١) انظر ملحق الوثائق .

(٢) السجستاني ، الافتخار ،ص٧٤.

(٣) مؤيد الدين الشيرازي ، السيرة المؤيدية ، تحقيق محمد كامل حسين ، ص٧٠ .

وأهميته عند الشيعة يقول جعفر بن منصور اليمن : (من عمل بالباطن والظاهر فهو منا ، ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خيرٌ منه وليس منا)[١] ، ولكن (من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر) ؛ وذلك لعلو درجاتهم ، أما من هم دون ذلك من المقصرين من أبناء المذهب فإنهم يلتزمون بإقامة الشريعة لرياضة نفوسهم بالأعمال الشاقة ، ينقل عنهم أبو حامد الغَزّالي ذلك بقوله : من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ، وإنما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين ، أما من بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها عليك فقد أعتقته من الرق ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر)[٢] ، ولم يقتصر هذا الإلحاد تحت زعم التأويل الباطني على كافة الأئمة والدعاة إليهم ودرجاتهم وحقوقهم فحسب ، وإنما طال هذا التأويل الباطل معجزات الأنبياء مما أوقعهم في تناقض ، حيث يؤمنون ببعثة الأنبياء وبصدقهم ، ولكنهم يتأولون معجزاتهم سواءً كانت حسية أو معنوية تأويلًا يخرجها عن غير ظاهرها الذي تقتضية اللغة العربية ، فقالوا : إن ثعبان موسى هو حجته ، وأن المسيح لا أب له ، أي في تأويلهم أنه لم يأخذ العلم عن الإمام ، وأن إحياء سيدنا عيسى للموتى إشارة إلى علمه الذي يهديهم به ، وأن نبع الماء من

---

(١) جعفر بن منصور اليمن ، الفترات والقرنات ،ص٦٦-٦٧.

ويضع شيخ الإسلام ابن تيمية أصلًا ضابطًا للتعامل مع قضية الظاهر والباطن على نحو التفصيل الآتي : « إذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن من أكثر الناس أو عن بعضهم ، فهذا على نوعين : أحدهما : باطن يخالف العلم الظاهر ، والثاني : لا يخالف ، فأما الأول فباطن ، فمن ادعى علمًا باطنًا أو علمًا بباطن ، وذلك يخالف العلم الظاهر قد يكون حقًا وقد يكون باطلًا ، فإن الباطن إذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم ، فإن علم أنه حق قُبِلَ ، وإن عُلم أنه باطل رُدَّ وإلا أمسك عنه » . ومن ثمّ ضرب مثالًا على ذلك فيما يدعيه الباطنية من القرامطة والإسماعيلية الشيعة والنصيرية ومن مواقفهم . انظر : الرسائل المنيرية ،١/٢٣٠ .

(٢) أبو حامد الغزالي ، فضائح الباطنية ،ص١٢،٤٦-٤٧.

أصابع النبي محمد ﷺ إشارة إلى كثرة علمه[١] .

هكذا فعلوا لهدم مقام النبوة وتجريد الأنبياء عن دلائل صدقهم !!

وتعد جريمة القول بتحريف القرآن الكريم من أشنع جرائم الشيعة العُبيديين (الفاطميين) التي رتبوها على قولهم بأن لكل ظاهرٍ باطنًا، تحت دعوى أن ظاهره تنزيل وباطنه تأويل ، هذا بالإضافة إلى إبطال الشريعة ، وبالتالي اتفقوا على تحريف معانيه بينما اختلفوا في تحريف ظاهره . ولتأكيد ذلك نسب قاضي قضاة الدولة الفاطمية ومُنظِّرها الأكبر النعمان بن حيون إلى النبي ﷺ حديثًا مكذوبًا بأنه قال : لا توجد آية من القرآن إلا ولها ظهر وبطن)[٢] .

ويدلل على ذلك في كتابه (شرح الأخبار) بأمثلة منها : روى أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق ، عن أبيه أنه قال في قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ [المعارج : ١ - ٢] ، قال : نزلت والله بمكة للكافرين بولاية علي ، وكذلك هي في مصحف فاطمة .

ويقول - عليه من الله تعالى ما يستحق - في كتابه « دعائم الإسلام » في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة : ٩٥] .

يقول القاضي : « هذا تحريف ، والصحيح (ذو عدل منكم) وهكذا يقرؤها أهل البيت (ذو عدل) على الواحد ، وهو الإمام ومن أقامه الإمام »[٣] .

ويقول صاحب (زهر المعاني) إدريس عماد الدين في تأويل قول الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ

(١) يحيىٰ بن حمزة العلوي ، الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، ص٢٠. ويتبعهم القاديانيون في ذلك .

(٢) القاضي أبو حنيفة النعمان بن حيون المغربي ، أساس التأويل،ص٢٩-٣٠. .

(٣) القاضي النعمان بن حيون المغربي ، دعائم الإسلام ،ص٣١٣ .

عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة ١٦ – ١٩] ، وكان رسول الله ﷺ يرجو أن لا يكشف حقيقة مرتبة وصيه إلا رمزًا حتى يبلغ الكتاب أجله ، فقال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة ١٦ – ١٩] ، ولما جمع له القرآن فوعاه وعرفه وقرأه)[١] .

وبهذه الأمثلة أكتفى وإلا فالشواهد ومواضع التأويل للآيات والأحاديث أكثر من أن تحصى ، وهو ما تسرب فيما بعد إلى عقيدة الشيعة الاثنى عشرية .

أما جمع القرآن الكريم فإن الشيعة الإسماعيلية يوافقون سائر طوائف الشيعة الإمامية في جمع علي مصحفًا خاصًا أودعه عند إمام الزمان لرفض الصحابة في زعمهم الأخذ به ، يقول الكرماني عن جمع القرآن الكريم : إن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب بعد وفاة النبي ﷺ وقدمه إلى الناس لم يقبلوه عنادًا وردوه عداءً ، وقالوا : إن القرآن الذي عندنا يكفينا ، فرجع علي بقرآنه وقال : لن يفتحه أحدٌ إلا القائم[٢] .

---

(١) إدريس عماد الدين القرشي ، زهر المعاني ، ص٤٠٥ .

(٢) زاهد علي . اسماعيلي مذهب،ص٧ ،وهو ماورد عند الشيعة الاثني عشرية في أوثق كتبهم، انظر : الكليني ، أصول الكافي ،٦١٣٤/٢ . حيث يدعي أن القرآن الذي نزل به جبريل على النبي ﷺ سبعة عشر ألف آية ، أي تعتقد الشيعة – عليهم من الله ما يستحقون – بحذف ثلثيه لأن عدد آيات القرآن الكريم ستة آلاف ومئتان وثلاث وستون آية ، وهو ما يؤكده نعمة الله الجزائري الذي يصفونه بأنه الكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء والذي يفتري الكذب بقوله :(إن تسليم تواترها – أي آيات القرآن الكريم– عن الوحي الإلهي ، وكون الكل نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادة وإعرابًا) ، ومن ثم يعلل الجزائري سبب قول بعض علماء الشيعة بعدم وقوع التحريف بقوله : (والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة...) ليؤكد بعدها على استخدام هؤلاء للتقية بقوله : (كيف وهؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخبارًا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن ، وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا ...) الأنوار النعمانية ،٣٦٣/٢-٣٦٤ . =

فالقضية إذًا ليست قضية جمع القرآن فحسب ، وإنما ادعاء التحريف لبعض آياته !

ومما لا شك فيه أن مُعتَقِد مثل هذه التأويلات الباطنية ملحدٌ في آيات الله ولا جدال في زندقته وكفره وإلحاده ، ومن سلك مثل هذا المسلك فهو سالك لطريق الشيطان بعيدًا عن طريق الرحمن(١) ، حيث يقول تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] .

ويقول عز وجل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر : ١٧] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] .

ولا ريب أن هذا القدح قد طال مقام رب العزة سبحانه وتعالى الذي تعهد بحفظ القرآن الكريم من التحريف والتصحيف والتبديل وغيره حيث يقول جل وعلا : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

وقَدْحٌ في القرآن نفسه حيث يقول الله تعالى واصفًا إياه ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الجاثية : ٢٩] ولم يقل تعالى (يتضمن) الحق ، وقال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ [الصافات : ١١٧] ولم يقل : (المستتر أو الغامض) ، ولذلك قال تعالى عنه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام : ١١٤] ، فكل شيء قد فصله الله تعالى فيه تفصيلًا : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢] ، لم

= وهو ما يؤكده من المعاصرين داعية التقريب الشيخ كاشف الغطاء في كتابه « كشف الغطاء » ، ص٢٩٨ ، حيث ادعى أن القرآن الكريم على قسمبن : قسم قرأه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على الناس وقام به الإعجاز ، وقسم أخفاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم منه إلى باقي الأئمة وهو المحفوظ عند مهديهم الغائب .

(١) محمد السيد الجليند ، الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل ، ص٢٩٩.

يفرق فيه تعالى بين أسس العقيدة أو أحكام الشريعة أو الأخبار عن ما كان أو ما سيكون ، ومن آياته دلائل ربوبيته وعظمته جل وعلا ، فما من شيء إلا وفصله ووضحه في الكتاب والسنة .

وهو قَدْحٌ صريحٌ في مقام الرسالة والرسول محمد ﷺ باتهامه بالتقصير في البلاغ والبيان ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] . وقال عز وجل : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم : ٩٧] . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] . ويقول تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [النمل : ٩٢] وفي هذه الآية الكريمة قد رتب الله تعالى هداية العبد على مجرد تلاوة القرآن الكريم ، أي على آياته المنطوقة وأحكامه، وآياته في الأنفس والآفاق ، ولم يشترط قرآنًا غيره لهداية العبد وعدم ضلاله .

وطعن وقدح في الإسلام الذي يقول الله تعالى في حقه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] .

(فدين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سر تحته ، كله برهان لا مسامحة فيه ، وكل من ادعى للديانة سرًّا وباطنًا فهي دعاوى ومخارق ، فالرسول لم يكتم شيئا من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من زوجه وابنته أو عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا غير ما دعى الناس كلهم إليه ، ولو كتمهم شيئًا لما بلغ كما أمر)[١] .

---

(١) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٤/ ١١٤ .

رابعا : اعتقاد الإسماعيلية في البعث والمعاد وإيمانُهم بتناسخ الأرواح :

تخالف الشيعة الإمامية الإسماعيلية (الفاطمية) ما أجمعت عليه كافة طوائف أهل القبلة من الإيمان بالبعث والميعاد ، وبالجملة في أحوال ما بعد الموت الذي هو اعتقادهم في انتقال الأرواح الطيبة - التي استجابت لدعوتهم وآمنت بعقيدتهم - إلى العوالم الروحانية لتنضم فيما بعد إلى العقول الإبداعية(١) .

أما الأرواح الشريرة فإنها تنضم إلى العوالم السفلية ، وتظهر في شكل الجن والشياطين والهوام .

أما أجساد أصحاب الأرواح الطيبة فإنها تتحول في دورة بين الأرض والكواكب لتعود إلى الأرض حيث تتشكل في شكل الياقوت والدرر الثمينة التي يتحلى بها الملوك ، أما أجساد الضرب الثاني من الصلحاء عندهم والمستجيبين للدعوة الملتزمين بولاية ناطق الدور ووصيه فإن جسده يتحلل شيئًا بعد شيء ، ثم يتحول من خلال دورة يتحول فيها من البخار إلى المطر الذي يصير إلى شيء من المأكولات الطيبة والمشروبات العذبة ، والمشمومات الزكية ، ليتحول إلى نطفة تتحد فيها روحه ليخرج إنسانًا مستجيبًا لدعوتهم متبعًا لشريعتهم(٢) .

أما الأرواح الشريرة في اعتقادهم والتي لم يستجب أصحابها لدعوتهم ولم يؤمنوا بإمامتهم فإنها - على حد زعمهم - تنضم إلى العوالم السفلية ، وتظهر في شكل الجن والشياطين والهوام ، وتظل في عذابٍ مستمر ، ومنها من يوفى مدة عذابه لينزل إلى الأرض في شيء من المأكولات أو المشروبات التي يتغذىٰ

---

(١) طاهر بن إبراهيم الحارثي ، الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد ،الباب الرابع من السرادق الثاني - الفصل الأول والثاني ،الملحق بكتاب محمد حسن الأعظمي (الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية) ، ص١٣٠-١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٣٦-١٣٩ .

بها أحد المستجيبين لدعوتهم أو من هو ضده لتظهر في شكل نطفة عند ملامسة زوجته يكون منها مولود عندما يبلغ الحلم يصير ضد إمام العصر ليكون هو الشيطان بالفعل ، أما جسد صاحب هذه الروح بعد موته فإنه يتحول من التراب إلى بخار ليعود إلى الأرض في شكل أمطار مهلكة وسيول جارفة وينبت منها نبات وحيوان يتغذىٰ منه أصحاب الأرواح الشريرة ليتصل بها دورة العذاب الجديدة في **سبعة أدراك من التناسخ** :

= **درك الرجس** : حيث يظهر في قميص الزنج والبربر والترك وغيرهم من الذين لا يصلحون لمخاطبة الحق ، ومن ثمَّ ينقلبون في اعتقادهم من قميص إلى سبعين قميصًا لينتقل إلى الدرك الثاني .

= **درك الوكس** : حيث يظهرون في أجساد القرد والدب والنسناس والغول وأمثال ذلك ثم يسلك بهم في الدرك الثالث .

= **درك العكس** : ويظهرون في أشكال سباع البر والبحر كالأسود والنمور والذئاب وأمثالهم وهكذا يستمرون في الانتقال إلى سبعين قميصًا ليظهروا في الدرك الرابع .

= **درك الحرس** : حيث يظهرون في أشكال هوام البر والبحر كالأفاعي والحيات والعقارب وأمثالهم ، وكذلك ينقلبون في هذا العذاب في سبعين قميصًا ليظهروا في الدرك الخامس .

= **درك النجس** : وهم طير البر والبحر مما يشاكل ذوات الجوارح إلى أن يستوفي في كل نوع سبعين قميصًا من العذاب ليظهروا في الدرك الخامس .

= **درك النكس** : وفيه يفارقه في اعتقادهم آلة الحس ليظهر في شكل النباتات السامة المهلكة للحيوانات إلى أن يستوفي في كل نوع من هذه النباتات سبعين قميصًا ليظهر في الدرك السابع .

= **درك الركس** : وهو المعدن السنج والحجر الوسخ الخبيث ، ويظل يتنقل في أنواعه إلى سبعين قميصًا بعدها ينفى إلى أرباع الأرض الخارجة عن حد الاعتدال وغير المسكونة في شكل أحجار وصخور هائلة يصب عليها الزمهرير المجمد المحرق ، أو الحرارة والنيران المحرقة ، أما أجساد العلماء المتصدين لدعوتهم والمبينين عوارها فإنه يزاد عليهم ليظهروا في أشكال حيوانات مشوهة في تلك الجبال الموحشة ليتألم هؤلاء جميعًا في أرباع الأرض تلك[١] .

ولا شك أن هذه الأسطورة وما تحمله من خرافات تهدم الإيمان بالنبوة وما أجمع عليه المسلمون من عقائدهم باليوم الآخر والبعث والجزاء والثواب ، وما ذلك إلا للتحلل من كافة الشرائع بعد هدمهم لأصول الإيمان باستخدام قاعدتهم وأصلهم الثاني في التأويل الباطني (الإلحاد) .

ومن العجيب حقا أن يعلن هؤلاء إيمانهم بالأنبياء وأن مقام النبوة حق[٢] ، في الوقت الذي لا يقول فيه جميع الأنبياء بالتناسخ[٣] مما يلزمهم منطقيا أن التناسخ هذا باطل ، ولكنهم قوم لا يعقلون .

- **أما اعتقادهم في يوم القيامة** فإنهم يخالفون فيه كافة الرسالات السماوية فهو ليس يومًا واحدًا ، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، بل هو

---

(١) المصدر السابق ، ص١٣٦-١٣٩ .

(٢) محمد حسن الأعظمي ، المرجع السابق ، ص٤٣ .

(٣) ومن سلفهم في القول بالتناسخ : الفيثاغورثيون من فلاسفة اليونان ، والبراهمة الهندوس ، جاء في كتاب « أوبانيشاد شاندوجيا » : (..لكن من يتمتعون بسلوك شائن هنا سيدخلون رحمًا منحطًا، إما رحم كلب ، أو رحم خنزير ، أو رحم أحد المنبوذين) رادا كرشنا ، الفكر الفلسفي الهندي ، ص١١٤ . وجاء في قوانين منوسمراتي: (وسارق الغزال أو الفيل يخلق ذئبًا ، وسارق الفرس يخلق نمرًا ، وسارق الفواكه يخلق دبا ، وسارق الماء يخلق عصفورًا ..) منوسمراتي .. كتاب الهندوس المقدس ، ترجمة يحيىٰ حقي ، بند ٧٦، ص٢١٢.

يوم متكررٌ في كل دورةٍ من دروات الحياة (كل دورة سبعة آلاف سنة) يتولى فيها قائم القيامة الذي هو النبي السابع أو الناطق السابع حسب اعتقادهم (محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، والسابق الإشارة إليه ، وإليه تكون محاسبة الخلائق جميعًا من أنبياء وغيرهم أهل دوره هذا ، ويطلقون على هذا اليوم كل ما ورد في القرآن الكريم من تسميات له مثل : يوم التناد ، يوم التلاق ، يوم التغابن ، يوم الآزفة ، الساعة ، الصاخة ، ...) .

خامسًا : إبطال الشرائع ومعاداة علماء أهل السنة :

إن إبطال الشيعة الإسماعيلية للشرائع يعد أحد لوازم اعتقادهم بأن كل شيءٍ في هذا العالم له ظاهر وباطن ، حيث يقول داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي : (اعلم يا أخي أن لكل شيء في هذا العالم ظاهرا أو باطنا . فظاهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ ...)[١] ، وأنه بقيامة إمامهم السابع محمد بن إسماعيل خاتم الرسل المنتهي إليه غاية الشرائع المختومة به في زعمهم ، ادعت إبطال الشرائع ، يقول المعز : (وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد لما كان لمعانيها مبينًا ولأسرارها كاشفًا ومجليًا ، فأزال عن أتباعه وأشياعه اعتقاد الظاهر على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمُبدِئ الحق بمخلوقاته ، فعطل ذلك الاعتقاد)[٢] ، أي أنه رفع عنهم التكاليف الشرعية .

ويوضح ذلك الشيعي الإسماعيلي المعاصر عارف تامر في (أربع رسائل إسماعيلية) بقوله : (وأما الشرائع فتحط عنهم التكليفات كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، وتبقى معهم الشرائع العقليات التي هي عقد النكاح والطلاق

---

(١) محمد كامل حسين ، أدب مصر الفاطمية ،ص٨١.

(٢) زاهد علي ، إسماعيلي مذهب ،ص١٠٠ .

والمواريث والأملاك ودفن الموتى وغسلهم الأجسام بالماء ، وما شاكل ذلك من شرائع العقليات)[١] ، فالصلاة عندهم هي (ولاية الأولياء الذين وجب على الخلق طاعتهم)[٢] ، وروى المفضل بن عمر الجعفي أن : (إقامة الصلاة فهي معرفتنا وإقامتنا)[٣] ، وأن (إيتاء الزكاة) هي (الإقرار بالأئمة من ذريتهم)[٤] ، بينما صوم شهر رمضان يتأولونه بأنه (ستر مرتبة القائم) ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . أي من أدرك زمان الإمام فيلزم الصمت)[٥] .

ويصل بهم المفضل بن عمر لما هو أبعد من ذلك إذ يقول : (من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ، فإذا بلغها وعرفها منزلة منزلة ، ودرجة درجة ، فهو حينئذ حر فقد سقطت عنه العبودية)[٦] .

وما تصريحهم بالعمل بالظاهر والباطن معا في كتبهم الدعائية (كتب الظاهر) إلا من باب التقية والخداع للمدعوين ، يقول العالم الأزهري الدكتور سيف النصر : (إنني أرى أن كثرة كلامهم عن الظاهر والباطن وأهمية كل منهما هو من باب خداع

(١) عارف تامر (ترجمة وتحقيق) ، أربع رسائل اسماعيلية ،ص٣٠. .

(٢) السجستاني ، الافتخار ، ص١١٦ . إن كان للشيعة من البُهرة الذين لم يسقط عنهم بعد التكليف طقوسهم الخاصة في الصلاة ، فإن إخوانهم من الأغاخانية يكتفون عنها بالاجتماع مرتين في « جماعة خانة » – معبدهم – كل ٢٤ ساعة لتلاوة الدعاء ، يقول أغاخان الثالث : « أساس الدين قراءة الدعاء في الوقت المحدد في « جماعة خانة » وإن لم تستطع الوصول إليها أيها الأغاخاني لبعدها في الوقت المعين ، فاقرأ الدعاء في الطريق سائرًا ، وفي الدكان جالسًا ، وفي القطار مسافرًا ، وإنك إن أديت الأدعية حقها في وقتها مكنت من الدين » دعاء الإمامية الإسماعيلية الأغاخانية ، ص ٣٦ .

(٣) المفضل بن عمر ، الهفت الشريف ،ص٤٠.

(٤) إدريس عماد الدين القرشي ، الهفت الشريف ،ص٧٤.

(٥) إبراهيم الحامدي ، كنز الولد ،ص٢٠٨. .

(٦) المفضل بن عمر ، مصدر سابق ،ص٤١ . .

المستجيبين لدعوتهم ... والدليل على ذلك أنهم إذا وجدوا الفرصة سانحة والأرض ممهدة والقلوب متقبلة لآرائهم فإنهم يكشفون عن أهدافهم من إبطال الظاهر وإلغاء الشريعة)[(١)] ، ويقولون إنما وضعت هذه الشرائع والتكليفات في حق المستجيبين لدعوتهم من الذين لم يترقوا في درجاتها العليا حيث يسقط عنهم بعدها التكليف ، وذلك ليزدادوا إصرًا على إصرهم ، وإن كان لهم تأويل عند أدائهم لتلك الشعائر فالحج إلى بيت الله الحرام عندهم على حسب الباطن طلب إمام زمانه حتى يصل إلى معرفته ويتقلد عهده ، ويدخل في جملته[(٢)] .

وهذه فلتة من لسان داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي تفصح عن دخائل نفوسهم ، وفيها يلغي الحج إلى بيت الله تعالى الحرام ، ويستبدله بالحج إلى شخص الإمام ، يقول الشيرازي :

إن حـجـا لـبـيـت الجماد فـنـحـوكـم أولى وأولى

وقد عمد الشيعة العُبيديون (الفاطميون) منذ أن دانت لهم الأمور واستقرت

---

(١) سيف النصر ، التأويل الإسماعيلي الباطني ،ص٣٠ .

(٢) القاضي النعمان ، تأويل الدعائم ،١٤٥/٣ . وللبُهرة اليوم من الذين لم يسقط عنهم الظاهر بعد قصة طريفة أثناء تأديتهم مناسك الحج التي هي للإمام في اعتقادهم حيث يتقدمون المسلمين بيوم أو يومين بناء على تقويمهم الخاص ، وملخصها أنقله عن الشيخ (محمد نجم الغني) عن أحد الحجاج البهرة فيقول : « إنا وصلنا قبل الناس كما وصل إسماعيلية اليمن ... وقد أدى جميعنا مراسم الحج قبل الناس بيومين ، وحين تجمهرنا في عرفات تحت قيادة عالم إسماعيلي يمني أحاط بنا جمع من أهل السنة ، وسألونا عما نعمل قبل الوقفة ، فأجبناهم بقراءة أدعية مأثورة ، فانصرفوا بعد سماع هذا الجواب الساذج ، ثم انصرفنا إلى مزدلفة وقضينا فيها ليلتها جوار طريق الطائف الذي يسلكه الحجاج القادمون من هذه المدينة ، وكلما سألنا الجمع السني القادم إلى عرفة عن سبب انصرافنا عنها أجبناهم بأنا قادمون من الطائف ، سننزل مكة ، ثم نقدم منها إلى عرفة ، وهكذا قضينا الليلة ، ثم عدنا إلى عرفة ، وسرنا شركاء لعامة الحجيج » سلك الجواهر في أحوال البواهر ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

أقدامهم بمصر على طمس ومحو كل آثار المذهب السني لمحو هوية الشعب المصري ، خلافًا لعهد الأمان الذي تعهد به جوهر الصقلي للمصريين ، والذي ينص فيه على : (أن يجري الأذان ، والصلاة ، وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه ، والزكاة ، والحج ، والجهاد على أمر الله وكتابه وما نصه نبيه ﷺ في سنته ، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه ، وأن يجري في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[١] ، ومن ثمَّ تعهد لهم بترميم مساجدهم وفرشها والاهتمام بها وبالقائمين عليها بإجراء أرزاقهم مع إسقاط الرسوم الجائرة عن المصريين ، وهو مانقضه كله مثبتًا السيادة للشيعة .

– ومن أوائل جرائم جوهر الصقلي ضد مذهب أهل السنة : أن أبطل رؤية الهلال للصوم أو الفطر في رمضان ، وألزمهم بالعمل بالتقويم القمري والذي عرف بالتقويم المصري ، ومن ثم عممه على مختلف البلاد التي احتلها العُبيديون [٢] مهددًا من خالف ذلك بالعقاب الشديد ، مخالفًا حديث النبي ﷺ : (صوموا لرؤيته

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣٧٧/١ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١٠٣/١-١٠٦ .

(٢) المقريزي ، المصدرالسابق ، ١١٦/١-١١٧ . وعمدة هذا التقويم الإسماعيلي إتمام شهر محرم ثلاثين يومًا ، ونقصان صفر ، وإكمال ربيع ، ونقصان أخيه ، وإتمام جمادىٰ الأولى ، ونقصان الآخرة ، وإتمام رجب ، ونقصان شعبان ، وإتمام رمضان ، ونقصان شوال ، وإتمام ذي القعدة ، ونقصان ذي الحجة ، ما لم تكن السنة كبيسة على حسب طريقتهم في الحساب بقسمة السنة الهجرية على ثلاثين ، فإن كان المتبقي (٢-٥-٨-١٠-١٣-١٦-١٩-٢١-٢٤-٢٧-٢٩) تكون كبيسة . انظر : محمد حسن الأعظمي ، نظام الصوم عند الفاطميين ، ص ١٣-١٤ ، هذا عند الشيعة الإسماعيلية المستعلية (البُهرة) ، أما الشيعة الإسماعيلية النزارية (الأغاخانية) فلا يختلف رمضان عن باقي الشهور وإنما يصومون يوم الثامن من رجب كل سنة ، ويستمر الأغاخاني صائمًا منذ فجر الثامن من رجب حتى الساعة العاشرة والنصف قبل الظهر منه ، فيذهب إلى جماعة خانه للإفطار . انظر : خادم إلهي بخش ، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية ، ص ٣٢٠ .

وأفطروا لرؤيته ، فإن غمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)[١] .

وبذلك فإن شهر رمضان دائمًا عند الشيعة ثلاثون يومًا ، ففي سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) أفطر جوهر ومن معه من الشيعة بغير رؤية ، وصلوا صلاة عيد الفطر بمصلى القاهرة ، ومن وقتها وحتى نهاية الدولة الفاطمية أصبح صوم رمضان وفطره يتم دون رؤية الهلال[٢] اعتمادا على الحساب الفلكي ، مما ينبني عليه تقديم يوم أو يومين عن عامة المسلمين في صيام رمضان ، وعيد الفطر ، والوقوف بعرفة .

– ولأول مرة منذ الفتح الإسلامي لمصر تغير صيغة الأذان ؛ حيث أمر جوهر الصقلي المؤذنين بإضافة عبارة (حي على خير العمل في الآذان) ، والمعمول بها في المذهب الشيعي عندما صلى مع عساكره في جامع ابن طولون يوم الجمعة ٨ جمادى الأولى سنة(٣٥٩ هـ / ٩٧٠م) ، وأمر بتعميمه على مساجد مصر ، فأذن به في يوم الجمعة ٢٦ جمادى الأولى من السنة نفسها في الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) ، ومن ثمّ جميع مساجد مصر[٣] .

– والتزاما بالشعائر الظاهرة للمذهب الشيعي لإضفاء الهوية المذهبية على المجتمع المصري السني ، أمر أن يقال في خطبة الجمعة : (اللهم صلِّ على محمد النبي المصطفى ، وعلى عليّ المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرًا ، اللهم صل على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهديين)[٤] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) المقريزي ،المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ولعل جدلية الحساب الفلكي والرؤية في تحديد بداية شهر رمضان واحدة من الميراث النكد لهذا العصر .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،١/٥١٩ .

(٤) المقريزي ،الخطط ،٢/٣٤٠ ، اتعاظ الحنفا، ١/١١٧ .

أما في الصلاة فقد أمر بالجهر بالبسملة ، وعدم قراءة سورة الأعلى ، مع زيادة دعاء القنوت في الركعة الثانية من صلاة الجمعة ، ومنع التكبير بعد الصلاة.

- قطع الشيعة صلاة التراويح من مساجد مصر والتي تصلى بعد صلاة العشاء في رمضان ، وكذلك صلاة الضحى على حسب المذهب الشيعي، وقد أجازهما الحاكم فترة ثم أمر بمنعهما ، وفي سنة (٣٩٢ هـ / ١٠٠٢م) قبض على ثلاثة عشر رجلًا وضربوا وشُهروا على الجمال وحبسوا ثلاثة أيام لأنهم صلوا صلاة الضحى .

- على الرغم من الحرص الشديد لحكام الدولة الفاطمية على الخطبة باسمهم من على منبر الحرمين الشريفين بمكة والمدينة لإشهار وترسيخ سيادتهم على العالم الإسلامي ، فإنه لم يحج واحد من أولئك الحكام مدعي الإمامة الدينية والسياسية للمسلمين . على ما يذكره المقريزي في كتابه (التبر المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك)[١] ، بل وثالثة الأثافي تلك المحاولة الفاشلة للحاكم بأمر الله لتحويل قوافل الحجاج نحو العاصمة الفاطمية الجديدة ورفعها لمصاف المدن المقدسة عندما أراد نقل الحج إلى مصر بعد تهيئة ثلاثة مشاهد لنقل رفات النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر إليها ، ويدلل على ذلك الدكتور (أيمن فؤاد سيد) بعدد من الروايات التاريخية التي تصف تلك الجريمة البشعة التي لم يتجرأ عليها سوى إخوان الحاكم من القرامطة الذين انتهكوا حرمة بيت الله الحرام ، فيقول : (فإن المؤرخ ابن فهد المكي المتوفى (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) والمؤرخ المصري الجزيري بعده بنحو قرن من الزمن لا يتركان أي شك في أن هذا المشروع الفاشل قد تم في سنة (٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) وتفيدنا هذه الرواية التي تقترب من رواية البكري ، بأن أحد الزنادقة الذي لم يذكر اسمه أشار على الحاكم بنبش قبر النبي ﷺ وصاحبيه

(١) المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : د . كرم حلمي فرحات ، ص٣٦.

وحملهم إلى مصر ، وبذلك يشد الناس رحالهم من أقطار الأرض إليها ، بينما يذكر البكري أن الحاكم بذل أموالًا لرجال من شيعته نجحوا في حفر سرداب أسفل الدور المجاورة لمنزل الرسول ﷺ مقابل القبر ، غير أن أهل المدينة لم يلبثوا أن علموا بما فعلوا وبنيتهم في ذلك فقتلوهم ومثلوا بهم ، ثم رصفوا تلك الحفرة بالحجارة وأفرغوا عليها الرصاص بحيث لا يطمع في الوصول إليها طامع أبدا)[١] .

سبحان الله ... وهل زيارة قبر النبي ﷺ من أركان الحج ، وماذا كان سيفعل بالحرم المكي وباقي المشاعر ؟! أم أن حج الشيعة هو الطواف حول القبور؟!

ويبلغ الاستهزاء بهذا الركن العظيم مبلغه في عهد المستنصر الذي كان من عادته (في كل سنة أن يركب على النجب ومعه النساء والحشم إلى جب عميرة ، وهو موضع نزهة ، ويغير هيئته كأنه خارج يريد الحج على سبيل الهزء والمجانة ومعه خمر محمول في الروايا معرضًا عن الماء ويدور به سقاته عليه وعلى من معه كأنه بطريق الحجاز ، أو كأنه ماء زمزم)[٢] .

وقد أنشد الشريف أبو الحسين علي بن الحسين حيدرة العقيلي للمستنصر صبيحة عرفة قائلًا :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ولا   تضح ضحى إلا بصهباء
أدرك حجيج النُّدامىٰ قبل نفرهم   إلى مِنًى قصفهم معْ كلِّ هَيْفاءِ
وعج على مكة الروحاء مبتكرًا   فطُفْ بها حول ركنِ العُود والنَّاءِ[٣]

وعمومًا هذا ليس بمستغرب على شيعة الشيطان ، وقد سبقت الإشارة إلى فلسفتهم في إبطال الشرائع طبقًا لإيمانهم بقضية الظاهر والباطن وقيامة قائمهم .

---

(١) أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد ، ص١٧٧-١٧٨ .

(٢) المقريزي . الخطط ، ٣٨٣/٢ ، ٢٦٦/٣ .

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢٦٥/٢ .

- وفي مخالفةٍ صريحةٍ لآيات القرآن الكريم بشأن توزيع الميراث الذي تولى الله تعالى بيانه ولم يتركه لبيان النبي ﷺ مثل الصلاة والزكاة والحج ، فإن جوهر الصقلي بعد استقرار حكمه في مصر وعلى حسب المذهب الشيعي أمر (بالرد على ذوي الأرحام ، وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ، ولا عم ولا جد ، ولا ابن أخ ولا ابن عم ، ولا يرث مع الولد ذكرًا كان أو أنثى إلا الزوج والزوجة والأبوان والجدة ، ولا يرث مع الأم إلا من يرث مع الولد)(١) .

وعندما تولى الوزير الشيعي الاثنا عشري بدر الدين الجمالي في أعقاب الشدة المستنصرية وما جرته على البلاد والعباد من كوارث ونكبات ، وعلى الرغم من محاولاته تقديم خطط لإنقاذ البلاد ، فإنه بدلًا من أن يخفف عن المصريين أهل البلاد ويترفق بهم ، أعاد سيرة سلفه من الحكام بإصراره على إعادة رسوم الدولة وإظهار صبغتها المذهبية مرة أخرى ، حيث أمر المؤذنين بإعادة الأذان الشيعي ، والتكبير على الجنائز خمس تكبيرات ، كما نقش سب الصحابة على المساجد ، وكان جزاء من يعترض التعذيب والإهانة كما فعل مع المؤذن عبد الرحمن الصقلي الذي أهين وعلق الجرس في رقبته عندما رفض الانصياع للأوامر ، بل وصل الأمر إلى قتل عدد كبير من علماء السنة .

ولم يقتصر الأمر على الفسطاط بل امتد إلى الإسكندرية ، حيث قام بحملة عسكرية قتل فيها عددًا كبيرًا من فقهائها منهم الفقيه المالكي يحيى بن حمود الخريمي وعزل قاضيها(٢) .

وإمعانًا في التضييق على أهل السنة بعد قتل علمائهم مُنع محدث مصر أبو إسحاق الحبال من تدريس الحديث عام ٤٧٦ هـ حتى وفاته عام ٤٨٢ هـ ، منعًا

---

(١) المقريزي ، المقفى ،٣/١٠٣-١٠٤ .

(٢) السلفي ، معجم السفر ، ص١٣٩-١٤٠ .

لانتشار رواياته ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أجبره الوزير الجمالي على حضور مجالس أبي سعيد بن عليجة النسوي الذي أظهر الرفض في حلب ورحل إلى مصر ووضع أحاديث في فضل آل البيت[١] .

وقد أحسن الفقيه المالكي أبو بكر بن العربي وصف معاناة علماء أهل السنة جراء سياسة التعصب المذهبي عندما قدم مصر عام ٤٨٥ هـ بقوله : « وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر ، فألفينا بها جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، والسلطان جرى عليهم وهم من الخمول في سرب خفي ومن هجران الخلق بحيث لايرشد إليهم جريء »[٢] .

سادسا : سب السلف من الصحابة وأمهات المؤمنين :

تجمع الشيعة الإمامية بجميع طوائفها على كفر وردة جميع الصحابة إلا قليلا (قيل : ثلاثة أو سبعة أو اثنا عشر) ، وكذا أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ ، ومنهم الشيعة الإسماعيلية الذين أكثروا من سبهم ولعنهم والانتقاص من مكانتهم ، رضي الله عنهم ، يقول الداعي المطلق إدريس عماد الدين : « ولما كان محمد ﷺ جامعا لمن تقدمه من الأنبياء ، اجتمع في دوره الأضداد الكبراء العظماء ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣١] ، وكان من أضداده أبو لهب الذي كان من أعوانه أبو جهل بن هشام ، وابن أبي قحافة - يقصد أبا بكر الصديق - ، وابن الخطاب - يقصد عمر بن الخطاب - ، فكان كيد الشيطان أبي جهل ضعيفا ، وكان كيد عتيق وعمر عظيما فمكروا ، وغدروا ، وأصروا ، واستكبروا ، وغيروا الشريعة وأفسدوها وأحالوا الأمة عن سبيل

---

(١) السلفي ، معجم السفر ،ص١٣٩-١٤٠ .

(٢) أبو بكر بن العربي ، قانون التأويل ،ص٤٣٢-٤٣٣ .

هداها » ، كذب عدو الله .. فأبو بكر وعمر ممن تاب الله عليهم ورضي عنهم ، وقد بذلوا النفس والنفيس لنصرة رسول الله ﷺ ، وعلى إيديهما وأخوانهم من الصحابة انتشر الإسلام في الآفاق وحطمت الوثنية وأُطفئت نار المجوس ، فرضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه .

وقد تجلى ذلك الحقد الدفين عندما أصبح للشيعة دولة (العبيدية / الفاطمية في المغرب ومصر ، والبويهية بفارس والعراق) حيث سب الصحابة في أثناء مراسم الاحتفال بيوم عاشوراء وعند مراقد بعض آل البيت ، بيدَ أنها لم تمثل حالة عامة ولا عرفًا رسميًّا ملزمًا في مصر إلا في سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م عندما أجبر الحاكم بأمر الله أن يكتب على كل المساجد ومنها مساجد أهل السنة بالطبع وأن ينقش بالأصابع المذهبة على الدروب والحيطان والقياسر وأبواب الدور كذلك لعن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم من الصحابة ، رضي الله عنهم ، إلى جانب لعن الخلفاء من بني العباس أيضا[(١)] . وحصل أن وصلت في السنة نفسها إحدى قوافل الحجيج المصريين فأراد أتباع الحاكم حملهم على سب السلف فأبوا فأصابهم جراء ذلك مكروه شديد ، لكن الحاكم تحت ضغط المقاومة المصرية أصدر أمرًا بإيقاف السب وإزالة عبارات اللعن من على الحوائط، وهو الأمر الذي أثار الشيعة الذين اجتمعوا بباب القصر، وصاحوا بسب السلف حتى أُخرج إليهم سجل من القصر بالترحم على السلف ويأمرهم بعدم الخوض في تلك الأمور، لكن الأمر سرعان ما عاد إلى ما كان عليه من إظهار السب واللعن[(٢)] .

وانظر إلى هذا الدرس الرائع من أحد أئمة علماء أهل البيت (جعفر الصادق) ، رحمه الله تعالى ، لكل من يدعي كذبًا وزورًا الانتساب إليه ، وذلك فيما يروى عنه

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ٣٤٣/٢.

(٢) انظر: المقريزي ، المصدر السابق نفسه، اتعاظ الحنفا ، ١٦/٢ ، الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي ، ١٩٢/٢.

عندما أراد رجل أن يتقرب إليه بشتم أصحاب رسول الله ﷺ فقال له جعفر : (مه يا هذا ، هل أنت ممن قال الله فيهم : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨] قال الرجل : اللهم أولئك قوم مضوا . فقال الإمام : فهل أنت ممن قال فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

فقال الإمام : وإني لأشهد أنك لست ممن قال الله فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

فما أبلغ هذا الدرس لو كانوا يعقلون ؟!

ز- تسريب الشيعة الإسماعيلية للعقائد الباطنية المنحرفة داخل التصوف:

أدرك دهاقنة العقيدة الشيعية الإمامية الإسماعيلية في وقت مبكر عن الاثني عشرية أهمية التصوف والدور الخطير الذي يمكن أن تؤديه طُرُقُه جماهيريًا من خلاله(١) ، حيث قاعدته الشعبية الآخذة في الاتساع والنمو، فقبل الدولة الفاطمية لم يعرف التصوف الطرق، وإنما اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس والبعد عن الدنيا، والتشدد في العبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول مع الاستقامة في العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، ثم خلف من بعدهم خلف اندس بينهم دعاة الإسماعيلية فانحرفوا بمناهجهم القائمة على الكتاب والسنة إلى

---

(١) انظر للمؤلف : التأثير السياسي والحضاري لتطور البناء الفكري لعقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية من القرن الثاني حتى الرابع عشر الهجري ، رسالة دكتوراه (تحت الطبع) .

مناهج فلسفية غنوصية باطنية ، ومن ثم كان بداية ظهور تيار متفلسفة الصوفية ، و أول من أظهر ذلك ذو النون أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري (ت٢٤٥هـ) الذي تأثر بعقائد الإسماعيلية بسبب صِلاته القوية بهم، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني والاتحاد، وأن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وبالتالي نشأ عند المتصوفة القول بالشريعة (الظاهر) والحقيقة (الباطن)، وكان ذو النون أول من تكلم عن الأحوال والمقامات في مصر وقال بالكشف، واستعمل الرمز في التعبير عن حاله[١] ، ومن ثم « بدأ التشيع يدب إلى التصوف أملًا في استغلال مكانته وتطويعه لأغراضه، وهكذا أخذ التشيع يسير في موازاة التصوف يتبنى الزهد الشديد والظهور في لباس الصوف الذي يعبر عنه »[٢] .

ومؤخرًا ، وفي عصرنا هذا خرجت من سرداب التقية عند الشيعة الإسماعيلية بعض كتبهم المضنون بها على غير أهلها ففضحت حقيقة معتقدهم، وأزاحت الستار عن عدد من الحقائق الغائبة، وبخاصة علاقة كبار رموز التصوف الفلسفي بهم، وباح كبار محققي المذهب الشيعي الإسماعيلي – أمثال : مصطفى غالب ، وعارف تامر، ومحمد أمين أبو جوهر – بأسرارهم معترفين بأن أبا المغيث الحسين ابن منصور الحلاج (٢٤٤هـ- ٣٠١ هـ / ٨٥٨م) أحد دعاة الإسماعيلية الكبار وبخاصة القرامطة منهم، وقد عمل على بعث وإحياء جميع ما نشرته فرق الغلو الشيعية السابقة له أمثال: المغيرية، والخطابية، والبيانية، والمنصورية، من خلال الجمع والتلفيق والأخذ والاستمداد من دوائر الفكر المختلفة، فظهرت له أقوال في استحلال المحرمات ، وإسقاط الفرائض ، حيث يرى أن من بلغ مقام اليقين سقطت

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والحركات المعاصرة، إشراف وتخطيط : د مانع بن حماد الجهني ، ١/٢٥٩.

(٢) كامل مصطفى الشيبي (شيعي) ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٦٥ ، ٦٦ .

عنه العبادة والتكليف، بالإضافة إلى تأويل نصوص القرآن والسنة تأويلًا باطنيًا ، ومن ذلك ما كان يقوله لأتباعه إنه: « من صام ثلاثة أيام من رمضان لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات أجزأه ذلك عن صيام رمضان » ، اتباعًا لأسلافه من الشيعة الإسماعيلية المعمرية وهم « فرقة من الخطابية قد استحلوا الخمر والزنا، واستحلوا سائر المحرمات، ودانوا بترك الصلاة، وتأولوا على ما استحلوا قول الله عز وجل : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ، وقالوا : « خفف عنا يا أبا الخطاب وضع عنا الأغلال والآصار، يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج، وقالوا: من عرف الإمام فليصنع ما أحب »[١] .

كما دعا إلى وحدة الأديان ، وزعم لنفسه الخلود بدعواه الاتحاد بالإله من خلال تجلي الروح الإلهية فيه - بزعمه - في درجاتٍ مختلفةٍ ، ومراحل متوالية تظهر للإنسانية في صور متتالية ليكمل كل مظهر من هذه المظاهر الدورية إنجاز أعمال المظهر السابق له، في الوقت الذي يهيئ الأمر للمظهر التالي له، فكان يزعم أنه يظهر في صورة آدم، ويتقلب في صور كل واحد من الأنبياء، وظهر بعد ذلك في صورة علي وأبنائه من بعده بزعم أن عبيده لا يطيقون رؤيته في صورته الأصلية وإلا احترقوا، ولذلك كان أتباع الحلاج يكتبون إليه : « يا ذات الذات ومنتهىٰ اللذات ، نشهد أنك تتصور فيما شئت من الصور وأنك الآن متصور في صورة الحسين بن منصور ، ونحن نستجير يا علام الغيوب »[٢] . وذلك نتيجة طبيعية لمذهبه في الحلول والاتحاد، ومن هنا حكم عليه العلماء بما نقله ابن النديم بقوله : « كان رجلًا محتالًا مشعوذًا، يتعاطى مذاهب الصوفية ، ويتحلى بألفاظهم، ويدعي كل علم .. يظهر مذاهب الشيعة للملوك ، ومذاهب الصوفية للعامة ، وفي تضاعيف

---

(١) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ١/٦٨-٧٧.

(٢) د.كامل مصطفى الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٦٥-٦٦.

ذلك يدعي أن الألوهية حلت فيه، وأنه هو هو، تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علوًّا كبيرًا... »[١] .

ويرى نيكلسون أن السبب الرئيس في صلبه أنه كان يدعو إلى مذاهب القرامطة الذين أغاروا على مكة ونهبوها بعد موته بتسع سنين.

ومن كبار دعاة الشيعة الإسماعيلية الذين عاشوا في دور الستر الأول تحت ستار التصوف: « عامر بن عامر البصري »، ويستنتج من تائيته المسماة باسمه، أنه كان صوفيًّا بين الصوفيين، وفقيرًا بين الفقراء، وأميرًا بين الأمراء، وعالمًا بين العلماء، وشاعرًا فحلًا بين فحول الشعراء ، أي أنه كان يلبس لكل حالة لبوسها[٢] .

وإن تأثير شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك أبو الفتوح السهروردي (المولود بين ٥٤٠-٥٥٠ هـ) في طرق التصوف الفلسفي بنظريته في الإشراق التي خلط فيها بين نظرية الفيض الأفلاطونية ونظرية النور الملكي الزرادشتية أكبر من سابقيه، على الرغم من أنه كان أحد أبرز دعاة الشيعة الإسماعيلية، يقول الكاتب الإسماعيلي أمين أبو جوهر: « أرسله أبوه لطلب العلم في المدرسة الإسماعيلية في مدينة مراغة، وهو لا يزال صغيرًا ودرس هناك كافة العلوم الفلسفية والتأويلية.. وانخرط في سلك الدعاة الجوالة وأصبح بعد فترة قصيرة من الدعاة المأذونين بالمكاسرة والمجادلة في العقائد والديانات والمذاهب، انتقل لبغداد ثم انتقل إلى حلب وقتل فيها ٥٨٧هـ- ١١٩١م »[٣] .

بينما يستحوذ محيي الدين بن عربي الطائي الأندلسي (٥٦٠هـ-٦٣٨هـ/ ١١٦٤م -١٢٤٠م) على النصيب الأكبر في التأثير حتى يومنا هذا في الكثير من

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٩٠ .

(٢) مصطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية ، ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٣) محمد أمين أبو جوهر، الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع ، ص٩٨

طرق التصوف ؛ ولذا يلقب بالشيخ الأكبر ، فله يرجع الفضل في صياغة نظرية وحدة الوجود(١) الفلسفية وما تبعها من لوازم، وقد سُرَّ بها تلاميذه أو من تولى شروح كتبه داخل الطرق الصوفية، مما جعله ـ بحق ـ يمتد بعمق في صياغة الحياة الصوفية كلها، فتأثر بكتبه عبد الرحمن الجامي(٢) الذي نشر مذهبه في العالم الفارسي، بينما تولى جلال الدين الرومي(٣) نشره في العالم التركي بعد أن نشر مذهبه بالعالم العربي تلاميذه، وعلى ضوء عقيدته ظهرت الطريقة الأكبرية(٤) ، وفي

---

(١) **وحدة الوجود** : عقيدة إلحادية قال بها فلاسفة اليونان قديما، وتبعهم عليها بعض الفلاسفة المعاصرين، وغلاة الصوفية من أمثال ابن عربي، وملخصها:أن العالم بما فيه إنما هو التجلي الإلهي الدائم الذي كان ولا يزال، فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي عين المخلوقات، فكل شيء هو الله وأن اختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات.. انظر : حمدي عبيد ، معجم المصطلحات الملحق بالموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ١١٦٨/٢-١١٦٩.وأيضا: وحدة الوجود في ديانات الهند الثلاثة وعلاقتها بعقائد المسلمين(تحت الطبع).

(٢) **الجامي** : هو شهاب الدين أبو نصر أحمد بن أبي الحسن النامقي (٤٤١-٥٣٦هـ)ولقبه زنده بيل ، أي ضخم الجثة كالفيل،وله ديوان مشهور في الشعر الصوفي،وله عدة مؤلفات في التصوف، مثل : أنس التائبين ، وبحار الحقيقة . انظر : عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، ترجمة رقم ٧٧،ص١١٨.

(٣) **جلال الدين الرومي**: هو محمد بن محمد بن الحسين، البلخي ، الكبير صاحب المثنوي،المعروف بالرومي ،ولد في بلخ ٦٠٤هـ ، وتوفي في قونية بتركيا عام ٦٧٢ هـ ، ومن ثم كانت شهرته بالقونوي أو الرومي ، وإليه تنسب طريقة الدراويش المولوية أي الدراويش الراقصون . أنظر : عبد المنعم الحفني . الموسوعة الصوفية ، ترجمة رقم ١٤٦،ص٢٥٢.

(٤) **الطريقة الأكبرية** : طريقة محيي الدين بن عربي،نسبة إلى شهرته باسم الشيخ الأكبر،وتُسَمَّى كذلك الطريقة الحاتمية ،بالنسبة لأنه ينحدر من قبيلة حاتم الطائي ، وتقوم على وحدة الوجود باعتبار أن الحقيقة الوجودية واحدة في جوهرها وذاتها ،وإن كانت متكثرة بصفاتها وأسمائها ،وإنما في الحقيقة ليس غير الله . المرجع السابق ، مصطلح رقم(٧٧) ، ص٦٤٣ .

المشرق ظهرت المولوية ، بينما في المغرب ظهرت الشاذلية[(١)] .

ولا يهمني في هذا المقام الكلام عن نشأة ابن عربي وعقيدته بقدر بيان صلته بالمذهب الشيعي الإسماعيلي، يقول الكاتب الشيعي الإسماعيلي مصطفى غالب : « تعرف محيي الدين بن عربي على كبار الدعاة الإسماعيلية، وبعد مجادلاتٍ ومناقشاتٍ أصبح منهم، واعتنق مذهبهم، وسار إلى الفرس مع العلامة الإسماعيلي الكبير سنان راشد الدين حيث عرّجا على (آلموت) واتصلا بالإمام الإسماعيلي الذي أمرهما أن يتوجها إلى سوريا حيث عين سنان حجة له في حلب ، ومحيي الدين في دمشق، واستقر في دمشق يؤلف ويصنف ويقوم بالمهمة التي أوكلت إليه حتى توفي سنة ٦٣٨هـ »[(٢)] .

ويلاحظ على كل من سبق ذكره وغيرهم وتلاميذهم من أصحاب الاتجاه الصوفي الفلسفي الاشتراك في استخدام نفس المصطلحات بمعانيها المستخدمة في رسائل إخوان الصفا مثل: الإنسان الأكبر، والكبير، العالم الصغير، العقل الأول، الجسم الكلي، النفس الكلية، القلم، العرش ... .

وعن طريق هؤلاء وأمثالهم تسربت العقائد الباطنية والفلسفية التي قام عليها المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى التصوف مثل: القول بالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، وقدم النور المحمدي، والحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل، والغلو في أئمتهم... ومن خلال الاعتقاد بالحدود الروحانية والأخرى الجسمانية ظهر الغلو في

---

(١) **الطريقة الشاذلية** : طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته ، بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد(الله) أو المضمر (هو) .مانع بن حماد الجهني (إشراف وتخطيط ومراجعة). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ،١/٢٧٥.

(٢) د. مصطفى غالب، الثائر الحميري – الحسن بن الصباح – ، ص١٠٣.

الأولياء وتقديسهم وادعاء نزول الوحي الإلهامي عليهم وما يتحقق لهم في أثناء الكشف - الشيطاني - والقول بأنهم أحياء في قبورهم، وأن لأرواحهم القدرة الكاملة على قضاء الحاجات مما دعاهم لاتخاذهم وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في العبادات، وبالتالي نشأ القول بالتوسل والاستشفاع الشركي، وظهرت معه درجات الأولياء والقول بالأقطاب، بينما في المعرفة أنكروا تلك الوسائط حيث يتلقى الواحد منهم عن رب العزة مباشرة في زعمهم، دون الحاجة إلى رسولٍ أو نبي على أن مقام النبوة عندهم فويق الرسول ودون الولي- في زعمهم - مشابهة لمقام الإمامة عند الشيعة الإمامية بشكل عام، وفي الوقت ذاته أسرفوا في التأويل الرمزي أو العقلي الفلسفي للنصوص والآثار تأييدًا لعقائدهم تارة، أو باستحداث نصوصٍ لذات الغرض تارةً أخرى، ناهيك عن البدع العملية من بناء المساجد على القبور واختراع الطقوس الخاصة بزيارتها وإحياء الموالد لأصحابها.

ومن خلال نظرية الفيض الأفلاطونية الممزوجة بنظام الملائكة النوراني الزرادشتية والاعتقاد بالحدود الروحانية والجسمانية ، « وأن العالم لا يخلو من الحكمة ومن شخص قائم بها عنده الحجج والبيانات، وبذلك تغدو النبوة مظهرًا دوريًّا لا ينقطع فيضه، بل وأمرًا ممكنًا وضروريَّ الحصول من وقت إلى وقت لحفظ النظام ومصلحة النوع »[١] ، مما دفعهم للقول باستمرار النبوة غير التشريعية التي أطمعت الجاهلين منهم فيما بعد من : البابية، والبهائية، والقاديانية في دعوى النبوة التشريعية أيضًا، وكلهم قد خرجوا من رحم التصوف الفلسفي المؤسس على قواعد ابن عربي سواء كان هذا التصوف ينتسب إلى التشيع أو إلى التسنن .

وبعد هذه المقدمة عن دور الشيعة الإسماعيلية قبل الدولة العُبيدية وبعدها في اختراق التصوف والانحراف به في مرحلة مبكرة من تاريخه بتسريب المعتقدات

---

(١) د. عرفان عبد الحميد فتاح ، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، ص ٢١٥.

الفلسفية سواء اليونانية أو من الديانات الوثنية السابقة للإسلام كما تبين لنا، فلا عجب إذن أن نجد اهتمام الدولة البويهية الشيعية في فارس (غرب إيران حاليًا) والعراق (٩٣٣م/٣٢٢ هـ -١٠٥٦م /٤٤٧ هـ) ، والدولة العبيدية الشيعية في مصر بالتصوف، ومن الأمثلة على ذلك أن أبا عبد الله الشيعي الذي وطد للعُبيديين (الفاطميين) بناءهم وأسس دولتهم (سنة ٢٩٧/ ٩٠٩م) كان يتظاهر بالزهد الشديد ، ولذلك عدُّوه من الصوفية[١] .

ولذلك تمتع المتصوفة أصحاب الاتجاه الفلسفي برعاية الحكام والأمراء الفاطميين، فانتشر التصوف في مصر وتعددت حلقات الذكر والإنشاد والطرب، وقد شاركهم الخليفة العُبيدي الحاكم بأمر الله سنة (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) في نهجهم حيث ارتدى ملابسهم وأظهر الزهد والتقشف وأكثر من الخروج بالليل وألغى مراسم موكبه وتخلى عن مظاهر البذخ والعظمة، واتخذ من الصوفية من يرقصون بين يديه وأجرى لهم الرواتب الثابتة[٢].

وبدأ الخلفاء العبيديون يتقربون من مشايخ الصوفية في خلواتهم، فهذا الظاهر ومن بعده المستنصر بالله كانا يذهبان إلى الشيخ عطية أبي الريس (ت ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) في خلوته بالجيزة، كما كان يذهب المستنصر لشيخ الصوفية في زمانه ابن الترجمان (ت ٤٤٨ / ١٠٦٥)[٣] .

وهكذا بدأ نفوذ الصوفية يتسرب إلى مصر على يد أبي الفضل عبد الله بن الحسين الجوهري (ت ٤٨٢ هـ) الذي أنشأ الطريقة الجوهرية التي تولاها أولاده من بعده فكانوا مشايخ الصوفية منذ بداية القرن السادس الهجري، فاحتفى بهم الخليفة

---

(١) مصطفى كامل الشيبي (شيعي) ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٦٥، ٦٦.

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ص ١٢١.

(٣) الذهبي ، العبر ، ٢/٢٩٣.

العبيدي الآمر بأحكام الله بتجديد قصر القرافة وأقام لهم مصطبة تحته ليستمتع بمشاهدة حلقات الذكر والسماع والرقص ، ولذلك كان يكرمهم بمد الأسمطة التي تحوي ألوان الأطعمة والحلوى لهم[١] .

وقد أمر الخليفة الفائز بنصر الله بتعيين مَنْ يتولى تربية الصوفية في المشهد الحسيني الذي بناه وزيره طلائع بن رُزِّيك سنة ٥٤٩هـ، وأجرى لهم الأرزاق، وعلى هذا المنوال استمر الحال بهم حتى نهاية دولتهم.

... ما سبق ذكره من عقائد مجرد سطور .. من عقيدة الشيعة الإمامية الإسماعيلية التي كان يدين بها حكام الدولة المعروفة بالفاطمية نقلتها لك عن أوثق مراجعهم وعلمائهم ، ومن مصادرهم المعتمدة ، ويلاحظ أنه على الرغم من سطوة تلك الدولة وسيطرتها على مقاليد الأمور في أثناء احتلالها مصر غير أن الشعب المصري قد لفظ تلك العقيدة الشيعية التي لم يبق منها في مصر أثر ولاعين سوى بعض ماتسرب داخل تيار التصوف ، وعلى العكس تمامًا من بلاد قامت فيها دويلات شيعية ضعيفة تنتسب لتلك الدولة العُبيدية مثل : الدولة الصُليحية باليمن ومناطق من جنوب المملكة العربية السعودية ، وبعض التجمعات الهامشية في الهند، بيد أنها قد تركت قبائل ومناطق بأكملها مازالت تحمل نفس العقيدة ،بل وتحميها وتنشرها من خلال مؤسسات تنظم أمورها وما ذلك إلا... ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥] . لنقف في الفصل التالي على منحى آخر من جرائم الشيعة عندما حكموا مصر .

* * *

(١) المقريزي ، الخطط ، ٤٨٦/١.

المبحث الرابع

جرائم الشيعة الاجتماعية ومظالمهم الاقتصادية للمصريين

أولًا : من جرائم الشيعة الاجتماعية في مصر

أ - انتشار الخمر ومظاهر الفجور :

كما اشتهر العصر الفاطمي بتنوع الحلوى والمأكولات ، فقد انتشر فيه أيضًا بشكل غير مسبوق شرب الخمر ومجالس الغناء والطرب ، وانتشرت الراقصات ومظاهر الفجور والخلاعة والخروج عن المألوف لدرجة أن أصدر الحاكم بأمر الله قرارًا بتجريم الغناء والاستماع إليه وتحطيم الآلات الموسيقية ، ومنع زراعة العنب الذي يصنع منه الخمر ، على الرغم من أنه كان يستدعي إلى مجلسه المغنين وأصحاب الملاهي ويشرب الخمر ويتبسط معهم ، وكذلك وزيره برجوان[(١)] ، بيد أن ابنه الظاهر قد أباح كل ما حرمه سلفه حيث كان مولعًا بشرب الخمر ، فانتشرت صناعتها في المدن الكبرى والقرى وبخاصة في أديرة النصارى التي احتلت مكان الصدارة في تصنيعها ، وبخاصة في زمن الآمر بأحكام الله (ت ٥٢٤ هـ)[(٢)] - ولا أدري أي أحكام تلك التي يأمر بها ؟! - وقد اشتهر بعشق الخمر واللهو . وانتشرت تبعًا لذلك الحانات ، وشرب الحشيشة والمخدرات بين عوام المصريين ، واستفحل الأمر في الأعياد حيث الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء ومعاقرة الخمور والمخدرات[(٣)] .

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١٢٦/٢ .

(٢) يقول الحافظ الذهبي : « كان الآمر خبيث المعتقد ، سفاكًا للدماء ، متمردا جبارًا ، فاحشًا فاسقًا صادر الخلق .. » سير أعلام النبلاء ، ٢٥ / ١٩٩ .

(٣) المقريزي ، المصدر السابق ، ١٢٩/٢ ، ١٣٥ .

ب - انتشار الظلم :

على امتداد قرنين ونصف من الزمان عاني المصريون أشد المعاناة تحت حكم حكام الدولة العُبيدية (الفاطمية) الذين يصفهم الحافظ الذهبي بأنهم كانوا « أربعة عشر متخلفًا ، لا مستخلفًا »[١] ، حيث أشار إلى ما كسبت أيديهم من الدعوة للكفر والإفساد وقتل العلماء والصالحين ، يقول أبو الحسن القابسي من علماء القيروان[٢] : « إن الذين قتلهم عُبيد الله وبنوه من العلماء والعباد ، أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت » ، غير الذين نفوهم وشردوهم من علماء مذاهب أهل السنة الفقهية ، ولعلنا نسترجع في هذا المقام موقف المعز لدين الله أول حكامهم في مصر وموقفه مع العالم الزاهد أبي بكر النابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليدشن بذلك أول صور ذلك الظلم .

ومن سخافة عقولهم وعدم ثقتهم في مذهبهم الذي ضبطت أصوله وقواعده العقدية ، وكتبت مصنفاته الفقهية مع بداية دولتهم في المغرب واستكملت في مصر واليمن من بعد مما يدل على عدم أصالته ، أن يجرم اقتناء كتب الحديث أو الفقه السنية ، فأثناء حكم العزيز بالله ضرب رجل بمصر وطيف به في المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس ، رحمه الله[٣] .

وقد سبقت الإشارة إلى مظاهر الظلم الواقعة على المصريين والتي زادت بعد دخول المعز لدين الله مصر ، وأجد أحسن مثالٍ على ذلك عندما اعتدى المغاربة على المصريين وأخذوا - بتأييد من الحكام - بالسلب والنهب حتى نشب قتال عنيف بينهم ، واستمرت سيطرتهم ، وبخاصة قبيلة « كتامة » التي استحوذت على كل

---

(١) الذهبي ، سير الأعلام النبلاء ، ٢١٢/١٥ .

(٢) هو علي بن محمد بن خلف المعافري ، توفي سنة ٤٠٣ هـ ، له العديد من المصنفات العلمية . انظر : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ٥٠٢/٢ .

(٣) المقريزي ، الخطط ، ١٠٢/٢ .

المناصب الإدارية والمالية في زمن الحاكم فزاد طغيانها ، وأعملوا السرقة والنهب والاغتصاب في شوارع مصر ، وشاركهم العبيد في ذلك ، وبخاصة بعد أن تظاهر المصريون خلف القاضي الحنبلي ابن أبي العوام من أجل نصرة الإسلام الحق اعتراضًا على دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله[١] الذي حرض العبيد على حرق الفسطاط ونهبها سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩م ، ثم بعث بخادمه ليصف ما فعله الحريق فقال الخادم : لو استباحها طاغية الروم ما زاد على ما رأيت ... فأمر الحاكم بضرب رأسه .

وفي سنة ٣٦١هـ /٩٧١م هاجم المغاربة عامة المصريين واعتدوا على ممتلكاتهم واغتصبوا دورهم وحلوا محلهم بها ، فثار المصريون واقتتلوا معهم قتالًا شديدًا كاد يعصف بالدولة مما استدعى تدخل المعز وجوهر الصقلي وكف أيديهم عنهم . بيد أنه بعد سنتين في سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م كادت تشتعل الفتنة ثانية بسبب انفعال الشيعة المغاربة أثناء النياحة والبكاء على الحسين يوم عاشوراء ، فكسروا أواني السقائين في الأسواق ، وقطعوا الروايا ، وسبّوا المصريين الموجودين للشراء في الأسواق في هذا اليوم حتى أغلق الناس دكاكينهم ، مما اضطر الحسن بن علي للخروج إليهم لوأد الفتنة قبل اشتعالها[٢] .

وقد أحرقها شاور العُبيدي مرة ثانية سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م ، وأمر الجنود بنهب الفسطاط فبقيت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يومًا[٣] .

وفي واحدة من نوبات الجنون وتقلبات مزاج الحاكم ـ بأمر الشيطان لا ـ بأمر الله سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م أمر بهدم كنيسة مريم بمصر ، وكانت بها مقابر ومدافن للنصارى ، ولم يكتف العُبيديون بذلك بل قاموا بنبش قبور الموتى

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/١٤٥-١٤٦ .

(٣) المقريزي ، الخطط ١/٢٨٦ ، اتعاظ الحنفا ، ٣/٢٩٦-٢٩٧ .

المدفونين بها وطرحوا عظامهم ولحومهم للكلاب[١] .

وعلى الرغم من الدعاوى الفارغة لاحتواء المصريين بالنص في المنشورات الرسمية للقصر الحاكم بحث الولاة على المساواة والعدل فإن الواقع يكذبه ، فقد استخدم الحاكم بأمر الله الجواسيس وسلّطهم على الناس مما أدى إلى انتشار الرشوة لهؤلاء اتقاءً لشرهم ، وقد زادت سطوتهم على الناس ففرضوا إتاواتٍ باهظة ، هذا غير تسلط الكثير من الولاة والوزراء والقواد على الناس بالظلم ، ومما يذكر في ذلك أن والي القاهرة ومحتسبها زمن الخليفة الآمر بأمر الله كان يقبض على الناس في الطريق من أجل بناء مسجد له بالسخرة ودون مقابل لذلك ، فكان الناس يمتنعون ويستجدون عطفه قائلين : « لا بالله » ، فسمي المسجد من بعده : « مسجد لا بالله » ليظل شاهدًا على مر الزمان على ظلم الولاة لرعيتهم حتى ولو كان في بناء أشرف مبنى . . في بيت من بيوت الله ، فإن الله تعالى لا يرضى عن ذلك ، ولذلك منع النبي ﷺ عن الصلاة في الأرض المغتصبة ؛ فإن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا .

وفي إحدى نوبات جنون الحاكم تفنن في إذلال المصريين بمنع الأطعمة المحببة لديهم ، مثل : (الملوخية) بحجة أنها كانت محببةً لمعاوية بن أبي سفيان ، والجرجير الذي كانت تحبه السيدة عائشة أم المؤمنين ! والمتوكلية نسبة إلى المتوكل العباسي[٢] . وجمع الصيادين وحَلَّفَهُم وشدَّد عليهم بعدم صيد السمك الذي له قشر[٣] .

---

(١) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ٤٩١/٢ .

(٢) المقريزي ، الخطط ٢٨٥/٢ ، ٣٤٠-٣٤١ .

(٣) المصدر السابق ، ٣٤٢/٢ . يتأول البعض في محاولة يائسة لتلميع صورة الحاكم ونفي ما اشتهر به من تقلب المزاج بأن منعه لهذه الأطعمة كان من باب الطب الوقائي لأنها مصدر للعدوى ، وهو كلام أضعف من أن يرد عليه ، وقد سبقت الإشارة إلى أن ذلك من تأثير استعانته بالسحر والسحرة ! وإلا فإنه بذلك يكون قد سبق كافة المحافل الطبية في القديم والحديث التي لم تثبت ذلك !!

وقد أتى الحاكم من المنكرات ما لم يسبقه إليه أحد ، حيث كان يعمل الحسبة بنفسه ، ويدور في الأسواق على حمار له ، فمن وجده من التجار قد مارس الغش في بضاعته أمر عبدًا أسودَ معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى على مسمع ومرأى من الناس ، فأي عقل ، وأي خُلقٍ ، بل أي دينٍ يأمر بهذا سوى دين الشيعة الباطنية الإسماعيلية ؟!

وفي عهد الآمر أيضًا تمكن الراهب نجاح بن فناس سنة ٥٢٣هـ/١١٢٧م من مصادرة مئة ألف دينار من قومه من النصارى ، وبسبب قربه وعلاقته بالآمر أطلقت يده بعد ذلك لمصادرة أموال المصريين جميعًا ونهب أموالهم(١) .

ولم يكن عامة المصريين ينالهم من خيرات بلادهم إلا الفتات ؛ لذلك كانوا يحسدون الخلفاء والوزراء على ما لديهم من ثروات ، فكانت الهوة سحيقة والتفاوت بين الطبقتين كبيرًا ، وقد عبرت امرأةٌ مصريةٌ عن ذلك الشعور عندما وقفت تحت دار الأفضل بن بدر الجمالي بقولها : « يا دار فيك من كل شيء ، فمتى يُرى في كل دار منك شيء » ، فقد كان النصيب الأكبر من سخاء الحكام الفاطميين (العُبيديين) يذهب إلى موظفي الدولة (من الشيعة) المندرجين تحت طبقة الخاصة ، أما عوام المصريين فلم ينلهم إلا القليل الذي يحصلون عليه في المناسبات والمواسم فقط .

* * *

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ٣/١٢٧ .

ثانيًا : مساعدة الشيعة لليهود للتحكم في رقاب المصريين

ليس من قبيل المصادفة أن ينزل عبد الله بن سبأ اليهودي ، بعد أن طرده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، من المدينة على يهود تيماء بالكوفة الذين سبق أن طردهم الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، من المدينة ، ومن بعد الكوفة ينتقل ابن سبأ إلى مصر حيث يوجد بها تجمعات قديمة لليهود(١) ، لتكتمل حلقات المكر السيِّئ بالإسلام وأهله ، وتدخل خطة تخريب الدين الإسلامي ، وإثارة الفتنة بين المسلمين التي وضعها بالحجاز والكوفة حيز التنفيذ في مصر ، مستغلًّا العصبية القبلية لبعض قبائل العرب المتمصرين ، لتنتهي المؤامرة بقتل الشهيد المظلوم ذي النورين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ليفتح باب الفتنة داخل الدولة الإسلامية على مصراعيه ، بينما عاش يهود مصر في ظل سماحة الإسلام غير مؤثرين في سياسة الدولة في تاريخ يكتنفه الغموض ، وذلك حتى عصر كافور الإخشيدي الذي ظهر فيه اليهودي العراقي يعقوب بن كِلِّس الذي قربه إليه بعد أن لمس فيه حسن السياسة والتدبير ، فعينه في ديوانه الخاص وأسند إليه مهمة استشارية تتعلق باقتصاد الدولة ، ومنعًا لإحراج الإخشيدي عرض عليه أن يعلن إسلامه ، وقد أتى له بمن يفقهه في أصول الدين من العلماء ، ليتولى بعدها ابن كلس الوزارة ويدير شؤون مصر ويعين معه اليهود في أهم المناصب الحكومية ليسيطروا على أموال البلاد ، الأمر الذي أثار الوزير جعفر بن الفرات الذي تولى

---

(١) كان تمركزهم أولا بالإسكندرية عاصمة مصر سابقا نتيجة تهجيرهم من الشام على يد القائد الروماني (تيطس) ليكونوا تحت سيطرة الروم البيزنطية ، مع وجود أعداد قليلة منهم بالفسطاط والجيزة والفيوم ، وبعد الفتح الإسلامي لمصر عاشوا في ظل شريعته السمحة حيث تخلصوا من القيود والمعاملة الرومانية القاسية ، فانتشروا في البحيرة ومدن الدلتا وقراها .

حكم مصر بعد وفاة الإخشيدي (٣٥٧ هـ/٩٦٧م)[١] .

ليستهل حكمه باعتقال ابن كِلِّس الذي يتمكن بعد ذلك من الهروب إلى المهدية مقر حكم خليفة العبيديين المعز لدين الله .

هكذا . . الأمر قد يبدو طبيعيًّا على حسب السرد التاريخي المختصر لدور ابن كلس في ظل الإخشيديين ، ولكن المفاجأة ما يذكره الكاتب الشيعي الإسماعيلي عارف تامر في مقدمة كتاب « الرسالة المذهبة » لابن كِلِّس باعترافه الآتي :

« ويذكر التاريخ : أن ابن كِلِّس منذ أن كان في مصر . . . كان على اتصال بالفاطميين يزودهم سرًّا بكل شاردة وواردة عن مصر وأحوالها »[٢] ، وهو الأمر الذي يثير العديد من علامات الاستفهام حول الدور اليهودي في نشأة وتكوين الدولة العبيدية (الفاطمية) ليؤكد ما ذهب إليه عدد كبير من المؤرخين إلى النسب اليهودي لأبي عبيدالله الشيعي مؤسس الدولة ، وبملاحظة تاريخ نشأة تلك الدولة في سجلماسة بالمغرب ، يلاحظ تأييد عدد كبير من البربر المتهودين لها ، وبخاصة من بربر زناتة الذين شكلوا عصب الجيش العُبيدي الذي غزا مصر ، وهو الدور المستمر في مراحل تطور الدولة ومذهبها معًا؟!

إذن فالدور اليهودي الحاضر الغائب في تشكيل الأحداث الجسام في تاريخ الدولة الإسلامية بداية من ابن سبأ ووصولًا إلى ابن كِلِّس الذي ارتفعت مكانته عند الخليفة العُبيدي (المعز) الذي ولاه الخراج وجميع وجوه الحسبة والأموال ، بل والنظر في جميع أمور قصره ، وبعد المعز حظي بمكانة أرفع عند خليفته (العزيز بالله) حتى أصبح وزيره الأول ، وأحد كبار علماء المذهب الشيعي الإسماعيلي ، حيث أرسى لهم بعض قواعده المذهبية وبخاصة في التأويل المنحرف للنصوص

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢٠١/٢ .

(٢) ابن كِلِّس ، الرسالة المذهبة ، مقدمة عارف تامر ، ص٩ .

الدينية سيرًا على درب سلفه الفيلسوف اليهودي فيلون ، تلميذ الأفلاطونية الحديثة التي سرب بعض نظرياتها في العقيدة اليهودية كما سربها ابن كِلِّس في العقيدة الشيعية ، وبخاصة المتعلقة بنظرية الفيض الإلهي ، وارتباطها بمفهومهم للإمامة ، وقد وضح ذلك بشكل جلي في كتابه (الرسالة المذهبة) ، ويذكر عارف تامر أن مؤلفات ابن كلس قد بلغت مئة مجلد فقدت جميعها ، ولم يبق منها إلا « الرسالة الوزيرية » في مختصر الفقه ، وقد صدر مرسومٌ من الخليفة العبيدي (الظاهر) إلى جميع الدعاة أن يحفظوها ويلتزموا بأحكامها[١] .

وإن كان ابن كِلِّس قد أسهم في تأسيس أصول المذهب العقدية والفقهية ، فإنه قد أسهم أيضًا في وضع قواعد وأصول وسائل الدعوة للمذهب الشيعي بفكرة تحويل الجامع الأزهر إلى جامعةٍ علميةٍ لنشر المذهب في العالم الإسلامي ، ووضع اللوائح والنظم له ، ورتب للعلماء والمدرسين فيها الرواتب والأرزاق ، وشجعهم بالعطايا والمكافآت .

ومهما يكن من أمرٍ ، فلا شك أن الوزير يعقوب بن كلس مثل إحدى الدعائم القوية للدولة العُبيدية في مصر ، وأحد أعمدة المذهب الشيعي الإسماعيلي العلمية التي سربت الكثير من العقائد اليهودية داخل العقيدة الشيعية بوجهٍ عام[٢] .

---

(١) المصدر السابق ، ص١١ .

(٢) بغض النظر عن الدور اليهودي في نشأة التشيع وتأسيسه ، فإن هناك عددا من أوجه الشبه بين عقائد الشيعة واليهود ، من أهمها باختصار :

- التأويل الرمزي : تسربت عقيدة التأويل الرمزي من اليهود إلى غلاة الشيعة، ومنهم إلى الاثني عشرية ، وقد أسهم التأويل الرمزي في تسريب العقائد اليهودية التالية :

- التشبيه والتجسيم : والتي قال بها غلاة الشيعة أمثال الهشامية والمغيرية والبيانية والخطابية وغيرهم ، والتي أدت بهم إلى القول بحلول الله تعالى في أشخاص الأئمة ، وهو ما ظهر في كتب الاثني عشرية من الولاية التكوينية للأئمة ، وبالتالي احتفوا بكبار القائلين بهذا القول =

هذا في الوقت الذي مثل فيه حلقة الربط والاتصال بين خليفة العُبيديين في مصر وبين الأمير البويهي في العراق ، حيث كان يكتب ويحرر المراسلات بينهما ، وينبغي ألا يغيب عن بالنا في هذا المقام النفوذ اليهودي القوي داخل الدولة البويهية ، والمشاركة الفعالة في بلاط الحكم ، فمنهم كان الوزراء والكتاب وأهل الحل والعقد ، ومنهم انتقلت فكرة مواكب العزاء وما يحدث فيها من لطم وصياح إلى الشيعة البويهيين ، ومنهم إلى العبيديين ، بل وإلى الطقوس الشيعية بوجه عام إلى اليوم .

وكما أن الدولة البويهية في فارس والعراق (٣٣٤/٢٠-٤٤٧هـ - ٩٤٦/٣٢-١٠٥٥م) مثلت العصر الذهبي لليهود في ظل الدولة الإسلامية ، بفضل الوئام الشيعي اليهودي الذي مكن اليهود من رقاب أهل السنة فيها ، فإن « أحوال اليهود في مصر قد تغيرت تحت حكم الفاطميين كثيرًا ، فقد أسهموا في الشؤون الاقتصادية والسياسية والإدارية بشكل لم يحدث من قبل ، إن العصر الفاطمي يجب أن يؤخذ كله باعتباره العصر الذهبي لليهود في مصر »[١] .

= أمثال هشام بن سالم الجواليقي .

– البداء : عقيدة يهودية تسربت إلى الاثني عشرية من الكيسانية .

– الرجعة : من عقائد اليهود التي سربها ابن سبأ إلى فرق الشيعة الإمامية عدا الإسماعيلية .

– الوصي : من جملة العقائد السيئة التي سربها من اليهودية إلى فرق الشيعة الإمامية ، وقد أكملها تلميذه ابن حرب بتسريب عقيدة الأسباط الاثني عشر اليهودية إلى الشيعة الاثني عشرية .

هذا بالإضافة إلى جملة من العقائد وصور العبادات تركتُ الإشارة إليها بغية الاختصار .

وللاستزادة انظر الكتب الآتية : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، والملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، وبذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ، د. عبد الله الجميلي ، وكتاب الأصول العقدية للإمامية . . دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة ، د. صابر طعيمة .

(١) أبو المحاسن بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٧٥/٤ .

نعم كان هذا العصر - بحق - عصرًا ذهبيًا لليهود ، حيث أوضحت وثائق الجنيزة التي اكتشفت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أن غالبية يهود قد نزحوا إلى مصر فعاشوا في كنف هذه الدولة الشيعية وبخاصة يهود العراق ، وإيران ، ونيسابور ، وسمرقند ، وصقلية ، وفرنسا ، وتونس ، والمغرب ، وبذلك أصبح عدد من المدن المصرية التي يكثر فيها الوجود الشيعي الإسماعيلي منزلًا يستظل به اليهود ، وبخاصة مدينة البحيرة التي أضحت منزلًا ليهود تونس والمغرب[١] ، وقد نافستها مدينة المحلة الكبرى حيث عمل اليهود فيها في صناعة النسيج والصباغة ، هذا بالإضافة إلى أربع مائة مهنة أخرى ، ابتداءً من الوزارة ومرورًا بصناعة السكر والمصنوعات الجلدية والعطارة وصناعة الزجاج ، والذهب والفضة والمواد الغذائية ، بجوار المهن التقليدية في الطب والتنجيم وغيرهما .

بذلك احتكر اليهود ، وبخاصة يهود الإسكندرية ودمياط ، التجارة مع الهند استيرادًا ، ومن ثَم إعادة تصديرها إلى أوربا ، فأصبحوا من أغنى يهود العالم ، وكانت مدينة قوص بالصعيد أحد مراكزهم المهمة بعد تحويل التجارة إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر أثناء التهديد الصليبي لمصر .

ومن هنا نهب اليهود ثروات البلاد وتحكموا في أهلها المصريين ، وفي ظل هذا الوضع المتميز ليهود مصر في زمن الشيعة الإسماعيلية أصبح لهم رئاسة مستقلة لأول مرة في تاريخ اليهود في ظل الدولة الإسلامية حيث انفصلوا عن رئيس اليهود في العراق (رأس الجالوت) ليُستحدث منصبٌ جديدٌ لرئيس يهود مصر باسم (الناجد) والذي أنشأ المدارس اليهودية الخاصة بهم ، وتوسع فيها ، ومعها ازدهرت دراسة اللغة والأدب العبري على يد يهود مصر مثل : سعديا الفيومي ، ومع التشجيع المستمر من

---

(١) وهذا قد يفسر لك حقيقة وجود ضريح أبو حصيرة اليهودي في مدينة دمنهور رغم ما بينهما من فاصل زمني .

الحكام الشيعة لهم أنشأ اليهود مدرسة لاهوتية (يشفيا) تولى إدارتها (مصلياح هاكوهين) وخلفه الرابي (موسى هاليفي بن نيتائيل)[(١)] ، ثم اثنان من أبنائه من بعده في الوقت الذي تولى رئاسة وزارة مصر بعد يعقوب بن كلس عدد من الوزراء اليهود الذين عملوا على تمكين اليهود من البلاد وفرض سيطرتهم عليها مما اضطر الكثير من المصريين إلى التذلل إليهم ، وعلى العكس من ذلك تفنن حكام الدولة العُبيديون في إذلال فقهاء وعلماء أهل السنة ، حتى أصبح الفقيه السني مضرب المثل في الذلة والهوان ، وأصبح لفظ الفقيه (الفقي) سُبة ووَصْفًا للحقارة في ذلك العهد .

وقد أجاد الشعراء وصف ذلك العصر في أشعارهم الساخرة ، يقول الشاعر المصري الحسن بن خاقان :

يهود هذا الزمان قد بلغوا آمالهم غايةً وقدْ مَلَكُوا
العزُّ فيهم والمالُ عندهُمُ ومنّهُمُ المستشارُ والملكُ
يا أهلَ مصرٍ إني نصحتُ لكم تهوَّدوا قد تهوَّدَ الفَلَكُ[(٢)]

وفي وصف ذلة الفقهاء يقول تقي الدين بن عبد القادر التميمي المصري :

أحبابَنا نُوَبُ الزمانِ كثيرةٌ وأمَرُّ منها رِفْعَةُ السُّفَهاءِ
فمتَى يفيقُ الدهرُ من سكراته وأرى اليهودَ بذلةِ الفقهاءِ[(٣)]

ولم يكن تقريب اليهود والنصارى سياسة طارئة ، بل كان سياسة عامة بدأها الخليفة العُبيدي المعز فور وصوله إلى مصر حيث كتب للبطريرك السرياني أفرهام سجلا يمكنه من بناء كنيسة أبي موقورة بالفسطاط ، والكنيسة المعلقة بقصر الشمع وأطلق له من بيت المال ما يصرفه على هذا البناء وأشرف بنفسه على بناء أساس

---

(١) للمزيد انظر : د . أحمس حسن صبحي ، الدعوة الفاطمية ، ص١٤٩ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢ / ١١٧ .

(٣) ابن عابدين : حاشية ابن عابدين ، ٤ / ٣٧٩ .

الكنيستين ردًّا على اعتراض المصريين على ذلك ، ومن الواضح أن هدف هذه السياسة خلخلة الوضع بين نصارى مصر الوطنيين بزرع عدد من الكنائس الدخيلة على المجتمع المصري لضمان ولاء تلك الكنائس من ناحية وإضعاف المصريين من ناحية أخرى(١) .

ومع ذلك فإن النصارى الوطنيين من المصريين قد تمتعوا في ظل العصر الشيعي الإسماعيلي بحريةٍ كاملةٍ تجاوزت عقد الذمة ، عدا بعض الفترات المؤقتة التي عانى منها جميع المصريين من تصرفات الحاكم بأمر الله المضطربة ، بيد أن نصارى الروم وبخاصة من الأرمن – ومن قبلهم النسطوريون – كانت لهم الحظوة في بلاط الحكام حتى نهاية عصر الدولة العُبيدية ، فقد تزوج العزيز بالله نصرانية أرمينية كان لها ولابنتها (سيدة الملك) نفوذٌ واسعٌ في شؤون الدولة ، وقد بالغ العزيز في إكرامها لدرجة أن رفع إخوانها إلى أرفع المناصب في الكنيسة ، فعين أحدهما بطريركًا للملكانيين ببيت المقدس سنة ٣٧٥هـ ، وعين الآخر مطرانًا للقاهرة ، والذي رُقِّي في عهد الحاكم بأمر الله بطريركًا للملكانيين سنة ٣٩٠هـ(٢) . وفي عهد العزيز تولى وزارة مصر الوزير النصراني عيسى بن نسطورس بعد وفاة يعقوب بن كلّس ، الذي أثقل كاهل المصريين بالضرائب ، وفي عهده تفشى الغلاء واضطربت الأمور حتى ذكر المؤرخون أنه لم يحج من المصريين في عهده أحدٌ بعدما بلغ الجوع مبلغه وتعدى عدد الموتى مئة وسبعين ألفًا – وقد أظهر ابن نسطورس تحيزًا واضحًا تجاه أبناء ملته ، ففي عام ٣٨٦ هـ – ٩٩٦م اتهم المصريون التجار الروم بحرق الأسطول المصري بدار الصناعة بالقاهرة ، وهو الأمر الذي دفعهم إلى قتل العديد من هؤلاء التجار ونهب كنائسهم ، فما كان من عيسى بن نسطورس إلا المسارعة في عقاب المصريين بقتل عشرين رجلًا ضربت أعناقهم، وضرب ثلاثة

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١١٧/٢ .

(٢) محمد أمين عابدين ، حاشية رد المحتار ، ٣٧٩/٣ .

وعشرين رجلًا آخرين بالسياط ، وطيف بهم وفي عنق كل واحدٍ رأس رجل ممن قتل من الروم ، وحبس عدة أناس(١) . وقيل : إنه كانت تخرج الرقاع عليها توقيعات ، منها : « تضرب » ، ومنها : « تقتل » ، ومنها : « تطلق » ، وتركت تحت إزار ، وتقدم كل واحدٍ منهم ليأخذ رقعته ، وكان يعمل به بحساب ما يخرج فيها(٢) .

ويضيف المقريزي نصًّا يوضح شهوة الانتقام والحقد التي كان يحملها ابن نسطورس ضد المصريين بقوله عن شاب مصري قد قبض عليه : « وقد أخذ رقعته ، وكان الأمر المكتوب عليها : « يُقتل » ، فأمر به عيسى بن نسطورس أن يقتل ، فصاحت أمه ولطمت وجهها ، وحلفت أنها وهو ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر ، وإنما وردا مصر بعد النهب بثلاثة أيام . ورغم مناشدتها لابن نسطورس بأن يكتفي بضربه بالسياط ، أو أن يعفيه من القتل ، أو أن يجعله آخر من يقتل لتتمتع به ساعة ، ولكنه لم يرأف لحالها ويترفق بها ، بل أمر به أن يكون أول من يضرب عنقه ، فلطخت بدمه وجهها ، فنبشت شعرها ، ودعت عليه أن يقتل مثل ابنها ، فأمر بضربها ، فضربت حتى سقطت على الأرض(٣) .

وهو الأمر الذي حرك نفوس المصريين نحو دفع امرأة إلى العزيز في موكبه وفي يدها ظلامة أعطتها له واختفت وسط زحام الناس ، ترثي فيها ما آل إليه وضع المصريين بقولها : « يا أمير المؤمنين ، بالذي أعز اليهود بمنشا بن إبراهيم - وقد ولاه العزيز إقليم الشام محاباة لليهود وتقديمًا لهم على المسلمين - وأعز النصارى بعيسى بن نسطورس ، وذل المسلمين بك ، إلا نظرت في أمري »(٤) .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ١٩٥/٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١١٦/٩-١١٧ ، والمقريزي ، الخطط ، ١٩٦/٢ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، ١٩٥/٢ .

فما كان من العزيز أمام تذمّر أهل مصر من هذا الوضع إلا القبض علي منشا وابن نسطورس ، وتغريم ابن نسطورس ثلاث مائة ألف دينار . ولكنه عاد فأفرج عنه بتأثير من ابنته سيدة الملك .

أما الظاهر بن الحاكم ، الذي يضرب به المثل في المجون وشرب الخمر ، فلم يكن بعيدًا عن سيرة أبيه وأجداده ، إذ يروي المقريزي بعضًا من مظاهر مجونه وفجره ، ومودته للنصارى فيقول : « ولخمس بقين من محرم ، وكان ثالث فصح النصارى ، فاجتمع بقنطرة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلقٌ كثيرٌ طول نهارهم في لهوٍ وتهتكٍ قبيحٍ ، واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر ، حتى حُملت النساء في قفاف الحمالين من شدة السكر ، فكان المنكر شديدًا في هذا اليوم . وركب الظاهر في موكب إلى المقس بعمامة شرب مفوطة بسواد ، وثوب دبيقي مدير بسواد ، فدار هناك طويلًا وعاد »[١] . ولم يختلف الأمر كثيرًا في باقي أطوار الدولة حتى نهايتها ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

في عهد الآمر بأحكام الله (ت ٥٢٤هـ) ، اتخذ راهبًا يعرف بأبي نجاح بن قنا، ووكّله شيئًا من الأمور المالية ، فأخذ يصادر من أموال المسلمين الشيء الكثير ، فزاد قربه من الآمر حتى لقبه بـ « الأب القديس الرّوحاني النفيس ، أبي الآباء سيد الرؤساء ، مُقَدّم دين النصرانية وسيد البطريركية ، ثالث عشر الحواريين » ، وهو الأمر الذي جعله يتمادى في سطوته ، فكثرت إساءته للمسلمين ومصادرته للناس[٢] .

وكان الأفضل بن بدر الجمالي ، وزير الآمر ، يستخدم الموظفين النصارى بكثرة ، فعيّن أبا البركات يوحنا بن أبي الليث النصراني في ديوان التحقيق ، وبقي فيه حتى عام ٥٢٨هـ/١١٣٤م ، كما كان أبو الفضل المعروف بابن الأسقف ، كاتب الأفضل

---

(١) المقريزي ، الاتعاظ ، ص١٣٧ .

(٢) أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ص٢٤٠ .

الجمالي ، والموقّع عنه في الأموال والرجال ومتولي ديوان المجلس ، والنظر في جميع دواوين الاستيفاء على جميع أعمال المملكة ، وتولى أبو اليمن - وزير عبد المسيح - الديوان بأسفل الأرض . وقد أحاط الأفضل نفسه بجنود من الأرمن ، وشجع على هجرتهم التي بدأت منذ مقدم والده (بدر الدين الجمالي) في أيام المستنصر[١] .

وعندما تولى الحافظ لدين الله الحكم بعد الآمر ، استمر في هذا النهج ، وولّى الوزارة في سنة ٥٢٩هـ (١١٣٥م) بهرام الأرمني ، ونعته بـ « السيد الأجلّ ، أمير الجيوش سيف الإسلام ، تاج الخلافة ، ناصر الإمام ، غياث الأنام »[٢] .

وبعد أن استقر بهرام في السلطة لم يتردد في تبني سياسة شخصية أرمينية مسيحية ... فقد سأل الخليفة الحافظ في السماح له بإحضار إخوته وأهله من بلاد الأرمن ، فأذن له في ذلك ، حتى صار منهم بالديار المصرية نحو ثلاثين ألف إنسان استطالوا على المسلمين ، وأصابهم منهم جور عظيم . كذلك بُني في أيامه العديد من الكنائس والأديرة حتى صار كل رئيس من الأرمن يبني له كنيسة ... وخاف أهل مصر منهم أن يغيروا ملة الإسلام[٣] . وفي إطار هذه السياسة ، أضحى معظم ولاة الدواوين من النصارى . وولّى بهرام أخاه « فاساك » ولاية قوص في الصعيد ، فاستقوى بأخيه ، وأمعن في ظلم المسلمين ومصادرة أموالهم[٤] .

وكان من جراء ذلك أن استولى الصليبيون على بيت المقدس للمرة الأولى في زمن المستعلي أبي القاسم أحمد بن المستنصر (٤٨٧ - ٤٩٥هـ - ١٠٩٤ - ١١٠١م) وقد استولوا على أكثر أراضي الشام ، وعلى الرغم من انزعاج المسلمين في مختلف

---

(١) محمد سهيل طقوش ،. تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام ، ص٣٩٥ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢/٢٠٥ .

(٣) أيمن فؤادسيد ، مرجع سابق ، ص٢٥٨-١٦١ .

(٤) محمد سهيل قطوش ، مرجع سابق ، ص٤٠٨ .

الممالك الإسلامية التي تداعى ملوكها وحكامها للاجتماع بالشام للوقوف صفا واحدًا في وجه الزحف الصليبي ، وفي المقابل واجه المستعلي ووزيره الأفضل بن بدر الدين الجمالي الأمر بلا مبالاة الأمر الذي فتح شهية الصليبيين للاستيلاء على المزيد من المدن والأراضي حيث استولوا على ساحل الشام بأجمعه وملكوا حيفا عام ٤٩٣هـ ثم قيسارية عام ٤٨٤هـ ، ولم يختلف الأمر في زمن خلفه الآمر بن المستعلي حيث استكمل الصليبيون الاستيلاء على عكا عام ٤٩٧هـ ، وطرابلس الشام من بعدها .. وهكذا توالى سقوط سائر المدن الشامية مثل بانياس وصيدا وصور وبيروت ، ومن ثم استداروا نحو المدن المصرية مثل مدينة الفرما التي أحرقوها وأحرقوا جامعها ومسجدها غير ما تعرضت له هذه المدن من نهب وسلب وسبي للنساء والأطفال وأسر للرجال ، ولهول الفاجعة تبارى الخطباء والشعراء في وصفها والتنديد بمواقف الحكام الشيعة وتخاذلهم عن نصرة المستضعفين من المسلمين ، ومن ذلك ما سجله المؤرخ أبو المحاسن ابن تغري بردي(١) من قول أحد الشعراء :

أحَلَّ الكفرُ بالإسلام ضيمًا ... يطُولُ عليه للدِّين النحيبُ
فحقٌّ ضائعٌ وحِمًى مُباحٌ ... وسيفٌ قاطعٌ ودَمٌ صبيب
وكم من مسلمٍ أمسَى سليبًا ... ومسلمةٍ لها حرمٌ سليب
وكم من مسجدٍ جعلوه ديرًا ... على مِحْرابه نُصِبَ الصليب
دَمُ الخنزيرِ فيه لَهُمْ خَلُوقٌ ... وتحريقُ المصاحفِ فيه طِيب
أمور لو تأملهن طفلٌ ... لطَهر في عوارضه المشيب
أتُسْبَى المسلماتُ بكُلِّ ثَغْر ... وعيشُ المسلمين إذًا يطيب
أما واللهِ والإسلامُ حَقٌّ ... يدافعُ عنه شُبَّانٌ وشيب
فقل لذوي البصائِر حيثُ كانوا ... أجيبوا اللهَ وَيْحَكُمُ أجيبوا

---

(١) أبو المحاسن ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٥١ - ١٥٢ .

ثالثًا : انتشار الاغتيالات السياسية

بدأ الحاكم بأمر الله مسلسل الاغتيالات باغتيال وزيره برجوان (٢٦ ربيع الآخر سنة ٣٩٠هـ/ ٢ إبريل ١٠٠٠م)[١] ، ثم الحسن بن عمار (٥ شوال ٣٩٠هـ/ ٨ سبتمبر ١٠٠٠م)[٢] ، بل طالت جرائمه كبار رموز المذهب مثل : الحسين بن جوهر ، وقاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان (٤٠١هـ/ ١٠١١م)[٣] ، وأمين الأمناء أبي عبد الله الحسين بن طاهر الوزان (جمادى الآخرة ٤٠٥هـ)[٤] ، وقاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي (١٦ ربيع الآخر ٤٠٥هـ)[٥] ، فذاق من نفس الكأس الذي أذاقه لغيره ، حيث اغتيل في عام (٤١١هـ/١٠٢٠م) .

وبذلك تجرأ الأتباع على اغتيال أئمتهم الذين يعتقدون بعصمتهم وبمنصبهم الإلهي !!

فاغتيل الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله[٦] ، الإمام السابع من خلفاء بني عُبيد عام (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) ، على يد فرقة النزارية (الحشاشين) لاستيلائه على الحكم هو وأبوه المستعلي بدلًا من نزار بن المستنصر الأَوْلَىٰ بالخلافة حسب مذهبهم ، ومن بعده اغتيل الظافر بالله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي ميمون عبد المجيد ، قتله نصر بن عباس قطعًا

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٥-٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ٢/٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ٢/٨٦-٨٧ .

(٤) المصدر السابق ، ٢/١٠٨ .

(٥) المصدر السابق ، ٢/١٠٦ .

(٦) المصدر السابق ، ٣/٢٨ .

لألسنة الناس عن حميمية العلاقة بينهما(١) .

واستمر مسلسل الاغتيالات بين الوزراء بعضهم البعض ، حيث أصبح كرسي الوزارة يمر عبر نصل السيوف ولا يحصل عليه إلا الأقوياء مما أجج الصراع بينهم ، ووزير الوزراء ذو الرئاستين أبو الحسن بن جعفر بن الفلاح (شوال ٤٠٩هـ/ ١٠١٩م) ، فاغتيل الأفضل بن بدر الجمالي (شوال ٥١٥هـ/يناير ١١٢٢م)(٢) ، وأبو علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه (١٦محرم ٥٢٦هـ/ ٩ ديسمبر ١١٣هـ)(٣) ، وأبو الفتح ناصر الجيوش يانس الأرض (٢٦ ذي الحجة ٥٢٦هـ) ، والعادل ابن السلار الشافعي السني (٦ محرم ٥٤٨هـ/٣ إبريل ١١٥٣م) ، وطلائع بن رزيك (١٩رمضان ٥٥٦هـ/ ٧ سبتمبر ١١٦١م)(٤) .

وفي أيام الظاهر اغتال الوزير صرخة بن يوسف العلامي أبا سعيد التسكري اليهودي فقتلته أم المستنصر بسبب ذلك ، وقد شاركت نساء القصر أحداث هذه المؤامرات والاغتيالات . كما نشب الصراع بين فرق الجيش من المغاربة والأتراك ، أو بينهم وبين العبيد والأرمن الذين تضخم نفوذهم وزادت سطوتهم أثناء وزارة بدر الدين الجمالي . وقد تركت هذه الاغتيالات السياسية بصماتها على المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي انحرف عن عقيدته في الإمام والإمامة ، وهي العقيدة التي تمثل حجر الزاوية في الفكر الشيعي ، وبخاصة بعد وفاة الخليفة الآمر بالله دون أن يكون له ولد مما أوقع الدعوة الفاطمية في مأزق كاد يعصف بها مرة ثانية بعد الانشقاق الأول بعد وفاة المستنصر (١٨ذو الحجة ٤٨٧هـ) إلى مستعلية ونزارية ، وما كان لها أن تتماسك بعد إعلان ابن

---

(١) المصدر السابق ، ٣/١٩٠ .

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥/٢٢٢ .

(٣) المصدر السابق ، ٥/٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق ، ٥/٣٤٥ .

عمه أبي ميمون عبد المجيد الملقب بالحافظ (٣ ربيع الأول ٥٢٦هـ) أنه الخليفة الفاطمي إمام الزمان فتنقسم المستعلية على نفسها إلى فرقتين (حافظية ، وطيبية)[(١)] ، ونتيجة ذلك ظهر للناس زيف دعاوى الشيعة العُبيدية (الفاطمية) فانصرف عنها القواد ورجال الدولة ، بل وبعض رجال الدعوة أنفسهم ، وأصبحت الدولة والدعوة بيد الوزراء أرباب السيف يعينون من يشاءون في منصب الإمامة دون التفات إلى تعاليم المذهب ، فانفرط عقد الدولة واستقلت البلاد الخاضعة لها في الشام والمغرب وبعض بلاد اليمن ، وطمع الصليبيون فيها ، واضطربت الأحوال الداخلية ، وانعدم الأمن لدرجة أنه لم يحج عام ٤١٥ هـ أحد من مصر ، وانتشر قطاع الطرق والعبيد يهاجمون بيوت المصريين ، ونهبت خزائن الكتب وشاعت المفاسد الأخلاقية وانتشرت الفوضى الفكرية والتي يصفها عماد الدين الأصفهاني بقوله : « انكسف شمس الفضائل الزاهرة ، ورخص سعر الشعر ، وانخفض علم العلم وضاق فضاء الفضل ، واتسع جاه الجهل ، وانحل نظام أهل النظم ، وانتشر عقد ذوي النثر ، واستشعر الفاقة الشعراء ... فلم تزل مصر بعده منحوسة الحظ ، منسوخة الجد ، منكوسة الراية ، معكوسة الآية »[(٢)] .

* * *

(١) انتهت الحافظية بانتهاء الدولة ، بينما استمرت الطيبية في كنف الدولة الصُليحية باليمن لتحقق لملكتها السيدة أروى الحرة الزعامة الدينية والسياسية باختراعها أسطورة إنجاب الآمر –العقيم– قبل مقتله على يد النزاريين ولدا سماه الطيب وأرسله لها ، ثم اختفى بعد ذلك ، وبعد موتها انشغل أتباعها بالتجارة في الهند ودخل بعض الهندوس في دعوتهم فسموا بالبُهرة أي التجار باللغة الكوجراتية ، وقد انقسمت البهرة على نفسها بعد وفاة الداعي المطلق داود بن عجب شاه عام٩٩٩هـ إلى سليمانية مقرهم الرسمي باليمن ، يسكنون نجران بالسعودية ، ولهم وجود بالكويت والإمارات ، والهند وبنجلاديش وباكستان ، وداودية ومقرهم الرسمي بالهند ونسبتهم أكبر ، وينتشرون أيضا في بنغلاديش وباكستان واليمن وإفريقية الشرقية .

(٢) أبو المحاسن ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣/٢٦٠-٢٦٢ .

رابعًا : المظالم الاقتصادية للمصريين في العصر العُبيدي الشيعي

من المتفق عليه بين المؤرخين والاقتصاديين على حد سواء ، أن مصر بموقعها الاستراتيجي الفريد قد حباها الله تعالى بالعديد من الموارد الاقتصادية ، ومن أعظمها نهر النيل ، هبة الله تعالى لمصر وأهلها ، مما جعلها بلدًا زراعيًّا من الدرجة الأولى ، « فليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على نهر النيل »[١] ، حتى كانت الجنات بحافتي النيل من أوله إلى آخره في الجانبين جميعًا ما بين أسوان ورشيد[٢] .

وفيها ازدهرت الصناعة وراجت الحركة التجارية لسهولة وسائل النقل وتعدُّدها ولطبيعة تضاريسها السهلة ، مما دعا حكومات دولها المتعاقبة على مر التاريخ إلى العناية بتلك الموارد والحفاظ عليها .

ولذلك كثر خراجها حتى وصفها واليها زمن الفتح الإسلامي (عمرو بن العاص رضي الله عنه) بأن : ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة .

ومن قبله وصفها المؤرخ اليوناني القديم (هيرودت) بأنها : سلة الغذاء ، فإذا جاعت جاع العالم .

وبالتالي فإن الدولة العُبيدية (الفاطمية) لم تكن بدعًا من الدول أو لم تستحدث جديدًا ، وإنما سارت على درب من سبقها من الدول ؛ فاهتمت بتلك الموارد وأحسنت استغلالها ضمانًا لاستقرارها السياسي ، ودعمًا لقوتها العسكرية لزيادة رقعة مساحة دولتها ، بالإضافة إلى تأمين الوفاء باحتياجات قصورها المترفة ، لذلك اهتمت بالزراعة وأقامت بعض السدود على نهر النيل ، وشجعت بعض الصناعات

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/٣٣٤ .

(٢) انظر : ابن زولاق ، فضائل مصر وأخبارها ، ص٥٤ .

وأدخلت أخرى بعد الاضطرب الذي لحق أمرها وتدهور إنتاجها في أعقاب الشدة المستنصرية التي تركت آثارًا سلبية (مدمرة) على جميع مستويات الدولة ، ومن أبرزها المستوى الاقتصادي ، فضاعفت تلك الآثار من معاناة المصريين من التوسع في فرض الضرائب واستخدام القوة في تحصيلها تعويضًا لنقص الموارد .

(١) النظم الاقتصادية الظالمة التي ابتدعها الفاطميون

أ - نظام الإقطاع :

لم تعرف مصر الإقطاع بشكله المقنن إلا في ظل الدولة العُبيدية (الفاطمية) التي استهلت حكمها بمصادرة الأراضي الخاصة بالأسرة الإخشيدية وضمها إلى أراضي الدولة عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م، ومن ثمّ أقطعها القائد جوهر الصقلي لعدد من خواصه والمقربين إليه من الشيعة (الأمراء والوزراء والجند والقبائل المقربين والبربر) شراءً لولائهم وإخلاصهم للدولة . ومن هنا بدأ نظام الإقطاع في ذلك العصر بصوره الثلاث[١] . ومعه انتشر نظام السُّخرة وتحول المزارعون المصريون إلى عبيد لهؤلاء الإقطاعيين ، وعجز الفلاحون الحائزون للملكيات المحدودة عن زراعة أراضيهم نتيجة لإغارة الأجناد المستمرة على أراضيهم ، فضلا عما لاقوه من أهوال لا قبل لهم بها على أيديهم .

---

(١) إقطاع استغلال : وفيه تقتطع الدولة بعض الأراضي للحاشية والمقربين من المنتمين للدولة مقابل مبلغ معين من المال أقل من الذي يجب عليه أن يجبيه من أهل جهته .

إقطاع ارتفاع : ويكون للشخص نظيرًا لراتبه ، مثلما اقتطع الخليفة العبيدي العزيز وزيره يعقوب بن كلس إقطاعًا كل سنة بمصر والشام يصل مبلغه إلى ثلاث مائة ألف دينار .

إقطاع التمليك : وفيه تتنازل الدولة عن جزء من الأراضي الموقوفة عليها وقفًا مؤبدًا لصالح أحد الأفراد ، سواء كانت من أراضي الموات أو من التي مات عنها أصحابها ولم يكن لهم وريث وبذلك آلت إلى بيت المال . انظر : د . نجوى كيرة ، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي ، ص١٣٥-١٣٦ ، بتصرف .

فتقلصت لذلك الرقعة الزراعية من نحو مئتين وستة وثمانين ألف فدان عندما دخل المعز مصر إلى حوالي العشرين ألف فدان خاصة زمن المستنصر ، وبذلك ضاعت حقوق المصريين أصحاب الأرض الحقيقية من الاستفادة من ذلك النظام والتنعم بخيرات أرضهم ، حيث لم يكن للواحد منهم الحق في امتلاك قطعة أرض إلا في حالة أن يشتريها من رجل سبق أن أقطعه السلطان إياها في القديم أو وهبها له فباعها لحاجته لثمنها .

ب - الضرائب :

تنوعت وتعددت أشكال الضرائب التي فرضها الحكام الشيعة على المصريين والتي زادت نسبتها في أوقات الأزمات بشكل خاص مما أرهق كاهل المصريين ، في الوقت الذي لم تمس فيه أموال الأمراء والصفوة من المنتمين للمذهب الشيعي ، كما ظلت مخازنهم الحافلة بأنواع الغلال على اختلافها وجميع ما تحتاجه حياتهم المترفة بمنأى عن السياسة الضريبية للفاطميين .

ومن أهم هذه الضرائب :

١ - الخراج :

من المعلوم أن الأصل في الخراج أنه لا يكون إلا من الأرض التي فتحت عنوة وتركت في أيدي أهلها ، أو التي صالح عليها أهلها على أن يصيروا ذمة ويؤدوا خراج أرضهم ، وهو ما لم يلتزم به القائد جوهر الصقلي عند دخوله مصر مخالفًا وعد الأمان للمصريين بتخفيض قيمة الخراج وعدم إرهاقهم بالضرائب ، ولكنه أرهقهم غاية الإرهاق ولم يراع ما تحملوه من أزمات ونكبات حلت بهم في عهد الدولة الإخشيدية ، ففرض عليهم من الفدان سبعة دنانير بدلًا من ثلاثة دنانير ونصف(١) .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ٨٢/١ ، ٨٣ .

ومن بعد الصقلي أصبح الإقطاع أحد أساليب الحكم الشيعي في مصر أكثر من سياسة اقتصادية أو اجتماعية ، حيث فرضت ضريبة الخراج على جميع الأراضي المزروعة ، وكانت تجبيها نقدًا أو عينًا وحبوبًا وفاكهة ، أو ما تحصل عليه من الفلاحين من الغنم والدجاج . وذلك بعد تقدير مساحة الأرض المزروعة ؛ ولذلك حرصوا على تطبيق نظام الالتزام ، حيث يلتزم أحد الأشخاص بتحصيل الضرائب المقررة على الأراضي المزروعة في جهة ما أو عدة جهات على أن يتولى هو تحصيلها من المزارعين المصريين الذين كان يتعسف معهم الملتزم مستخدمًا وسائل مختلفة للتعذيب ، حيث كان يصطحب معه شخصًا يلقب بـ (شاد) لجر المزارع المسكين أو سحبه على وجهه وضربه بالمقارع حتى يدفع ما عليه أو يبيع له شيئًا بالمبلغ المطلوب منه .

٢ - المكوس :

بدأت تلك المكوس مع بداية الدولة العُبيدية حيث فرضت ضرائب ورسوم على عقارات وأملاك الأسرة الإخشيدية والكافورية ، ثم امتدت إلى عقارات وأملاك عامة المصريين سنة ٣٩٥ هـ/ ٩٧٥م .

ونتيجة لتدهور الاقتصاد المصري ، وبخاصة زمن المستنصر ، وفي أعقاب الشدة العظمى ، وتعويضًا عن نقص الخراج اتخذت الدولة سياسة زيادة الضرائب غير المباشرة والتي عرفت بـ (المكوس) .

حيث فرضت على كل الأسواق والصناعات رسومًا أثرت عليها تأثيرًا بالغًا ، فتوقف معظمها ، بل فُرضت الضرائب على المعديات على النيل ووسائل النقل وجميع الداخلين والخارجين إلى المدن الصناعية مثل تنيس وغيرها ، ولم يسلم منها الحجيج أيضًا[١] .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ١/ ٨٤ ، ٨٥ .

ومن عجيب القصص المذكورة في تاريخ تلك الدولة الظالمة : ما يذكره المسبحي من أن من يغرق في النيل يطالب أهله بضريبة مقدارها ديناران وقيراطان باسم واجب الصناعة ، ولا يسلم إلى أهله إلا بعد دفعها[١] .

٣ – الرباع :

وهي الضرائب المفروضة على العقارات من خلال مسئول يعرف بـ (متولي الربع) .

٣ – الجوالي :

والمعروفة باسم الجزية التي تجبى من أهل الذمة الأحرار البالغين ، ويعفى منها النساء والصبيان والعبيد والرهبان والمجانين . وكانت تجبى من خلال جهاز خاص يتولى الجباية بعد تسجيل وحصر الأسماء والفئات والأعمار ، ثم تدقق حساباتها وترفع للخلفاء ، ولا تسقط تلك الضريبة (الجوالي) نظير ما يدفعه مالك الأرض من خراج ، بل يدفعها ويدفع خراج أرضه ، وهو الأمر الذي أرهق الكثير من أهل الذمة ، والفقراء منهم بشكل خالص[٢] .

هذا بخلاف أنواع أخرى من الضرائب لم تكن معروفة من قبل ، مثل :

٤ـ الفطرة :

وتدفع عن كل رأس من الرجال أو النساء ، والهجرة : ومقدارها دينار على مَنْ أدرك من النساء والرجال ، والبلغة : وهي اختيارية يدفعها القادرون ومقدارها سبعة دنانير ، والنجوى : ومبلغها ثلاثة دراهم ، وثلث الدرهم وتجمع من الشيوخ من أهل

---

(١) المسبحي ، أخبار مصر ، ص٦٠ ، والمقريزي ، الخطط ، ١٠٣/١ .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ١٠٧/١ ، والقلقشندي ، صبح الأعشى ، ٩٤٦/٣ ، وعبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ١١٩/١ .

القاهرة ومصر وأعمالها ، وبالإضافة إلى : الخمس والزكاة والألفة . وعلى الرغم مما تحققه تلك الضرائب من إيرادات كبيرة للدولة فقد ألغاها صلاح الدين الأيوبي بعد إسقاطه للدولة العُبيدية .

وعلى الجانب الآخر كانت قصور الحكام وشيعتهم متخمة بالتحف والذهب وأفخر الأثاث ، ومخازنهم مليئة بالمؤن والغلال ، فلم يتأثروا بما مرت به البلاد من مجاعات ، ولعل قول المرأة المصرية السابق ذكره من أصدق ما يعبر عن هذه المقارنة الظالمة بين قصور هؤلاء وبيوت المصريين .

وبعد الشدة العظمى وما حدث للمستنصر وقصره وما عانت منه البلاد والعباد من توابعها وآثارها ، وبعد تولي وزراء السيف (التفويض) مقاليد البلاد ، نجح بعضهم في إعادة هيكلة الدواوين والسيطرة على بعض جوانب الشدة ، بيدَ أنهم عاشوا حياة ملؤها الترف والبذخ ، حيث زادت رواتبهم وإقطاعاتهم ومخصصاتهم التي صرفوها لأقاربهم وشيعتهم ، ويذكر المؤرخون الكثير من أخبار اكتنازهم واستئثارهم بثروات البلاد وإرهاق المصريين بكثرة الضرائب وتعرض بعضهم للمصادرات .

فمن ذلك مثلا : أن تركة الوزير الأفضل بن بدر الدين الجمالي وحده بلغت أكثر من ستة ملايين دينار ، وأضعاف ذلك من الذهب والأثاث والتحف ، بينما بلغ عدد الكتب في مكتبته نصف مليون كتاب .

ولم يتفرد الجمالي بهذا السلوك عن أمثاله من الوزراء ، فقد نافسه في ذلك من جاء بعده مثل المأمون البطائحي والوزير عباس والصالح بن رزيك ، في الوقت الذي كان يتضور قطاع كبير من المصريين جوعًا .

ومن سنن الله تعالى في قيام الدول وانهيارها أن يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ، فالدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا

تدوم مع الظلم والإسلام ، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط ، ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرعية ، وتظالم الناس فيما بينهم[١] .

(٢) المجاعات والكوارث

فها قد وقفت خلال السطور السالفة على تعدد أشكال الظلم وتنوع أنواع الكفر في خلال تلك الحقبة التي حكم فيها الشيعة مصر ، وتشجيعهم لشرب الخمر وما تبع ذلك من إشاعة الخلاعة والمجون التي استجاب لها قطاع من عوام المصريين ، فحق عليها قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود : ١١٧] .

وقد أجمع المفسرون على أن خراب الديار وانهيار اقتصادها وذهاب قوتها إنما هو عاقبة الظلم . يقول رسول الله ﷺ : « ما من ذنبٍ أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم »[٢] .

ويقول القرطبي في تفسير قول الله تعالى : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل : ٥٢] : « فإن الجور والظلم يخرب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم منها ، وترفع من الأرض البركة »[٣] .

وهو ما أكد عليه الآلوسي في تفسيره بقوله : « وروي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أنه قال : أجد في كتاب الله تعالى أن الظلم يخرب البيوت ، وقرأ قوله تعالى : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل : ٥٢] »[٤] .

---

(١) انظر : ابن تيمية ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص٤٠ .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٩/٣٣٤ .

(٤) الآلوسي ، تفسير الآلوسي ، ١٩/٢١٥ .

وصدق الله العظيم ، فقد تعرضت مصر في تلك الحقبة الشيعية لعدد كبير من الأزمات والنكبات الاقتصادية التي صاحبها ظهور الأوبئة والمجاعات المهلكة ، التي أدت إلى انهيار الدولة وذهاب قوتها كأن لم تغن بالأمس ، فلم يمر عليها فترة ازدهار اقتصادي إلا وسرعان ما تتبدل إلى محن وأزمات جعل الله تعالى لها أسبابها المادية من زيادة النيل أو نقصانه ، أو هبوب الرياح السوداء ، أو ضرب الزلازل البلاد، مع انتشار الأوبئة والأمراض ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

وقد حظيت المجاعات والأوبئة التي حدثت في العصر الإسلامي باهتمام المؤرخين المسلمين ، حتى إن المقريزي أفرد رسالةً خاصةً لهذه الكوارث والأزمات الاقتصادية أسماها « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، وفيها يتضح أن العصر الفاطمي قد نال الحظ الأوفى من هذه الكوارث التي تعدى مجموعها على ما يزيد عن ربع فترة حكمهم للبلاد غير ما عاناه المصريون في باقيها من ظلم واضطهاد(١) ، وبعد فهذا سرد لسنوات تلك الأزمات، وفيه إشارات مختصرة لأهم أحداثها حتى لا نبتعد كثيرًا عن مقصد الكتاب :

أ – زمن المعز لدين الله (٣٤١ – ٣٦٥هـ/٩٤٥ – ٩٧٥م) :

في سنة ٣٦٥ – ٣٨٦هـ / ٩٧٥ – ٩٩٦م : توقف النيل .

في عام ٣٧٣هـ/٩٨٢م : ارتفعت الأسعار واشتد الغلاء حتى لم يجد أحد كسرة الخبز وأصاب أهل مصر وباء شديد حصد عددًا كبيرًا من الناس(٢) .

---

(١) عرفت مصر المجاعات طوال تاريخها ، ومن أشهرها ما سجله القرآن الكريم في سورة يوسف ، بينما لم تشهد فترة الخلافة الراشدة وحتى الثلث الأخير للدولة الأموية أي مجاعات ، بل على العكس كانت فترات استقرار مجتمعي وازدهار اقتصادي . وقد عادت المجاعات في مصر إلى سيرتها في نهاية العصر الأموي بشكل أقل من العصر العباسي التي زادت فيه ولكن بشكل أقل من العصر العُبيدي (الفاطمي) .

(٢) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ٢/٢٠٥ .

ب – زمن الحاكم بأمر الله (٣٨٦ – ٤١١هـ/٩٩٦ – ١٠٢٠م) :

في عام ٣٨٦ – ٤١١هـ/٩٩٦ – ١٠٢٠م : أصاب الناس قحط شديد لقصور مياه النيل ، وصاحب ذلك كالعادة ارتفاع الأسعار واختفاء القمح من الأسواق ، ونشط اللصوص في سرقة الدور والنساء . وفي السنة نفسها اشتد البرق والرعد والمطر حتى قيل : إن حجارةً نزلت عليهم من السماء ، وضرب الزلزال الأرض فاقتلع خمس مئة نخلة من أصولها وغرقت الكثير من المراكب المشحونة بالغلال فزادت الخسارة(١) .

وفي عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م : حدث قصور مرة أخرى في مياه النيل فارتفعت الأسعار وكلما تدخلت الحكومة للسيطرة فتستقر الأحوال ، انخفضت مياه النيل لترتفع الأسعار مرة ثانية ، حتى ارتفع كل شيء من القمح والأرز ولحم البقر والضأن والجبن والزيوت(٢) .

وفي عام ٣٩٨ – ٣٩٩هـ/١٠٠٧ – ١٠٠٨م : لم يلتقط الناس في مصر أنفاسهم إلا ويعود قصور النيل مرة ثانية فتحدث المجاعة حتى يضطر الناس إلى أكل الكلاب والميتة فكثر الوباء ومات خلق كثير .

ليس هذا فحسب ، بل وهطلت الأمطار والسيول الشديدة المصحوبة ببرد شديد ، فهدمت ثلاث مئة دار من حارة الروم بالقاهرة أطاحت بها السيول ، وتساقطت بعض أبنية قصر الخلافة وعمائر من حارة العبيد مات تحتها عدد كبير من الناس ، يذكر ابن الأثير أن عدد الذين دفنوا في هذه الكارثة كان ستة عشر ألفًا ، سوى من بقي تحت الهدم ولم يشاهد(٣) .

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢/١٦٢٨ ، وإغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص٩٠– ٩١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٩/٢٠٨ .

وفي عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م : حدثت كارثة اقتصادية : غرق خمسة آلاف وواحد وخمسون زيرًا من أزيار العسل في النيل أثناء نقلها ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار ، وكثر ازدحام الناس على الخبز ، وكثرت الإشاعات بعودة اللصوص وخطف النساء فاضطر الحاكم إلى أن يصدر سجلا يطمئن الناس[١] .

وفي عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م : كانت الكارثة هذه المرة بسبب فيضان النيل فغرقت الأراضي الزراعية وتلفت البساتين ، وأغلقت الطرق المؤدية إلى القاهرة ، وارتفعت الأسعار .

وفي عام ٤١٠هـ/١٠١٩م : اشتد الغلاء بمصر ومات كثير من الناس جوعًا حتى بلغ عدد من مات في ثلاثة أشهر مئتين وسبعين ألفًا سوى الغرباء .

وفي عام ٤١١هـ/١٠٢٠م : أصاب مصر زلزالٌ عنيفٌ واشتد خوف الناس وهلعهم ، ومعه تفشت الأمراض ، واقتحم اللصوص الحارات ونُهبت القرى في ريف مصر[٢] .

ج - زمن الظاهر (٤١١ - ٤٢٧هـ/١٠٢٠ - ١٠٣٥م) :

من سنة ٤١٤ - ٤١٥هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٢٤م : في زمن الظاهر لإعزاز دين الله عاود النيل قصوره فحدثت أزمة طاحنة زادت فيها الأسعار وتعذر وجود الخبز حتى ضج الناس بمن فيهم طوائف العسكر من الفقر والجوع واشتد الغلاء وفشت فيهم الأمراض ومات الكثير من الناس حتى لم يستطع في هذا العام أن يحج واحد من أهل مصر[٣] .

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢/٢٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ٢/٢٨٤ .

(٣) المقريزي ، الخطط ، ١/١٦٨-١٦٩ ، ٣٥٣ .

واضطربت أركان الدولة بتفاقم الأزمة إلى أن اضطر الناس أن يتظاهروا عند قصر الظاهر صائحين « الجوع ، الجوع يا أمير المؤمنين ، لم يصنع بنا هذا أبوك ، ولا جدك ، فالله الله في أمرنا » ، حيث كان للخليفة وحاشيته مخازن خاصة بالغلال تحسبًا للأزمات .

وفي أثناء الأزمة زادت سطوة العبيد لاستمدادهم قوتهم من زوجة الظاهر السودانية فعاثوا في البلاد فسادًا حيث نهبوا تنيس المكلفين بحفظها ، ونهبوا خزينة السلطان حتى اضطر عاملها (الشريف بن حمزة) إلى الفرار منها إلى دمياط ، واستعدوا لنهب مصر (الفسطاط) فهاجموا بعض الدور بها حتى تصدى لهم المصريون رجالًا ونساءً وحفروا لهم الخنادق من حول بيوتهم للقضاء عليهم إلى أن تمت السيطرة عليهم . ونهب العسكر الفرما كذلك حتى فر منها أهلها ، وانتشرت السرقة واستحكمت الأزمة حتى إن الموتى كانوا لا يغسلون ولا يكفنون لأنه لم يكن لديهم ما يُكفَّنون فيه .

وفي عام ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م : أكل الفأر زرع مصر حتى أتى عليه .

وفي عام ٤١٨هـ/١٠٢٦م : أصيب أهل الواحات بمرض الجدري فمات أكثر أهلها[١] .

د - عهد المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٦٨هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) :

لم تكد مصر تنعم بشيء من الهدوء والاستقرار في بداية حكم المستنصر حتى عاودتها الأزمات الاقتصادية بشدة وعنف هددت استقرار الدولة وضاعت معها هيبتها ووضعت حدًّا لمرحلة قوة دولتها الأولى ، حيث كان للحكام الكلمة ، لبداية عهدٍ جديد أصبحت فيه الدولة للوزراء الذين تولوا مسؤولية التفويض بعد التنفيذ ، ويمكن الإشارة إلى أهم هذه الكوارث التي لم تر لها مصر مثيلًا بداية من :

---

(١) المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص٩٠-٩٢ .

سنة ٤٤٤هـ/١٠٤٩م : كانت بداية الأزمة التي تبعتها أزمة أخرى سنة ٤٤٦ – ٤٤٨هـ / ١٠٥٤ – ١٠٥٦م : حين قصر مد النيل فزاد الغلاء وكثر الوباء ومات كثير من الناس حتى بلغت الوفيات في سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٤م نحو عشرة آلاف مصري كل يوم حسب ديوان المواريث غير من لم يعلم وفاته .

وبداية من سنة (٤٥٧ – ٤٦٤هـ/١٠٦٤ – ١٠٧٤م) ولمدة سبع سنوات متصلة كانت الشدة العظمى والمعروفة بالشدة المستنصرية ، وفيها ذاق المصريون الويلات نتيجة تطاحن عناصر الجند من الأتراك والعبيد بعضهم بعضًا تارة ، أو لتسليط الله تعالى عليهم النيل بقصور أو فيضان تارة أخرى ، أو تسليط الزلازل والرياح . وقد أجمع المؤرخون كافة على أحداث تلك الشدة وقدموا لنا وصفًا دقيقًا لمعاناة المصريين من غلاء الأسعار، وقلة الأقوات حتى إن حارة بالفسطاط بيعت بطبق خبز كل رغيف بمنزل ؛ ولذلك سميت بحارة الطبق[١] .

ويذكر المقريزي : أن امرأة ابتاعت تليسًا من الدقيق بعقد جوهر قيمته ألف دينار ، وعندما نزلت به من الفسطاط متجهة إلى القاهرة وسط حراسها هجم عليها الناس ونهبوه ، فلم يبق لها منه سوى حفنة من الدقيق صنعت منها قرصة من الخبز ، ومن ثمّ وقفت عند القصر الخلافي في مكان مرتفع وصاحت بسخرية : « يا أهل القاهرة ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقومت هذه القرصة بألف دينار »[٢] .

وقد طالت الأزمة طيور مصر في السماء ، فكان العصفور والحمام واليمام يتساقط ميتًا من الجوع حيث لا يجد ما يأكله[٣]) .

---

(١) انظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢/٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص٩٩ .

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٩٧ ، والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢/٢٨٨ .

وانتشرت لذلك الأوبئة وتعطلت الزراعة وأكل الناس الكلاب والقطط ، ولما قلت الكلاب بيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير ، وأكل الناس بعضهم بعضًا ، حيث كان يجلس العبيد بأعلى بيوتهم ومعهم سلب وحبال بها كلاليب ، يصطادون بها المارة ويشرحونهم ويأكلون لحومهم .

وقد طالت الفتنة قصر الخليفة المستنصر ، حيث باع حلية قبور آبائه ووصل به الأمر إلى الجلوس على الحصير ، وخرجت نساء القصر ناشرات شعورهن تصحن : الجوع ، الجوع ، وأردن الهروب إلى العراق للنجاة بأنفسهن ولكن كن يسقطن عند المصلى موتى من الجوع .

ومن المضحك المبكي أن بغلة الوزير اجتمع عليها الناس ليأكلوها من الجوع مما عرضهم للشنق ولما شُنقوا اجتمع عليهم الجائعون فأكلوهم[١] .

ولم تسلم ثروة أم المستنصر السيدة (رصد) من النهب حيث قبض عليها ناصر الدولة ولم يتركها إلا بعد دفع الدية ، واستباح الجند الأتراك الكثير من كنوز خزانتها[٢] .

وفي سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م ازدادت المجاعة وكثر عدد الموتى نتيجة لحروب المستنصر مع ابن حمدان الذي أعلن الانفصال عن الدولة ودعا للخليفة العباسي القائم بأمر الله بالإسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحري[٣] .

ولم يتوقف البلاء عند هذا الحد ، حيث ما زالت الأزمة تشتد في سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م ، وضرب البلاد زلزال شديد أخرج الماء من الآبار ، وفيه هلك خلق عظيم ، وردموا أسفل منازلهم ، وقد حدث للبحر حالة من الجزر انحسر بها عن الساحل

---

(١) المقريزي ، المصدر السابق ، ٢٩٨/٢ ، إغاثة الأمة ، ص٢٤-٢٥ .

(٢) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ٥٢٣/١ .

(٣) ابن منير ، المنتقى من أخبار مصر ، ٣٧-٣٨ .

مسيرة يوم ، ففرح بها الناس ونزلوا إلى أرضه لعلهم يجدون فيه ما يسد رمقهم ، بيد أنه رجع عليهم فجأة فأغرق الكثير منهم[١] .

هـ – عهد المستعلي بالله (٤٨٧ – ٤٩٥هـ / ١٠٩٤ – ١١٠١ م) :

في سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م : حدث فيضانٌ كبيرٌ تسبب في إهلاك الزروع وغلت الأسعار مما أسفر عن مجاعة رهيبة كسدت معها الأسواق ، وتعطلت حركة البيع والشراء .

وفي عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م : تسبب نقص النيل في انتشار الوباء . وفي عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م : اشتد الوباء وأودى بحياة الكثير من السكان[٢] .

و – عهد الآمر (٤٩٥ – ٥٢٥هـ/١١٠١ – ١١٣٠م) :

في سنة ٥٠٥هـ/١١١١م : حدث وباءٌ شديدٌ راح ضحيته ما يزيد على ستين ألف نفس[٣] .

وفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م : هبت على مصر رياح سوداء قضت على الكثير من الناس والحيوان[٤] .

ز – عهد الحافظ (٥٢٥ – ٥٤٤هـ/١١٣٠ – ١١٤٩م) :

في سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م : تسبب توقف النيل إلى ارتفاع الأسعار وندرت الأقوات فهلك الكثير من الناس[٥] .

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢٧٧/٢ ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ١٨٦ .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ٣٥٦/١ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢٥/٣ .

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٤٩/٣ .

(٤) المصدر السابق ، ٧٧/٣ .

(٥) المصدر السابق ، ١٦٥/٣ .

في سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١م : ارتفعت الأسعار ، وعمَّ البلاء وكثر الموت بين عامة المصريين[(١)] .

من سنة ٥٣٧ - ٥٣٨هـ/١١٤٢ - ١١٤٣م : تسبب خروج محمد بن رافع اللواتي بالبحيرة على الحكم إلى إهلاك عدد لا يحصى ، و إلى ارتفاع الأسعار[(٢)] .

ح - عهد الفائز (٥٤٩ - ٥٥٥هـ /١١٥٤ - ١١٦٠م) :

في سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م : تسبب انخفاض ماء النيل إلى غلاء الأسعار[(٣)] .

وقد كان من أبرز آثار هذه الأوضاع الاقتصادية المتردية أن تقلصت مساحة العمران بالقطر المصري حيث بلغ عدد القرى في نهاية دولة العُبيديين (٢٠٦٢) قرية من إجمالي (٢٣٩٥) قرية في نهاية دولة الإخشيديين .

هكذا فعل الشيعة بمصر والمصريين الذين لم يستكينوا أو يستسلموا لهذا الجور والظلم ، وإنما تفننوا في مقاومته حتى تحطمت على صخرة جهادهم تلك الدولة الباغية ، وهو موضوع الفصل التالي .

* * *

---

(١) المصدر السابق ، ٣/١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، ٣/١٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، ٣/١٧٦-١٧٨ .


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

الفصل الرابع

مواقف المصريين العلمية والعملية لمقاومة الحكم الشيعي

المبحث الأول : المذهب الشيعي دخيل على الحياة الفكرية المصرية

المبحث الثاني : مواجهة المصريين العلمية للفكر الشيعي

المبحث الثالث : مقاومة العلماء المصريين للانحرافات الشيعية

المبحث الرابع : قرض الشعر وإطلاق النكات الساخرة ضد الشيعة

المبحث الخامس : دور المرأة المصرية في مقاومة المذهب الشيعي


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

المبحث الأول

المذهب الشيعي دخيل على الحياة الفكرية المصرية

ثمة سؤال يطرح نفسه ، وكثيرًا ما ردده البعض واتخذه الشيعة مطية للخروج على الدولة الإسلامية في مصر قديمًا ، والعمل على نشر مذهبهم فيها حديثًا ، وهو :

هل حقًّا أن المصريين شيعة الهوى سنية المذهب ؟

وهل التشيع في مصر قديم وله جذور راسخة في المجتمع؟

نعم إن المصريين شيعة للصحابة وأهل البيت جميعًا ، يضعون كلًّا في مقامه ومكانه على حسب جهده وعطائه لهذا الدين العظيم ، لا يفرقون بينهم ، فيعرفون للصحابة الكرام مقامهم وبخاصة الخلفاء الراشدين والمبشرين بالجنة ، كما يعطون لآل البيت بمن فيهم أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ حقوقهم ، جامعين بين قول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] ، وبين قول النبي ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدري : أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[(١)] ، وقوله : « لا تسبوا أحدًا من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[(٢)] ، وبين قوله ﷺ بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ : « أما بعد : ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن

---

(١) رواه البخاري في الشهادات (٥/٢٥٨-٢٥٩) ، وفضائل الصحابة (٧/٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤/١٩٦٤) .

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة ٧/٢١ مختصرًا ، ومسلم في فضائل الصحابة ٤/١٩٦٧-١٩٩٨واللفظ له .

يأتيني رسول ربي عز وجل : وإني تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » – فحث على كتاب الله ورغب فيه – وقال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي »[١] . وقال ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي »[٢] .

ولذلك كان للمصريين مواقفهم العلمية والعملية ضد كل من يتجرأ على السب أو الطعن فيهم على ما ستأتي الإشارة إليه ، حتى في الوقت الذي بذر فيه ابن سبأ بذرته الخبيثة لم يستجب له المصريون سوى فئة من الأعراب المتمصرين من بني بكر بن وائل ، وعبد القيس ، وربيعة ، والأزد ، وكندة ، وتميم ، وقضاعة ، الذين أرادوا زعزعة سيادة قريش وتحكمها في الخلافة ، وهو ما يؤكده ابن خلدون في تاريخه[٣] ، متذرعين بتهمتهم الباطلة للخليفة الراشد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، بزعم مخالفته لسيرة سلفه أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، وهو ما يؤكد أنه في أوج هذه الفتنة العمياء وأشد الأوقات اضطرابًا ، كان هناك الاحترام والتقدير لأبي بكر وعمر ولسيرتهما ، وبذلك لم يظهر الرفض بعد في مصر بمعنى رفض خلافة أبي بكر وعمر وسبهما وباقي الصحابة ، وعلى الرغم من مشاركة فئة من المتمصرين (الخوارج) الذين خرجوا على الشهيد المظلوم ذي النورين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، في الفتنة ، فإن عموم أهل مصر لم يوافقوهم على جريمتهم النكراء ، وبدلًا من أن يرحبوا بهم استهجنوا صنيعهم مما اضطرهم إلى محاولة التبرؤ من جريمتهم بصياحهم في المسجد الجامع : أنهم لم يقتلوا عثمان ولكن الله قتله!!

---

(١) رواه مسلم ، ١٨٧٣/٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ، ١٦٢/٣ ، حديث رقم ٤٧١٦ .

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٣٩/٢ .

ويشهد التاريخ الإسلامي بأن التشيع في مصر دخيل ، وليس أصيلا ، حيث لا يوجد للشيعة في مصر الإسلامية جذور ، فكان المصريون الوطنيون والعرب المتمصرون جنودًا مخلصين لجيوش الخلافة الأموية ثم العباسية ، مثلما كانوا القوة الضاربة لجيوش الخلافة الراشدة ، ويؤكد على هذا المؤرخ الشيعي ابن طباطبا في (الفخري) في معرض حديثه عن ثورة العباسيين الذين رفعوا شعار الدعوة للرضا من آل محمد ضد الدولة الأموية من أن خراسان كانت أفضل مكان للعباسيين ؛ لأن الشام ومصر كانتا للأمويين ، والعراق لشيعة علي[(١)] .

وكم من مرة حاول الشيعة الزيدية - الذين يكفرهم الاثنا عشرية والإسماعيلية على السواء - استغلال المصريين في الخروج على الخلافة العباسية على الرغم من فشل محاولاتهم المتكررة التي تنتهي بقتلهم على يد الجيش المصري ، وأول ظهور لهم كان في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ) في إمارة حميد بن قحطبة على مصر (١٤٣ - ١٤٤هـ) ، حيث دعا علي بن محمد لأبيه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المعروف بالنفس الزكية ، بيدَ أن هذه الحركة انتهت مبكرًا بعد مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن في ذي الحجة ١٤٥هـ ، وقد شاركهم فيها بعض أفراد البيت الأموي الذين بقوا في مصر مثل مصعب ومنصور وزيد أبناء الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، مما يؤكد على أن هذه الحركة سياسية منطلقة من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا علاقة لها بمفهوم الإمامة ولا بعقائد الشيعة الإمامية .

وتأمل موقف القبائل العربية بمصر على أثر بيعة الخليفة العباسي المأمون سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م) لعلي الرضا بن موسى الكاظم - الإمام الثامن عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية - لولاية العهد من بعده ، والذي سماه الرضا من آل محمد ،

---

(١) ابن طباطبا ، الفخري ، ص١٠٤ .

حيث اندلعت ثورات القبائل رافضة لتلك البيعة في شمال وجنوب مصر ، ففي الوجه البحري تزعم عبد العزيز الجروي زعيم (عرب الحوف) ثورة ضد المأمون سنة ٢٠٥هـ ، شاركت فيها قبائل عرب لخم وجذام بالوجه البحري فسيطروا على أجزاء كبيرة من الدلتا والإسكندرية ، وفي الوقت نفسه قام سلامة بن عبد الملك الطحاوي بقيادة ثورة أخرى في الصعيد بمشاركة معظم القبائل اليمنية وأعلنوا بيعتهم لإبراهيم المهدي العباسي[(١)] ، وثورة ثالثة سنة (٢٠٢ ـ٢٠٥هـ) بقيادة (بني بجيلة) بزعامة سليمان بن غالب ضد الخليفة العباسي لإعلان عدم رضاهم على مبايعة علي الرضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، ولم تنته هذه الثورات إلا بموت علي الرضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وموافقة الخليفة المأمون على مطالب العرب المصريين ، الأمر الذي أعادوا بيعته مرة ثانية لأجل ذلك ، وبهذا يتبين لك بوضوح عدم ولاء المصريين للتشيع الإمامي .

وجرت محاولة أخرى مستغلة ضعف الخلافة بعد تحكم قادة الجند الأتراك فيها ، واضطراب الأحوال في أقاليمها المختلفة بقيادة رجل هذه المرة ليس من أهل البيت ، وهو جابر بن الوليد المدلجي الذي خرج في ربيع ٢٥٢هـ بالإسكندرية ، وقد انضم إليه عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقد قُضِيَ على حركة جابر في مهدها .

ومن بعده خرج بالصعيد أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي المعروف ببغا الأكبر ، فحاربه الجيش المصري ففر هاربًا ثم مات .

ثم خرج أخوه بغا الأصغر فيما بين الإسكندرية وبرقة سنة ٢٥٥ هـ/٨٦٨م أيام أحمد بن طولون وسار برجاله إلى الصعيد فقتل .

وفي العام نفسه خرج إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ١/١٧٩ .

ابن علي بن أبي طالب الملقب بابن الصوفي ، وذهب إلى إسنا بصعيد مصر وروع أهلها وقتلهم ونهب دورهم ، فأرسل إليه ابن طولون جيشًا حاربه ، لكنه استطاع هزيمته ، فأرسل إليه ابن طولون بجيش آخر فالتقيا في أخميم ، وانهزم ابن الصوفي وخلف كل أمواله ، ولكنه جمع أعوانه مرة ثانية وخرج إلى الأشمونين سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢م ، وسار إلى أسوان لمحاربة أهلها وقطع لهم حوالي ثلاث مئة ألف نخلة ، وفي النهاية أرسل إليه ابن طولون من أحضره من مكة المكرمة وجيء به فحبسه ابن طولون فترة ثم أطلق سراحه فسار إلى المدينة المنورة وفيها قضى باقي أيامه حتى مات .

يلاحظ من هذا السرد التاريخي : أنه لم يكن للتشيع بمعناه العقدي أو الإمامي أي وجود في مصر قبل الدولة العُبيدية (الفاطمية) ، ولم يسمح المصريون بالانتقاص من مكانة الصحابة رضي الله عنهم ، قال يزيد بن أبي حبيب فقيه مصر : « أقلعت أهل مصر عن التشيع إلا جماعة . يعني بيت بني لهيعة وبني نباتة »[1] . والمقصود بالتشيع هنا التشيع الأول بتقديم علي بن أبي طالب على عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ففي إمارة هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ظهر من ينكر أن يكون أحد خيرًا من أهل البيت ، فوثبت إليه العامة من المصريين وضرب بالسياط سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م ، وهو ما تكرر في سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م عندما ظهر الشيعي أبو الليث الملطي وأظهر دعايته ، الأمر الذي عرضه للضرب والحبس أكثر من مرة ، وبسببه دار قتالٌ شديدٌ بين المصريين والجنود الإخشيدية والكافورية لما أراد المصريون الانتقام منه بنبش قبره بعد موته .

وفي زمن الإخشيديين لما انتشر دعاة المذهب الشيعي الإسماعيلي زمن كافور الإخشيدي ونالوا من الصحابة أصبح شعار المصريين في مواجهتهم : « معاوية خال المؤمنين » . وإمعانا في المواجهة بادر المصريون إلى كتابة ذكر الصحابة والتفضيل

(١) ابن زولاق ، فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، ص٤٨ .

والقرآن الكريم على أبواب الجامع العتيق سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م ، وقد أمر كافور الإخشيدي في سنة ٣٥٦هـ /٩٦٦م بإزالتها بدعوى عدم رغبته في استحداث أمور لم يسبق إليها من قبل[(١)] ، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه من عدم انتشار التشيع بمفهومه الديني في مصر والذي أشرت إليه في الفصل الأول من هذا الكتاب ، ومما يذكر أنه كانت لسياسة اللين والاحتواء التي مارسها الإخشيديون مع القبائل العربية والعلويين منهم بشكل أخص من أهم أسباب انتهاء تلك الثورات ، وبخاصة بعد أن جعل الوالي للطالبيين نقيبًا يعينه بنفسه ، وقد جعلوا للفرع الحسيني زعيمًا يمثلهم عبد الله ابن طباطبا ، وللفرع الحسني زعيمًا ويمثلهم الحسن بن طاهر ، وقد كانا كفرسي رهان يتسابقان على الفوز بمنصب نقيب الأشراف في مصر ، إذن الأمر ليس عقديا ولا علاقة له بنظرية الإمامة عند الشيعة .

وفي ظل حكم الدولة الشيعية العُبيدية ، وبعد انقشاع زيف دعايتها الفاطمية وظهور خطأ انتسابها لأهل البيت ، وعلى الرغم من محاولاتهم لاحتواء القبائل العلوية والتقرب منهم ، فقد تململت تلك القبائل من سلوك وعقيدة هذه الدولة فشاركوا المصريين مقاومتهم ضدها بعد أن خُدعوا فيها من قبل ، ففي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م ، قاد عبد الله أخو الشريف أبي جعفر مسلم ثورة كبيرة ضد الدولة الشيعية العُبيدية (الفاطمية) بالصعيد بمشاركة مجموعة كبيرة من القبائل العربية[(٢)] ، ولكن الدولة الشيعية قضت على ثورة العلويين ضدها وقتلت أربعين منهم وطيف برؤوسهم بالقاهرة سنة ٣٦٥هـ ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل يذكر المقريزي ومن قبله مؤرخ الدولة الشيعي الإسماعيلي عز الدين المسبحي (ت ٤٢٠هـ) بأن أحد العلويين من أبناء الحسين بن علي ، رضي الله عنه ، هو الذي قتل الحاكم بأمر الله

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ٢/٣٣٩-٣٤٠ .

(٢) وبخاصة قبائل جهينة ، والأزد ، وبلي ، وطيء التي كانت على عداء دائم مع الدولة طوال تاريخها .

الخليفة العُبيدي ، ولما سُئل عن سبب قتله قال : غِرْتُ لله وللإسلام ، ثم قتل نفسه بسكين ، وقطعت رأسه ، وسيرت إلى القاهرة في شهر المحرم سنة ٤١٥هـ[١] .

وعلى الرغم من اتساع الرقعة الزمنية لتلك الدولة واستخدامها جميع وسائل الترغيب بدءًا من ذهب المعز وانتهاءً بالترهيب من سيفه ، لم يسجل لنا التاريخ حتى عصرنا الحالي عالمًا مصريًّا واحدًا ضمن علماء المذهب الشيعي المبرزين ، سواء كان إسماعيليًّا أو غيره ، في الوقت الذي تحتفظ فيه سجلات التاريخ بأسماء العديد من العلماء المصريين السنة في جميع العلوم والفنون التي ما زالت آثارهم العلمية شاهدة عليهم ، وبإمعان النظر فيما حكاه المقريزي في خططه عن محاولة استرضاء الخليفة الحاكم للمصريين بمنع سب السلف وإصدار أمر باعتقال من سب أبا بكر أو عمر ؛ مما أدى إلى تجمهر خلق كثير – من الشيعة – أمام باب قصره مستغيثين (بأنه لا طاقة لهم بمخالفة المصريين) ، يتأكد لك أن المصريين لم ينتموا في يوم إلى المذهب الشيعي ، ويدلل على أن قوة وفاعلية المقاومة السنية قد أجبرت الحاكم على التراجع وإظهار عكس معتقده تقية للمصريين .

كما يلاحظ أن حركات الخروج تلك التي كان يقودها بعض المنتسبين لأهل البيت كانت حركات سياسية لدفع الظلم أو قيامًا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – من وجهة نظرهم – على الرغم مما كان يحدث خلالها من أفعال تأباها الشريعة ولا يرضاها الصالحون من أهل البيت مثل : ما فعله ابن الصوفي في إسنا عام (٢٥٥هـ) ، أو أسوان (٢٥٨هـ) ، و قد سبقت الإشارة إليها ، أو ما فعله أبو حسن الطالبي من نهب لحجيج بيت الله الحرام حتى امتنع المصريون عن الحج في أواخر أيام كافور الإخشيدي .

ومما يؤكد على وسطية المصريين في اعتقادهم في الصحابة وآل البيت ، رضي

---

(١) المسبحي ، أخبار مصر في سنتين ، ص٤٨ ، المقريزي ، الخطط ، ٣٥٤/١ .

الله عنهم ، قول قائلهم : الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز في رد مظالم آل البيت ، والمتوكل في إحياء السنة(١) ، يوم أن أبطل الخليفة العباسي المتوكل المحنة والجدل في القرآن الكريم سنة ٢٣٤هـ بكتابه إلى هرثمة بن النضر الجبلي نائب مصر بذلك .

ولم يشارك في هذه الحركات سوى الزيدية عدا الإسماعيلية من الإمامية الذين تمكنوا من إقامة دولة لهم باليمن ثم بالمغرب ومصر فيما بعد ، وفي كل الأحوال كان الجيش المصري يتصدى لتلك الحركات الواحدة تلو الأخرى .

وإن أول ظهور للمذهب الشيعي الاثني عشري إنما كان مع بداية قدوم بدر الدين الجمالي من الشام لإعادة الهدوء والاستقرار إلى الدولة بعد أن سادتها الفوضى على أثر الشدة المستنصرية الكبرى ، حيث كان اثني عشري المذهب ، ومع ذلك لم يظهر على الساحة هذا المذهب إلا في زمن ابنه أبي علي أحمد بن الفضل الذي استأثر بالملك بعد حبس الخليفة الحافظ ، وألغى كل الشعائر ، وشكل مجلس القضاء في عام ٥٢٥هـ من أربعة قضاة لكل من المالكية والشافعية والمذهب الإسماعيلي والمذهب الاثني عشري ، الذي استقدم له علماء الاثني عشرية من الشام . ومن بعده كان بعض وزراء التفويض على المذهب نفسه مثل : طلائع بن رزيك .

وقد مهد ذلك إلى ظهور بعض الفقهاء المنتسبين إلى هذا المذهب ، وكلهم من غير المصريين ، منهم والي الإسكندرية شهاب الدين دري الأرمني (ت٥٥٤هـ) الذي انصرف بعد إسلامه لدراسة المذهب الاثني عشري ، فصنف في الفقه والعقائد كتاب « معالم الدين »(٢) .

---

(١) أبو المحاسن ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة ، ٢/٢٧٥ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٠ .

(٢) خالد بن عبد الرحمن القاضي ، الحياة العلمية في مصر الفاطمية ، ص٢٤٦ .

وقد حاول الوزير طلائع بن رزيك (٥٤٩ - ٥٥٦هـ) إعادة سيرة سلفه أبي علي أحمد بن الأفضل بأن حجر على الخلفاء الإسماعيلية وعمد إلى صبغ الدولة برسوم المذهب الشيعي الاثني عشري ، وعين هبة الله بن عبد الله بن كامل (ت٥٦٩هـ) أحد علماء الإمامية المصريين على قضاء مصر ، كما استقدم علماء الشيعة الاثني عشرية من خارج مصر لمناظرة علمائها الذين استبسلوا في الدفاع عن مذهب أهل السنة مما دعاه إلى تصنيف كتابه : « الاجتهاد في الرد على أهل العناد » .

وقد واجه الشيعة الاثني عشرية مقاومة شديدة من المصريين ضمن حملتهم الشاملة على المذهب الشيعي الإسماعيلي حتى تم إزالتهما نهائيًّا من الديار المصرية عام ٥٦٧هـ على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وإن ظلت بعض البؤر الشيعية في عدد محدود من مدن الصعيد لفترة ، متسترة بستار التصوف ، حيث ذاب معظمها فيه بعد تسريب الكثير من عقائدها إليه .

ولا يشوش عليك ولا علي ما ذكرته ما ذكره ابن زولاق في كتابه « فضائل مصر وأخبارها وخواصها » عن أن مصر تشيعت لعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، زمن ولاية محمد بن أبي بكر الصديق عليها أثناء خلافته ، رضي الله عنه ، وهذا حق .

فالمصريون لا يخلعون يدًا من طاعة للخليفة المختار من الأمة ، وبخاصة إن كان هذا الخليفة هو علي بن أبي طالب الذي لم ينافسه معاوية بن أبي سفيان على الخلافة وإنما طالبه بتسليمه قتلة عثمان ، رضي الله عنه ، الذين انضووا تحت رايته ، وقد أيده معاوية بن خديج زعيم الشيعة العثمانية بمصر على ذلك ، ولكن عليًّا رأى أن الزمن زمن فتنة ، والوقت غير مناسب لتحقيق رغبتهم .

ومما يؤكد ذلك أنه بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته لمعاوية ، وتبعه الحسين ومن تبقى من الصحابة والتابعين واجتمع أمر المسلمين على ذلك ، بايع المصريون معاوية ولم يخرجوا على الخلافة طوال فترة حكمه ، وعندما أعلن

ابن الزبير نفسه خليفة للمسلمين بعد موت يزيد بن معاوية أثناء ولاية سعيد بن يزيد على مصر دخل المصريون في بيعته أيضًا بما فيهم شيعة بني أمية رغم إخلاصهم للحكم الأموي في الباطن ، وذلك بعد تعيينه لعبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري واليًا عليها سنة (٦٤هـ)[١] .

وعندما استتب الأمر للأمويين مرة أخرى زمن مروان بن الحكم بعدما أبرم الصلح مع المصريين سنة (٦٥هـ) بايعه المصريون إلا نفرًا حافظوا على بيعتهم لابن الزبير على أنهم بايعوه طائعين فلا يحل لهم نقض بيعتهم ، وما ذكره ابن زولاق عن بعض البيوت المتشيعة في مصر التي أظهرت التشيع في القرن الثاني الهجري - وهي لا تتجاوز عدد أصابع اليد - ، مثل بيت ابن لهيعة ، والحسن بن زولاق ، والماذرائيين ، وبني نباتة ...[٢].

إنما أراد ابن زولاق بمصطلح التشيع المعنى الأول له وهو التشيع السياسي بمعنى تقديم علي على عثمان في الخلافة مع الترضي على أبي بكر وعمر وعثمان وأمهات المؤمنين والعشرة المبشرين وسائر الصحابة ، رضي الله عنهم ، الذين توفي الرسول وهو عنهم راضٍ ، وذلك بعيدًا عن التشيع الرافضي الإمامي الاثني عشري .

وإلا فالذين نسبهم ابن زولاق للتشيع هم من عيون محدثي وفقهاء أهل السنة ، مثل : إسماعيل بن يحيى المزني[٣] الذي يقول عنه : « كان فقيهًا زاهدًا متشيعًا » ، وعنه يقول الإمام الشافعي : « المزني ناصر مذهبي » ، وينسحب هذا أيضًا على عبد الله بن لهيعة الذي روت له كتب السنة ، وغيرهما ممن ذكرهم ، فهم جميعًا

(١) المقريزي ، الخطط ، ٣٣٧/٢ .

(٢) ابن زولاق ، فضائل مصر وأخبارها ، ص٤٨ .

(٣) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ، المتوفى سنة ٢٦٤هـ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٠٧/١ .

من طبقات مذهب أهل السنة والجماعة ، ولذلك لا يجرؤ الشيعة بشتى فرقهم نسبة أحد ممن ذكرهم ابن زولاق في كتابه إلى التشيع ، بل يشملهم حكم الشيعة بالتكفير والتفسيق لهم رغم إعلان ولائهم لأمير المؤمنين علي وآل بيته ، رضي الله عنهم ، وذلك لعدم إيمانهم بالنص والعصمة لأئمتهم وعدم إيمانهم بركنية الإمامة مع حبهم للصحابة وترضيهم عليهم على ما مر بيانه .

وبذلك نستطيع الإجابة عن السؤال المطروح آنفًا بكل وضوح فنقول : إن المذهب الشيعي بشتى فرقه دخيل على الحياة الفكرية بمصر وليس أصيلا فيها ، وأنه منبت عن الأرض المصرية حيث انتهى بانتهاء الدخلاء الذين حاولوا فرضه فلفظه المصريون وجابهوه بمقاومة شديدة اتخذت أشكالًا مختلفة شارك فيها كل فئات المجتمع المصري .

* * *

المبحث الثاني

مواجهة المصريين العلمية للفكر الشيعي

وقد تنوعت أساليبها ووسائلها تبعًا لتنوع أساليب ووسائل الشيعة الإسماعيلية في نشر مذهبهم من خلال التأليف والتدريس وبخاصة في العلوم التي تؤيد مذهبهم وتدعم السلطة الدينية والدنيوية لحكام دولتهم[١] ، ومن أبرز تلك المجالات :

أ – علم التفسير :

لما كان جل اهتمام علماء المذهب الشيعي الإسماعيلي غرس عقائدهم المناقضة لعقيدة أهل السنة عقيدة المصريين ، وذلك بغية تأكيد سلطتهم الدينية والدنيوية من خلال التأويل الباطني لآيات القرآن الكريم ، بزعم أن أئمتهم أحفاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، صاحب التأويل ، وأن النبي محمدًا ﷺ صاحب التنزيل حسب زعمهم ، وكان مرجعهم الوحيد في ذلك : « أساس التأويل » للقاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي (ت ٣٦٢هـ) ، والذي عمل فيه على تحريف آيات القرآن الكريم لتأييد مذهبه ، وقد سار علماء المذهب من بعده على منهجه حيث حشا الفيلسوف المؤيد في الدين الشيرازي (ت ٤٧٠هـ) كتابه : « المجالس المؤيدية » بهذا التحريف تحت زعم التفسير أو التأويل .

وكانت تلك الكتب ضمن المقررات الدراسية في دور العلم وحلقات التدريس المختلفة ، وهو الأمر الذي لم يقبله علماء السنة المصريون الذين واجهوا الأمر بشدة من خلال الاستمرار في كتابة تفاسير للقرآن الكريم وفقًا لمعتقدهم السُّني تصحح ما تعمدوا تحريفه ، ومن أبرزهم الإمام اللغوي علي بن إبراهيم الحوفي

---

(١) استفدت كثيرا من الدراسة القيمة للدكتور خالد بن عبد الرحمن القاضي(الحياة العلمية في مصر الفاطمية) في تقصي مظاهر هذه المواجهة .

(ت٤٣٠هـ)[١] تلميذ الإمام أبي بكر الأدفوي (ت٣٨٨هـ)[٢] ، حيث ألف الحوفي سفرًا ضخمًا في التفسير أسماه « البرهان في تفسير القرآن » ، وأيضًا : « إعراب القرآن » ، كما ألف الفقيه الحنفي الخراساني أبو بكر محمد بن بركات الرازي نزيل الإسكندرية (ت٤٩٣هـ) كتابًا في التفسير ، وكذلك كان للنحوي المصري محمد بن بركات السعيدي[٣] كتاب آخر ، بينما ألف فقيه الإسكندرية الإمام أبو بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)[٤] كتاب : « المجالس » في التفسير ، ونشطت تبعًا لذلك حلقات التفسير بالجامع العتيق ، ومن أشهرها حلقة المقرئ المفسر المصري عبد الكريم بن الحسين .

ب - علم الحديث :

اهتم أهل السنة بالحديث النبوي - المصدر الثاني للتشريع - رواية ودراية ، ووضعوا له القواعد والضوابط في الأخذ والرد ، والأصول في الفهم والعمل ، ومصر لم تكن غائبة عن ذلك ، حيث اشتهر فيها من الصحابة الكرام رواة الأحاديث : عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر الخطاب ، رضي الله عنهما ، الذي اختط بها دارا ولأهلها عنه أحاديث ... بينما تأخر اهتمام الشيعة بشكل عام بالحديث النبوي واكتفوا بالروايات المسندة عن طريق أتباعهم إلى أئمة أهل البيت وبخاصة جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ بزعم علمهم الموروث أو الإلهامي عن رسول الله ﷺ وأبدوا اهتماما متأخرا وضعيفا بعلم مصطلح الحديث وبخاصة الجرح والتعديل منه ، ولكن بعد فوات الأوان حيث دس الغلاة الكثير من الأحاديث على لسان الأئمة من أهل البيت .

---

(١) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ٣٨٧/٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٣٠٨/١٠ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٥٣٢/١ .

(٤) المصدر السابق ، ٤٥٢/١ .

ومن هنا تباينت العقائد والأفكار عند الفريقين ، وعمد الحكام الشيعة إلى التضييق على علماء الحديث ومنع تداول كتب الحديث وبخاصة في الدولة العُبيدية الأولى (٣٥٨ - ٥٦٧هـ) .

وعلى الرغم من ذلك واصل الحافظ أبو سعيد الماليني (ت٤١٢هـ)[١] أشهر الحفاظ المصريين في زمنه ، والإمام أبو نصر السجزي (ت٤٤٤هـ)[٢] جهودهما في التحديث ورواية الأحاديث ، وفي أعقاب الشدة المستنصرية وفي محاولة الوزير بدر الدين الجمالي استعادة هيبة الدولة وهويتها المذهبية بتشديد قبضته على علماء الحديث منع الإمام الحافظ المتقن ، وآخر الحفاظ المصريين : إبراهيم بن سعيد الحبال (ت٤٨٢هـ)[٣] من التحديث في الفترة من عام ٤٧٦هـ حتى وفاته ، بيد أن تلاميذه قد واصلوا مقاومة الدعاية المذهبية للدولة بمواصلة مسيرة شيخهم بالرواية والتحديث بأحاديث النبي ﷺ ، ومن أبرزهم مسندو مصر بعد الحبال : أبو الحسن علي بن الحسين الخلعي المصري (ت٤٩٢هـ)[٤] ، والمحدث أبو صادق مرشد ابن يحي المديني (ت٥١٧هـ)[٥] ، والمحدث عبد الله بن رفاعة السعدي (ت٥٦١هـ)[٦] .

وفي مدينة الإسكندرية كدأبها كانت طليعة المقاومة السنية وبخاصة بعد هجرة ثلاثة من كبار المحدثين إليها من الفسطاط أثناء الشدة المستنصرية : الإمام

(١) السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص٤١٧ ، وحسن المحاضرة ، ٣٥٣/١ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٥٣/١ .

(٣) المصدر السابق ، ٣٥٣/١-٣٥٤ .

(٤) المصدر السابق ، ٤٠٤/١ .

(٥) المصدر السابق ، ٣٧٤/١ .

(٦) المصدر السابق ، ٣٧٤/١ ، ٤٠٦ .

المحدث الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الخطاب الرازي الشافعي (ت٤٩١هـ) وولده وتلميذه المسند أبو عبد الله بن أحمد الرازي (ت٥٢٥هـ) ، والشيخ المسند على بن المشرف بن مسلم الأنماطي (ت٥٨١هـ) ، ولكن الأثر الأكبر في الاهتمام بالحديث في الإسكندرية إنما كان بعد هجرة الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن سِّلفة الأصبهاني (ت٥٧٦هـ)[١] المعروف بالسلفي إليها والاستقرار بها واستمراره للتحديث لأكثر من ستين عاما حتى أصبحت الإسكندرية مرحولًا إليها ، وإمعانا في نشر الحديث النبوي لتشكيل حائط صد قوي ضد المذهب الشيعي تساهل الحافظ السِّلفي في شروط منح إجازات التحديث عنه ، في الوقت الذي زاد اهتمام الفقهاء بالعناية بالحديث النبوي الشريف من أمثال الإمام الفقيه أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (٥٢٠هـ)[٢] . ولا شك أنه قد تتلمذ على هؤلاء الأعلام عدد كبير من علماء الحديث الذين حافظوا على أصول المذهب السني طوال فترة الدولة العُبيدية وما بعدها .

وفي صعيد مصر حيث ركز الشيعة دعايتهم المذهبية تصدى لهم علماء الحديث من أمثال : الحافظ علي بن المفضل المقدسي الإسكندري (ت٦١١هـ)[٣] ، وقاضي أسوان محمد بن إبراهيم الأسواني (ت٥٦٣) وتلاميذه من بعده ، ومن أشهرهم : محمد بن علي النصاري ، ومحمد بن عمر النبطي الإسكندري .

وهكذا كان لعلماء الحديث النبوي الشريف دورهم المهم في مقاومة المذهب الشيعي في مصر زمن الدولة العُبيدية ، وفي الحفاظ على عقيدة المصريين السنية .

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٥٤/١ .

(٢) المصدر السابق ، ٤٥٢/١ .

(٣) المصدر السابق ، ٣٥٤/١ ، ٤٥٤ .

ج – علم الفقه :

لا ريب أن الفقه والعقيدة في المذهب الشيعي الإسماعيلي متداخلان ، حيث يمثل الفقه جانب الظاهر ، بينما يمثل الباطن الجانب المقابل والممثل للعقيدة الشيعية الإسماعيلية ، ولأهمية الفقه في مذهبهم اشترطوا أن يكون داعي الدعاة للإمام فقيهًا في المذهب ، ولعظم مكانته جعلوا مقره في دار الإفتاء الرسمية للمذهب والمعروفة بدار العلم . . وفي ذروة الصراع السني الشيعي عمدت الدولة العُبيدية إلى استخدام الفقه كأهم أدوات إصباغ الهوية المذهبية على المجتمع المصري السني من خلال فرض شعائر المذهب الشيعي : زيادة الشهادة الثالثة في الأذان ، ومنع صلاتي الضحى والتراويح في رمضان وإلزام أئمة المساجد بذلك ومعاقبة المخالف ، وفرض أحكام مذهبهم في المواريث على ما سبقت الإشارة إليه، علما بأنه حتى هذه اللحظة لم يكن للفقه الشيعي الإسماعيلي أصول وقواعد فقهية ، أو حتى مؤلفات تسد هذا الفراغ سوى ما كتبه الفقيه المالكي الأصل المتحول إلى التشيع الإسماعيلي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي (ت٣٦٣هـ) في كتابه (الإيضاح) الذي يحمل صيغة توفيقية بين المذهبين الإمامي والزيدي ، ثم تبع ذلك بعدة مختصرات في فقه المذهب ليسهل على الطلاب حفظها ، ولعل كتابه (دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام) الذي ألفه على أصول مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعد من أوسع كتبه ، ولذلك كان بمثابة القانون الرسمي والدستور المدني للدولة العُبيدية .

ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الترتيب التاريخي والأهمية الفقهية الوزير اليهودي الأصل يعقوب بن كلس (ت٣٨٠هـ) بكتابه (الرسالة الوزيرية) التي كان يفتى بها في الجامع العتيق ، ومن ثم أجبر الحكام الشيعة القضاة السنة على العمل بموجب هذه الكتب في القضاء ، وبالطبع لم يقابل علماء وفقهاء أهل السنة

المصريون هذه الأوامر المجحفة بالرضى والاستسلام ، وإنما بجهود مقابلة ونشاط زائد في نشر العلم والحفاظ على فقه وعلوم أهل السنة ، وتبين لنا خلال السطور السابقة كيف كان لعلماء المالكية قصب السبق في ذلك ، حيث استمرت دروسهم الفقهية وتوسعت حلقاتهم في الجامع العتيق - جامع عمرو بن العاص - حتى كانت حلقة الفقيه أبي بكر محمد بن سليمان النعالي (ت٣٨٠هـ)[١] إمام المالكية في زمنه تدور على سبعة عشر عمودا من كثرة الحضور ، ومن مشاهير علماء المالكية الذين لهم دورٌ بارزٌ في الحفاظ على فقه أهل السنة : الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن الغافقي الجوهري (ت٣٨١هـ)[٢] ، صاحب (مسند الموطأ) مرجع الحديث والفقه المالكي طوال العصر العُبيدي ، والإمام الفقيه المجتهد القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي ، والإمام الفقيه عبد الجليل بن مخلوف الصقلي (ت٤٥٩هـ)[٣] ، والإمام عبد المولى بن محمد اللبني (ت٥٤٧هـ) ، والفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن الحباب التميمي (ت٥٥٥هـ) ، والفقيه المغربي أبو العباس أحمد بن الحطيئة الفاسي (ت٥٦٠هـ)[٤] ، وقد عرضت عليه الدولة منصب القضاء عام (٥٣٣هـ) فاشترط أن لا يقضي بأحكام المذهب الإسماعيلي فعينت غيره ، وقد نافس علماء الشافعية فقهاء المذهب المالكي في الحفاظ على فقه وعلوم أهل السنة حتى أصبحت الفسطاط - مصر القديمة - معقلا للشوافع ، وهاكم أبرزهم :

- الفقيه أحمد بن محمد الدبيلي (ت٣٧٤هـ)[٥] ، والقاضي الفقيه محمد

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٤٥١/١ .

(٢) المصدر السابق ، ٤٥١/١ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٥١/١ .

(٤) المصدر السابق ، ٤٥٣/١ .

(٥) المصدر السابق ، ٤٠٣/١ .

ابن سلامة القضاعي الشافعي (ت٤٤٧هـ)[١] ، والفقيه القاضي صاحب كتاب (المغني بالفقه) علي بن حسين الخلعي (ت٤٩٢هـ)[٢] ، وأفقه فقهاء مصر حسب وصف الحافظ السِّلفي الشيخ سلطان بن إبراهيم المقدس المعروف بابن رشا (ت٥٣٥هـ)[٣] والفقيه القاضي مجلي بن جميع بن نجا القرشي الأرسوفي (ت٥٥٠هـ)[٤] ، صاحب كتاب (الذخائر) في فقه الشافعية .

أما الإسكندرية فكان لفقهاء المذهب المالكي القدح المعلى فيها نتيجة هجرة علماء المغرب وصقلية إليها والاستقرار بها ، وقد سبقت الإشارة إلى دور الفقيه الطرطوشي بما يغني عن الإعادة ، وكذلك تلميذه الفقيه صدر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري (ت٥٨١هـ)[٥] شيخ أول مدرسة رسمية مصرية بالإسكندرية – المدرسة الحافظية أو العوفية – ومن علماء صقلية المهاجرين للإسكندرية الإمام محمد بن المسلم المازري الصقلي (٥٣٠هـ) صاحب كتاب (البرهان في أصول الفقه) ، ورغم كثرة علماء المالكية بالإسكندرية فإنه كان لعلماء الشافعية دورهم الفاعل بجوار إخوانهم فقهاء المالكية في نشر فقه وعلوم أهل السنة والحفاظ عليها وإن كان بشكل أقل ، وفي مقدمة هؤلاء : القاضي الفقيه نصر ابن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت٥١٤هـ) ، والفقيه الخراساني سهل بن عبد الله النيسابوري (ت٥٢٢هـ) ، ومن أبرزهم الفقيه الأندلسي أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن نادر المايرقي الشافعي (ت٥٢٤هـ) ، والفقيه الحافظ السلفي شيخ

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٤٠٣/١ ، ٤٠٤ .

(٢) المصدر السابق ، ٤٠٤/١ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٠٥/١ .

(٤) المصدر السابق ، ٤٠٥/١ .

(٥) المصدر السابق ، ٤٥٢/١ ، ٤٥٣ .

المدرسة السلفية ، وقد سبقت الإشارة لجهوده العلمية المتميزة[(١)] .

وفي صعيد مصر اشتهر بيت الفقيه النحوي شيث بن إبراهيم بن الحاج القفطي (ت٥٩٨هـ) صاحب كتاب (حز الغلاصم في إفحام المخاصم) - الذي يرد فيه على المعتزلة - بمقاومة المذهب الشيعي طوال عصر الدولة العُبيدية .

لم تقتصر جهود المقاومة للمذهب الشيعي على علماء المالكية والشافعية فقط ، ولكن انضم إليهم إخوانهم علماء الأحناف والحنابلة مثل : الفقيه أبو بكر محمد بن إبراهيم الرازي الحنفي (٤٩٣هـ) ، والفقيه أحمد بن طاهر حيدرة الحسيني الحنفي (٥٦٦هـ) ، وكما كان للفقيه الحنبلي عثمان بن مرزوق بن حميد القرشي (ت٥٦٤هـ) دوره في دعم قوات صلاح الدين وقت حصاره بالإسكندرية ، كان له دور بارز مع إخوانه فقهاء المذاهب الفقهية السنية في الحفاظ على الهوية السنية للمجتمع المصري زمن الدولة العُبيدية الشيعية .

* * *

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٣٥٤/١ .

المبحث الثالث

مقاومة العلماء المصريين للانحرافات الشيعية

في الوقت الذي أولى فيه حكام الدولة العُبيدية (الفاطمية) اهتمامًا واضحًا بالصوفية ، وقربوهم وأغدقوا عليهم الأموال ، وبنوا لهم الأربطة والمصاطب ، وتقرب إليهم الحكام بغية كسبهم لمناصرة مذهبهم الشيعي ، كان لكبار المشايخ المنتسبين للصوفية قولٌ آخر وموقف مغاير من الدولة ومذهبها ، ومن تسريباتهم الباطنية وما استحدثوه من بدعٍ تأثرت بها قطاعات من الطرق الصوفية .

وعلى رأس هؤلاء الإمام الفقيه الصوفي أبو بكر محمد بن محمد الفهري الطُّرطوشي (٥٢٠هـ / ٨٢٦م)(١) ، الذي استنكر ما أحدثه العُبيديون من بدعٍ وطقوسٍ تسربت إلى قطاعات من الطرق الصوفية ، ويتجلى ذلك في إجابته عن السؤال التالي : **ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية ، وأن يجتمع جماعة من الرجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد ﷺ ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيًا عليه ، ويحضرون شيئًا يأكلونه ، هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا مأجورين .**

---

(١) وعن هذا الصنف يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه « أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن » : « قدمنا في سورة مريم ما يدل على أن بعض الصوفية على الحق ، ولا شك أن منهم من هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبذلك عالجوا أمراض قلوبهم وحرسوها، وراقبوها وعرفوا أحوالها ، وتكلموا على أحوال القلوب كلامًا مفصلًا كما هو معلوم ، كعبد الرحمن بن عطية ، أو ابن أحمد بن عطية ، أو ابن عسكر -أعني أبا سليمان الداراني- وكعون ابن عبد الله الذي كان يقال له : حكيم الأمة ، وأضرابهما ، وكسهل بن عبد الله التستري ، وأبي طالب المكي ، وأبي عثمان النيسابوري ، ويحيى بن معاذ الرازي ، والجنيد بن محمد ، ومن سار على منوالهم ، لأنهم عالجوا أمراض أنفسهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ولا يحيدون عن العمل بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا ، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع » . أضواء البيان ، ٥٠٢/٤ .

وهذا القول الذي يذكرونه :

يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزللْ
واعمل لنفسك صالحا ما دام ينفعك العملْ
أما الشباب فقد مضى ومشيب رأسك قد نزلْ

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله تعالى وحده ، وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلًا جسدًا له خوار ، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعبّاد العجل .

وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ، ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى . وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من حضور المساجد وغيرها . ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم .

هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين ، والله الموفق(١) .

ومن مآثر الإمام الطرطوشي الذي سطرها له التاريخ بأحرف من ذهب : عندما وقف للأفضل بن بدر الدين الجمالي طالبًا منه الرفق بالناس وإقامة العدل .

ومن مواقفه المشهورة : فتاواه ضد سياسة الدولة الاقتصادية بتحريم المكوس والجمارك والتي أدت لنقمة القاضي ابن حديد والوزير الأفضل عليه والذي اعتقله في الفسطاط عام ٥١٥هـ(٢) .

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/٤٥٢ .

(٢) انظر أحداث سنة ٥١٥هـ عند المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣/٦٠-٧٧ .

وقد نجح الطرطوشي في أن يستصدر من الوزير مأمون البطائحي مرسومًا يعيد العمل بالمواريث على وفق ما عليه كل مذهبٍ ، وأيضًا الموافقة على طلبه ببناء جامع بالإسكندرية . وقد قام صنف آخر من المتصوفة الذين لم يتأثروا بالعقائد الباطنية ولا ببدعهم العملية ويميلون إلى الالتزام بالكتاب والسنة بشكل عام من أمثال : ابن الكيزاني محمد بن إبراهيم الكيزاني ، وأبي عبد الله الواعظ المصري (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)[١] ، وتبعته طريقته الكيزانية بمساندة شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي عندما حوصر بالإسكندرية من قبل قوات (ملك بيت المقدس الصليبي) عموري ، والوالي العُبيدي (الفاطمي) شاور ، وانضم إلي كتائب المجاهدين الفقيه الصوفي أبو طاهر بن عوف وأتباعه ، وابن جارة الصوفي ، و أبو القاسم مخلوف بن علي المالكي (ت ٥٦٠هـ /١١٦٤م) الذي رد على (عموري) بأنهم يحاربون من جاء رافعًا الصليب ومن يندرج في ركابه[٢] .

في الوقت الذي تصدى فيه للصليبيين أبو القاسم مخلوف بن علي المالكي ، وعبد الله بن رفاعة بن عذير الشافعي (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥م)[٣] .

وقد تقدمت الإشارة إلى عدد من كبار العلماء في الفسطاط والصعيد ممن كان لهم دورٌ بارزٌ في الرد على تحريفات الشيعة لكتاب الله تعالى ولسنة النبي ﷺ من خلال اجتهادهم في نشر كتب التفسير وعلوم القرآن والحفاظ على الحديث النبوي من خلال التوسع في تبليغه .

---

(١) يصفه ابن تغري بردي بأنه كان زعيمًا سياسيا تبعا لجماعته الدينية ، وآية ذلك أنه قاوم العقيدة الفاطمية وحارب تعاليم الباطنية وذلك بتعليمه طوائف المصريين مذهب أهل السنة ، وبخاصة فقه الشافعي وروايته لهم أحاديث الرسول ﷺ بأسانيد أهل السنة أيضا . انظر : النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢٧٩ .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ٣/٢٨٥-٢٨٦ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/٤٠٦ .

ولا أخالك قد نسيت موقف القاضي الحنبلي ابن أبي العوام الذي قاد المصريين في مظاهرة لنصرة الإسلام الحق اعتراضا على دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله . وفي المقابل دأب المصريون على تعظيم علماء أهل السنة في حياتهم ، وتجلى ذلك عند وفاتهم أيضًا إذ لم يبق بمصر أحد إلا حضر جنازة الفقيه الشافعي أبي العباس أحمد ابن محمد الديبلي عندما وافته المنية عام ٣٧٣ هـ[١] .

لم يقتصر تعقب فلول الشيعة الإسماعيلية الذين فروا إلى مناطق صعيد مصر ، وفيه تستروا بلبوس الصوفية والتصوف على علماء أهل السنة في هذه الحقبة الفاطمية ، ولكنها امتدت إلى عصر المماليك ، ففي أواخر القرن السابع الهجري كان بمدينة (إسنا) عدد كبير من هؤلاء الروافض الباطنية ، فقام القاضي القفطي في نصرة السنة ، وأصلح الله به خلقًا ، فهمت الروافض بقتله[٢] .

ويضيف المؤرخ كمال الدين الأدفوي بأن الشيخ هبة الله بن سيد الكل الأدفوي فتح إسنا وأزال من عقول أهلها الرفض ، وأحل محله عقيدة السنة[٣] .

ويقول في ترجمة الفقيه العلامة ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ : إنه أتى إلى الصعيد في طالع لأهله سعيد ، فتمت عليهم بركاته ، وعمتهم علومه ودعواته ، وكان مذهب الشيعة متفشيًا في ذلك الإقليم ، فأجرى مذهب السنة على أسلوب حكيم وزال الرفض وانجاب ، وثبت الحق حتى لم يبق فيه شك ولا ارتياب[٤] .

* * *

---

(١) جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/٤٠٣ .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ٥٢ / ١٣٨) .

(٣) كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي ، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، ص ٩٦٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٢٥ .

المبحث الرابع

قرض الشعر وإطلاق النكات الساخرة ضد الشيعة

تضجر المصريون من إظهار الحكام العُبيديين لمذهبهم الشيعي ، ودعوتهم للمصريين من أجل الدخول فيه ، وترك مذهبهم السني ، وادعائهم علم الغيب ، فكان الشعر وإطلاق النكات الساخرة إحدى وسائلهم السلمية لمقاومة الجهود الشيعية والرد عليها ، ومن ذلك أنه وجد في يوم على منبر الجامع العتيق ورقة مكتوب فيها :

إنا سمعنا نَسَبًا منكرًا يتلى على المنبر في الجامعِ
إن كنتَ فيما تدَّعي صادقًا فاذكرْ أبًا بعد الأب الرابعِ
أو فدع الأنسابَ مستورةً وادخلْ بنا في النسب الواسعِ
أو كنتَ فيما تدَّعي صادقًا فانسِبْ لنا نفسَكَ كالطائِع[١]

وقد تكرر استخدام الأسلوب نفسه في مواقف أخرى في عهد العزيز بالله ، حيث وجد ورقة على المنبر مكتوبٌ فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقَةْ
إن كنتَ أوتيتَ علمَ غَيْبٍ فقل لنا كاتب البطاقة[٢]

ومما يذكر أنه كان لهذا الموقف أثره في تراجع هؤلاء الحكام عن ادعاء علم الغيب خوفًا من نكات المصريين اللاذعة .

يقول الدكتور محمد علي أبو ريان : « إن الإسماعيليين لا يظهرون من عقائدهم

---

(١) الطائع : هو الخليفة العباسي الطائع بالله أبو بكر عبد الكريم الذي ولي الخلافة العباسية (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٤-٩٩١م) .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ١١٣/٢٨ .

إلا ما كان لا يخالف العقائد السائدة مخالفة صريحة ... »[١] ، مما مثل تطورًا مهمًّا في العقيدة الإسماعيلية أحدثته المقاومة المصرية ، واختلفت بها عن عقائد الإسماعيلية في اليمن وبلاد فارس في ذلك الوقت[٢] .

وقد مر بك ذكر تعسف والي مصر في عهد الآمر بأحكام الله ، وتسخيره للمصريين ببناء المسجد الذي عرف بمسجد (لا بالله) وقد عبر أحد هؤلاء مستنكرًا فعله بشعر كتبه على جدران المسجد قائلًا :

بنى مسجدًا لله من غير حله وكان بحمد الله غير موفقِ[٣]

وكما كانت الإسكندرية في طليعة المقاومة السُّنية للمذهب الشيعي الفاطمي ، كان للشعر نصيب منها ، وللشعراء إسهام في ذلك ، منهم علي بن عبّاد الإسكندراني (ت ٥٣١هـ/ ١١٣٦م) ، فقال في ذم الخليفة الحافظ :

هذا سليمانكم قد رد خاتمه واسترجع الملك من صخر بن إبليسِ

ولما علم الحافظ بذلك أمر بإحضاره وطلب منه أن ينشدها أمامه ، فأنشدها وذكر في أحد أبياتها : « ولا ترضوا عن الخمس المناجيس » ، يقصد الحافظ وابنيه وأباه وجده ، فأمر الحافظ بلكمه فلكموه حتى مات بين يديه[٤] .

ولما كثر الحديث عن القرآن الكريم ، وهل هو مُحْدثٌ مخلوقٌ أم أنه كلام الله قديمٌ ، تصدى علماء السنة لهذا القول بتقرير عقيدة أهل السنة في ذلك ، حتى قال الإمام الزاهد أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٠٧ هـ / ١٢١٠م) :

أوصيكُمُ بالقول في القرآنِ وبقولِ أهلِ الحقِّ والإتقانِ

---

(١) محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، ص١٧٢ .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ٢/٤١١ .

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣/١٦٣ .

(٤) محمد كامل حسين ، أدب مصر الفاطمية ، ص٢٠٢ .

ليس بمخلوقٍ ولا بفانِ لكنْ كلامُ الملِكِ الدَّيَّانِ
آياتُه مشرقةُ المعاني مَتْلُوَّةٌ لله باللسانِ
محفوظةٌ في الصور والجنانِ مكتوبةٌ في الصُّحْف بالبَنانِ
والقول بالصفات يا إخواني كالذات والعلم مع البيانِ
أمررها من غير كفرانِ من غير تشبيهٍ ولا عطلانِ

فاضطر الأفضل بن بدر الدين الجمالي درءًا للفتنة إلى إصدار سجل يحذر فيه من الخوض في تلك الأمور ، وقدم بنفسه إلى الجامع العتيق وجلس بجوار المنبر وجعل الخطيب يقرأ سجله على الناس(١) .

وقد عبر الشعراء عما وصلت إليه الأمور من تسلط اليهود والنصارى الأرمن في عهد العُبيديين على المسلمين .

فعن تسلط اليهود يقول الشاعر المصري الحسن بن خاقان :

يهود هذا الزمان قد بلغوا آمالهم غايةً وقد ملكُوا
العز فيهم والمالُ عندهمُ ومنهمُ المستشار والملكُ
يا أهلَ مصرٍ إني نصحتُ لكم تهَوَّدوا قد تهَوَّدَ الفَلَكُ(٢)

ويقول آخر منتقدًا تحكم النصارى الأرمن في الدولة :

إذا حكم النصارى في الفروج وغالوا في البغال وفي السروجِ
وذلت دولة الإسلام طرا وصار الأمر في أيدي العلوجِ
فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمت على الخروجِ

وعن خطة اليهود والنصارى للاستيلاء على الأرواح والأموال داخل الدولة الشيعية يقول الفقيه المغربي ابن الحاج :

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٤١/٣ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١١٧/٢ .

لُعِنَ النصارى واليهودُ فإنهمْ بلغوا بمكرهمْ بنا الآمالا
خرجوا أطباءً وحُسَّابًا لكي يتقسموا الأرواحَ والأموالا[١]

* * *



(١) راشد النبراوي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ص ٣٢٧ .

المبحث الخامس

دور المصريين والمرأة المصرية في مقاومة المذهب الشيعي

أ - المقاومة الشعبية للمصريين :

لم تنطل حيلة عهد الأمان الذي كتبه جوهر الصقلي تأمينًا للمصريين على طائفة من الجند الذين ثاروا وأعلنوا عدم رضائهم عنه رافعين شعار : « ما بيننا وبين جوهر إلا السيف » ، واختاروا عليهم قائدًا يدعى : « نحرير شويزان » ، وتقابل الطرفان وانتهى اللقاء بهزيمة الجند المصريين أمام الجحافل المغربية في شعبان سنة ٣٥٨هـ ، ولكنها كانت الشرارة لسلسلة من عمليات المقاومة الشديدة من المصريين على ساحل الدلتا بين فرعي دمياط ورشيد ، حيث استقر عدد كبير من الشيعة العُبيدية[١] .

وظلت المقاومة العسكرية مشتعلة في صعيد مصر فترة طويلة ؛ حيث كانت القبائل العربية من جهينة والثعالبة دائمة الخروج على نظام الدولة ؛ لذلك أعمل فيهم الوزير بدر الدين الجمالي القتل والسلب حتى تمكن من إخماد صوتهم[٢] .

وباستقراء تاريخ الدولة العُبيدية في مصر يتبين لنا بجلاء شديد أنه لم تخل فترة من فترات تلك الدولة من وقوع الصدام بل والقتال المباشر بين عموم المصريين وبين الشيعة العُبيدية ، سواء كانوا مغاربة أو من العبيد السود الذين استجلبوهم معهم من غرب إفريقيا ، وبخاصة أثناء احتفالاتهم بأعيادهم المذهبية وما يتخللها من سب للصحابة واعتداء على ممتلكات المصريين ، وكتب التاريخ التي اهتمت بتلك الفترة مشحونة بهذه الفترة السوداء من تاريخ مصر .

ومن أمثلة ذلك : ما وقع من قتال شديد بين المصريين والشيعة المغاربة سنة

---

(١) سيدة الكاشف ، مصر في عهد الإخشيديين ، ص٣٦٥ .

(٢) محمد رجب ، الدولة العبيدية الفاطمية ، ص٢٩-٣١ .

٣٦١هـ / ٩٧١م ، على أثر الاعتداء الشيعي على المصريين وممتلكاتهم ، ولقوة المقاومة السنية اضطر المعز وقائده جوهر لرد ما نهب لأصحابه ، وطرد الشيعة عن دور المصريين والانتقال بهم نواحي عين شمس ، كما أمرهم بالخروج من الفسطاط والإقامة بالقاهرة[١] .

وتكرر الأمر نفسه مع الشيعة عندما اعتدوا على أهل تِنِّيس الذين قاتلوهم وقتلوا منهم نفرًا كثيرًا ، فطالبهم جوهر بدفع دياتهم مئتي ألف دينار ، ثم استقر الأمر على دفع ألف ألف دينار .

صبر المصريون كثيرًا على ظلم الحاكم - بأمر إبليس لا بأمر الله - ولكن لم يستطيعوا أن يصبروا على دعوى أتباعه ألوهيته ورضاه عن ذلك ، وقد مر بك طرفٌ من ذلك ، فثار المصريون على الدعاة لذلك القول الخبيث فقتلوا الفرغاني الأخرم الذي دعا الناس للركوع للحاكم ، وكان يصيح في الجامع العتيق : أنت الواحد الأحد ، المحيي المميت ، مما دعا المصريين إلى قتله أثناء سيره في موكب الحاكم الذي لم يستطع هو وجنده حمايته من أيدي المصريين[٢] ، وهو ما فعلوه مع حمزة اللباد حيث انقضوا عليه في مسجد (تبر) خارج القاهرة وأحرقوا عليه وأتباعه باب المسجد الذي كان متحصنًا به ، ومنهم من أخفاه الحاكم في قصره ، وساعده على الهرب خارج مصر ، خوفًا عليه من ثورة المصريين ، أما الحاكم نفسه فكانت نهايته جزاءً لدعوته ؛ حيث قُتل وأكلت الحيوانات المفترسة بجبل المقطم جثته ، وقد تضاربت الروايات في هوية قاتله ، في الوقت الذي تظاهر فيه المصريون خلف القاضي الحنبلي ابن أبي العوام من أجل نصرة الإسلام الحق اعتراضًا على دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله . وقد زادت معارضة المصريين للحاكم بأمر الله واشتد

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/١٤٣-١٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ٢/١١٣ .

ضيقهم منه ، ووضعوا له في طريقه صورة امرأة ممسكة بيدها جريدة كأنها تحمل شكوى له ، وقد صنعوها من القراطيس ، فلما أخذها وقرأ ما فيها من سب له ولأسلافه والدعاء عليه غضب وأمر جنوده بنهب مصر وحرق بعض دورها ، فقاتل المصريون دون مالهم وديارهم قتالًا شديدًا لمدة ثلاثة أيام ، وقد انضم إليهم جند الأتراك فخاف منهم الحاكم وأمر بالكف عنهم .

يقول السيوطي : « إن أهل مصر قاتلوا قتالًا عظيمًا ، والنار تعمل في الدور والحريم ، واجتمع الناس في الجوامع ، وجأروا إلى الله وما انجلى الحال حتى احترق من مصر نحو ثلثها ونهب نحو نصفها وسبي حريم كثيرة ، واشترى الرجال من سبي لهم من النساء والحريم من أيدي العبيد »(١) .

وفي سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١م : ثار المصريون عندما أقام الأفضل بن بدر الدين الجمالي كرة لرصد الكواكب اعتراضًا على عقيدة الشيعة الإسماعيلية في ادعاء الغيب من خلال التنجيم ، فكانوا يقولون : « أرادوا أن يخاطبوا زحل ، وأرادوا أن يعلموا الغيب » ، وقال آخرون منهم : « عمل هذا للسحر »(٢) .

وردًّا على إحياء الشيعة لعيد الغدير في مصر السنية ونكاية فيهم ، ابتدع المصريون عيدًا في اليوم التالي لاحتفال الشيعة بعيد الغدير حيث احتفلوا فيه بدخول رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، الغار أثناء رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة ، وبالغوا في مظاهر الاحتفال به وأظهروا الزينات ونصبوا القباب وأوقدوا النيران(٣) .

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٦٠٣/١ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤٤٨-٤٥١ .

(٣) المقريزي ، الخطط ، ٣٨٩/١-٣٩٠ . هذا فقط من باب إثبات الرواية التاريخية كشاهد على بغض المصريين لعقائد الشيعة ، مع التأكيد على عدم مشروعية ما أحدثوه من عيد دخول الغار أو غيره نكاية في الشيعة ، حيث أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ .

ولم يقتصر أمر المقاومة على القاهرة والمدن الكبرى فقط ، ولكن كان للقرية المصرية آنذاك دورها الرافض للوجود والعقيدة الشيعية معًا ، ولعل هذه الرواية التي يذكرها الداعي الشيعي إدريس توضح ذلك : إن رجلًا من أهل الدعوة الإسماعيلية حين جن عليه الليل وهو على سفر ، فخرج إلى قرية من ديار مصر ، فدخل مسجدًا من مساجدها ، فلما حانت صلاة المغرب اجتمع إلى المسجد من يصلي فيه من جيرانه ، فحين فرغوا من الصلاة أقبل بعضهم على بعض وهم يسبون أهل الدعوة الإسماعيلية أعظم السب ويثلبونهم أقبح الثلب ، وكان أكثر سبهم يتوجه إلى الحاكم بأمر الله ، وظلوا كذلك حتى صلاة العشاء ، ثم عادوا بعد صلاة العشاء إلى السب في أهل الدعوة الإسماعيلية حتى مضى هوى من الليل ، ثم خرجوا إلى بيوتهم وبات الرجل الإسماعيلي في المسجد ، وجاء هؤلاء القوم لصلاة الفجر فلما فرغوا منها عادوا إلى السب والطعن[١] .

هكذا كانت حالة المقاومة للوجود الشيعي حالة عامة عند كافة طوائف وقطاعات الشعب المصري .

ب – دور المرأة المصرية في مقاومة المذهب الشيعي :

لم تكن المرأة المصرية بعيدة عن بؤرة الأحداث ، فكان لها دورها الفعال في تحفيز المصريين لمقاومة المذهب الشيعي والمحافظة على الهوية السُّنية لأهل مصر .

من أمثلة ذلك : ما حكاه المقريزي في خططه عما واجهه القائد « جوهر الصقلي » من مقاومة المصريين عند مجيئه مصر سنة ٣٦١هـ / ٩١٧م ومن ضمن ذلك : القبض على عجوزٍ عمياء كانت تنشد في الطريق ضد الشيعة ، فحبست ومن ثم فزع المصريون وأطلقوا صيحتهم المشهورة وقت مواجهة الشيعة « معاوية خال

(١) إدريس عماد لدين ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، ٢٥٢/٦-٢٥٣ .

المؤمنين » ، فاضطر جوهر إلى أن يتراجع عن قراره بحبس العجوز ويبعث مناديًا ينادي في الجامع العتيق : « أقلوا القول ، ودعوا الفضل ، فإنا حبسنا العجوز صيانة لها ، فلا ينطق أحد إلا حلت به العقوبة الموجعة »[١] .

ومن الناحية العلمية كذلك كان للنساء إسهام بارز في المحافظة على أصول أهل السنة والجماعة ، حيث برزت منهن محدثات حافظن على أحاديث الرسول ﷺ الأصل الثاني لأهل السنة ضد الحملة المنكرة التي شنها مفكرو المذهب الشيعي ضد الحديث وأهله .

ومن أشهر هؤلاء المحدثات اللاتي سمع منهن الحافظ السِّلفي الحديث : الخفرة بنت المبشر (ت٥٢٨هـ) ، سمع منها في الفسطاط ، وفي الإسكندرية سمع من المحدثة خديجة (ت٥٢٩هـ) ومن أختها ترفة (ت ٥٣٤هـ) ابنتي المحدث الثقة أبي العباس الرازي[٢] .

ولعل هذه الأبيات من إحدى المصريات من محترفات النياحة على الموتى وكتابة المراثي ـ على ما في هذا العمل من مخالفة شرعية بيدَ أنه يؤكد على معتقد أهل السنة حتى عند عوام المصريين – إذ تقول مرثية للوزير السني العادل ابن السلار :

ما تقبل الغفلة يا شهيد الدار
يا شبيه ذي النورين صاحب المختار[٣]

حيث وضحت فيها أصالة معتقدها في ذي النورين الشهيد المظلوم عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، الذي يكفره الشيعة الروافض .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ٢/٣٣٩-٣٤٠ .

(٢) انظر السلفي ، معجم السفر ، ص ٦٥ ، ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣/٢٠٥

ج – إنشاء المدارس السنية :

أحسن علماء أهل السنة في مصر استغلال فترات ضعف الدولة واضطرابها السياسي في تكرار تجربة المدارس النظامية السُّنية في العراق وخراسان ثم الشام ، حيث قام بعض خريجي هذه المدارس أمثال الفقيه أبي بكر الطرطوشي ، والمحدث يوسف بن عبد العزيز المايري ، والفقيه يحيى بن أبي ملول الزناتي ، والفقيه المحدث الحافظ السِّلفي في إقامة عدد من هذه المدارس بمدينة الإسكندرية لضعف قبضة الدولة عليها من ناحية ، ولقوة المؤثرات السنية بها ، حيث وفد عليها علماء المغرب والأندلس بكثرة ، وبخاصة أنها لم تتأثر بالشدة المستنصرية لعدم عمل أهلها بالزراعة ، ولذلك كانت مدينة الإسكندرية تمثل عصب المواجهة السنية للأفكار الشيعية طول فترة الحكم العُبيدي ، وكان علماء المذهب المالكي رأس الحربة في هذه المواجهة لما لهم من خبرة وتجارب مريرة في مواجهة العقيدة والأفكار الشيعية في المغرب العربي إلى أن اضطروهم إلى إنهاء دولتهم هناك ، وقد واصل فقهاء الإسكندرية من تلاميذ الفقيه الطرطوشي مسيرته حتى صارت مدينتهم معقلاً للمقاومة السنية تحت مرأى وسمع العُبيديين ، وتجلى ذلك في استقبالهم قوات السلطان نور الدين محمود سنة ٥٦٢هـ ومناصرتهم ضد الشيعة والصليبيين ، يتقدمهم واليهم ابن مصال وفقهاؤهم وعلى رأسهم الفقيه المالكي أبو الطاهر إسماعيل بن عوف (ت ٥٨١هـ) والفقيه أبو القاسم مخلوف بن علي التميمي (ت٥٨٣هـ)[١] .

وقد أضحت منازل هؤلاء العلماء قبلة للطلاب وكانت بمثابة مدارس أهلية إلى أن أنشأ الوزراء السنة مثل رضوان بن ولخشي والعادل بن السلار المدارس النظامية ، ومن أهم هذه المدارس :

(١) المقريزي ، الخطط ، ٣٢٤/١ .

مدرسة الطرطوشي : وتعد أول مدرسة أهلية أقامها الفقيه محمد بن الوليد الطرطوشي سنة ٤٩٠هـ ، في الدور الأرضي بمنزله بالإسكندرية ، وبلغ عدد طلابها ما يزيد على ثلاث مئة وستين طالبًا كان لهم دور كبير في الحفاظ على عقيدة وعلوم أهل السنة ، وفي المواجهة العلمية فيما بعد للعقائد والأفكار الشيعية .

مدرسة ابن حديد : وتعرف بالمدرسة المكنية ، نسبة إلى مؤسسها قاضي الإسكندرية المكين زيد بن الحسن بن حديد المالكي والذي أوكل التدريس فيها للفقيه يحيى بن أبي حلول الزناتي[١] .

المدرسة العوفية : وتعدّ أول مدرسة سنية رسمية في مصر ، أنشأها الوزير السني رضوان بن الوحشي سنة ٥٣٢ هـ بموافقة الخليفة الحافظ ، وتنسب إلى شيخها الذي تولى التدريس بها ، الفقيه المالكي صدر الدين إسماعيل بن عوف الزهري ، وقد استمر يدرس فيها حتى وفاته ٥٨١هـ[٢] .

مدرسة العادلية (السِّلفية)[٣] : كان الحافظ السِّلفي في بداية استقراره بالإسكندرية يعقد دروسه في منزله حتى سنة ٥٤٤ هـ ، ونظرًا لتنامي الصحوة السنية بالمدينة ، أنشأ والي الإسكندرية العادل أبو الحسن علي بن السلار الكردي مدرسة لتدريس الفقه الشافعي ـ الذي تحول عن التشيع إلى التسنن ـ واختار الحافظ السِّلفي شيخًا لها لتصبح المدرسة الثانية بعد مدرسة الطرطوشي ، وبجانب الفقه الشافعي فقد ناقش الحافظ السِّلفي في دروسه الفقهية مسائل الموطأ للإمام مالك ، والمدونة لسحنون ، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، والمعونة على مذهب مالك للقاضي عبد الوهاب البغدادي ، بالإضافة إلى روايته لصحيح البخاري وشرحه لابن بطال ،

---

(١) المقريزي ، المقفى الكبير ، ترجمة رقم (٢٨٨) ، ٦/٤٠٢-٤٠٣ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢/٢٠٥ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢/٤١١ .

وصحيح مسلم ومسند الموطأ للجوهري ، ومسند الشهاب للقضاعي ، وسيرة ابن هشام ، وقد تخرج من هذه المدرسة المئات من العلماء من مصر وخارجها ، حيث امتد أثرها إلى الحجاز والمغرب والأندلس ، وقد أدت دورًا كبيرًا في المواجهة العلمية للعقائد والأفكار الشيعية في مصر وخارجها .

وقبل أن ننتقل من الإسكندرية التي ظهرت فيها بيوت ومنازل علمية ، حيث ألف الإمام المالكي عبد الوهاب بن علي البغدادي (ت ٤٢٢ هـ)[1] كتابه : « تلقين المبتدي وتذكرة المنتهي » في منزل الفقيه مهدي بن يوسف الذي قرأ في منزله على القاضي أبي بكر بن العربي سنة ٤٨٥هـ . وكان منزل الإمام المحدث الفقيه أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الخطاب الرازي الشافعي (ت٤٩١هـ) بيت علم ورواية ، حيث برز ولده الإمام الحسن أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي (٤٣٤ - ٥٢٥هـ) وبنتاه المحدثة خديجة (ت٥٢٩هـ) ، والمحدثة ترفة (ت ٥٣٤هـ) ، وكان لأبي عبد الله الرازي ولدان من كبار طلبة علم الحديث ، إبراهيم المعروف بابن الخطيب الرازي (ت٥٧٠هـ) والثاني : يحيى الرازي الذي سمع مع أخيه الحديث من الحافظ السلفي ، ومن أبي صادق المديني[2] .

وعندما أحس الحكام الشيعة بغروب شمس دولتهم ازدادوا تقربًا للمصريين لعل ذلك يؤخر الانهيار فأنشأ الخليفة الفائز المدرسة الفائزية في أسيوط (٥٤٩هـ) ، ثم توالت المؤسسات التعليمية السنية ، وزاد إقبال أهل مصر عليها ، وتبارى أهل الخير منهم رغم ضعف إمكانياتهم في دعم تلك المؤسسات بالجهود الذاتية والتبرعات ، كملجأ وملاذ يؤصل عند أبنائهم عقيدة وعلوم أهل السنة في مقابل الأفكار الشيعية المنحرفة ، فأنشأ تقي الدين عمر بن شاهنشاه سنة ٥٦٦ هـ المدرسة التقوية في

---

(١) المصدر السابق ، ٣١٤/١ .

(٢) المقريزي ، المقفى الكبير ، ترجمة ٣٢٧ ، ٢٧٨/١ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣٤٧/٣ .

الفيوم وأوقف عليها الأوقاف .

وفي الصعيد برزت بيوت ومنازل علمية تنافح عن عقيدة ومنهج أهل السنة ، مثل منزل الفقيه النحوي شيث بن إبراهيم بن الحاج في قوص .

وأما الفسطاط والقاهرة حيث مقر الدولة ومركز دعوتها الشيعية فقد تأخر لذلك إنشاء المدارس فيها حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وتحديدًا بعد تولي أسد الدين شيركوه الوزارة سنة ٥٦٤ فوضع الأساس لأول مدرسة سنية فيها ، والتي لم يتمها ، ومن بعده أنشأ صلاح الدين الأيوبي مدرستين إحداهما للشافعية ، والأخرى للمالكية ، وقد أسهمتا في تعزيز القوة السنية بمصر والقاهرة وزيادة إحكام قبضتها على الدولة ومذهبها الشيعي معًا مما عجل بانهيارهما . وعلى عكس ما أراد الشيعة الذين اعتنوا بالكتاتيب عناية كبيرة وأسندوا إلى المحتسب ونوابه في المدن والقرى مهمة الإشراف عليها ، كانت تلك الكتاتيب التي انتشرت في جميع مدن مصر وقراها ترسخ عند الأطفال مبادئ وأصول القرآن الكريم وتسهم في المواجهة العلمية ضد النشاط الشيعي الذي استهدف جميع فئات المجتمع المصري .

د – التوسع في بناء المساجد :

واجه المصريون حملة الدولة العُبيدية (الفاطمية) المحمومة لبناء المساجد وبخاصة في القاهرة والفسطاط والإسكندرية وتنيس وأسوان وقوص ، كمنابر للدعوة إلى المذهب الشيعي في مصر بحملة مضادة ببناء المساجد بالجهود الذاتية والتبرعات لتدريس علوم أهل السنة ، وكلما أحس المصريون بالخطر زاد التجاؤهم لمساجدهم ، ويصف الرحالة ناصر خسرو جامع عمرو بن العاص بقوله : « ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون . . . ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلماء والغرباء »[١] .

(١) ناصر خسرو ، سفر نامه ص ٧ .

وزاد إقبالهم على مجالس العلم فيه التي بلغت وقت العشاء وحده مئة وعشرة مجالس من مجالس العلم . ومن أشهر تلك المجالس مجلس المحدث أبي صادق مرشد بن يحيى المديني (٥١٧هـ) وتولى إقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع ، وإملاء الأجزاء الحديثية ، وقد سمعها عليه كبار علماء الحديث مثل الحافظ السِّلفي، والمقرئ المحدث يحيى بن سعدون الموصلي ، والمحدث الثقة هبة الله البوصيري (ت ٥٢٥هـ)[١] ومجلس للمقرئ المفسر عبد الكريم بن الحسن التكتكي (ت٥٢٥هـ)[٢] لإقراء القرآن الكريم ورواية كتب علوم القرآن مثل (إعراب القرآن) لأبي جعفر النحاس ، ومجلس شيخ اللغة في مصر جمال الدين عبد الله بن بري المقدسي ، هذا غير مجالس الفقه الشافعي والمالكي[٣] .

وفي فترات ضعف الدولة أصبحت مساجد الشيعة - مثل مسجد راشدة بل والأزهر - أحد المنابر السنية ، وبخاصة في أوائل القرن السادس الهجري بعد اتصال عمارة القاهرة بالفسطاط .

ومن أشهر من تولى التدريس في جامع راشدة المقرئ الفقيه المالكي أحمد بن الحطيئة (ت٥٦٠هـ)[٤] وقد تنوعت دروسه بين الفقه والقراءات والحديث .

وللوضع المتميز لأهل السنة بالإسكندرية وللهجرة المتزايدة إليها ازدادت بها المساجد بشكل يعبر عنه ابن خزيمة الذي استقر بها منذ عام ٥٦١هـ ، ولمدة أربعين عامًا بقوله : « إن بها ثلاث مئة مسجد ، مئتان منها للخطبة ، وبها مئة وثمانون مدرسة لطلب العلم ، بها خطاطون لكتابة فتاوى الفقهاء » ، ومن أشهر

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/٣٧٥ .

(٢) المصدر السابق ، ١/٤٩٥ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/٥٣٣ .

(٤) المصدر السابق ، ٢/١٥٢ .

مساجدها : جامع العطارين الذي أنشأه بدر الدين الجمالي سنة ٤٧٩هـ في سوق العطارين من حصيلة الضريبة التي فرضها على أهلها بعد ثورة ابنه بها وقد ، أصبح أحد منابر أهل السنة التي تتصدى للمذهب الشيعي ، حيث درس فيه الفقه محمد ابن مسلم المازري المالكي (ت٥٣٦هـ) ، وكان للحافظ السِّلفي مجلس في أحد مساجدها قبل بناء المدرسة العادلية ، يدرس فيه الحديث وعلوم القراءات ، وللإمام الطرطوشي مجلسه في مسجده الذي بناه الوزير المأمون البطائحي سنة ٥١٦هـ تكريمًا له[١] ، وجامع القمراء الذي كان مركزًا علميًّا .

وامتد اهتمام المصريين نحو بناء المساجد وتعميرها للتصدي للمذهب الشيعي إلى الصعيد حيث ركز العُبيديون (الفاطميون) على أسوان وإسنا وقوص ، فتصدى لهم العالم المفسر أبو بكر محمد بن علي الأدفوي[٢] ، صاحب كتاب (تفسير القرآن المجيد) ، والفقهاء من أهل السنة وتلاميذهم مثل الفقيه النحوي شيث بن إبراهيم بن الحاج[٣] وأخيه وتلاميذهما الذين انتشروا يعقدون حلقات العلم لتحصين وتعليم الصبيان في مساجد القرى المجاورة لقوص ، مثل : دير البلاصي .

وفي أسوان كان للمحدثين من أهل السنة دورهم في الحفاظ على أصول أهل السنة من خلال حلقات ومجالس درسهم بمساجدها ، أمثال : المحدث محمد بن إبراهيم الأسواني (٥٥٨هـ) ، والمحدث القاضي محمد بن علي الأنصاري (٥٦٣هـ) ، والمحدث محمد بن عمر النبيطي الإسكندري . وهكذا رغم محاربة الشيعة العُبيدية للحديث والتضييق على علمائه فإنه هؤلاء الشوامخ قد صبروا وصابروا ورابطوا للحفاظ على عقيدة المصريين ، عقيدة أهل السنة والجماعة .

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٩٢/٣ .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٤٩٠/١ ، ٥٣٢ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٥٤/١ .



البَابُ الثاني

مصْرُ والشِّيعَة وَخَطَرِ المُستَقبَل


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

الفصل الأول

هل التشيع خطر داهم على مصر والعالم الإسلامي ؟

وبعد .. يبقى السؤال هل التشيع خطر داهم على مصر والعالم الإسلامي ، أم أن تلك هواجس تاريخية انتهت بانتهاء زمنها ؟ وهل باتت مصر حقًا في بؤرة هذا الخطر ؟

لعل جزءًا كبيرًا من الإجابة على السؤال الأول قد تمت الإشارة إليه في أثناء بيان حقيقة معتقد الشيعة في مصر وأهلها وأئمة مذهبها السني وكافة الطوائف المنتسبة إليه ، وقد ظهر ذلك من خلال التطبيق العملي عندما احتل الشيعة مصر تحت زعم وستار الانتساب الفاطمي (الدولة العُبيدية) .

وفي هذا الفصل نستعرض باختصار باقي الإجابة بعيدا عن الاستغراق التاريخي ، أو الإسقاط على الواقع المأساوي الذي يرزح تحته عامة الشيعة إما في أسر الأحقاد والعقد النفسية وما خلفته من اضطرابات اجتماعية وسلوكية تركت بصماتها السلبية على مجتمعاتهم التي توشحت بالسواد واكتست بالحزن والاكتئاب ، وزاد عليها في دولة ولاية الفقيه (إيران) الفقر وارتفاع معدلات البطالة والتضخم بالإضافة إلى أعلى معدلات التفسخ والانحراف الاجتماعي ، وبخاصة في المدن التي لها صفة القداسة عندهم – مثل قم ومشهد – من جراء شيوع الزنا المقنع تحت اسم زواج المتعة ، ويكفي أن يشير الزعيم الشيعي رفسنجاني إلى أن في إيران الشيعية ربع مليون لقيط بسبب زواج المتعة !! فقد وُصفت مدينة (مشهد) الشيعية الإيرانية حيث شاعت ممارسة المتعة بأنها : « المدينة الأكثر انحلالا على الصعيد الأخلاقي في آسيا »[(١)] .

وإنما ستقتصر إجابتي على السؤال الأول فقط بالإشارة إلى مكامن الخطر من انتشار التشيع على المجتمعات المسلمة ومصر في القلب منها ، وما يمكن أن

---

(١) مجلة (الشراع) اللبنانية ، العدد (٦٨٤) ، السنة (الرابعة) ، ص٤.

تحدثه فيها من فوضى واضطراب اجتماعي وأخلاقي وانحراف سياسي ، مع الإشارة إلى الخطر السياسي والدور الوظيفي للمشروع الشيعي في استراتيجيات أعداء الأمة، فقط مجرد الإشارة وإلا لطال المقال ، وذلك حسب الآتي :

أولًا : الخطر على العقيدة والشعائر الإسلامية :

ولا أقصد به بيان الانحرافات العقائدية عند الشيعة ، فقد سبقت الإشارة إلى صور متعددة منها ، ولكن أشير هنا إلى المخاطر والانعكاسات السلبية على عقيدة المسلمين وشريعتهم ؛ لأن التشيع إنما يتحرك بوحي من ميراث تاريخي ملبد بالأحقاد الممتدة لعدة قرون ، نابع من عقيدة موهومة مغالية لنظرية المظلومية واستمراريتها بفعل روايات تاريخية مزورة تم صياغتها بحرفة ودهاء يهودي مجوسي خبيث يهدف قبل الثأر لتلك المظلومية الموهومة الثأر من الإسلام نفسه الذي أطفأ نار معابدهم وطهر البلاد من ظلمتها ، ولكن هذه المرة تحت رداء الثأر لمظلومية أهل البيت ، وأن الذين سيتولون رد هذه المظالم إلى أهلها هم المؤمنون حقًا ليروج ذلك على العوام والسذج من المخدوعين والبسطاء .. وما أكثرهم !!

وهكذا أصَّلَتْ هذه العقيدة لثقافة الحقد والكراهية التي تهدد الأمن و السلم الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات لما تتميز به من :

١- الغلو المتصاعد ، والذي كان يرفضه علماء الشيعة الأوائل على ما كان عندهم من انحراف أصبح اليوم من ضروريات المذهب كما يقول محقق مذهبهم (المماقاني) ، وقد مر بك سابقا صورٌ متعددة لذلك الغلو الذي شابه فيه الاثنا عشرية عقائد الباطنية الإسماعيلية مما يغنى عن إعادتها هنا ، وقد نشأت بسبب تلك العقائد لدى الشيعة حالة من الانطواء والانكفاء الداخلي التي صنعت حاجزًا نفسيًا وفكريًا كبيرًا بين الشيعة وجمهور الأمة الإسلامية ، حيث جعلت الولاء للأئمة الحسينيين شرطًا للهدى والتقوى والإخلاص ، واتهام من لا يؤمن بتلك الولاية بالضلال والشرك وإن كان يعرف

للصالحين من أهل البيت قدرهم ويحفظ لهم مكانتهم وحقهم ، وقد رسموا بذلك صورة سلبية لمن يزعمون أنهم أعداء الأئمة من أهل البيت حسب اعتقادهم ، مدعمين ذلك بعدد كبير من النصوص المنسوبة للإمامين الباقر والصادق ، رحمهما الله تعالى ، كعادتهم دائمًا ، أكتفي منها بما نسبوه للصادق من قوله : « أمر الناس بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا ، وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا كانوا بذلك مشركين »(١) .

الأمر الذي أدى إلى الإكثار من لعن المخالفين وسبهم وبخاصة كبار الصحابة الأوائل ، ومنهم : أبو بكر ، وعمر وعثمان ، وعائشة أم المؤمنين ، وطلحة ، والزبير ، رضي الله تعالى عن الجميع ، مما أوجد حالة من الاضطرابات والمصادمات العنيفة بشكل دوري داخل المجتمعات التي وجد فيها الشيعة .

٢ - الدعاء : تحول الدعاء من عبادة خالصة لله تعالى من خلال التوجه إليه سبحانه بدعاء العبادة أو دعاء المسألة إلى مجموعة من الأوراد والأذكار غير الشرعية ، إذا حملها الإنسان أو تلاها تكفيه مؤونة السعي وراء رزقه وتحمل مسؤولياته ، وتمنحه ثوابًا وعطاءً في الدنيا والآخرة دون الحاجة إلى العمل أو التفكير ، روى المجلسي في بحار الأنوار : عن قبس المصباح للصهرشتي - تلميذ شيخ الطائفة - عن المفضل بن عمر ، عن الصادق ، عليه السلام ، أنه قال : « إذا كانت لك حاجة إلى الله ، وضقت بها ذرعا ، فصل ركعتين ، فإذا سلمت كبر الله ثلاثا ، وسبح تسبيح فاطمة ، عليها السلام ، ثم اسجد وقل مئة مرة : يا مولاتي فاطمة أغيثيني ، ثم ضع خدك الأيمن على الأرض ، وقل مثل ذلك ، ثم عد إلى السجود ، وقل ذلك مئة مرة وعشر مرات ، واذكر حاجتك ، فإن الله يقضيها »(٢) .

---

(١) المصدر السابق، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ح رقم (٥).

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٣/ ٦٨٩١.

ورواه الشيخ إبراهيم الكفعمي : تصلي ركعتين ، فإذا سلمت كبر الله ثلاثا ، وسبح تسبيح الزهراء ، عليها السلام ، واسجد ، وقل مئة مرة : يا مولاتي ، يا فاطمة ، أغيثيني ، ثم ضع خدك الأيمن (على الأرض) وقل كذلك ، ثم عد إلى السجود وقل كذلك ، ثم ضع خدك الأيسر على الأرض وقل كذلك ، ثم عد إلى السجود ، وقل كذلك مائة مرة(١) ، وعشر مرات ، واذكر حاجتك تقضى(٢) .

وقد قسم المجلسي اليوم اثني عشر قسمًا ، كل منها ساعتان يحكم أحد الأئمة كل قسم ، وعلى الإنسان إذا أراد الدعاء أن يتوسل بالإمام صاحب الوقت(٣) .

٣ - **تحول الاجتهاد** من أداة للتفاعل وملاحقة التطور إلى « عنصر تحجر وجمود وحيلولة دون التقدّم والتطور والتجديد ، وأداة للتكفير والتفسيق وشجب وإدانة لكل تحرك جديد أو كلام جديد أو أسلوب جديد في فهم الدين ونظم الحياة على الأصعدة الفكرية والعلمية والاجتماعية وغيرها »(٤) .

وأصبح تقليد العلماء وضرورة اتخاذ المرجعيات الذي تحول إلى « الطاعة العمياء والتبعية المطلقة لـ(الروحاني) في قناعاته وتصرفاته وفتاواه ، كما أصبح الإمام واسطة بين الناس وبين الله تعالى في عرض الحاجات انسحب ذلك أيضًا على الفقهاء بوصفهم نوابًا عن الإمام بما يعني بالتعبير القرآني عبادة الأحبار والرهبان »(٥) . يوضح محمد رضا المظفر علة ذلك بقوله : « عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط

---

(١) إبراهيم الكفعمي، البلد الأمين، ص١٥٩,

(٢) المجلسي، المرجع السابق، ١٠٠/٤١٤.

(٣) المجلسي، مناجاة نامة، مشهد، ١٩٧٥م، ص٣-٤ ، إبراهيم الكفعمي، مفاتيح الجنان، ص٧٠٦-٧٠٧.

(٤) علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص٢٢٧، ٣١٠.

(٥) المرجع السابق نفسه.

أنه نائب للإمام ، عليه السلام ، في حال غيبته . وهو الحاكم والرئيس المطلق. له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس. والراد عليه راد على الإمام . والرادُّ على الإمام رادٌّ على الله تعالى . وهو على حدِ الشرك بالله تعالى . كما جاءِ في الحديث عن صادق آل البيت عليهم السلام »[١] .

٤ – **لم تسلم شعائر الإسلام** من صور هذا الانحراف الذي سببته تلك العقائد فنشأ ذلك النوع من الخلاف الفقهي الناشئ عن نظرية الإمامة الإلهية ولوازمها الذي ينمي ثقافة الحقد والكراهية ويفصم عرىٰ الوحدة والاتحاد بين المسلمين ، ومن ذلك على سبيل المثال دون تفصيل :

أ – **تسيس الصلاة** : وفيها يظهر أثر قضية التولي والتبري « الولاء والبراء » الناشئة عن نظرية الإمامة الإلهية كأحد أركان الدين عندهم ، وهي بخلاف عقيدة الولاء والبراء في الإسلام التي تلزم المسلم بتولي المسلم على قدر ما عنده من الطاعة ، والتبري منه على قدر ما عنده من المعصية وأن رباط وعقد الإسلام هو مناط هذا الولاء وذلك البراء ، ولا تكون على شخص مهما كانت منزلته غير رسول الله ﷺ ، ولا على جنس ولا طائفة أو مذهب ، وإنما على الإسلام ، بينما جعل الفقه الإمامي قضية الولاء والبراء أو التولي للأئمة المنصوص عليهم والتبري ممن زعموا أنهم من مخالفيهم قضية محورية تدور حولها قضاياهم الفقهية لتترسخ في نفوس الشيعة ، وبها يستحضر دائمًا الشيعي في نفسه قضية الولاء لأهل البيت والتبري من أعدائهم – وهم بالطبع مجموع الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون وأمهات المؤمنين وتلحقهم ذرياتهم في هذا الحكم الجائر – ، ومن ذلك أيضًا ما فعله المفوضة الغلاة من إضافة الشهادة الثالثة في الأذان « أشهد أن عليًّا ولي الله» بعد الشهادتين ، وهذه

---

(١) محمد رضا المظفر ، عقائد الإمامية ، ص٢١ .

الإضافة قد رفضها علماء الشيعة الاثني عشرية الأوائل وأقرها المتأخرون.

وأما في الصلاة فقد أضاف الاثنا عشرية لها في الركوع والسجود والقيام قول المصلي : « صلى الله على محمد وآل محمد » ، يقول الصدوق فيما ينسبه إلى أبي جعفر محمد الباقر ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : « من قال في ركوعه وسجوده وقيامه : صلى الله على محمد وآل محمد كتب الله له بمثل الركوع والسجود والقيام »[(١)] ، وهكذا جعلوا من الصلاة على النبي محمد وآل بيته عبادات موظفة بعد الصلوات ، وبخاصة عصر يوم الجمعة ، ورتبوا عليها زيادة الحسنات ومحو السيئات وقضاء الحاجات[(٢)] ، ولا شك أن الصلاة على النبي ﷺ مندوب إليها في كل وقت دون تحديد أو تعيين لوقت دون آخر ولها فضل عظيم وضحته الأحاديث النبوية ، كما ألزموا الخطباء يوم الجمعة بتلاوة خطبة خاصة تتضمن الصلاة على النبي ﷺ وآل بيته مع الدعاء للأئمة واحدًا واحدًا[(٣)] ، وبعد الانتهاء من الصلاة كذلك للتأكيد على معنى التولي ، وكذلك التبري من أئمة المخالفين لهم ، وفي ذلك ينسبون للإمام جعفر الصادق ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : « إذا فرغت من صلاتك فقل : اللهم إني أدينك بطاعتك وولايتك ، وولاية رسولك ، وولاية الأئمة من أولهم إلى آخرهم »[(٤)] ثم يسميهم.

أما التبري فيتم بلعن المخالفين لهم في أعقابها[(٥)] . وقد ترتب على ذلك أحكام

---

(١) الصدوق ، ثواب الأعمال ، ص٣٤.

(٢) الكليني ، الكافي ، ح رقم ٥٥١٥/٤ ، باب نوادر الجمعة ،ج٣.

(٣) المصدر السابق، ح رقم ٥٤٩٤/٦ باب تهيئ الإمام للجمعة وخطبته والإنصات ،ج٣.

(٤) المصدر السابق، ح رقم ٥١٦٠/ ٢٦ باب التعقيب بعد الصلاة والدعاء ،ج٣.

(٥) المصدر السابق، ح رقم ٥١٤٤/ باب التعقيب بعد الصلاة والدعاء ، ج٣.

أخرى تتعلق بالصلاة منها :

– **الصلاة خلف المخالف** : لم يجوزوا الصلاة خلف المخالفين لهم إلا في حالة التقية[١] ، وفي هذه الحالة يروون عن الصادق أنه قال : « إذا صليت خلف إمام لا تقتدي به فاقرأ خلفه سمعت قراءته أو لم تسمع »[٢] .

– **لبس السواد** : ورد تغليظ النهي عن لبس السواد في روايات علماء الشيعة الاثني عشرية وعن الصلاة فيها واختلفوا في القول بكراهته أو تحريمه ، لقول أمير المؤمنين ، عليه السلام ، فيما علم أصحابه : لا تلبسوا السواد فإنه لباس فرعون[٣] . وكان رسول الله ﷺ يكره السواد إلا في ثلاثة : العمامة ، والخف والكساء[٤] ، ومع ذلك خالف الشيعة إمام مذهبهم واتخذوا من السواد شعارًا لهم حزنًا على ما حدث للحسين وآل بيته من جراء خيانتهم لهم .

– **صلاة الجنازة** : وهي واحدة من أروع صور التراحم والشفقة بين المسلمين لميت أصبح في أمس الحاجة إلى صالح الدعاء عسى أن تشمله رحمة الله تعالى ومغفرته ، وبدلًا من ذلك أصبحت في الفقه الشيعي مثالًا حيًا على التعصب المقيت ، وصورة واضحة لإفرازات ثقافة الحقد والكراهية التي أصلوها في كتبهم الفقهية في وقت مبكر والتي استمرت معهم فيما بعد ذلك لتعمل عملها ويظهر أثرها في شتى جوانب الحياة على ما سبقت الإشارة إليه .

ومع ذلك يكاد يجمع علماءِ الإمامية الاثني عشرية الأوائل « ابن بابويه القُمي ، المُفيد ، الطوسي ، أبو الصلاح الحِلي » ومن جاء بعدهم على عدم تغسيل المخالف

---

(١) المصدر السابق، ح رقم ٤/٥٢٧٨، وح رقم ٧/٥٢٨١ ، باب الصلاة خلف من لايقتدى به ، ج٣ .

(٢) المصدر السابق، ح رقم ٤/٥٢٧٨، باب الصلاة خلف من لايقتدى به ،ج٣.

(٣) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٢٥/١، حديث رقم ٧٦٧.

(٤) المصدر السابق نفسه ، حديث رقم ٧٦٨ .

والصلاة عليه إلا أن تدعو ضرورة لذلك من جهة التقية ، يقول المفيد : ولا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسل مخالفا للحق في الولاية ، ولا يصلي عليه إلا أن تدعو ضرورة إلى ذلك من جهة التقية...[١] ، وأكتفي هنا بالإشارة إلى ما قرره شيخهم الصدوق « ابن بابويه القُمي ت ٣٢٩هـ » بقوله : « إذا كان الميت مخالفًا فقل في تكبيرك الرابعة : اللهم أخز عبدك وابن عبدك هذا ، اللهم أصْلِه نارك ، اللهم أذقه أليم عقابك وشديد عقوبتك ، وأورده نارًا ، واملأ جوفه نارًا ، وضيق عليه لحده ، فإنه كان معاديًا لأوليائك ، ومواليًا لأعدائك ، - يقصد أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم - اللهم لا تخفف عنه العذاب ، واصبب عليه العذاب صبًا ، فإذا رفعت جنازته فقل : اللهم لا ترفعه ولا تزكه »[٢] .

- **صلاة الجمعة** : وفيها يتضح أثر عقيدة الغيبة التي ترتب عليها فقد الإمام ، مما رتبوا عليه عدم صحة انعقاد صلاة الجمعة في حال غيبة الإمام المعصوم أو نائبه ، ولذلك اختلفوا في حكمها بين عدم الجواز مطلقًا وبين التخيير بينها وبين الظهر[٣] ، مخالفين بذلك نصًا صريحا وآية محكمة في كتاب الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة : ٩] .

ب - الصيام : يخالف الشيعة الإمامية عمومًا ومنهم الاثنا عشرية جمهور علماء

---

(١) محمد بن النعمان العكبري المعروف بالمفيد ، المقنعة، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، ص٨٥.

(٢) ابن بابويه القمي ، عيون أخبار الرضا ، ص١٧٨ ، الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ١٩٧/٣ .

(٣) يقول بن سلار: « إن صلاة الجمعة فرض مع حضور إمام الأصل أو من يقوم مقامه...ولفقهاء الإمامية أن يصلوا بالناس في الأعياد الاستسقاء، أما الجمع فلا...» . المراسم ، ص٦٥ . وفي التخيير بينها وبين الظهر ، انظر : شرائع الإسلام للحلي ، ٧٢/١-٧٤، ومنهاج الصالحين للخوئي ، ١٩٠/١ .

المسلمين في أيام الصيام في شهر رمضان ، نفس الوقت الذي تتأرجح فيه أيام الصيام بين تسعة وعشرين يومًا وثلاثين يومًا ، لحديث النبي ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا »[(١)] ، يخالف الشيعة ذلك حيث لا يعتمدون الرؤية في تحديد بداية الشهر ونهايته لما ينسبه الكُليني لجعفر الصادق ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : أن أيام الصيام على الدوام ثلاثون يومًا لا ينقص أبدًا[(٢)] .

ج – **عيد الفطر** : وقد ترتب على هذا الأمر عدم مشاركة المسلمين في عيد الفطر الأمر الذي يعمق مفاهيم العزلة النفسية ، وبدلًا من أن يكون العيد فرحة وسرورًا ومناسبة للاجتماع على مستوى الأسرة والأمة ، تحول في كثير من البلاد التي حكمها الشيعة إلى يوم مصادمات عنيفة وبؤس وحزن وفرقة لما راح فيه من الضحايا.

د – **الحج** : لم تسلم فريضة الحج من التسيس المتمحور حول نظرية الإمامة الإلهية والولاء للأئمة ، حيث استطاعت النظرية الفقهية الإمامية من الانحراف بمفهوم الحج وما فيه من إخلاص التوجه والتوحيد لله جل وعلا من خلال كل مناسكه وأركانه.

أقول : انحرفت به نظرية الشيعة الفقهية من إخلاص العبودية لله تعالى إلى تأكيد مفهوم الولاء للأئمة بأن جعلته مناسبة سنوية لتجديد العهد والبيعة للأئمة ، فبدلًا من أن يطوف المسلم وهو متوجه بالكلية إلى الله تعالى مخلصًا له الذكر

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، رقم ٢٣٤٢، ٢/٧٥٦، والحاكم: كتاب الصوم، باب قبول شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان ، ١/٤٢٣، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٤ ، ح رقم ١٦٣٢٦، ٢٦٣٢٧، ٣٦٣٢٨ .

والدعاء ، يتوجه الشيعي إلى الكعبة لتجديد العهد والميثاق عند الحجر الأسود بقوله : أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة... على أن الحجر حسب روايتهم يعرفهم ويصدقهم في ذلك على عكس غيرهم الذين ينكرهم ويكذبهم ، ويوم القيامة يشهد لهم بذلك.

ويروون في ذلك رواية طويلة عن الحجر الأسود ورحلته من الجنة حيث كان ملكًا من عظماء الملائكة اتخذه الله أمينًا على جميع خلقه فألقمه الميثاق وأودعه عنده واستعبد الخلق أن يجددوا عنده كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذه الله عز وجل عليهم بالشهادة له تعالى بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولعلي بالوصية ، فكان هذا المَلَك حسب زعمهم أشد حبًّا لمحمد وآل محمد ، وبعد عصيان آدم وإخراجه من الجنة تحول ذلك الملك إلى صورة درة بيضاء نزلت من الجنة إلى أرض الهند فحملها آدم إلى مكة ليجدد عنده العهد والميثاق كل يوم وليلة ، على حسب ما ذكره الكليني في « الكافي »[1] عن بكير بن أَعين ، في إجابة عن عدة أسئلة سألها للإمام الصادق والتي أشارت إلى بعض ما ذكرت ، وبها يتأكد كيف نجحوا في تحريف معاني العبادات وصرفها من الإخلاص لله تعالى وحده إلى تأكيد معاني الولاء للأئمة.

٥ – **فقه استحلال الدماء المعصومة** : واحدة من أبرز نتائج تكفير المخالفين ، فالتكفير عادة ما يأتي بالتفجير واستحلال الدماء المعصومة وأموالهم وحرماتهم عند أول فرصة تلوح لهم وبخاصة عند تلك النفسيات القلقة والمحتقنة ، وقد رأينا مصداق ذلك فيما فعله الشاه إسماعيل الصفوي عام (٩١٦هـ/ ١٥١٠م) وشاهات الدولة الصفوية (٩٠٧هـ/١٥٠٧م – ١١٤٨هـ/١٧٣٥م) من بعده بأهل السنة حيث أبادوا الملايين منهم لتحويلهم قسرا إلى المذهب الشيعي في بلاد فارس

(١) الكليني ، الكافي ، ج ٤ ، ح رقم ٣٦٧٣١ .

(إيران) لتتحول من التسنن التي حافظت عليه وأسهمت في مسيرته الحضارية إلى التشيع ليتوقف ذلك العطاء الحضاري وتتحول إلى خنجر في ظهر الدولة الإسلامية ، والمثال القريب ما شاهدناه من جرائم فرق الموت للتطهير الطائفي بإبادة أهل السنة وإرهابهم للهجرة من العراق لتغيير وضع التركيبة السكانية له مما يترتب عليه تغير في الوضع السياسي ، وقد حاولت تلك الفرق أن تستنسخ تجربة عصابات الهاجانة الصهيونية بفلسطين المحتلة إبان نهاية الانتداب وبداية الهجرة والاحتلال الصهيوني لفلسطين عام (١٩٤٨م) ، وتغذيهم في ذلك نصوص الحقد والكراهية التي ينفثها أئمة وعلماء مذهبهم المعتبرون ومثل رئيس المحدثين الصدوق الذي يفتري الكذب على الإمام الصادق بقوله : « عن داود بن فرقد قال : قلت لجعفر الصادق : ما تقول في قتل الناصب – يقصد به المخالف لهم – ، قال : حلال الدم لكني أتقي عليك ، فإن قدرت على أن تقلب عليه حائطًا ، أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل ، قلت : فما ترى في ماله ؟ قال : توه ما قدرت عليه» . وما زال هذا مستندهم في تلك الفتوى ، يقول مرجعهم الأعلى آية الله العظمى السيد رضا الموسوي الكلبايكاني – من المعاصرين – : « يجب الخمس في سبعة أشياء : الأول : ما يغتنم قهرًا من أهل الحرب الذين تحل دماؤهم وأموالهم ، وسبي نسائهم وأطفالهم... ويقوى إلحاق الناصب – السني – بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منه وتعلق الخمس به ، بل الظاهر جواز أخذ ماله أينما وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسه »[(١)] .

ثانيًا : خطورة التشيع على وحدة النسيج الاجتماعي للمجتمع المسلم :

كان لاستغراق الشيعة في وهم المظلومية التاريخية والشعور الدائم بالاضطهاد

(١) آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني ، إرشاد السائل ، دار الصفوة ، بيروت ، ط/ الأولى ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

وممارسة الكذب والخداع تحت اسم التقية وشرعنتها وجعلها تسعة أعشار الدين ، كل ذلك وغيره جعل تلك الشخصية تعاني من عقد النقص والخوف والشعور بالضعف والاغتراب والقلق ، والحقد وبغض من عداهم من أجناس ، فمهديهم بعد ظهوره سيقتل العرب ، والأكراد عندهم حي من الجن ، والسودان ليسوا في مصاف البشر ، وقد مرت الإشارة إلى مواقفهم من باقي البلاد ومنها مصر وأهلها ، بل لم يسلم منهم أصحاب الاحتياجات الخاصة الذين هم أولى الناس بالرعاية والشفقة ، يروي محدثهم الصدوق بسنده عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال : « احذروا معاملة أصحاب العاهات فإنهم أظلم شئ »[١] .

بينما يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] ، وبالجملة : فالشخصية والنفسية الشيعية لا تعرف الوسطية ؛ فهي إما ذليلة خانعة مستكينة – إن هي فقدت أسباب القوة – ، وإما طاغية متجبرة متوحشة ، متى ما شعرت أنها تمتلك سببًا من أسباب القوة ، ولا تعرف التعايش مع الآخر ، فإما أن تأكله ، وإما أن يلجم فمها[٢] .

وبالتالي نشأ عن كل ما ورد ذكره وغيره عدد من السلوكيات التي بُنيت عليها أحكام فقهية خالفوا بها جمهور المسلمين ، مثال ذلك :

١ – المقاطعة الاجتماعية والانكفاء الداخلي :

كانت تلك المقاطعة وذلك الانكفاء أحد لوازم مخالفة الأصل الأصيل ، وحجر الزاوية لعقيدة الولاية للأئمة الاثني عشر ، حيث نصت كتب الشيعة ومراجعهم على أن الإمامة أصل من أصول الدين ، وأن من أنكرها أو أنكر أحد الأئمة فهو كافر ،

---

(١) الصدوق ، علل الشرائع ، ص٥٢٦ .

(٢) للمزيد انظر : د. طه الدليمي ، التشيع عقيدة دينية أم عقدة نفسية .

وأكتفي بالتدليل على ذلك بقول رئيس المحدثين محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمي – الملقب عند الشيعة بالصدوق – ما نصه : « .. واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده ، عليهم السلام ، أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء ، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا ممن بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد ، صلى الله عليه وآله » ، وينقل حديثًا منسوبًا إلى الإمام الصادق أنه قال : « المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا »(١) .

وعمومًا فقد انعكس ذلك على عدد من القضايا الفقهية التي تمس العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم ، ومن أبرزها :

أ – القضاء والأحكام : لتحقيق العزلة الكاملة والانكفاء الداخلي عن المجتمع والدولة الإسلامية أنشأ الشيعة محاكم ودوائر قضائية سرية خاصة بهم ، مستدلين على ذلك بما رواه الكليني من عدة روايات في كتاب القضاء والأحكام منسوبة للإمام جعفر الصادق أنه قال: اتقوا الحكومة فإن الحكومة هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي أو وصي نبي ، « .. والأوضح منه ما رواه عن عمر بن حنظلة أنه قال : سألت أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة ؟ فقال : من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتًا وإن كان حقه ثابتًا ؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يُكفرَ به ، قلت : كيف يصنعان ؟ قال : انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكمًا فإني قد

---

(١) ابن بابويه القمي (الصدوق) ، الاعتقادات ، ص١٠٣ .

(٢) الكليني ، الكافي ، كتاب القضاء والأحكام ، باب (إن الحكومة إنما هي للإمام عليه السلام) ، حديث ح٥/٧ ، ص٤١٢ .

جعلته عليكم حاكمًا ، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما بحكم الله قد استخف وعلينا رد ، والراد علينا كالراد على الله وهو على حد الشرك »[(١)] .

ب - الزواج : جعل الله تعالى الزواج أحد اللبنات القوية في بناء المجتمع المسلم من خلال تقويته لأواصر الحب والمودة والتراحم بين أفراده وطبقاته ، وخلافًا للمشهور من سيرة نساء ورجال أهل البيت في المصاهرة بينهم وبين عموم المسلمين ، جَرَّمَ الشيعة ذلك الزواج وجعلوه مما تنتقض به عرى الإسلام بدعوى أن من لايرى رأيهم غير مؤمن - أي مسلم في الدنيا كافر في الآخرة - ودعموا رأيهم بما زعم نسبته الكليني من روايات لأبي عبد الله جعفر الصادق ، رحمه الله تعالى ، باب (مُناكحة النصاب والشكاك) منها : « إن قومًا من أهل خراسان من وراء النهر أتوا أبا عبد الله فقال لهم : تصافحون أهل بلادكم وتناكحونهم ، أما إنكم إذا صافحتموهم انقطعت عروة من عروة الإسلام ، فما إن نكحتموهم انهتك الحجاب بينكم وبين الله »[(٢)] .

وأوضح منه ما رواه عن الفضيل بن يسار أنه قال : قلت لأبي عبد الله : إن لامرأتي أختا عارفة على رأينا وليس على رأينا بالبصرة إلا قليل فأزوجها ممن لا يرى رأيها ؟ ، قال : لا ولا نعمة (ولا كرامة) ، إن الله عزوجل يقول : ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[(٣)] .

ليس هذا فحسب وإنما خالفت الشيعة أيضًا في القول بجواز زواج المرأة على عمتها أو خالتها ، واستدلوا لذلك بما نسبه الطوسي في(تهذيب الآثار) و(الاستبصار) إلى الإمام الباقر أبي جعفر ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا تُزوج بنت

---

(١) الكليني ، الكافي ، ح١٧/٥ ، ص٦٤٨ .

(٢) الكليني . الكافي ، ح٥/٦ ، ص٦٤٢ .

(٣) الطوسي . تهذيب الآثار ١٧٧/٣ الحديث رقم ٢ ، الباب رقم ١١٦ ، الاستبصار ، ٣/٢ .

الأخت على خالتها إلا بإذنها ، وتزوج الخالة على ابنة الأخت بغير إذنها ..[١] .

وقد وردت أحاديث رواها الطوسي أيضًا تفيد المنع من هذا الزواج وأن أمير المؤمنين جلد من تزوج امرأة على خالتها وفرق بينهما ، ولكن كالعادة للهروب من إشكال التناقض في الروايات فقد حملوها على التقية والقاعدة المعتمدة للترجيح في ذلك عندهم الأخذ بما يخالف جمهور المسلمين ويكون هو الصواب في رأيهم ، يقول الطوسي : « على أن الخبرين يحتملان شيئًا أخر ، وهو أن نحملهما على ضرب من التقية لأن جميع العامة يخالفنا في ذلك ، ويدّعون أنها مسألة إجماع ، وهذا حكمه أن تجرى فيه التقية »[٢] .

وبذلك تتضح مخالفتهم لتشريع من لا ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ ﷺ من تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها حماية للرحم لقوله ﷺ : « لا يُجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها »[٣] .

و ذلك منعا من تقطيع أواصر القربى ؛ لما قد ينشأ في الغالب بين الضرائر من التنافس والتشفي والعداوة ، يقول الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٢-٢٣] .

ج - **نكاح المتعة** : شرع الشيعة نكاح المتعة بعد النهي عنه وشددوا على وجوبه بزعم مخالفتهم لنهي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذا النكاح ، ولما لم يجدوا ما يؤيدهم من أقوال ومواقف لأمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) الطوسي ، الاستبصار ، ٣/٢ .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة ، كتاب النكاح ، باب : لا تنكح المرأة على عمتها ، الحديث رقم (٥١٠٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، الحديث رقم (٣٣/١٤٠٨) .

طالب ، رضي الله عنه ، راحوا يستدلون بآية من كتاب الله تعالى في غير سياقها وهي قوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء : ٢] ، حيث إن سياق الآيات إنما يتحدث عن جملة من أحكام النكاح من بداية سورة النساء ، فبعد أن ذكر المحرمات من النساء ثم استثنى ملك اليمين ومن ثم بين حكم ما سوى ذلك بأنه مما أحله الله تعالى بشرط ﴿ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ﴾ [النساء : ٢٤] ، والإحصان لا يكون إلا في نكاح صحيح ، ولما ذكر الله تعالى الأموال هنا أضاف حكمًا جديدًا في حق المرأة في المهر أو الصداق كاملًا إذا حدث بينهما الدخول والاستمتاع ، وفي حالة عدم الدخول شرط لها النصف من الصداق ، والدليل أن استدلال الشيعة بهذه الآية في غير سياقها عدم اعتدادهم بأن نكاح المتعة يترتب عليه إحصان الرجل أو المرأة ، وبالتالي إن لم يكن هذا النكاح صحيحًا فإنه نكاح فاسد بل سفاح وإن صاحبه من العادين[1] .

والصحيح أن نكاح المتعة من الأنكحة التي كانت معروفة قبل الإسلام ولم ينزل تحريمها إلا في عام خيبر ، وكان رسول قبل ذلك يأذن به للحاجة على كراهة منه في بعض الأحوال على أساس أنه لم ينزل تحريمه بعد وهو ما حرمه ﷺ في غزوة خيبر ، ثم أكد عليه لمن لم يبلغه خبر النسخ بالتحريم في عام الفتح ثم حجة الوداع . يذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير قوله تعالى :﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء : ٢٤] أن المستمتع بها ليست زوجة ، ونسخت المتعة وحرمت بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝

(١) ذكر الحلي في كتاب (الشريعة) أن عقد المتعة لايحل للمطلقة ثلاثًا لزوجها الأول واشترط لذلك أربعة شروط هي : ١ - أن يكون الزوج بالغًا . ٢ - أن يطأها في القبل . ٣ - أن يكون بالعقد لا بالملك ولا الإباحة . ٤ - وأن يكون العقد دائمًا لامتعة . كتاب الشريعة ، ٥٩/٢. وهنا يظهر تناقض الشيعة فإذا كان المتمتع بها زوجةً والعقد صحيح فلما لا تحل لمطلقها الأول بعد عقد المتعة ؟؟!! فإما أن تكون زوجة والعقد صحيح وإما أن يكون هذا النكاح سفاحًا .

إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥- ٧] ، ومن المعلوم أن المستمتع بها ليست مملوكة ولا زوجة ، فبتمتعها إذًا بنص القرآن الكريم تكون من العادين[١] .

وساق أبو الفتح الواسطي بسنده عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن المتعة ، قال : وإنما كانت لمن لم يجد ، فلما أنزل الله النكاح والطلاق والعدة والميراث عن الزوج والمرأة نسخت »[٢] .

ومن واقع روايات الشيعة أنفسهم في كتبهم المعتمدة أن النهي عن ذلك الزواج إنما كان من النبي ﷺ نفسه ، روى الطوسي في (الاستبصار) أن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : « حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة »[٣] .

وهو ما رواه الإمامان البخاري ومسلم : أن عليًا قال لابن عباس ، رضي الله عنهما ، لما سمعه يسهل في متعة النساء : « أن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر »[٤] .

وبالطبع دلالة لفظ التحريم التي في روايات كتب الشيعة أقوى من لفظ النهي الذي في روايتي البخاري ومسلم . والغريب أن تحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم نكاح المتعة قد وردا في حديث واحد ، فهما على درجة واحدة من التحريم ، ومع ذلك يدور

---

(١) محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ١/ ٢٤٥ .

(٢) حكم نكاح المتعة ، ص١٠٧ .

(٣) الطوسي ، الاستبصار ، ٢/١٤٢ ، التهذيب ، ٢/١٨٦ ، وسائل الشيعة ، ١٤/٤٤١ ، الكليني ، الكافي ، باب المتعة ، ٥/٣٤٥ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب نهي رسول الله عن نكاح المتعة آخرًا ، ٣/٢٤٦ واللفظ له ، صحيح مسلم : كتاب نكاح المتعة واستقرار تحريمها إلى يوم القيامة ، ١/٥٨٩ .

حكم لحوم الحمر الأهلية عند الشيعة بين التحريم والكراهة ، بينما حكم نكاح المتعة الإباحة ، وجعلوها على لسان الإمام جعفر الصادق دينًا لهم من أنكرها أنكره ، وذلك بما نسبوه إليه أنه قال : « إن المتعة ديني ودين آبائي فمن عمل بها عمل بديننا ، ومن أنكرها أنكر ديننا ، واعتقد بغير ديننا ، والذي ينكرها ينكر ديننا ، بل إنه يدين بغير ديننا. وولد المتعة أفضل من ولد الزوجة الدائمة ومنكر المتعة كافر مرتد »(١) .

بما يتناقض مع ما روى في (التهذيب) أن أبا عبد الله الإمام جعفر الصادق ، رحمه الله تعالى ، سئل : « هل كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوجون بغير بينة ؟ قال : لا » (٢) .

وهو ما أيده زيد بن علي ، رحمه الله تعالى ، في روايته عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في تحريم متعة النساء .

ورغم وضوح الأدلة على حرمة نكاح المتعة فإن هناك دليلًا عقليًا ذكره العلماء يضاف إليها وهو : أن عمر بن الخطاب عندما جدد التذكير بالحكم بالتحريم من على المنبر إنما كان ذلك في حضرة عموم الصحابة من المهاجرين والأنصار بما فيهم علي بن أبي طالب ، رضي الله تعالى عن الجميع ، ولم يرد أو ينكر عليه أحد مع حرصهم الشديد على إظهار الحق وبيان الواجب ورد الخطأ ، وبذلك استحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس ، فعارضه أبي بن كعب في متعة الحج ، وعارضه معاذ بن جبل في رجم الحامل ، وقال له : إن كان لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها ، « وعارضته امرأة في أمر الصداق عندما أراد أن يحدده بأن لا يزيد على خمس مئة درهم ، وغير ذلك .. ومما هو مقرر عند الشيعة فيما يروى عن جعفر الصادق ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : ثلاث لا أتقي منهن أحدًا : متعة الحج ، ومتعة

---

(١) الفيض الكاشاني ، تفسير منهاج الصادقين (فارسي) ، ص ٣٥٦ .

(٢) الطوسي ، التهذيب ، ٢/١٨٩ .

النساء ، والمسح على الخفين »[١] وعلى ذلك لم يعارضه علي بن أبي طالب ، بل أقره على ذلك ، ونهى ابن عباس عنه لما سمعه يتساهل في أمره كما سبقت الإشارة إليه ، وبذلك فإما أنهم علموا بالتحريم وسكتوا بما فيهم علي بن أبي طالب ، أو أنهم علموا بالإباحة وسكتوا مداهنة وفيهم علي بن أبي طالب ، أو أنهم قد توقفوا في حكمه لعدم معرفتهم ، والأول هو المطلوب ، والثاني يوجب تكفير جميع الصحابة بما فيهم علي لتحريمهم الحلال وسكوتهم على ذلك وهو ما يتناقض مع قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، ومع مواقفهم العملية تجاه أي انحراف في الفهم أو التطبيق لأحكام الله تعالى وبالتالي فهذا الفرض باطل ، والفرض الثالث باطل أيضًا لزعم الجهل بحكم أمر مشتهر تمس إليه الحاجة ، فلما بطل القسمان لم يبق غير الأول بالقول بالتحريم .

ويفرق الشيعة بين نكاح المتعة عن النكاح الدائم بعدة أمور منها : أنه محدود المدة ينفسخ النكاح بانقضاء المدة المتفق عليها ، وأنه ليس فيه شهود ولا إعلان ، ولا رضى ولي أمر المرأة ولا يقع بسببه شيء من الميراث لأحد طرفي العقد إذا مات أحدهما في أثنائه ؛ لأن المرأة في نظرهم مستأجرة ولا يلحق الولد بالمستمتع إلا إذا أقر بذلك ، والمرأة المستمتع بها لا يلحقها طلاق ولا ظهار ولا إيلاء ولا خلع ولا مباراة ولا لعان بخلاف الزواج الدائم ، وأنه لا حد فيه بالنسب لعدد الزوجات بالمتعة مهما كان العدد ، لا يعتبر نكاح المتعة في صحة المحلل في الطلاق الثلاث بخلاف الدائم ، كما لا يعتبر المتزوج متعة محصنًا ، بمعنى أنه لو زنى فإنه يجلد ، وأنه لا يترتب على نكاح المتعة نفقة للزوجة ولا سكنى بخلاف النكاح الدائم ، وعدة المتمتع بها خمسة وأربعون يومًا بخلاف الدائم [٢] .

---

(١) كاشف الغطاء أصل الشيعة وأصولها ، ص١٠ .

(٢) الكاظمي القزويني ، الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ، ص٢٢١ – ٢٢٤ .

ولا تقتصر هذه المتعة على المرأة أو الفتاة غير المتزوجة ، وإنما قالوا بجواز التمتع بالمتزوجة أيضًا ، أو من كانت في فترة عدتها ، ويستحب فقط سؤالها قبل الزواج إن كانت ذات بعل أو ذات عدة أم لا !!! ، فقط من باب الاستحباب على أن ذلك ليس بشرط في صحة هذا الزواج ، ويكتفى في ذلك بقولها دون فحص وتفتيش عن حالها ، يقول علامتهم الأكبر ومرجعهم الأعظم آية الله الخميني « مسألة ١٧ : يستحب أن المتمتع بها مؤمنة –أي من بنات المذهب – والسؤال عن حالها قبل التزويج والسؤال عن حالها أنها ذات بعل أو ذات عدة أم لا ، أما بعده فمكروه ، وليس السؤال والفحص عن حالها شرطًا في الصحة »[١] .

و كالعادة يؤيدون ذلك بعدد من الروايات المكذوبة على الإمام جعفر الصادق منها :

عن فضل مولى محمد بن راشد عن أبي عبد الله – يقصد جعفر الصادق – قال : قلت : إني تزوجت امرأة متعة فوقع في نفسي أن لها زوجا ففتشت عن ذلك فوجدت لها زوجا قال : ولم فتشت ؟[٢] .

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله في المرأة الحسناء ترى في الطريق ولا يعرف أن تكون ذات بعل أو عاهرة فقال : ليس هذا عليك إنما عليك أن تصدقها في نفسها[٣] .

هذه فقط مجرد إشارات لمسألة نكاح المتعة وأصلها وحكمها ، ومن رام المزيد فليرجع إلى مظانه[٤] .

---

(١) الخميني ، تحرير الوسيلة ، ٢٩٢/٢ .

(٢) الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ٧ /٢٥٣ ، باب ٢٣ : ضروب النكاح .

(٣) المفيد ، رسالة المتعة ، ص١٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال : نكاح المتعة عبر التاريخ وفيه إلزام الشيعة بتحريمها في الشريعة .عطية محمد سالم وهو مقدمة لكتاب : أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي تحقيق وتخريج حماد الأنصاري ، كتاب الشيعة والمتعة لمحمد مال الله ، تقديم نظام الدين محمد الأعظمي ، كتاب الكافي الممتع المفيد =

ولا أعتقد أنني في حاجة هنا إلى تعليق عن مدى ما تسببه هذه الفتاوى بهذا التأصيل إلى التفسخ الاجتماعي وانتشار الخيانة الزوجية على ما أشارت إليه الكاتبة الشيعية شهلا الحائري وغيرها ، فضلا عن اختلاط الأنساب وكثرة اللقطاء وانتشار البغاء حتى في أقدس الأماكن عندهم ، وهو ما تعاني منه بشدة المجتمعات الشيعية ، وهو ما لم يستطع رئيس مصلحة تشخيص النظام رافسنجاني أن ينكره ، وأختم بقول أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي : أنه أنشدني أبو الغنائم محمد بن علي النرسي الكوفي بقوله :

ألا يا صاح أخبرني بما قد قيل في المتعة
ومن قال حلال هي كمن قد قال في الرجعة
كذبتم لا يحب الله شيئًا يشبه الخدعة
لها زوجان في طهر وفي طهر لها سبعة
إذا فارقها هذا أخذها ذاك بالشفعة
فهي من كل إنسان لها في رحمها متعة[١] .

٤ - الميراث : تتجلى في أحكام الميراث في الفقه الشيعي أثر نظرية الإمامة الإلهية في سياقها السياسي و التاريخي لقضية ميراث الزهراء من فدك ، والانتقام من أم المؤمنين عائشة ، رضي الله تعالى عنهما ، لحصولها على حقها في وراثة بيت النبي ﷺ (بيت الزوجية) ، وذلك حسب تأصيلهم التالي :

= والرد المفحم السديد في نقض المتعة ليعقوب بدر عبد الوهاب القطامي ، كتاب تحريم المتعة في الكتاب والسنة ليوسف جاد المحمدي ، وكتاب نكاح المتعة بين الإباحة والتحريم لأحمد عوض أبو الشباب ، كتاب نكاح المتعة حرام في الإسلام لمحمد الحامد ، وكتاب نكاح المتعة دراسة وتحقيق لمحمد عبد الرحمن هميلة الأهدل ، وكتاب المتعة الزواج المؤقت عند الشيعة لشهلا الحائري .

(١) أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ، حكم نكاح المتعة ، تحقيق وتخريج إسماعيل الأنصاري ، ص١٠٧ .

- وراثة الابنة لكل التركة في حال عدم وجود وارث رئيسي آخر بحيث يحرم العصب الوارث .

- عدم وراثة الزوجة للعقار ، وقد نسبوا في ذلك روايات للإمام الباقر - أي أبو جعفر الصادق - مثل قوله : « إن المرأة لا ترث في تركة زوجها من القرى والدور والسلام والدواب شيئًا ، وترث من المال والفرس والثياب ومتاع البيت مما ترك ويُقَوم النقلين : الأبواء والجذوع والقصب فتعطى حقها منه »[١] .وقد علل شيخهم ابن بابويه القمي المعروف بالصدوق علة ذلك في كتابه (علل الشرائع) بما يزعم نسبته إلى أبي عبد الله جعفر الصادق أنه أجاب عن سؤال ميسرة عن النساء ما لهن من الميراث ؟ بقوله : لهن قيمة الطوب والبناء والخشب والقصب ، فأما الأرض والعقار فلا ميراث لهن فيهما ، قلت - أي ميسرة - : الثياب لهن ؟ قال : نصيبهن فيه ، قلت : كيف هذا ولهن الثمن والربع المسمى ؟ قال : لأن المرأة ليس لها نسب ترث به وإنما هي دخلت عليهم ، وإنما هكذا لئلا تتزوج المرأة فيجيء زوجها أو ولدها من قوم آخرين فيزاحمون هؤلاء في عقارهم » ... عذر قبيح وذنب أقبح لمخالفته قول الله تعالى المحكم : ﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء : ٧] .

وللأسف هذا وضع المرأة المزري في الفقه الشيعي بين التسليع لمن يدفع - متزوجة أو غير متزوجة - بحجة زواج المتعة ، وهي التي كرمها الله تعالى وحفظ لها كرامتها وشرفها ، وبين حرمانها مما فرض الله تعالى لها ، أو إعطائها ما لا تستحق إذا انفردت مع حرمان عصبتها الوارثة .

وبذلك ضيقوا دائرة المشتركات بينهم وبين جمهور المسلمين وتوسعوا في

(١) الكليني ، المصدر السابق ، ٢/ ٤٩٢ .

المختصات مع التركيز على إثارة نقاط الاختلاف .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧] .

ب – الفتن والاحتراب الداخلي :

لقد شكل الانكفاء الداخلي والمقاطعة الاجتماعية تعزيزًا لثقافة الحقد والكراهية التي عززتها النصوص المقدسة – عند الشيعة – بنسبتها للأئمة ، بالإضافة إلى منهجة هذه الثقافة لتستعر حالة الشحن العاطفي ويزيد الاحتقان الداخلي عند الطائفة ؛ الأمر الذي أدى ويؤدي دائمًا إلى الصدام الدائم بين جمهور الأمة من السنة وبين الشيعة ، وبخاصة في المناسبات المقدسة عندهم مثل : يوم عاشوراء ، أو غدير خم ، وبعد قيام الدول الشيعية التي كانت تحت مظلة الدولة العباسية مثل البويهية (٣٢٠هـ/٩٣٣م – ٤٤٧ هـ/ ١٠٣٨م) والحمدانية (٢٩٣هـ/٨٩٠م – ٣٩٤ هـ/ ١٠٠٣م) ، أو التي انسلخت عنها مثل : دولة الإسماعيلية باليمن (٢٦٦ – ٣٠٣هـ) ، والعبيدية الفاطمية بالمغرب ومصر (٢٩٦هـ/٩١٠م – ٥٦٧هـ/١١٧١م) ، أو ما حدث في مدينة لكهنو بالهند إبان الاحتلال الإنجليزي للهند عام (١٨٥٧م) ، والذي أعلنها فيما بعد مدينة شيعية يتعرض فيها الصحابة ، رضي الله عنهم ، للسب والشتم علنا ، ويحرُمُ على أهل السنة فيها تعظيمهم ، فسالت الدماء السنية دفاعًا عن عقيدتهم ، ومن ثم أنشأ لهم الاحتلال الجامعات والمدارس الشيعية بها وفرض حمايته لها[١] .

ليعمق الانقسام ويزيد الاستقطاب الطائفي داخل المجتمع المسلم السني من

(١) خادم إلهي بخش ، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية ، ص٢٩٥ – ٢٩٨ .

يوم دخله الإسلام فاتحًا ، وهو ما يؤكد الدور الوظيفي للتشيع في خدمة أعداء الأمة الإسلامية على مر التاريخ .

ثالثًا : الخطر السياسي والدور الوظيفي للتشيع في خدمة استراتيجيات أعداء الأمة :

يكاد أن يجمع المؤرخون وعلماء المقالات قديمًا وحديثًا أن التشيع منذ أن وضع ابن سبأ بذرته نشأ كعقيدة تهدف إلى الانحراف بعقيدة المسلمين ، وكمنهج ينثر بذور الفُرقة والاضطراب داخل الدولة الإسلامية ، وقد نمت شجرته وترعرعت في شكل عددٍ من الفرق الباطنية التي شكلت تحت ستار حب أهل البيت حركاتٍ للخروج والثورة الدائمة والاستنزاف القوي لمقدرات الدولة الإسلامية ، فمارست تلك الفرق دورًا سياسيا سلبيا بامتياز حيث لم تكتف بعدم المشاركة في أي من الفتوحات الإسلامية ، ولكنها كانت مِعولَ هدمٍ وتخذيلٍ وإرباكٍ لقوى الدولة بإثارتها الاضطرابات الفكرية والاجتماعية في الداخل ، ومُمالأة أعدائها والتعاون معهم في الخارج ، على اعتبار أنه لا دولة في غيبة الإمام المعصوم ، وبالتالي فإن حكامها طواغيت يجب مقاطعتهم ، وأوضح مثال على ذلك ما فعله البويهيون من تعطيل الجهاد وعدم دعم ومشاركة المقاطعات والدول الإسلامية المجاورة في الذَّوْد عن الثغور الإسلامية الكبرى تحت دعوى عدم مشروعية الجهاد في غيبة الإمام المعصوم ، مما أعطى الروم الفرصة لاحتلالها ، في الوقت الذي تحالف فيه العُبيديون (الفاطميون) مع الصليبيين ضد السلاجقة السنة ، ومن بعد ذلك ضد صلاح الدين الأيوبي ، ولعل ما فعله الشيعي مؤيد الدين العلقمي وزير الخليفة العباسي المستعصم بالله أوضح من ذلك عندما أغرى (هولاكو) حاكم التتار بغزو بغداد حاضرة الخلافة (١٢ محرم ٦٥٦هـ) وأيده في ذلك العالم الشيعي (نصير الدين الطوسي) الذي حرض (هولاكو) على قتل

الخليفة والانتقام من أهل السنة ، وكان رد جميل الخيانة تعيينه وزيرًا في بلاط هولاكو التتري .. ولو طاوعتُ القلم في الاستطراد وسرد صفحات سجل الخيانة لخرجت عن سياق البحث ، ولكن أكتفي بتلك الإشارات لأصِلَ الماضي بالعصر الحديث ، وبالتحديد منذ قيام الدولة الصفوية (٩٠٧هـ /١٥٠٧م - ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م) التي شيدت بنيانها على جماجم وأشلاء الملايين من المسلمين من أهل السنة بإيران والدول المجاورة لها ، وذلك نتيجة لموازنات دولية دعت إليها حاجة دول الغرب وروسيا القيصرية لوقف الزحف العثماني المتوغل داخل الأراضي الأوربية ، وإشغال السلطان العثماني عن تحقيق رغبته في التحالف مع السعديين لاسترداد الأندلس من الأسبان ، ومن ناحية أخرى لتأمين العمق الاستراتيجي للإمبراطورية الروسية من الزحف العثماني الذي كان يكتسح أوربا آنذاك .

ومنذ ذلك الوقت وقد اضطلعت الدولة الشيعية بدور وظيفي مهم ضمن الاستراتيجية الغربية يحقق لها أطماعها التوسعية على حساب الدول الإسلامية الأخرى ولو أدى ذلك لاحتلال تلك الدول ونهب ثرواتها وتمكين الأجنبي منها من خلال تعاون الصفويين المبكر مع الاستعمار البرتغالي الذي برز بعد سقوط الأندلس ، والذي كان لا يخفي صليبيته الفجة وأطماعه في احتلال مكة والمدينة ونبش قبر الرسول الأكرم ﷺ للمساومة على جسده الشريف باستلام القدس ، وقد أرسل القائد البرتغالي البوكيرك مبعوثه الخاص « روي جوميز » سنة ٩١٥ هجرية إلي الشاه إسماعيل الصفوي (٢٢ رجب ٨٩٢هـ/٢٥يوليو١٤٨٧م - ١٨رجب ٩٣٠هـ/٢٣مايو١٥٢٤م) برسالة يقول له فيها : [إني أقدر احترامك للمسيحيين في بلادك ، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند ، وإذا أردت أن تنقض علي بلاد العرب ، أو أن تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة ، أو في

---

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج ، ص١٧.

عدن ، أو في البحرين ، أو في القطيف ، أو في البصرة ، سيجدني الشاه بجانبه على امتداد الخليج الفارسي ، وسأنفذ له كل ما يريد »(١) .

ومن خلال هذا التعاون بدأت الدولة الصفوية الشيعية تنفذ خطط إرباك الدولة العثمانية بتكوين الجيوب الشيعية وانتشار الخلايا النائمة مع إثارة القلاقل ودعم الثورات في مناطق الأناضول مما اضطر السلطان سليم الأول العثماني (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م - ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) إلى إيقاف زحفه في أوربا وإنهائه لحصار فيينا ليعود سريعا لإخماد ثورات الأناضول ، وعلى مدار أكثر من مئتي عام تم استخدام الورقة الشيعية في حروب استنزاف للدولة العثمانية لصالح استراتيجية الدول الغربية التي تكالبت على تلك الإمبراطورية بعد أن أصابها الوهن جراء ذلك لتقتطع دولها وأقاليمها ، وبذلك تخلص الغرب نهائيًا من الخطر الإسلامي الذي كان يقض مضاجعهم ، ولعل في تصريحات سفراء الدول الغربية في بلاط الشاه الصفوي ، أو البلاط العثماني أصدق تعبير عن ذلك ، يقول سفير فرديناند ملك البرتغال في البلاط العثماني : « إن ظهور الصفويين قد حال بيننا - يقصد الأوربيين - وبين التهلكة - أي على أيدي العثمانيين - » ، ويقول آخر : « لولا توقف العثمانيين عند أبواب فيينا بمؤامرة من الدولة الصفوية بإيران ، لأصبح الأذان يؤذن من فوق أبراج كاتدرائية القديس بطرس - يقصد الفاتيكان - وكان خبز الكراسون يصنع على هيئة الهلال ليأكله الأوربيون في أعيادهم » .

وهذا ما أكده ثالث بقوله : « لولا الصفويون في إيران لكنا في بلجيكا وفرنسا نقرأ القرآن الآن كالجزائريين »(٢) .

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي ، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا ، ص٤٥ . وللمزيد انظر للمؤلف : الدولة الصفوية مؤامرة سياسية أم فتنة دينية ؟

في الوقت الذي لم يتخل الغرب عن استخدام الدولة الشيعية ، لم تتخل تلك الدولة أو أتباع تلك الفرقة على اختلافهم عن القابلية للاستخدام والتحالف مع أعداء الأمة كلما سنحت لهم الفرصة وأصبح هذا الأمر لازمًا ونهجًا لهم ، وقاعدتهم في ذلك : « أن الغرب لم يغتصبوا الخلافة ولم يتأمروا على الإمام علي ، وما قتلوا الحسين عليه السلام » كما صرح أحدهم .. وأيم الله لم يخذل الإمام عليًّا إلا هم ، وما قتل الحسين إلا أولئك القوم الذين يدعون حبه والتباكي على ما حدث له ولآل بيته الكرام على أيديهم ... ولكن كما يقال : رمتني بدائها وانسلت!!! ، والشيعة الإمامية بجميع فرقها في ذلك سواء ولم يختلف الشيعة الإسماعيلية عن الاثني عشرية في ذلك ، مثال ذلك : عندما اندلعت الحرب الأوربية – الأوربية الأولى عام ١٩١٥م (المعروفة بالحرب العالمية الأولى) ذهب إمام الطائفة الشيعية الإسماعيلية أغا خان الثالث إلى لندن وصرح فور وصوله : « لو سُمح لي بخوض الحرب لدافعت عن بريطانيا حتى آخر قطرة من دمي » ، ولذلك أصدر فرمانًا يحض أتباعه على الإخلاص للدولة البريطانية بقوله : « الفريضة الأولى على جميع أبنائنا الروحيين أن يذودوا عن حمى بريطانيا ، وأن يتعاونوا معها بكل جهد مستطاع ، وأن يخلصوا لها في كل ما يمكنهم القيام به ؛ لأن الدولة البريطانية حارسة للدين – لا أدري أي دين يقصد؟ – ، هادفة إلى الخير ، مدافعة عن الحرية ، لذا يجب عليكم الآن تقديم الخدمات غير المحدودة لهذه الدولة بأمانة وتفان لا يماثلكم فيهما بشر على هذه الأرض »[١] .

وبناءً على هذه العقيدة وتلك الأوامر تطوع (علي خان) ولي عهد الأغا خان الثالث في الجيش الفرنسي عام ١٩٣٩م ، ومن بعده الجيش البريطاني ، وبعد

(١) خادم إلهي بخش ، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية ، ص٣١٦ – ٣١٧ .

احتلال سوريا ولبنان عمل كضابط ارتباط بين الجيشين الفرنسي والبريطاني ، ثم حارب في ليبيا في صفوف الجيش البريطاني وتدرج في المناصب حتى وصل إلى رتبة زعيم عام ١٩٤٥م ، وتقديرًا لخدماته كضابط اتصال منحه الجيش الأمريكي وسامًا رفيعًا[١] .

والأمر لا يختلف كثيرًا إن يممنا وجهنا شطر النصف الثاني من التشيع الإسماعيلي ، أعني البُهرة ، حيث وهب الداعي الحادي والخمسون (طاهر سيف الدين) للدولة البريطانية أموالًا طائلة ، وأقرضها أخرى ، وحث أتباعه على نهج نفس النهج ، في الوقت الذي كان المسلمون في الهند يخططون لطردهم من شبه القارة الهندية ويدعون لعدم مساعدتهم في تلك الحرب ليقينهم التام بأن الغرب يريد أن يمزق الخلافة العثمانية ، والإجهاز عليها وتوزيع ولاياتها ودولها بين المغتصبين الأوربيين[٢] .

ولم يخرج هذا الدور الوظيفي للدولة الشيعية في إيران عن قواعد اللعبة الغربية ، سواء كان متخفيا تحت التاج الكسروي بشعاراته القومية الآرية كما في عصر الشاه أيام المد القومي الذي اجتاح المنطقة وصاحبه حركات التحرر الوطني فلعب الشاه دور شرطي الخليج العربي بدعم إنجليزي أمريكي كفزاعة تكرس الوجود والتبعية

(١) مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٢) خادم إلهي بخش ، مرجع سابق ، ص٣٠٢ - ٣٠٣. ، وهو ماحدث حيث حصل النصارى في لبنان على السلطة ، واليهود في فلسطين ، والعلويون في سوريا ، واليوم وفي ظل الاحتلال الأمريكي الجديد حصل الأكراد العالمانيون على حكم شمال العراق ، والشيعة الاثنا عشرية على حكم باقي العراق ، وتولى الشيعة الإسماعيلية (زرداري) حكم باكستان ، وغير معروف اللون والرائحة « كرزاي » أفغانستان مع تبوؤ الشيعة فيها لأول مرة عددًا من المناصب الوزارية ، وإنشاء عدد من المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية ، بالإضافة لعدد آخر من الجامعات والمنظمات الشيعية ؟!

للغرب في دوله بزعم حمايتهم من أطماع الشاه ؛ فتحتَ حماية الإنجليز احتلتْ جيوش (رضا خان) عام ١٩٢٥م منطقة الأحواز العربية ، وقبل انسحاب بريطانيا من الإمارات العربية بثمانٍ وأربعين ساعة احتلت قوات ابنه (محمد رضا خان) شاه إيران الجزر الثلاث العربية : (طنب الكبرى ، طنب الصغرى ، أبو موسى) في ٣٠ / ١١/ ١٩٧١م[١] .

وبمساعدة بريطانيا نجحت إيران في تثبيت ادعائها بالحق في شط العرب وفقًا لمعاهدة أرضروم عام ١٨٤٧م ، ثم بمعاهدة ١٩٣٧ م ، ناهيك عن مساعدتهم في تثبيت أقدام الإيرانيين في البحرين ودبي ، من خلال عصابة من الإيرانيين ، بزعامة الميجور البريطاني (لوريمر) ، وفي قطر من خلال نادي (تاج) المرتبط بدار الاعتماد البريطانية مباشرة ، أو لإشغال العالم الإسلامي في صراع القوميات ما بين عربية وفارسية وطورانية من ناحية أخرى ، أم كان هذا الدور تحت عمائم الملالي باسم الإسلام للالتفاف على تيار الصحوة الإسلامية السنية الجارف الذي بدأ يعيد لأذهان الغربيين دولة الخلافة الإسلامية وأيام مجدها ، فكان لا بد من إشغاله من الداخل من خلال بعث حرب الأفكار والعقائد المتناقضة (وإن شئت فسمها الفوضى الخلاقة) ، ودعم الجانب الطائفي أو العرقي الأضعف فيها لإطالة أمد الصراع والشقاق داخل المجتمعات الإسلامية ، وبالتالي ولم يفت على الغرب ولا روسيا إعادة إحياء الملف الشيعي بشكله الصفوي للتمهيد لفكرة الشرق الأوسط الكبير ، أو الجديد بعد التعديل ، أو لسايكس / بيكو الجديدة من خلال ما نشر عن نظرية مستشار الأمن القومي الأمريكي (زيغينو بريجينسكي) عن قوس الأزمة وخاصة القوس الجنوبي (ما

---

(١) ومن قبلهم احتلت قوات الشاه جزيرة هانجام القريبة من رأس الخيمة في عام ١٩٥٠م ، وفي عام ١٩٦٤م احتلوا جزيرة سرى الواقعة بين أبو ظبي والشارقة والتي أسسوا فيها مطارًا حربيًا ، أما جزيرة الغنم التابعة لعمان فقد احتلوها أيضًا لموقعها الاستراتيجي على مضيق هرمز .

يطلق عليه الشرق الأوسط) وقد ازدادت وتيرة ذلك بعد تفكك القوس الشمالي (الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية) وانهياره ، وما نتج عنها من فكرة المفكر الأمريكي (فوكوياما) من نهاية التاريخ ، وما دعا إليه المفكر الأمريكي الآخر القريب من البيت الأبيض (برنارد لويس) – المتخصص في تاريخ الشيعة الإسماعيلية – عن حدود الدم وإعادة تقسيم المنطقة ورسم الخريطة الجيوسياسية لها على أساس مذهبي تارة ، أو عرقي اثني تارة أخرى لتمرير مفاهيم العولمة وتكريس التبعية للغرب وأمريكا تحديدًا ليصبح القرن الواحد والعشرون في النهاية قرنًا أمريكيًا ، وكما لعب الملف الشيعي دورًا رئيسًا في السابق يمكن أن يلعب نفس الدور في الوقت الحاضر، ؛ لذلك تخلت الإدارة الأمريكية بقيادة (كارتر) – الذي كان يرأس مخابراته آنذاك جورج بوش الأب – بكل سهولة عن حليفها الوفي الشاه (محمد رضا بهلوي) ليموت طريدًا عام ١٩٨٠م خارج بلاده ، ويدفن بالقاهرة بعد أن ساعدت (الخميني) ابتداءً من الحرب الدعائية إلى تجهيز الأسلحة والذخيرة وانتهاءً بالاتفاق مع قادة الجيش بتوجيه الإنذار الأخير للشاه بضرورة مغادرة إيران في يناير١٩٧٩م ، وقد عبر الشاه في تصريح خاص لبعض الزائرين الأمريكيين في منفاه بقوله : إنه تلقى تقارير مفادها أنه ربما كان الأمريكيون بالاشتراك مع شركات النفط متورطين في إثارة بعض الاضطرابات الأخيرة[١] .

وهو ما صرح به لمجلة التايم الأمريكية : « بأنه منذ ١٥ عام أقام الأمريكيون اتصالات مع المنشقين » ، ليتربع (الخميني) على عرش الطاووس في ١٩٧٩/٩/٢م تحت شعارات إسلامية تدغدغ العواطف وتأسر القلوب لينفذ من خلاله إلى المجتمعات السنية مستخدمًا التقية السياسية بشكل بارع ، وإن شئت الدقة مستخدمًا الباطنية السياسية التي تعلن ضد ما تبطن لا من أقوال فقط ولكن من أفعال

---

(١) (صحيفة كريستيان سانيس مونتيور ، ترجمة الصحف العربية ٧٨/٢/٣٠) .

ومعاهدات ومؤامرات سرية ، وذلك وفق ما يطلق عليه في الفارسية (بشت برده) أي دبلوماسية ما وراء الستار ، وفيها يتقاطع المشروع الأمريكي الإنجيلي مع مشروع الخميني الداعي لأن يكون القرن الواحد والعشرون هو قرن الدولة المهدوية على ما وضحته نصوص عصر الظهور عندهم ، وبالتالي يجب تهيئة الظروف لهذا الخروج المرتقب منذ أكثر من ألف وثلاث مئة عام ، وأن تعد له الجيوش التي سيغزو بها العالم- الإسلامي السني طبعًا من بغداد إلى كوالالمبور كما صرح الخميني - مع المشروع الصهيو/ أمريكي الداعي للسيطرة الذكية على العالم الإسلامي ، انخدع المسلمون بالخميني وثورته ، وظنوا أنها ثورة إسلامية تناصر المستضعفين من المسلمين ، ورأوا فيها بارقة الأمل للانعتاق من إسار الشرق أو الغرب ، ولكن خاب ظنهم في ثورته لما انكشف لهم عوار مذهبها وافتضح أمر المحاولات المستمرة لتصديرها « بهدف إقامة حزام شيعي للسيطرة على العالم الإسلامي يتألف ابتداءً من إيران والعراق وسوريا ولبنان - الهلال الشيعي - وعندما يصبح سيدًا لهذا الحزام سيستخدم النفط وموقع الخليج الفارسي - العربي - للسيطرة على بقية العالم الإسلامي »[١] .

ويضيف أبو الحسن بني صدر - أول رئيس لجمهورية إيران بعد ثورة الخميني - في حواره في برنامج (لقاء خاص) بقناة الجزيرة الفضائية ، قائلًا : كان الخميني مقتنعًا بأن الأمريكيين سيسمحون له بتنفيذ ذلك ، وقلت له : « إن الأمريكيين يخدعونك ، رغم نصائحي له ونصائح الرئيس عرفات فإنه لم يكن يريد الاقتناع » .

وعندما أتكلم عن إيران لا أقصد إيران كدولة ، ولكن أقصد إيران كمشروع يتبنى التشيع عقيدة ومنهجًا يسعى للانحراف بالأمة عن عقيدتها ومسارها الحضاري ويعمل على تفكيك أوصالها وإعادة الوجود الأجنبي للتحكم في مقدراتها واستغلال

---

(١) لاحظ هنا منتهى طموح الخميني ومشروعه الشيعي السيطرة على العالم الإسلامي فقط ، أما بلاد غير المسلمين ومهمة هدايتهم وتبليغهم دين الله تعالى فلم تخطر له على بال ؟؟!!

خيراتها ، في الوقت الذي يحقق طموحه في إعادة حدود الإمبراطورية الساسانية الفارسية بالتمدد داخل الدول العربية ، ولكن تحت مظلة الدين الإمامي الاثني عشري على أنه الإسلام الصحيح بعد فشل مشروع الشاه (محمد رضا بهلوي) القومي الفارسي الصريح لاصطدامه بالمشروع القومي العربي –رغم فشله – فما كان إلا استنساخ حصان طروادة جديد لاختراق وشق الصف العربي والمسلم السني كخطوة لتحقيق ذلك الطموح .

والمتابع للشأن الإيراني يجد الاهتمام البالغ في ترسيخ هذه المعاني المهدوية بوسائل وأساليب مختلفة تغذي الضمير الجمعي للشيعة وتوجههم نحو هدف واحد هو أن دولتهم الحالية هي الممهدة لخروج المهدي ، وينبغي أن يكون الشعب جميعًا جنوده .. وللأسف هذا الغلو الملازم للنهج الصفوي أصبح هو الأعلى صوتًا والمؤثر حتى على الشيعة والعرب منهم بشكل عام والذين لم يعدم من بينهم الإصلاحيون الحقيقيون بدرجاتهم المتفاوتة الذين يعلنون رفضهم لهذا النهج ويعلنون براءتهم منه.

ولكن العجيب أن يتوافق الطموحان وأن تتشابه العقيدتان : ففي الوقت الذي يمارس فيه بوش الأب ومن بعده الابن تلك القدرية السياسية لاستعجال عودة المسيح المنتظر حسب عقيدتهم الأصولية الإنجيلية ، وذلك بتدمير العراق تدميرًا تامًا كشرط لعودة المسيح وإقامة مملكة الرب في فلسطين ، وأن قيام اسرائيل ممهد لذلك في عقيدتهم على حسب رؤيا يوحنا العراف (اللاهوتي)[١] .

---

(١) وهو بحث كتبه يوحنا العرّاف –الملقّب باللاهوتي – في أواخر الستينيات من القرن الأول الميلادي ، لم يكن يُعتبر سفرًا مقدسًا وقت كتابته وحتى حلول القرن الرابع الميلادي ، إذ بعد مؤتمر نيقية ٣٢٥م طلب الإمبراطور قسطنطين من يوزيبيوس أسقف قيسارية إعداد « كتاب مسيحي مقدس » للكنيسة الجديدة ، ومن الراجح أنه قد أضيف إلى الأناجيل بعد زمن يوزيبيوس بكثير ، ومن بعدها أصبح لهذا السفر مكانته المؤثرة والمحركة للعقل الجمعي للطوائف البروتستانت والجماعات الصهيونية المسيحية من خلال شبكة هائلة من مئات الإذاعات وقنوات التلفزيون يقوم عشرات الألوف من الوعّاظ الأمريكان في =

(في العهد الجديد) ، وعلى رغم أن أكثر هذه النبوءات غامضة ورمزية ، فإن النصوص التي تتعلق بالعراق واضحة ، وفيها يرمز إلى العراق باسم (بابل) ، الذي كثيرًا ما يستعمل في العهدين القديم والجديد إشارة إلى البلد ، وردت في ٨/١٦ : (وحدثت بروق وأصوات ورعود وحدث زلزال شديد لم يحدث مثله بهذه الشدة منذ أن وجد الإنسان على الأرض ، وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام ، وانهارت مدن الأمم ، وذكر الله بابل العظيمة ليناولها سورة غضبه)[١] .

وفيه إشارة إلى أن فكرة تقسيمها إلى ثلاث دول فكرة إنجيلية وليست وليدة الأحداث الأخيرة ، وفي ٥/١٧ : (وعلى جبينها اسم مكتوب فيه سر ، والاسم (هو) بابل العظيمة ، أم بغايا الأرض وقبائحها)[٢] .

وجاء في ١/١٨ من هذا السفر : (رأيت بعد ذلك ملاكًا آخر هابطًا من السماء ، له سلطان عظيم ، فاستنارت الأرض من بهائه ، فصاح بصوت شديد : سقطت بابل ، سقطت بابل العظيمة)[٣] .

ومع قسوة وشراسة القصف الأمريكي لم تسقط بابل سقوطًا عظيمًا ، وبالتالي لم يتحقق في عهد بوش الأب هذا التدمير التام ، فجاء بوش الابن الأشد هوسًا بنبوءات التوراة والإنجيل ليكمل مسيرة الأب في تدمير العراق كهدف استراتيجي لصالح إقامة مملكة الرب الذي يمهد لها فرضية وجود إسرائيل ، على أن العراق موصوفة في النبوءات بأنها ضد المسيح ، فلا يستغرب إذًا أن تخرج فلتة من لسان

= الكنائس وعلى الإذاعات والتلفزيون ومدارس الأحد بالتغلغل في قلوب وعقول عشرات الملايين من الأمريكيين منهم أعضاء بالكونجرس ووزراء بالإدارة الأمريكية منهم : كوندليزا رايس و ...

(١) سفر يوحنا ، ٨/١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ٥/١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ١/١٨ .

الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش تعبر عن دخيلة نفسه بوصفه حربه الأخير على العراق (٢٠٠٣م) بالحرب الصليبية القذرة ، ويعترف شريكه في الجريمة توني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق بقوله : « أدرك أن الحرب الجديدة أيديولوجية »[(١)] .

وفي المقابل نجد الخميني وأتباعه من الشيعة على عكس عقيدتهم الجبرية في الانتظار التي تحثهم على الرضوخ والاستسلام وعدم مقاومة ولاة الأمور لحين خروج المهدي ، ويوافقهم فريق الحجتية[(٢)] في كسر القاعدة بممارسة تلك القدرية

---

(١) وقد اشتهر بين الساسة والرؤساء هذا الهوس الإنجيلي للإدارة الأمريكية في عهد ريجان ومن بعده بوش الأب ، وكذلك بوش الابن ، وكان أحد المحركات البارزة للسياسة الخارجية الأمريكية ، يقول الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك إنه في مطلع ٢٠٠٣ تلقى مكالمة هاتفية من الرئيس بوش الابن فوجئ فيها بطلب ضم الجيش الفرنسي لقوات التحالف الدولية ضد العراق ، مبررًا ذلك بتدمير آخر أوكار يأجوج ومأجوج مدعيًا أنهما مختبئان في الشرق الأوسط قرب مدينة بابل القديمة ووصفها بالحملة الإيمانية المباركة ، وتنفيذًا للواجب الإلهي المقدس ، الذي أكدت عليه نبوءات التوراة والإنجيل ، وعبر شيراك أنه لم يصدمه طلب انضمام فرنسا لقوات التحالف بقدر صدمته في سطحية وتفاهة تفكير الرئيس الأمريكي زعيم أعظم دولة في العالم على حد قوله : « هذه ليست مزحة ، فقد كنت متحيرًا جدًا ، بعد أن صعقتني هذه الخزعبلات والخرافات السخيفة ، التي يؤمن بها رئيس أعظم دولة في العالم ، وأضاف : أصدق في حينها أن هذا الرجل بهذا المستوى من السطحية والتفاهة ، ويحمل هذه العقلية المتخلفة ، ويؤمن بهذه الأفكار الكهنوتية المتعصبة ، التي سيحرق بها الشرق الأوسط ، ويدمر مهد الحضارات الإنسانية » . للمزيد انظر : النبوءة والسياسة لجريس هالسيل ، ومن يجرؤ على الكلام لبول فندلي ، والبعد الديني للسياسة الأمريكية ليوسف الحسن . ولذلك فرق كبير بين : السياسة التي تصنعها عقيدة ، والعقيدة التي تصنعها السياسة .

(٢) الحَجَتية جماعة شيعية متعصبة اسمها اشتق من الحُجة وهو الإمام الثاني عشر المنتظر عند الإمامية ، وتعمل من خلال جمعية (الجمعية الخيرية الحُجتية المهدوية) التي تأسست في إيران عام ١٩٥٣م على يد محمود ذاكر زاده تولايي المعروف بـ (محمود الحلبي) ، وقد نشأت في حوزة مشهد العلمية ردًا على انتشار البهائية بين طلاب الحوزات في إيران فلاقت تشجيعًا ودعمًا واستحسانًا من =

السياسية لاستعجال خروج مهديهم المسردب في سامراء منذ ما يزيد على ألف وثلاث مئة عام بإشاعة القتل والدمار والهرج والمرج والفتنة العمياء المصحوبة بذلك الهوس المهدوي إذ يقول في خطاب له بمناسبة ذكرى مولد المهدي في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٤٠٠هـ : « لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم ، لكنهم لم ينجحوا ، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية ، وتنفيذ العدالة ، وتربية البشر لم ينجح في ذلك ، وأن الشخص الذي سينجح في ذلك ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم في جميع مراتب إنسانية الإنسان وتقويم الانحرافات هو المهدي المنتظر ... إنني لا أتمكن من تسميته بالزعيم ، لأنه أكبر وأرفع من ذلك ، ولا أتمكن من تسميته بالرجل الأول ،

= رموز الحوزات ، وكذلك من الشاه محمد رضا بهلوي لاستئصال أتباعها من إيران ، وتقوم عقيدتها : على الإيمان الراسخ بأن إشاعة الفوضى والفساد والظلم والقسوة في الأرض تعجل في ظهور صاحب الزمان (المهدي المنتظر) رغم رفعها شعار « لا دولة شيعية قبل المهدي » وهو ما تنازلت عنه في صفقة مع الخميني ، وقد حلل هاشمي رفسنجاني موقف جمعية الحجتية ذلك بقوله : « إن زعماء جمعية الحُجتية كانوا يرون الكفاح المسلح أمرًا سيئًا ، وكانوا يعتقدون أن الحكومة الإسلامية الخالصة في عهد إمام الزمان يمكن أن تقوم ، ونظرًا لعدم تحققها الآن فقد استنتجوا أنه من الأفضل عدم الكفاح المسلح ضد النظام والقيام بتشكيل هذه الحكومة ، وقد أسعد هذا الموقف نظام الشاه لأنه لا يصطدم به ، بل وشجع مثل هذه الجمعيات وحاول استمالتها ، وقد أدى افتقاد زعماء الحُجتية لفكر الكفاح وتجاربه إلى أن يعدلوا لائحتهم في أوائل عام ١٣٥٨ هـ. ش ، أي بعد نجاح الثورة ، ويعلنوا استعدادهم لخدمة المؤسسات والهيئات الثورية ، حيث جاء في التعديل ما يلي : إن الجمعية راغبة في استمرار نظام الجمهورية الإسلامية حتى ظهور المهدي المنتظر ـ أرواحنا فداه ـ نجد من واجبنا أن نقوم بأي خدمة في المجالات السياسية والاجتماعية اتباعًا لتوجيهات العالي القدر ، حيث يستطيع أفراد الجمعية الاشتراك في أي نشاط إعلامي أو سياسي أو عسكري أو اجتماعي تحت إشراف أو بموافقة مراجع الشيعة العظام » . ومن أبرز رجالها الرئيس الإيراني أحمدي نجاد .

لأنه لا يوجد أحد بعده وليس له ثان ، ولذا لا أستطيع وصفه بأي كلام سوى المهدي المنتظر الموعود... على جميع الأجهزة في بلادنا ، ونأمل أن تتوسع في سائر الدول ، أن تهيئ نفسها من أجل ظهور الإمام المهدي ، عليه السلام ، وتستعد لزيارته »[١] .

ومن العجيب أن لا يكمن التشابه في الهوس في انتظار المخلص سواءً كان مسيحًا هناك أو مهديًا هنا ، ولكن كذلك في اشتراط الدمار والخراب والتقسيم للعراق واستعجال ذلك حيث جعلوا خرابها ودمارها من أبرز علامات نزول المسيح هناك ، أو خروج المهدي هنا ، وعمدة ذلك عند الشيعة روايتان ذكرهما المرجع اللبناني القريب من المرشد الإيراني الشيخ (علي الكوراني) في كتابه (عصر الظهور) بقوله : « الأولى : ما رواه المفيد ، رحمه الله ، في (الإرشاد /ص٣٦١)عن الإمام الصادق ، عليه السلام : يزجر الناس قبل قيام القائم ، عليه السلام ، عن معاصيهم

---

(١) وقد أثار هذا الخطاب موجة من الاستياء والاستنكار من المجامع العلمية في عدد من الدول الإسلامية فقد أصدرت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بيانًا تستنكر ما جاء في الخطاب ونشرته جريدة العالم الإسلامي بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٠ هـ مؤكدة على أن ما جاء في خطاب الخميني يتعارض مع صريح العقيدة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف ، ويحتوي مناقضة صريحة للإسلام وما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وما أجمعت عليه الأمة وعلماؤها ، من أن النبي محمدًا هو خاتم النبيين ، وهو المصلح الأعظم للبشرية ، وهو ما أكدته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب وأوردت في بيانها الذي نشرته (مجلة دعوة الحق عدد شعبان -رمضان١٤٠٠هـ/ يوليو١٩٨٠م) إجماع كافة أعضاء المجالس العلمية بالمغرب على أن هذه الأقوال الشنيعة والمزاعم الباطلة تؤدي إلى الإشراك بالله عز وجل ، وفيها تطاول على مقام الأنبياء والمرسلين ، وكذلك في تونس أدان مفتيها الشيخ الحبيب بلخوجة هذه التصريحات وقال : إنها تشكل مساسًا بالدين ، وتتناقض مع مبادئ القرآن الكريم . وقال : إن الذي يتجاهل السنة ، ويناقض القرآن الكريم يكذب إذا ادعى أنه ينتمي إلى الإسلام أو أن يكون حاملا لرايته .. » مجموعة من المؤلفين ، نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي ، ص٤٥ - ٥٠ .

بنار في السماء وحمرة تجلل السماء ، وخسف ببغداد ، وخسف بالبصرة ودماء تسفك بها وخراب دورها وفناء يقع في أهلها ، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار) . ومثله (إعلام الورى/ص٤٢٩) بتفاوت يسير ، وعنهما (إثبات الهداة : ٧٣٣/٣ ، ٧٤٢) ، وفيه : وخسف بمنارة البصرة ، وهو يدل على أن الخسف محدود بمكان فيها ، فهو غير ائتفاكها وانقلاب أسفلها أعلاها). فإن صحت الرواية فهي تدل على أن الخسف الذي هو من علامات الظهور في مكان منها ، وفي (تفسير القمي : ٣٣٩/٢ : (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) ، قال : المؤتفكة البصرة ، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين ، عليه السلام : يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة يا جند المرأة وأتباع البهيمة ، رغا فأجبتم وعقر فهربتم ، ماؤكم زعاق وأحلامكم رقاق وفيكم ختم النفاق ولُعنتم على لسان سبعين نبيًا ! إن رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، أخبرني أن جبرائيل أخبره أنه طُوِيَت له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء وأبعدها من السماء وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضال ، المقيم فيها مذنب والخارج منها متدارك برحمة ، وقد ائتفكت بأهلها مرتين ، وعلى الله تمام الثالثة وتمام الثالثة في الرجعة) . و(الإيقاظ/ص٢٦٠) ، و(البرهان : ٤/ ٢٥٦) . من أبرز الأمور في العراق في أحاديث ظهور الإمام المهدي ، عليه السلام ، الفراغ الأمني والصراعات الداخلية في العراق والحجاز معًا ، مما يدل على أن ضعف النظام أو انهياره في هذين البلدين شرطٌ لظهور الإمام ، عليه السلام ! فقد ورد أن العراق يكون منقسمًا قبل دخول الإمام ، عليه السلام ، إليه على ثلاث رايات ! (يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له . ويدخل حتى يأتي المنبر فلا يدري الناس ما يقول من البكاء). (الإرشاد للمفيد/ص٣٦٢) » لاحظ التوافق هنا مع الرؤية الصهيونية المسيحية في تقسيم العراق إلى ثلاث دول وجعلوا من علامات الظهور أيضًا : ظهور الخراساني وقائد قواته الذي تسميه النصوص الشيعية شعيب بن

صالح ولهم في ذلك تأويل وتنزيل على واقع إيران المعاصر تجده في كتاب (عصر الظهور) للكوراني أيضًا ، والملاحظ هنا اشتراك الاستراتيجيتان في تفتيت وتقسيم العراق لأهداف عقدية وسياسية في نفس الوقت ، يقول داهية السياسة الأمريكية هنري كسينجر في مذكراته : « من يريد السيطرة على الأمة العربية والإسلامية عليه أن يدمر إرادة الأمة العراقية فهي الحلقة الرئيسية فيها » ومن يتأمل سير الأحداث في المنطقة ، وبخاصة في أفغانستان والعراق لا يخطئه النظر لأول وهلة أنه تنفيذًا لبنود الخطة الأمريكية الغربية بأيدي شيعية تم توظيفها ، وهو ما صرح به أبطحي نائب الرئيس الإيراني للشؤون القانونية والبرلمانية في ختام مؤتمر « الخليج وتحديات المستقبل » والذي عقد بإمارة أبو ظبي بتاريخ ١٣ - ١ - ٢٠٠٤ : (إن إيران قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان والعراق ، وإنه لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة) .

وهو ما أكده الرئيس الإيراني السابق علي أكبر هاشمي رافسنجاني في يوم ٨/ ٢/ ٢٠٠٢م أثناء خطبة الجمعة بجامعة طهران بقوله : « إن القوات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها ، وأنه لو لم تساعد قواتنا في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني ، يجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أمريكا أن تسقط طالبان»[١] .

ولا يخدعنك الخلاف الظاهري واللغة الصاخبة ضد الغرب والشيطان الأكبر (أمريكا) والأصغر (إسرائيل) ، لقد كشفت العديد من الوثائق والمواقف والتصريحات كثيرًا مما حاولت الباطنية السياسية للمشروع الشيعي إخفاءه من نفاق سياسي وخداع وتضليل من نفي مراجع الشيعة السياسية والدينية لتلك التعاملات ،

(١) جريدة الشرق الأوسط ، تاريخ ٩/٢/٢٠٠٢م. وللوقوف على السيناريوهات المحتملة بالمنطقة العربية في ظل الوجود الشيعي ، انظر: موقع الإخوان net.ikwan.www

أو محاولة تأويلها باسترداد جزء من الديون القديمة ، وتسريب معلومات مغلوطة وموجهة لكتيبة الصحفيين والكتاب الموالين والمناصرين ، أو المأجورين للتشويش على تلك الباطنية السياسية التي تصرح في العلن بفتوى الخميني بأن « التعاون مع إسرائيل ، سواء كان بيع الأسلحة أو مواد التفجير أو النفط لها ، يعتبر حرامًا ومخالفًا صريحًا للشريعة الإسلامية ، وأن إقامة العلاقات مع إسرائيل وأذنابها يعتبر حرامًا ومخالفًا للشريعة الإسلامية ، يجب على المسلمين مقاطعة البضائع الإسرائيلية الواردة إلى البلاد » (١) .

بينما في السر تعقد الاتفاقيات وتوقع العقود مع أعداء الظاهر ، فثمة وثائق تم الكشف عنها ، وتصريحات أخرى مثيرة يترتب عليها تساؤلات مشروعة حول طبيعة العلاقة بين المشروعين الشيعي والصهيو أمريكي وعن الهدف من عملقة المشروع الشيعي في المنطقة . وفي الواقع لست هنا في معرض التتبع والاستقصاء لمثل هذه الوثائق وتلك التصريحات لكثرتها ، ولكن يكفيني منها الإشارة إلى ما كشفت عنه الوثائق التي أفرج عنها أرشيف الأمن القومي الأمريكي في ١٢/١١/ ٢٠٠٦م والتي كشفت خبايا التعاون العسكري الأمريكي الإيراني فيما عرف بقضية إيران –جيت أو(إيران –كونترا)(٢) .

أو تلك العلاقات الإيرانية الإسرائيلية سواء كانت عسكرية أو تجارية ودور شركات (سامي عوفير) ، أو العقيد (يعقوب نمرودي) صاحب شركة التجهيزات الدولية لإزالة الملح الذي كان له دور كبير في تصدير الأسلحة لإيران ، وكذلك

---

(١) الإمام القائد في مواجهة الصهيونية ، وزارة الإرشاد الإسلامي ، طهران ، ص ٢٠ .

(٢) كانت أطراف هذه الصفقة هاشمي رفسنجاني (الرئيس الأسبق) من الجانب الإيراني ، وروبرت مكفارلين مستشار الأمن القومي من الجانب الأمريكي ، وقد تم بموجبها تقديم أسلحة ومعلومات استخباراتية عن العراق أدت إلى غزو منطقة الفاو بجنوب العراق .

شركة ناحوم منبار الذي أحيل للمحاكمة بتهمة تزويد إيران ب ٥٠ طنًا من المواد الكيمائية اللازمة لصنع غاز الخردل وبعض الرؤوس الحربية الكمیائية ، مما اضطر (نتنياهو) رئيس وزراء الكيان الصهيوني إلى إصدار مرسوم يحظر على الإعلام عدم نشر القضية حتى يداري تلك الفضيحة[١] .

الأمر الذي أثار عددًا من الصحافيين الصهاينة منهم (رؤوبين فدهستور) أحد محرري صحيفة (هارتس) الذي أعلن سخطه واستنكاره لمحاكمة (مانبار) ولذلك كشف العديد من المستور من العلاقات السرية في صدد دفاعه عنه بقوله : « لو كانت إيران حقًا عدوة بحيث يتحول المتاجر معها إلى شخص جاسوس كيف تقوم إسرائيل بالمتاجرة معها بالسلاح بما في ذلك في السنوات التي عمل فيها (مانبار) وأدين جراء ذلك ، صحيح أن الصفقات مع إيران كانت في مجال الأسلحة التقليدية ولكن هل بيع الأسلحة التقليدية للعدو هو عملية شرعية فقط ، ونقل المواد الكيماوية التي من الممكن شراؤها في السوق الحرة هو جريمة خطيرة إلى هذا الحد ؟ والأكثر من ذلك فإن جزءًا كبيرًا من الشركات الإسرائيلية التي تاجرت مع إيران فعلت ذلك بواسطة (مانبار) الذي عمل كوسيط بمصادقة وزارة الدفاع ، هل حين تريد شركة (ألبيت) بيع أجهزة متقدمة لكشف وتشخيص المواد الكيماوية ويجري ممثلوها لقاءات في فيينا بواسطة (مانبار) مع ممثلين رسميين إيرانيين ويوقعون معهم على عقود ؟ هل هذا اتصال شرعي مع العدو ؟ هل الصفقة مع مصنع (شلاون) لبيع قذائف من قبل شركة (سولتام) لإيران لا يساعد العدو في حربه ضد إسرائيل ؟ »[٢] .

ولم تقتصر الاتهامات على الأشخاص والشركات الخاصة وإنما طالت

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط اللندنية ، العدد (٧٣٥٩) .

(٢) صحيفة القدس العربي اللندنية ، ١٩/٧/١٩٩٨م ، نقلًا عن صحيفة هارتس العبرية بتاريخ ١٧/٧/١٩٩٨م .

المؤسسات العسكرية والاستخبارية الصهيونية أيضًا التي زودت إيران بكميات كبيرة من الأسلحة أيام حرب الخليج الأولى ، وهو ما كشفه المحامي (أمنون زخروني) الذي طالب بالتحقيق في الأمر . ودون أن نذهب بعيدا ونسترسل في ذكر أقوال كبار المسؤولين الإيرانيين الشيعة مثل (أبي الحسن بني صدر) أول رئيس للجمهورية بعد ثورة الخميني الذي ناقش (الخميني) في هذا الأمر مستنكرًا هذا النفاق السياسي ولكن (الخميني) أصر على موقفه في التعاون العسكري مع الكيان الصهيوني[١] .

أو ما صرح به المسؤولون الصهاينة بما يدل على عمق تلك العلاقات التي أكد عليها (مناحم بيجين) رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق ، أو بتصريح وزير الخارجية (ديفيد ليفي) في حكومة نتنياهو « أن إسرائيل لم تقل في يوم من الأيام إن إيران هي العدو »[٢] .

ولكن قد يكفي ما دونه المجرم (آريل شارون) في مذكراته - بقوله بأنه قد « توسعنا في كلامنا عن علاقات المسيحيين بسائر الطوائف الأخرى لا سيما الشيعة والدروز ، شخصيًا طلبت توثيق العلاقات مع هاتين الأقليتين ، حتى أنني اقترحت إعطاء قسم من الأسلحة التي منحتها إسرائيل ولو كبادرة رمزية إلى الشيعة الذين يعانون هم أيضًا مشاكل خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن دون الدخول في أي تفاصيل ، لم أرَ يومًا في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد ، عدونا الحقيقي هو المنظمات الإرهابية الفلسطينية »[٣] .

فعلًا صدقك وهو كذوب.. فلم يكن الشيعة أعداءً للكيان الصهيوني في يوم من

---

(١) برنامج زيارة خاصة ، قناة الجزيرة .

(٢) جريدة هارتس العبرية ١٩٩٧/٦/١ .

(٣) مذكرات آرييل شارون ، ترجمة أنطوان عبيد ، ص : ٥٨٣ - ٥٨٤ ، مكتبة بيسان ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

الأيام ، ولعل ما كشفه أول أمين عام لحزب الله[(١)] في لبنان الشيخ (صبحي الطفيلي) – الشيعي – يوضح ذلك بما لا يدع مجالا للجدال بقوله : « إن نهاية حزب الله بدأت منذ دخول قيادته في صفقات تفاهم يوليو تموز عام ١٩٩٤م وتفاهم أبريل نيسان ١٩٩٦م مع إسرائيل الذى أسبغ حماية على المستوطنات الإسرائيلية بموافقة وزير خارجية إيران » .

ويقول : « يؤلمني أن المقاومة تقف الآن حارس حدود للمستوطنات الإسرائيلية ، ومن يحاول القيام بأي عمل ضد الإسرائيليين يلقون القبض عليه ويسام أنواع التعذيب في السجون ، وفي عام ٢٠٠٥م وفي عملية تبادل الأسرى بين حزب الله والصهاينة كان من شروطها منع المقاومة الفلسطينية من اتخاذ جنوب لبنان منطلقًا لعملياتها » . وفي اعتراف صريح من (حيدر الدايخ) أحد قيادات حركة أمل الشيعية في لبنان يوضح سر ذلك بقوله : « كنا نحمل السلاح في وجه إسرائيل ، ولكن إسرائيل فتحت ذراعيها لنا ، وأحبت مساعدتنا . لقد ساعدتنا إسرائيل على اقتلاع الإرهاب الفلسطيني الوهابي من الجنوب »[(٢)] .

و هذا ما دفع (سلطان أبو العينين) أمين سر حركة فتح في لبنان أن يصرح بقوله : (لقد أحبط حزب الله أربع عمليات للفلسطينيين خلال أسبوع وقدمهم للمحاكمة ، نعيش جحيمًا منذ ثلاث سنوات ، ومللنا الشعارات والجعجعة)[(٣)] .

---

(١) صبحي الطفيلي أول أمين عام له ، وقد تركه رفضًا لمبدأ ولاية الفقيه التي تستبدل الفقيه بالإمام المعصوم في حق الطاعة والتشريع ؛ لأن طاعته من طاعة الإمام التي هي كطاعة الله تعالى تمامًا.

(٢) مجلة الأسبوع العربي ، بتاريخ ٢٤ /١٠/١٩٨٣م .

(٣) ومما يؤكد هيمنة إيران على حزب الله ، قول إبراهيم أمين أحد قادة الحزب : (نحن لا نقول إننا جزء من إيران ، نحن إيران في لبنان) ، وما جاء في البيان التأسيسي لحزب الله ، المؤرخ بشهر فبراير من عام ١٩٨٥م أنه (يلتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة ، تتجسد في ولاية الفقيه ، وفي آية الله الخميني) .

ولا أخالك قد نسيت أحداث مجزرة مخيم تل الزعتر في ١٢ أغسطس ١٩٧٦م التي شاركت فيها حركة أمل الشيعية الأحزاب النصرانية والقوات السورية والتي راح ضحيتها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ فلسطيني ، ومن تبقىٰ من أفراد المخيم نتيجة للحصار الجائر اضطروا إلى أكل لحوم الأموات من المقاتلين ولحوم الكلاب والقطط خوفًا من الموت ، أو مذبحة صابرا وشاتيلا في ١٦ سبتمبر عام ١٩٨٢م التي شاركت فيها حركة أمل العدو الصهيوني المجرم (شارون) وقائد جيشه روفائيل أيتان ، وقائد قوات حزب الكتائب الصليبية (إيلي حبيقة) أشهر من أن تذكر حيث ذبحت بدم بارد ما بين ٣٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ فلسطيني من المدنيين العزل نساءً ورجالًا وشيوخًا وأطفالًا ذبحًا ، بذريعة البحث أو القضاء على مجموعة من المقاتلين داخل المخيمين[١] .

وبالتزامن معهما كانت هناك مجازر في مخيمات برج البراجنة والمية وغيرها ، وشبيهًا بها تلك المجازر التي تمارسها اليوم فرق الموت الشيعية بالعراق وبلطجية النظام الشيعي النصيري ضد مخيمات اللاجئين بالعراق وسوريا في ظل تخاذل وصمت مخزي ومريب من كافة المنظمات الدولية والإقليمية وكافة الدول الإسلامية[٢] .

وفي الوقت الذي يذرف فيه المشروع الشيعي دموع التماسيح على ما يحدث للفلسطينيين في الأراضي المحتلة ، تجف دموعه على ما يقع للفلسطينيين في العراق وسوريا ، وكأن الدماء الفلسطينية والقضية الفلسطينية تتجزأ .. فهل هذه دماء وتلك مياه ، أم أن هذه قضية وتلك رزية ؟؟؟وبعيدًا عن الإعلام ولغة الميكروفونات نجد

---

(١) انظر كتاب : بيان نويهض الحوت « صابرا وشاتيلا –سبتمبر ١٩٨٢م » .

(٢) لم تقتصر هذه المجازر الوحشية ضد الفلسطينيين فقط ، وإنما توافدت قوات من الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني وقوات من الحوثيين في اليمن لذبح أهل السنة السوريين توطيدًا لحكم بشار الأسد .

تلك المواقف السلبية والمخزية من حزب الله ومن فيلق القدس الذي لم يطلق صاروخًا واحدًا من ترسانة الصواريخ الإيرانية العابرة من بدر وشهاب وسجيل وزلزال و.. ، والأمر ينسحب على باقي الأنظمة العالمانية التي تحكم العالم الإسلامي في أثناء محرقة غزة عام ٢٠٠٦م !!

ولعل هذا الاعتراف من حسين شريعتمداري ، أحد كبار مساعدي خامنئي يعدُّ سيد الأدلة ويقطع جهيزة كل مجادل عن الدور الخياني للأمة الإسلامية ، ولا يبرئ المشروع الشيعي من خدمة المصالح الصهيو/ أمريكية ، وذلك بقوله : « إن حزب الله لا يقاتل من أجل السجناء ، أو مزارع شبعا ، أو حتى القضايا العربية أيًا كانت ، وإنما من أجل إيران »[١] .

وبذلك يمارس المشروع الشيعي الدجل الإعلامي بشكل صاحب إعمالًا لمبدأ اكذب .. اكذب حتى تصدق نفسك ، واكذب.. اكذب حتى يصدقك الآخرون ، والكذبة الكبرى هنا زعمهم تبني قضية القدس التي جردوها من أقدس ما فيها وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله تعالى حوله حيث زور علمائهم نصوصًا قدسوها بنسبتها للأئمة من أهل البيت تنسف قضية القدس وتهون من مكانتها في قلوب المسلمين بزعمهم أنه ليس للمسجد الأقصى وجود على الأرض لا في فلسطين ولا في غيرها بدعوى أن الإمامين الباقر والصادق قد أكدا أن المسجد الأقصى في السماء الرابعة ، وأكتفي من ذلك بذكر روايتين :

الأولى : ما ذكره شيخ إسلامهم وعلامتهم (محمد باقر المجلسي) في كتابه بحار الأنوار (عن أبي عبد الله ، عليه السلام ، جعفر الصادق – وهو منه براء – قال : سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال : المسجد الحرام ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) بمعنى آخر أصبح حزب الله كقطعة عسكرية إيرانية بوجه عربي – لزوم الخدعة – على الحدود اللبنانية المغتصبة من الكيان الصهيوني كورقة ضغط لصالح خطط المشروع الشيعي الإقليمي .

قلت المسجد الأقصى جعلت فداك؟ فقال : ذاك في السماء، إليه أسري برسول الله ﷺ ، فقلت : إن الناس يقولون إنه بيت المقدس ؟ فقال : مسجد الكوفة أفضل)[١] !!

والثانية : ما نقله الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي فيما ينسبه القمي للإمام محمد الباقر ، رحمه الله تعالى ، أنه كان جالسا في المسجد الحرام ، فنظر إلى السماء مرة وإلى الكعبة مرة ثم قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [الإسراء : ١] ، فنظر إلى السماء وإلى الكعبة مرة ثم قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] وكرر ذلك ثلاث مرات ثم التفت إلى إسماعيل الجعفي فقال : أي شيء يقول أهل العراق في هذه الآية يا عراقي ؟ ، قال : يقولون : أسرى به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ، فقال : ليس كما يقولون ولكنه أسري به من هذه إلى هذه ، وأشار بيده إلى السماء وقال ما بينهما حرام[٢] .

والمثير للاستغراب حقًا هو هذه النصوص التي تهون من مكانة المسجد الأقصى في قلوب المسلمين ، والسؤال : لصالح من يتم هذا ؟ أكيد لصالح الصهاينة المحتلين الذين احتفوا بهذا الهراء وتلقفته مراكزهم البحثية والصحافية والذين يبذلون جهدهم ويختلقون الأسباب لإيجاد الذرائع المختلفة لهدم الأقصى من خلال القيام بحفريات تحت المسجد الأقصى بدعوى البحث عن تراثهم

(١) محمد باقر المجلسي . بحار الأنوار ، ٩٠/٢٢ .

(٢) وانظر : تفسير الصافي للفيض الكاشاني ١٦٦/٣ ، وتفسير نور الثقلين لعبد علي الحويزي : تصحيح وتعليق هاشم المحلاتي ، ج٣/ص٩٧ ، وتفسير العياشي لمحمد بن عياش السمرقندي ، تحقيق هاشم المحلاتي ، (ج٢/ص٣٠٢) ، و (البرهان في تفسير القرآن) ، لهاشم البحراني ، ٥٢٢/٤ . وكتاب (بيان السعادة في مقامات العبادة) ، لسلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه ٤٣١/٢ ، والذي جمع فيه صاحبه أقوال مفسري الشيعة الكبار في المسجد الأقصى وأنه في السماء وليس في الأرض .وكتاب منتهى الآمال لعباس القمي ، ص٧.

المفقود أو بقايا الهيكل ، مع محاولة التأثير على الرأي العام الإسلامي ومنه الفلسطيني المرابط في ساحات الأقصى بهذه الآثار الشيعية التي تؤكد على أن المسجد الأقصى ليس بمحل إجماع عند المسلمين أنه في القدس ، وأن هناك خلافًا بين علماء المسلمين أنه في السماء أو قرب المدينة المنورة بالسعودية ، وأن هذه البقعة هي مكان هيكلهم المقدس ، وإنما هذا المسجد قد بناه الأمويون – يحاولون الخلط والتدليس بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى.. فانتبه – وبالتالي فإنه ليس المقصود بما ورد في افتتاح سورة الإسراء ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء : ١] ، وهذه إشارة إلى بعض هؤلاء الباحثين وبعض كلماتهم ومنهم : الباحثة اليهودية (حوا لاتسروس يافة) الباحثة لدى مؤسسة (ياد يتسحاق بن تسفي) المتخصصة في الأبحاث والدراسات المتعلقة في تاريخ القدس تقول : (إن المسجد المذكور في آية الإسراء قد فهم منذ البداية أنه مسجد بعيد قصي سماوي !!ولم يقصد منه ذلك المسجد الذي لم يقم في القدس إلا زمن الأمويين) ودعمت لا تسروس فكرتها بمقال كتبه (جوزيف هوروفيتش) حول الموضوع نفسه أكد فيه أن المسجد الذي عنته آية الإسراء إنما هو مصلى سماوي يقع في القدس السماوية العليا ، وقال : ينبغي أن نفهم أقوال مفسري القرآن الأقدمين على هذا النحو حيث يجمعون عادة على أن المسجد الأقصى معناه بيت المقدس ، وحسب رأيها فإنهم يقصدون القدس العليا ، غير أن المصطلحات اختلطت على مر الأجيال وفهم المسجد الأقصى الذي في القدس العليا على أنه موجود في القدس الحاضرة[١] .

ومن ذلك ما كتبه (يهودا ليطاني) الكاتب اليهودي في صحيفة يديعوت

---

(١) طارق أحمد حجازي ، الشيعة والمسجد الأقصى ، ص٣٨ – ٣٩ ، نقلًا عن : أمنون كوهين ، القدس دراسات في المدينة ، ص٣٩ ، إصدار مؤسسة ياد يتساق بن تسفي.

أحرنوت العبرية تحت عنوان (معركة ذهنية حول المسجد الأقصى) مشككًا أن يكون المسجد الأقصى بفلسطين وإنما بالقرب من المدينة المنورة ، وما كتبه اليهودي (بوهل) في الموسوعة الإسلامية عن القدس مستدلًا بروايات الشيعة من أن المسجد الأقصى في السماء ، وما علق به إسحق حسون اليهودي الأستاذ في الجامعة العبرية في تحقيقه لكتاب (فضائل بيت المقدس) لأبي بكر الواسطي ص٣٥ من أن : المسجد الأقصى في السماء فوق القدس ، أو مكة المكرمة[(١)] .

وكان من لزوم هذا الدجل السياسي ، وللتشويش على هذه النصوص تفتق ذهن دهاقنة المشروع الشيعي بتخصيص يوم في السنة للاحتفال بالقدس ، وإنشاء إذاعة القدس ، وجيشًا باسم فيلق القدس الذي لم يطلق قذيفةً واحدةً على الكيان الصهيوني طيلة أكثر من ثلاثين عامًا لتحرير القدس ، وقد يكون تفسير ذلك أن تحرير القدس في عقيدته العسكرية لا بد أن يمر أولًا من بغداد ثم مكة المكرمة بعد تحريرهما حسب ما سبق أن صرح به الخميني ، وقد كان يمكنهم بدلًا من الترحيب بالصهاينة والتعاون معهم إحداث النكاية فيهم وقد باتوا يعيثون فسادًا داخل دائرة نفوذهم بالعراق الذي أصبح مرتعًا للخبراء الصهاينة الذين تغلغلوا داخل كافة الدوائر الحكومية كمستشارين للوزراء مثل : اليهودي (نوح فليدمان) الذي كتب الدستور العراقي، واليهودي (فيليب كارول) في وزارة النفط ، والسيدة (جيمسي) في وزارة الخارجية ، واليهودي (روبرت رافائيل) لوزارة التجارة واليهودية (بولا دوبريانسكي) ، اليهودي (دور هيرمان) مستشار وزارة التعليم العالي، واليهودي (ديفيد لينش) في وزارة النقل والمواصلات، واليهودي (ديفيد تومي) لوزارة المالية ، واليهودي (مارك كلارك) لوزارة الرياضة ،

(١) للمزيد انظر : طارق أحمد حجازي ،الشيعة والمسجد الأقصى ، ص٣٦ – ٤٠. وقريب من هذا وخدمة للصهاينة محاولة المتنبي الكذاب الميرزا أحمد القادياني ادعاء أن المسجد الأقصى إنما هو في بلدته قاديان بالهند وليس في القدس بفلسطين المحتلة .

بالإضافة إلى مكاتب جهاز المخابرات الصهيونية (الموساد) وعملائهم المنتشرين في كافة المناطق العراقية وذلك بطردهم أو اغتيالهم والتضييق عليهم للخروج من العراق كما فعلوا بالسفير المصري (إيهاب الشريف)- رحمه الله تعالى - الذي خطفوه وعذبوه ومن ثم ذبحوه بدم بارد ، وللأسف لم تتحرك الحكومة المصرية ولا غيرها من المؤسسات الدولية تجاه هذا الانتهاك الخطير المخالف للأحكام الشرعية والأعراف الدولية .. وبذلك ضاع دمه في غمرة الأحداث المتوالية !![١]

كان يمكنهم هذا بدلًا من هذه الجعجعة الفارغة التي لم نشهد لها طحينًا من : إلقاء إسرائيل في البحر وإعادة المحرقة اليهودية ، ودعاوى الشيطان الأكبر والأصغر والأوسط وكل شياطين الدنيا ، و هي الكذبة التي كشف (علي لاريجاني) أمين عام مجلس الأمن القومي زيفها بقوله في افتتاح منتدى الاقتصاد العالمي في دافوس عام ٢٠٠٧م بأن : إزالة إسرائيل من الخارطة هي قصة خيالية اخترعتها وسائل الإعلام الغربية « ، من ثم يواصل اعترافاته بقوله : « إن بلاده لا تريد تدمير إسرائيل » ، وهو ما صدق عليه نائب الرئيس الإيراني (نجاد) وصهره (إسفنديار رحيم مشائي) في عام ٢٠٠٨ م « بأن بلاده هي صديق للشعب الأمريكي والإسرائيلي على حد سواء » ، ورغم الدعاوى الحنجورية من أحمدي نجاد رئيس الدولة من إلقاء الشيطان الأصغر (إسرائيل) والأكبر (أمريكا) ومن معهم ومن وراءهم في البحر ، بيد أنه يذهب أبعد من هؤلاء بتصريحه لصحيفة نيويورك ديلي نيوز في يونيه ٢٠٠٨م بأن : « بلاده مستعدة للاعتراف بإسرائيل » .

وهذه ليست المرة الأولى التي يصرح فيها بذلك ولكنها انتقائية الإعلام الموجه

---

(١) وما ذلك إلا لأنه كافر عندهم ، فضلًا عن توجيههم رسالة عملية شديدة القسوة بمنع الدول السنية وعلى رأسها مصر من الوجود في العراق حتى يتم تقسيم الكعكة ليفترسها الحقد الفارسي الصفوي / الصهيو أمريكي .

على حسب ما يدفع له ؟؟ ، وذلك بتأكيده على أن « إيران مستعدة للتعايش مع دولة إسرائيلية باتفاقهم مع الفلسطينيين على إقامة دولتين » مما أثار عجب واستغراب الكثير من المحللين الاستراتيجيين الغربيين وغيرهم عن مدى التناقض من النقيض إلى النقيض .. ولكنها النفعية السياسية (البراجماتية) ، والمسألة في جملتها مواقف أكثر منها مبادئ ولو على حساب الثوابت والأصول.

وقبل أن أنتقل من هذه المنطقة التي يتاجر بها المشروع الشيعي لدغدغة العواطف وخداع السذج أقول : مِن مصلحة مَن إرباك وتشتيت الداخل الفلسطيني؟ ، فبدلًا من أن يبذل المشروع الشيعي جهده ويستثمر إمكاناته في توحيد الصف الفلسطيني المجاهد والمقاوم للاحتلال الصهيوني للأسف راح يزرع الخلايا الشيعية التي تهدد النسيج الاجتماعي وتنشر بينهم ثقافة الحقد والكراهية والتكفير ، لا للصهاينة من يهود المغتصبين ، ولكن لإخوانهم المسلمين بدعوى مخالفتهم في الاعتقاد والدين ، وما ترتب على ذلك من إنشاء كيانات ترعىٰ هذه البذرة الخبيثة سواءِ تحت مسمى المجلس الشيعي الأعلى أو الجمعية الجعفرية.. وغيرها من مسميات أخرى يفرح بها بنو صهيون ويرحبون بها لتفتيت الصف الفلسطيني الداخلي كما رحبوا من قبل باحتضان البهائية بجبل الكارمل بعكا ، والقاديانية بالكبابير في حيفا لإحداث الفرقة في صفوف المسلمين ، وللأسف تورطت بعض القيادات الميدانية في تلك المهزلة ؟؟ وهنيئًا للصهاينة بما سيتحقق من تطاحن وانقسام داخلي ، ليس بين قوى وحركات المقاومة العالمانية/الإسلامية فقط ، ولكن بين القوى الإسلامية المجاهدة والمجتمع المسلم أيضًا ، بين سنة وشيعة لينشغل الجميع عن العدو الحقيقي ، ألا كان يكفي المشروع الشيعي في إيران جريمة تسيير أكبر هجرة من يهود إيران لفلسطين المحتلة مقابل منحهم امتيازات جديدة مما سيؤثر بالطبع على الوضع الديمغرافي والتركيبة السكانية الفلسطينية

داخل فلسطين المحتلة وهو ما لا يخدم الأمن القومي العربي ؟[١] .

وقد مرت هذه الواقعة كغيرها مرور الكرام بفعل فاعل ؟ . إذًا لمصلحة من يتم كل ذلك غير العدو الصهيوني !!

ولعلي أختم بقاصمة الظهر التي تكشف سبب هذا النفاق السياسي الرخيص ومعه يتضح زيف المتاجرة بالقضية الفلسطينية ، وأنه ليس دفاعًا عن الأقصى لأنه في السماء الرابعة عندهم -كما سبقت الإشارة لذلك - ، وإنما هي المتاجرة بقضية القدس وفلسطين لدغدغة مشاعر المسلمين وخداعهم ليسهل اختراق وتسريب المشروع الشيعي داخل العقل الجمعي السني فضلًا عن البلاد السنية .

يقول آية الله (محمد باقر خرازي) زعيم حزب الله الإيراني : « ما هي الفائدة التي جنيناها وسوف نجنيها من دعم الحركات الفلسطينية؟ فإذا أردنا دعم الفلسطينيين يجب أن نكون متيقنين أن فلسطين ستكون سائرة على مذهب أهل البيت ، إذًا ما الفرق بين إسرائيل وفلسطين ؟»[٢] .

نعم ،لا فرق إذًا بين فلسطين والكيان الصهيوني في الوضع الحالي كما يرى كبار مراجع الشيعة !! ، والآن قد عرف أكثر من سبب فبطل العجب ، إذًا فلا عجب ولا استجهال بعد هذه التصريحات والمواقف التي من شهرتها لا تحتاج إلى توثيق أكثر من ذلك . وما سبق لا يتناقض مع التجاذب السياسي والتراشق الإعلامي الحالي بين المشروعين الشيعي بقيادة إيران ، والصهيو/أمريكي بقيادة أمريكا وإسرائيل ، وفي حوار مطول مع المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل اللع مع صحيفة النهار اللبنانية : « الخطوط السياسية في إيران لا تمنع من علاقات مع أمريكا، ولكن مسألة التجاذب والجدية بين أمريكا وإيران هي مسألة الشروط ، إذ تعمل إيران على أن تحافظ على

---

(١) انظر : جريدة الحياة اللندنية ، بتاريخ ٢٥ / ١٢/ ٢٠٠٧م .

(٢) صحيفة عصر لإيران ، الأحد ٢مارس ٢٠٠٨م ، وكالة أنباء أخبار الشيعة الإيرانية .

موقعها وعنفوانها واستقلالها بينما تريد أمريكا إخضاع إيران على الطريقة التي تخضع بها الدول الأخرى . وأعتقد أن القضية لا بد أن تصل إلى نقطة التوازن ، ؛ لأن أمريكا وحسب رصدي للطريقة الأمريكية السياسية ، التي تدير بها المواجهة ضد إيران ، أي طريقة العصا والجزرة ، توحي بأن أمريكا تفكر ولو في المستقبل البعيد في أن تحرك مصالحها الاقتصادية ومن الممكن أن تقدم بعض التنازلات في مقابل ما تقدمه إيران من تنازلات على الطريقة الواقعية التي تقول : لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم »[١] ، وما سبق فيه الكفاية ، ولمن أراد التعرف على المزيد من كواليس وخفايا علاقات المشروع الشيعي بالمشروع الصهيو أمريكي عليه مطالعة كتاب : (التحالف الغادر.. التعاملات السرية بين إسرائيل وأمريكا وإيران)[٢] ، لمؤلفه (باريتا غارسيا) رئيس المجلس القومي الإيراني - الأمريكي ، وأستاذ العلاقات الدولية في جامعة « جون هوبكينز » . والموضوع باختصار شديد : إن المشروعين : الشيعي والغربي الصهيو/ أمريكي بينهما نقاط التقاء استراتيجية ، بيد أن هناك نقاط اختلاف على المصالح والنفوذ على حسب موازين وأوراق القوة التي يملكها كل منهما والتي تؤهله لاستمرار مشاركته حتى النهاية ، أو التضحية به عند بوادر أقرب مصلحةٍ لأي منهما[٣] ، وإن موازين القوة قد تغيرت بين المتحالفين تحت ضربات المقاومة السنية بالعراق وأفغانستان بشكل أربك

(١) صحيفة النهار اللبنانية ، ٧ نوفمبر ٢٠٠٢م .

(٢) النسخة العربية من الكتاب طبعته مؤخرًا مكتبة مدبولي بالقاهرة ، وهناك كتاب آخر لا يقل أهمية عنه للصحافية الأمريكية « باربارا سليفن » بعنوان «الصداقة المرة في أحضان الأعداء » .

(٣) وربما ما حدث في العراق بعد أن تورط الأمريكان خير شاهد على ذلك ، كما أن في السياسة ليس هناك صديق أو حليف دائم ، وكذلك ليس هناك عدو دائم ، وهناك سقف للخلاف يتم ترويض المخالف لقواعد اللعبة لئلا يتجاوزه ، وفي النهاية المشروع الشيعي ما هو إلا أداة يتم الاحتفاظ بها لوقت الحاجة أو الاستغناء عنها أو كسرها وتحطيمها بعد انتهاء مهمتها ، شأن أي أداة طبقًا لمعطيات الواقع وتحقيق المصلحة ، وقوة ويقظة الطرف المستهدف من ناحية أخرى مما قد يعدل في بنود الخطة ، وهذا ما قد يفسر حالات التراشق الإعلامي والتجاذب السياسي بين المشروعين .

الداخل الأمريكي الذي بدأ يعاني من اضطرابات اقتصادية ارتفعت معه أصوات الرافضين للمغامرات العسكرية ؛ مما شكل ضغطًا على الإدارة الأمريكية التي خانتها حساباتها السياسية والعسكرية مما اضطرها إلى إعلان توقيت انسحابها تجر أذيال الخيبة والخسران ليتبعها باقي فلول حلف الناتو واحدة بعد أخرى ...

هذا بالإضافة إلى نمو الحركات المقاومة السنية للمشروع الصهيو أمريكي على امتداد العالم الإسلامي مستقلًا عن النظم العلمانية الحاكمة ، في الوقت الذي نجح فيه المشروع الشيعي في شقه السياسي بشكل نفعي (برجماتي) من التواصل مع بعض هذه الحركات في محاولة كسر الحصار المذهبي والعرقي والنفاذ داخل الجسد السني ، وقد استغلت إيران كصاحبة مشروع هذا الخلل في موازين القوة لصالحها كفرصة تاريخية للاستئثار بالنصيب الأوفر من الكعكة العراقية والتي فتحت شهيتها لباقي دول الخليج العربي : البحرين ، ومن ثم الكويت وهلم جرا ، مما سيحرج الإدارة الأمريكية ويؤثر على مصالحها في تلك الدول الصديقة لها ، في الوقت الذي أجج فيه هذا الانكسار الأمريكي الفرصة إلى بروز قوى مناوئة للانفراد الأمريكي بالعالم (روسيا والصين ، وفرنسا التي دخلت في اللعبة باتفاقها مع إيران على إقامة قاعدة عسكرية بحرية فرنسية تبعد ٤٠ كم عن مضيق هرمز)[(١)] .

وقد عملت هذه القوى على إعادة توظيف إيران ومشروعها الشيعي ولكن هذه المرة بشكل مغاير حيث تم تبديل اللاعبين بخصوم الأمس فبدلًا من استخدامها كحائط صد للمشروعين الروسي والصيني نحو مياه الخليج الدافئة يتم استخدامها هذه المرة لاستنزاف القدرة الأمريكية لترضخ إلى قبول مشاركتهم في الهيمنة والنفوذ داخل العالم الإسلامي في محاولة لتغيير قواعد اللعبة ليعاد تشكيل ملامح عالم متعدد الأقطاب وبه تنتهي هيمنة القطب الواحد ، ومن الواضح أن المشروع الشيعي كما

---

(١) صحيفة الاتحاد الإماراتية ٢٠٠٨/١/٧م .

أدمن زواج المتعة وعادة تغيير الأزواج ، تنتقل معه تلك المتعة من أصلها الفقهي عندهم إلى سلوك سياسي بشكل نفعي يحافظ على مكتسباته التي اكتسبها في مرحلته الصهيو أمريكية قبل وبعد الشاه من المساهمة والتغاضي عن بناء(١) مفاعل نووي وشبه اكتمال المنظومة النووية وتحديث القدرة العسكرية والاقتصادية بدعم مباشر وغير مباشر ، والتمدد الجغرافي باحتلال منطقة الأحواز العربية والجزر الإماراتية ، وبما يحافظ على طموح استراتيجيته من التمدد الإقليمي في العالم الإسلامي لإقامة الإمبراطورية الشيعية وعاصمتها السياسية طهران وعاصمتها الدينية قم ، إلى الارتماء في أحضان روسيا والصين اللتين تبحثان عن النفوذ في مناطق البترول والثروة ووفرة الأسواق فإنهما يستخدمان المشروع الشيعي كحائط صد مذهبي عرقي مغاير يؤصل ويشيع بين الجمهوريات الإسلامية في الكمنولث الروسي الانسحاب السياسي والاستسلام للأمر الواقع وعدم مدافعة الظلم والصبر عليه لحين خروج المهدي المنتظر على حسب مقتضيات نظريتي الغيبة والانتظار عند الشيعة ، وكحائط صد سياسي بين أهل تلك البلاد وبين شقيقاتها السنية في العالم العربي مستفيدة من درس أفغانستان القاسي الذي فكك إمبراطوريتهم ، ولئلا يتكرر في تلك الجمهوريات من خلال تقاطر الشباب المسلم العربي بوجه خاص والسني بوجه عام لنصرة إخوانهم أهل السنة من بقايا الاحتلال الروسي ؛ وبذلك رحبت الحكومة الروسية بالمشروع الشيعي ، وذللت له كل السبل ، وفتحت له الأبواب في الوقت الذي طاردت وتعقبت المنظمات والهيئات الخيرية السنية ، سواء كانت محلية أو غيرها.. وما أحداث الشيشان عنا ببعيد ، وما الموقف الإيراني منها إذًا ليس بغريب ؟!!

---

(١) يقول أحد الدبلوماسيين الإيرانيين (السفير الإيراني المنشق عادل الأسدي): « لدى الجمهورية الإسلامية شبكة من العملاء والخلايا النائمة في دول مجلس التعاون الخليجي، مستعدة لزعزعة استقرار هذه الدول إذا ما اقتضت مصالح طهران ذلك » للمزيد، انظر : محمد سرور زين العابدين ، أأيقاظ قومي أم نيام؟؟

وقل مثل ذلك عن الصين المحتلة لإقليم تركستان الشرقية وما تمارسه من تضييق على المسلمين الصينيين وعلى مؤسساتهم و أنشطتهم .

ربما هذا يفسر لك سر هذه الحرب الدعائية حول الملف النووي الإيراني والعقوبات الاقتصادية التي تقف عاجزة عن إنجاز مفعولها بسبب تناقضات الموقف الدولي وتقاطع مصالح عدد من الدول الفاعلة مع إيران.

ومع محاولة أمريكا للضغط على إيران للالتزام بقواعد اللعبة وبسقف الطموح المحدد لها في القيام بالدور الوظيفي المرسوم لها ، وعلى الرغم من التعنت الواضح من الحكومة الإيرانية حيال ذلك ، بيد أن هناك بابًا خلفيًا بين المشروعين يتم فيه التعاون والتنسيق ، وتحديدًا في اليمن حيث يتم توظيف المشروع الشيعي هناك كمنطقة رخوة تحمل ميراثًا تاريخيًا في الحروب القبلية والمذهبية وتعدد دولها مما يجعلها أكثر المناطق مناسبة بعد العراق لتحقيق خطتهما في إعادة تقسيم وتشكيل المنطقة ، مع أهمية الأخذ في الاعتبار علاقات التحالف بين كل من اليمن والمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية في الحرب ضد ما يسمى بالإرهاب وغيره ، ورغم خطورة مشروع الحوثيين على كيان كل من الدولتين ، فإن الولايات المتحدة لا تخفي دعمها على الأقل اللوجستي – الذي يشمل كافة أنواع الدعم من : دبلوماسي وإعلامي ومادي ومعنوي وغيره عدا العسكري – للحوثيين غير مكترثة بشعارهم الاستهلاكي الأجوف (الموت لأمريكا) وهو ما عبر عنه السفير الأمريكي في صنعاء بقوله : « نحن نعلم أنه ليس كل من يقول شيئًا يفعله » ، ولعل هذا الموقف الأمريكي الذي اتسم بالضبابية غير المعهودة، فلم تحذر أمريكا رعاياها، ولم تتخذ الإجراءات المعتادة في مثل هذه الأوضاع المضطربة ، كما لم تضم حركة الحوثيين ضمن لائحة المنظمات الإرهابية ، ولعل لحوار (يحيى الحوثي) مع قناة العربية في ٢٦/٤/٢٠٠٥م ما يوضح خلفية الصورة ، حيث قال : (إن أمريكا لم تكن في يوم من

الأيام عدوًا للحوثي ، كما لم يكن الحوثي وأتباعه عدوًا لها) .

وللمرة الأولى يخرج الموقف الأمريكي من دائرة الصمت بتصريح (نبيل الحوئي) ، نائب السفير الأمريكي بصنعاء لصحيفة الأيام اليمنية بقوله : (من المؤسف أن تضطر الدولة اليمنية إلى مواجهة تمرد في منطقة صعدة في ظروف هي بأمس الحاجة فيه للتركيز على الإصلاح الاقتصادي والحوار الوطني والبدء بالإعداد لانتخابات ٢٠٠٦م) ، ثم دعا الحكومة اليمنية إلى ضرورة الحوار وعدم اللجوء للعنف ، وهو ما لم تفعله أمريكا في الحالات المشابهة في الدول الأخرى ؟!

وربما كان هذا الموقف الأمريكي غير المتوقع قد أثار الدكتور (أبو بكر القربي) وزير خارجية اليمن ، حيث صرح في لقائه في برنامج (الملف) بقناة الجزيرة بقوله بأن « عدم إدراج الإدارة الأمريكية لتمرد الحوثي ضمن الحركات الإرهابية إحدى نقاط الخلاف الجوهرية مع أمريكا » ، وهذا ما قد لاحظه مركز « سترنفور » الأمريكي للاستشارات الأمنية في ولاية تكساس ، حيث ذكر في تقريره عن تغاضي القوات الأمريكية المتمركزة في البحر الأحمر وخليج عدن عن تهريب القوات البحرية الإيرانية السلاح للحوثيين عن طريق إحدى المواني الإرترية، أضف على ذلك ما كشفته وثائق ويكليكس من رفض الحكومة الأمريكية بيع السلاح للحكومة اليمنية خوفًا من استخدامه ضد الحوثيين ، وقد لقي هذا الأمر الاستحسان والتقدير من الحوثيين على تلك « المشاعر الطيبة من السفارة الأمريكية والاتحاد الأوربي ودول أخرى تقديرًا غاليًا » على حد قول (يحى الحوثي) سفير الحوثيين المتجول في أوروبا .

وبذلك تعول الاستراتيجية الأمريكية على نجاح حركة الحوثيين (الشباب المؤمن) الشيعية الزيدية المتحولة للاثني عشرية لتعود باليمن لعصر الدويلات الطائفية المتنازعة لتؤثر على جنوب المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج ، ومعها يتحقق حلم الشيعة العرب في قيام دولة البحرين الكبرى التي تشكل فك

الأفعى حول ما تبقى من مناطق ودويلات سنية تتنازعها القبائل المتناحرة حسب حدود الدم الصهيو أمريكية .

وهنا لا بد من كلمة.. يجب أن لا ننجر إلى اعتقاد جبرية تحقيق تلك الخطط والمؤامرات فهم يكيدون كيدًا ، ويمكرون مكر الليل والنهار ، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ، ولكن تبقى سُنة الله تعالى :﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، فما تحتاج منا فقط إلا إعمال سنن الله تعالى الشرعية في ضرورة استبانة سبل المجرمين والسعي الجاد للخروج من حال الانزعاج بظواهرها وسماتها التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع ولا تدفع صائلًا يهدد صفاء العقيدة ولا وحدة الأوطان ، إلى المسارعة لوضع المشروع الإسلامي (السني) الغائب المنتظر حيز التنفيذ فهو المؤهل وحده – بفضل الله تعالى – على مواجهة وكسر هذه المشاريع وغيرها بما يحمله من عوامل القوة والانتصار، ولذلك عملت الحكومات العالمانية – ما بعد سايكس/ بيكو – التي تحكم الشعوب العربية والإسلامية السنية على وأده في مهده بتفكيكه والقضاء الدائم على رموزه، ولا أستطيع أن أبرئ تلك الحكومات من الاضطلاع بهذا الدور الوظيفي الذي يدور في فلك الاستراتيجية الغربية والصهيو أمريكية ويحقق خططها أيضًا ، يعلل ذلك ولفرد كانتول سميث بقوله : « إن أوربا لا تستطيع أن تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به مدة قرون والإسلام يجتاح الإمبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب »[١] .

وهو ما يؤكده مور بيرجر في كتابه (العالم العربي الإسلامي) من : « أن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجًا من وجود البترول بغزارة عند العرب ، بل بسبب الإسلام ، يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي

---

(١) محمد قطب ، المستشرقون والإسلام ، ص٣٢.

إلى قوتهم ؛ لأن قوتهم تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره »[١] .

ويقول لورانس براون : « الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته لأنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي »[٢] .

وبعيدًا عن الاستغراق في التحليل السياسي لكشف الدور الوظيفي للمشروع الشيعي إجابةً على السؤال الأول ، وحتى لا يأخذنا أبعد من ذلك أستطيع الجزم بقابلية هذا المشروع للتوظيف بشكل حربائي يتلون مع ما يحقق مصالحه وأهدافه ولو بالتحالف مع الشيطان على حساب الأمة الإسلامية وشعوبها المسلمة وعقيدتها ومقدراتها ، لأدلف مباشرة إلى الإجابة على السؤال الثاني : هل باتت مصر حقًا في بؤرة هذا الخطر؟ وهو موضوع المبحث التالي .

* * *

---

(١) د محمد البهي ، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار، ص١٩ .

(٢) عمر فروخ ومصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار ، ص١٨٤ ، . وقد قامت هذه الأدوات الوظيفية (الحكومات العالمانية) تابعًا بعد تابع بالدور المرسوم لها على أكمل وجه في محاولة تصفية الاتجاهات والحركات الإسلامية ، ففي تحليل لصحيفة (لفيجارو) الفرنسية تشير إلى : « أن الاتجاهات اليسارية والليبرالية المعارضة لنظام حسني مبارك ونظام سلفه السادات ليست ذات أهمية ولا تشكل أي خطورة ضد نظامه ، لأن المعارضة الحقيقية في مصر تمثل الاتجاهات الإسلامية وحدها » . نقلًا عن صحيفة (القبس) الكويتية عدد ١٠/١٧/ ١٩٨١م ، ولذلك ينصحه كاتب تحليل آخر في صحيفة (الصنداي تايمز) البريطانية بوسيلة العلاج ناصحًا (حسني مبارك) قائلًا : « إذا أراد لنظامه أن يستمر ما عليه إلا أن يتصدى بحزم للاتجاهات الإسلامية ، وإذا لم يقم بذلك في الوقت المناسب فإنه ربما لا تمضي ستة أشهر من الآن إلا ويكون تحت التراب بجانب سلفه السادات في قبر كتب على شاهده (ضحية أخرى قتلت بسبب كامب ديفيد) » . نقلًا عن صحيفة (الرأي) الأردنية يوم ١٦/ ١٠/١٩٨١م .

الفصل الثاني

هل باتت مصر في بؤرة الخطر الشيعي ؟

منذ سقوط الدولة العُبيدية (الفاطمية) كانت ولا زالت مصر في بؤرة الاهتمام الشيعي ، وبالتحديد في العصر الحديث منذ بداية مشروعهم الصفوي كأول دولة شيعية اثني عشرية في التاريخ (٩٠٧ هـ/١٥٠٧م – ١١٤٨هـ/١٧٣٥م) مستغلة اضطراب العلاقات المملوكية العثمانية ، والصراع البحري المملوكي البرتغالي ، والمماليك يومئذ ألدُّ أعداء البرتغاليين حيث وقفوا في وجوههم ضد توغلهم في العالم الإسلامي ودخل معهم الجيش المصري في حروبٍ طاحنةٍ ، لذلك أرسل الشاه (إسماعيل الصفوي) الوفود للتفاوض مع ملوك أوربا للتحالف ضد السلطان المملوكي (قنصوه الغوري) سلطان مصر والشام ، واقتسام ممتلكاته ، على أن تكون مصر وفلسطين من نصيبهم – أي ضمن ممتلكات الصليبيين من ملوك أوربا – ، بينما يستحوذ هو على بقية الشام ، وبذلك يطل على البحر المتوسط ، وقد تزامنت مشاريع الشاه (إسماعيل الصفوي) هذه مع سعيه لانتزاع الأناضول وإنهاء الدولة العثمانية[١] ، ولما لم تفلح محاولاته تلك في مصر حرك بعض الخلايا النائمة بصعيد مصر عام (٩١١هـ /١٥٠٥م) للدعوة للشاه (إسماعيل الصفوي) وقد انتهت بإعدام مدبرها بتهمة الزندقة وانتقاص القرآن الكريم والدعوة للشاه الصفوي ، وفي عام (٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م)قاد أحمد باشا حركة أخرى للدعوة للشاه (إسماعيل الصفوي) ، ولكنها فشلت مثل الحركة الأولى[٢] .

ومنذ أوائل القرن الماضي (القرن العشرين) هناك سعي حثيث من الشيعة

---

(١) ميكل ونتر ، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني ، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم ، ص٤٢.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الإمامية الإسماعيلية وبخاصة البُهرة ، ومن المرجعية الشيعية الاثني عشرية في قم على حدٍ سواءٍ للنفاذ إلى مصر واختراق المؤسسات الدينية وقد فشلت جميعا سوى محاولة محمد تقي القمي الذي نجح في افتتاح دار التقريب بالقاهرة على ما ستأتي الإشارة إليها لاحقًا –بإذن الله تعالى – والملاحظ أن هذه التحركات كانت فردية لمحاولة كسر طوق العزلة الفكرية عن الشيعة التي ترسخت بعد إفشالهم مؤتمر النجف للتوفيق بين السنة والشيعة بعد تسليم مجتهديهم بإمامة الخليفتين أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، وإعلان رموز الشيعة بطلان عقائدهم على منبر الكوفة في ٢٦ شوال عام ١١٥٦هـ في حضور (نادر شاه) شاه إيران الذي دعا للمؤتمر[١] .

وفي العصر الحديث مَثَّلَ نجاح ثورة علماء الشيعة في إقامة دولة ولاية الفقيه في إيران على أساس المذهب بقيادة آية الله (الخميني) فرصة لإحياء المشروع الصفوي بكافة سماته ، ومثلما ابتدأ الشاه (إسماعيل الصفوي) حركته بادعاء مقابلته للمهدي الذي أمره بالغزو وتأسيس دولته ، كانت العقيدة المهدوية حاضرة هنا ، حيث اعتبروا هذا النجاح أحد المبشرات لخروج مهديهم الغائب بسرداب « سامراء » منذ عام (٢٦١هـ) ، ولذلك قامت سياستهم الخارجية منطلقة من أهمية تهيئة العصر لهذا الخروج المرتقب بإعداد وتهيئة تلك الدول التي سيشملها ذلك الخروج ، ووضعوا لذلك الخطط والبرامج المرحلية (التكتيكية) والطويلة المدى (الاستراتيجية) وسخروا لها كافة الإمكانات المادية والبشرية ، وقد اعتبر (الخميني) أن ذلك واجبٌ شرعي حتى تتشكل حكومة إسلامية عالمية تحت زعامة الإمام المهدي الغائب الثاني عشر ، ويؤكد ذلك دعوة مجلس الدفاع الأعلى الإيراني إلى قيام ثورة إسلامية عالمية تشكل الأرضية الجيدة لحكومة « المهدي » ،

---

(١) انظر كتاب : مؤتمر النجف ، مقتطفات من مذكرات علامة العراق وعماد هذا المؤتمر السيد عبد الله ابن الحسين السويدي العباسي ، تحقيق محب الدين الخطيب .

ويكون قوامها الحركات والأقليات الشيعية في الدول العربية[١] بالتالي فقد أجادوا لعبة تعدد الأقنعة وتبادل الأدوار مع الحفاظ على وحدة الأهداف ، حيث يؤمن الجميع بمبادئ الثورة ، ومشروع تصديرها سواء كانوا صقورًا أصوليين أو حمائمَ إصلاحيين ، وهو ما أكده آية الله (محمد علي تسخيري) مستشار المرشد الأعلى لشؤون العالم الإسلامي بقوله : « إن كلا الخطين يؤمنان بالثورة الإسلامية ، ويؤمنان بمبادئ الإمام الخميني ، ويؤمنان بالدستور ، ويؤمنان بأهم مادة في هذا الدستور وهي لزوم أن يكون القائد فقيهًا ، أو ما يعبر عنه بولاية الفقيه ، وإنهما معًا يؤمنان بهذه المبادئ ويختلفان في أساليب التطوير وآلياته»[٢] . وقد رصدت لذلك الميزانيات الضخمة ، حيث أشارت وكالة « شيعة نيوز» الإخبارية إلى أن : إيران قد رصدت ٢١٥ مليارًا و٦٢٠ مليونًا و١٠٠ ألف هزار تومان (ما يعادل ١٢مليارًا و٩٣٩ مليون جنيه مصري) للعام الهجري ١٤٢٨هـ مقابل ٢مليار و١١١مليونًا و١٠٠ألف هزار تومان للعام السابق له (١٤٢٧هـ) بما يعادل مليار و٣٥٠مليون جنيهًا مصريًا . وذلك لتبليغ المذهب الشيعي ونشر التشيع في العالم وإرسال المبلغين وإقامة الفعاليات المذهبية[٣] فيما يعرف بالقوة الناعمة . ولعل أوضح مثال

(١) مجلة مختارات إيرانية، الصادرة عن مركز دراسات الأهرام، العدد ٤٥، يناير، ٢٠٠٥م.

(٢) صحيفة اللواء الأردنية، بتاريخ ٢٥/٤/٢٠٠١.

(٣) وكالة أنباء شيعة نيوز ، ونظرًا لضخامة هذه الميزانية التي سال لها لعاب رؤوس المستشيعين المصريين حتى كال بعضهم لبعض الاتهامات بالاستيلاء على المال الحرام المدفوع لتشييع المجتمعات السنية فانكشف المستور واتهم أحمد راسم النفيس رفيقه محمد الدريني بتلقي التمويل من إيران ، ومن ثم رد عليه الدريني الصاع صاعين كاشفًا حقيقته بقوله : « الأموال والمساعدات هم الذين يبحثون عنها ... أحمد راسم وخطاباتهم جميعًا تتوجه إلى الخارج وليس إلى الداخل ... » موقع العربية نت ، ٩ / ٥/٢٠٠٦م . وهو ما أكد عليه المستشيع المصري البارز صالح الدريني في إجابته عن سؤال وجهته له جريدة الوطن الكويتية : هل هناك تمويل خارجي للمد الشيعي في مصر ؟ » فقال : « كثير من شيعة =

لاستخدام القوة الصلبة ما حدث في العراق من تسهيل للاحتلال ومن قبلها أفغانستان كدول للحزام المذهبي ، ومصدات مذهبية لحماية المشروع في الدولة المركزية له (إيران) ، وما يحدث الآن في لبنان من محاولات لتهميش أهل السنة وسرقة دورهم في الحياة السياسية والاجتماعية ، وما يجرى أسبوعيًّا من اضطرابات في البحرين حتى أصبحت قاب قوسين أو أدنى من مصير العراق ، مع ما يهدد الكويت ، وما يجري في اليمن ليس عنا ببعيد.

وهنا ثمة تساؤلات تطرح نفسها وبإلحاح في هذا الموضوع.. هل بالفعل تحولت مصر في المشروع الشيعي من بؤرة الاهتمام إلى بؤرة الخطر ؟ وهل يوجد اختراق أو تحرك شيعي علي الأقل في مصر ؟ .. وما هي أهداف هذا التحرك إن وجد ؟ وما هي صوره وآلياته ؟ وإلى أين اتجاهاته ؟ ومصر رغم ما مر سابقًا من روايات في ذم أرضها ونيلها وأهلها ، وفتاوى وأحكام في تكفيرهم والحكم بردتهم ، نلاحظ هذا الحرص الشديد على كسب مصر في صف مخططاتهم ؟! هل فقط لأنها دار كفر وردة في اعتقادهم ، وبالتالي يجب العمل على عودتها إلى حظيرة ما يعتبرونه الدين الصحيح؟ أم أن هناك أهدافًا سياسية أيضًا متسترة بستار التشيع وحب آل البيت؟ أو هي محاولة لتحييدها - وما ذبح سفيرها بالعراق عنا ببعيد - حتى يتمكنوا من ابتلاع الدول السنية المحيطة بإيران ابتداء (دول الحزام المذهبي ، أو المجال الحيوي لها)؟ أو لدورها المركزي في عصر ظهور المهدي على حسب عقيدتهم؟ أو لكل ما سبق ذكره؟ أعتقد أن كل هذه أسئلة مشروعة ، وأن كل ما سبق صحيح ، بالإضافة إلى أن مصر تمثل مركز الثقل في العالم السني ، فهي ذات

= مصر حاولوا الحصول على تمويل من الخارج ، وحصلوا على تمويل كأفراد وليس كجهات تمول الشيعة في مصر ، أعرف أثرياء شيعة في مصر حققوا الثراء عن طريق تشيعهم ، ...» جريدة الوطن الكويتية ، تاريخ ٧/١١/ ٢٠٠٦م .

ثقل سكاني ، وإرث حضاري ، وموقع استراتيجي ودور « مؤثر » في العالمين العربي والإسلامي ، وأزهرها مهوى أفئدة كثير من المسلمين في أنحاء العالم ، ولذلك فإن مشروع تصدير الثورة بأسلوبيها المسلح أو الناعم حريص على الاستفادة من كل تلك المقومات للانطلاقة نحو العالمية ، حتى لا تظل الثورة الشيعية المعاصرة ثورة داخل الفكر الشيعي وحسب ، أو للجنس الفارسي فقط ، حسب تعبير الدكتور/ فهمي الشناوي - أحد المتشيعين المصريين - في محاضرته بطهران بعنوان : « أهمية مصر للثورة الإيرانية » ، حيث أكد بما لا يدع مجالًا للشك عن رغبة إيران في استغلال موقع مصر وثقلها داخل العالم السني لنشر عقائدها وتصدير ثورتها ، فيقول : « إن عملية اختراق الحصار العربي ، إنما تبدأ من مصر ، وعملية السباحة عبر المحيط العربي تبدأ من مصر ، لا لأهمية مصر بين العرب وحسب ، ولكن للأهمية الاستراتيجية لمصر في اللعبة الدولية ؛ لأنه إن مالت مصر مال العرب »(١) .

ورغم أن إشارتي اللاحقة ستكون عن مخطط الشيعة الإمامية الإسماعيلية (فرع البُهرة) وخطورة مشروعهم في مصر ، بيد أنه سيكون التركيز أكثر على الشيعة الإمامية الاثني عشرية ؛ لأنهم الأكثر فاعلية ووجودًا حيث يحمل مشروعهم دولة تحميه بمؤسساتها ، بعكس غيرها من فرق الشيعة .

وبالرجوع مرة ثانية لكتاب (عصر الظهور) لنستجلي محركات مشروع الزحف الأسود (الشيعي) نحو العالم الإسلامي من خلال رؤيتهم لعصر الظهور وواجبات التمهيد له نجده يشير إلى أن بلاد الشام (سوريا ، الأردن ، لبنان ،

---

(١) عباس خامه يار ، إيران والإخوان المسلمين،مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق،بيروت ، ١٩٩٧م، ص٢٣ . الأمر الذي يؤكد بوضوح إن الصراع بين مصر حاملة راية أهل السنة في العالم الإسلامي، وإيران حاملة راية التشيع لم ولن يكون في يوم من الأيام صراعًا سياسيًا من أجل تسمية شارع، أو إنتاج فيلم ، بقدر ما هو صراع عقائدي تغذيه نصوص الحقد والكراهية ضد السنة وأهلها وبلادها.

فلسطين) ستمثل خط الدفاع العربي عن دولة اليهود - لاحظ النبرة الشعوبية هنا - ، وربما هذا يفسر سبب دعم الدولة الممهدة للمهدي (إيران) من الوقوف بقوة خلف نظام الأسد الباطني الذي يدمر كافة مقدرات الدولة السورية وبنيتها الأساسية وقواتها المسلحة لئلا تضطلع بدورها المنصوص عليه في عصر الظهور .. ربما ؟؟ - ومع ذلك سينضم أبدال أهل الشام - أكيد من الشيعة العلوية النصيرية والباطنية - إلى رجال الصدق من المغاربة - ومن هنا نفهم لماذا الاهتمام الشيعي بالمغرب العربي - أما الحجاز (مكة والمدينة) فمنها سيخرج المهدي ومنها ستنطلق دعوته ، واليمن ستكون عضد الدولة الممهدة لدولة المهدي - وهذا يفسر الدعم اللا محدود للحوثيين في اليمن لإقامة الدولة المساندة - ..أما مصر فليست غائبة عن تلك الخطط ، إذ إنها وفقًا لنصوص كتبهم ليست إحدى دول الظهور فقط ، ولكنها دولة الانطلاق نحو العالمية ؛ ولذلك يعقد لها (المرجع والباحث الشيعي اللبناني علي الكوراني) فصلًا عن مصر وأحداثها في عصر الظهور ، وقد حشاه بالروايات المتعددة من كتبهم التي تشير إلى أن المهدي سيجعل من مصر منبرًا ، وسيتخذ من المصريين وزراءه النجباء.. فيقول : « وقد ورد ذلك في رواية عباية الأسدي عن علي ، عليه السلام ، قال : سمعت أمير المؤمنين علي ، عليه السلام ، في المهدي وأصحابه قال : « ثم يسيرون إلى مصر فيصعد منبره فيخطب الناس.... » ، ومن ثم يعلق على الروايات بقوله : « ويفهم من هاتين الروايتين أنه سيكون لمصر في دولة المهدي العالمية مركزٌ علمي وإعلامي متميزٌ في العالم ، خاصة بملاحظة تعبير (لأبنين بمصر منبرًا) ، (ثم يسيرون إلى مصر فيصعد منبره) ، أي يسير المهدي ، عليه السلام ، وأصحابه إلى مصر ، لا لكي يفتحها أو يثبت أمر حكمه لها ، بل لتستقبله هو وأصحابه - أرواحنا فداهم - ، ولكي يصعد منبره الذي يكون قد اتخذه فيها كما

وعده جده أمير المؤمنين ، عليهما السلام ، وليوجه خطابه من هناك إلى العالم »[١] .

والمتأمل فيما سبق يلاحظ أن المهدي لن يفتح مصر؛ لأن هناك من فتحها له وهيأها لمجيئه ، وهو ما أكده المؤلف قبل هذه الفقرة بفقرات بعد إشارته لعدد من الأحداث والفتن التي ستتعرض لها مصر حسب روايتهم في عصر الظهور ، وبذلك أصبحت مصر في بؤرة الاهتمام الشيعي بشقيه الإسماعيلي وجناح البُهرة منه بشكل أخص الذي يمهد ويُهيئ الأجواء ويعد المقومات لدولة المهدي الخاص بهم ، ومصر إحدى دول دولته الكبرى أهمية بعد اليمن ، وكذلك الأمر في التشيع الاثني عشري باعتبار أنها أيضًا إحدى دول الظهور المهمة أيضًا ، ولذلك تعددت محاولات اختراق النسيج المصري بصورة يرقبها المتابع بأشكال متعددة وحيل شتى ، وبصورة قريبة الشبه باستراتيجية تغلغلهم بدول الخليج العربي مستفيدين من تجاربهم التاريخية هناك .

يقول الباحث الشيعي (رسول جعفريان) في دراسته للماجستير بجامعة طهران عن « الشيعة في إيران ... دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري » في وصفه لخطة تحويل إيران من دولةٍ سنيةٍ شافعية إلى دولةٍ شيعيةٍ اثني عشرية :

« الاعتدال في المذهب السني ممهد لانتصار التشيع في إيران خلال العهد الصفوي ... تم الانتقال من المذهب السني إلى المذهب الشيعي في طرق متنوعة منذ القرن السادس فصاعدًا. فقسم منه أنجز عبر السياسة ، وقسم عبر الثقافة ، والأدب والحديث والنصوص ، وقد كان لهذا القسم تأثير مهم في الانتقال المشار إليه... ونتحدث فيما يأتي عن أحد الطرق المذكورة التي أدت إلى انبثاق موقف معتدل بين السنة ، ومن ثمَّ آلت إلى ولادة حركة تسير نحو التشيع... إننا نرمى من

---

(١) انظر: الشيخ علي الكوراني ، كتاب: عصر الظهور، فصل: مصر وأحداثها في عصر الظهور .

المعلومات التي عرضناها آنفًا تبيان دور الاعتدال الذي أبداه بعض السنة في تمهيد الأرضية لنمو التشيع ... وكانت هذه الحركة ملموسة في إيران أيضًا ؛ إذ ركن عددٌ من العلماء بخاصة بعض أقطاب التصوف إلى هذا الاتجاه »[١] ، فقسم أنجز عبر السياسة ، وقسم عبر الثقافة والأدب ، وأضيف هنا : وقسم يتم من خلال التحالف الشيعي الباطني ، ومن هنا نشط الشيعة في هذه المرحلة في وضع خطة متكاملة الحلقات وفق استراتيجية ركزت ابتداءً على التمدد الجغرافي في المناطق الرخوة والمهمشة في المجتمع المصري ، إضافة للتمدد النوعي من خلال الاهتمام بمراكز التأثير والتوجيه ترسيخًا للبنية الأساسية للمشروع من خلال توطين التشيع بين قطاعات مؤثرة في المجتمع يصعب اجتثاثها .

وبالقسم الأخير التحالف الشيعي الباطني أبدأ في استقراء معالم استراتيجية المشروع الشيعي نحو مصر على حسب الآتي :

أولًا : دور الشيعة الإسماعيلية في الإحياء القبوري الباطني ومحاولة طمس الهوية السنية لمصر :

(أ) البهرة خطر ناعم :

يقول اللواء فؤاد علام : (البُهرة فئةٌ منغلقة .. ولا يمثلون خطرًا على الأمن القومي) .

هذا تصريح من مسؤول أمني رفيع (المدير السابق لجهاز أمن الدولة سابقًا) يبعث نوعًا من الاطمئنان والارتياح لوجود هذه الطائفة في مصر مما يعطيها غطاءً رسميًا لأنشطتها ، ولكنها عند التدقيق والتحقيق نجدها تصريحات ينقصها كثيرٌ من الدقة والإحاطة العلمية ..وبعيدًا عن نظرية المؤامرة ، فإما أن هذا المسؤول الأمني

(١) رسول جعفريان ، الشيعة في إيران... من البداية حتى القرن التاسع الهجري، ص٤٨٦-٤٨٧.

الرفيع الذي يحاول دائمًا أن يثبت أنه لا تخفى عليه خفايا ونوايا الجماعات والحركات الإسلامية المختلفة التي انشغل بها فترة حياته فأصبح يتصدر الإعلام بوصفه خبيرًا أمنيًا ، إما أنه يجهل حقيقة هذا المذهب الضال وأحلامه وطموحه في مصر وغيرها وخطورته على الأمن القومي المصري فتلك مصيبة ؟ وإما أنه يعلم بتلك الفرقة وخطورتها ولكنه يشوش ويضلل الرأي العام لمآرب أخرى فالمصيبة أعظم !! فكما رشحت عدة تقارير صحفية تؤكد على القدرة الفائقة والنفوذ الخارق لطائفة البُهرة في مصر وبعض الدول العربية والذي يستدعيها أن تقيل ثلاثة وزراء للأوقاف في مصر لوقوفهم في وجه أنشطتهم في بعض المساجد التي يدعون أنها ميراثٌ لهم ... ولنبدأ قصتهم في مصر ومدى خطورتها .. مستفيدًا من خططهم في غيرها من الدول العربية وبخاصة اليمن.. وذلك من أول السطر :

سبقت الإشارة في الفصل الثالث إلى أنه عندما حكم الشيعة العُبيديون (الفاطميون) مصر ، وتحديدًا بعد وفاة خليفتهم المستنصر انقسموا إلى : مستعلية ومقرها القاهرة ، ونزارية (الحشاشين) والتي أصبح مقرها شمال إيران ، مما أحدث انقلابًا وتحولًا جذريًا في مسيرة الدولة ، عبر عنه الكاتب الإسماعيلي عارف تامر بقوله : « إنه بعد المستنصر بالله وقع ما يشبه الانقلاب في الدولة الفاطمية ، إذ تسلم الخلافة ابن المستنصر بالله الأصغر وأبعد عنها الوريث الشرعي - من وجهة نظره - بتخطيط ومؤامرة قائد الجيوش الأفضل الجمالي خال المستعلي ومن بعده الآمر بأحكام الله وبعدهما أربعة نواب الذين لا ينحدرون من أسرة الإمامة »[١] .

ويقصد أن (عبد المجيد أبي الميمون) الذي سيعرف فيما بعد باسم الخليفة الحافظ والذي سيبذل قصارى جهده لتولية ابن أخيه (الآمر بن المستعلي) وهو ابن

(١) عارف تامر ، القائم والمنصور ، ص١١٦ - ١١٧ .

خمس سنين[١] .

والذي سيقتله الشيعة النزارية (الفريق المنافس) فيما بعد دون أن ينجب له ولدًا ، وحتى لا تختل شروط الإمامة العمودية من الآباء إلى الأعقاب ومن ثم تنهار دعواهم ، اختلق له عبد المجيد أبو الميمون ولدًا كدأب الشيعة الإمامية دائمًا عندما لا ينجب الإمام من يخلفه وتقليدًا للشيعة الاثني عشرية في اختلاق قصة محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر عندهم ، فادعى عبد المجيد ولادة الطيب بن الآمر ؛ وحتى لا ينكشف الأمر ادعى هروبه إلى اليمن بصحبة باب الأبواب (أبي مدين) عند شيعة أبيه وجده من الصُليحِيين برئاسة الملكة (أروى الحرة) ، وهكذا هيأ الحافظ الأمرَ لنفسه من خلال أخذه البيعة بالنيابة إلى أن استتب له الأمر ودانت له الدولةُ فادعى الخلافةَ والإمامةَ[٢] ، وأمر أن يُدعى له على المنابر ، يقول الدكتور (محمد

(١) وهو ما يبطل إمامته حيث « انعقد إجماع الشيعة الإمامية على أن الإمام لايغيب عن الدار التي يخلف ولدًا كاملاً ، مستحقًا الإمامة ، ميراث النبوة ، وقد علمنا أن ابن خمس سنين إلى العشرة لا يجري عليه الحكم ، ولا تجوز شهادته ، ولا يرضى عقله ، وأنه لا تجوز شهادة من لا تجب الصلاة خلفه ، ولا تؤكل ذبيحته ، ورأينا أحدًا من اليهود والنصارى ، وغيرهم قدم مثل هذا ، ورضي به » جعفر بن منصور اليمن ، سرائر وأسرار النطقاء ، ص٢٥٢ ، وهو الأمر الذي وقع فيه من قبلهم الاثني عشرية بتولية محمد الجواد ابن سبع سنين الذي توفي عن خمسة وعشرين عاما مخلفًا طفلين صغيرين أكبرهما علي الهادي لم يتجاوز السبع سنين مما يخل بشروط الإمامة من أن يكون أكبر الأولاد ويكون فيه الفضل والوصية ويقدم الركب ، وأن الإمام لا يغسله إلا الإمام حسب ما أورده الكليني في الكافي ٣٨٥/١ ، وهو ما لم يحدث مع الرضا وأبيه موسى الكاظم أيضًا ، وأن يعرف بالسكينة والوقار والعلم ، وأنى لهؤلاء الأطفال ذلك؟ الأمر الذي أحدث انشقاقات مستمرة بينهم ورجوعًا عن عقيدة الإمامة لعدم انطباق الشروط...فتأمل !!!!

(٢) رغم بطلانها على شرطهم في قانون الوراثة العمودية حيث لاتجوز بعد الحسن بن علي رضي الله عنه إلا في الأعقاب فقط ، وليس للأخوة لهم نصيب فيها حسب الأصل الأصيل عند الإمامية ويستدلون في ذلك بما نسبوه بزعمهم للإمام جعفر الصادق أنه قال : « وأنها لاتكون إلا في العقب ، ولاتكون =

كامل حسين) : « وفي اعتقادي أن قصة الطيب هذه أقرب إلى الأساطير الخيالية منها إلى الواقع التاريخي »[(١)] .

ولعلها كانت فرصةً سانحةً للصليحيين أيضًا لإعلان انفصالهم الديني والسياسي عن الدولة الفاطمية ، ولحبك القصة وعدم انكشاف الحيلة ادعى الشيعة الإسماعيلية المستعلية على خلاف مبدئهم اختفاء الطيب تقليدًا للاثني عشرية ، ليبدأ عندهم دور الستر وأن الإمامة ستنتقل في نسله إلى يوم القيامة دون انقطاع ، وأن أمر الدعوة سيقوم به النواب وهم الدعاة المطلقون[(٢)] .

وقد جُمِعت لهؤلاء الدعاة المطلقين حتى وفاة (خَطاب بن الحسن) أخي الملكة (أروى) سنة (٥٣٣هـ) السلطتان السياسية والدينية ؛ ولذلك سموا بأهل السيوف ، ليبدأ من بعده عهد الدعاة المطلقين من أهل العلم[(٣)] .

= في أخوين بعد الحسن والحسين ، عليهما السلام » القاضي الإسماعيلي النعمان بن محمد ، المجالس والمسايرات ، ص١٢٤ . وقد سبقهم لهذه المخالفة أيضًا الشيعة الاثنا عشرية بتولية الإمام موسى الكاظم بعد وفاة أخيه الأكبر عبد الله الأفطح الذي لم يرزق الولد حتى مات ، مما ينسف دعوى الإمامة حسب شرطهم ، يروى الكليني عن الصادق أنه قال : « لاتجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين ، إنما هي في الأعقاب وأعقاب الأعقاب ، هكذا أبدًا إلى يوم القيامة » الكليني ، الكافي ، ٢٨٦/١ .

(١) محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص ٤٩ وهو ما أكد عليه أئمة التاريخ مثل ابن خلكان في وفيات الأعيان ، ٣٠٢/٥ ، وابن الأثير في الكامل ، ٣٣٢/٨ ، وابن العماد في شذرات الذهب ، ٦/ ١٢٠ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٠ ، واليافعي في مرآة الجنان ، ١٨٥/٣ ، وغيرهم ، ومن الإسماعيلية المعاصرين يقول عارف تامر : « هذا ، ولم يثبت ، ولا يوجد أي دليل يؤكد حمل امرأة الآمر بأحكام الله ، وأنها وضعت طفلاً اسمه الطيب ، فهناك مصدر آخر يؤكد بأنها وضعت أنثى اسمها : صفية ، لم تلبث أن ماتت » تاريخ الإسماعيلية ، ٢٢٧/٣ .

(٢) انظر : تاريخ الفاطميين في مصر ، ٢٧/٢ - ٢٨ .

(٣) سموا بالدعاة المطلقين ؛ لأن الداعية منهم لا يتقيد في اختيار الدعاة المطلقين من أحدٍ ما دام الإمام =

وهكذا استمر الأمر في ظل حروب طاحنة مع الشيعة الزيدية في اليمن لتنهار معها دولتهم وتنقسم فرقتهم الشيعة الإسماعيلية المستعلية الطيبية إلى طائفتين : الداودية[١] ، والسليمانية - المعروفة بالمكارمة[٢] - وفي ظل سيادة المذهب الزيدي على اليمن في عام (٩٤٤هـ) آثر الداعي اليمني المطلق (محمد عز الدين) الانتقال بالدعوة إلى الهند التي لهم فيها أنصار ، وفي تلك المرحلة الجديدة يتولى (يوسف نجم الدين) منصب الداعي المطلق كأول داعية هندي ليصبح من بعده حكرًا على الهنود ، وبالخصوص من أبناء « تارمل »[٣] الذين انحرفوا بنظام المذهب حيث ادعوا لأنفسهم العصمة ، وأنهم ناطقون باسم الله تعالى وكلامهم مقدم على القرآن الكريم والحديث أيضًا ، وأوجبوا على أتباعهم السجود لهم كما للأئمة.

ولعل من أهمهم الداعي المطلق (طاهر سيف الدين) على اعتبار أنه أول من تخطى النظم والتقاليد الإسماعيلية وخالف النظام المعمول به الذي كان يحتم أن لا

= حيًا إلا بإلهام من الإمام المستور فصار حرًّا في اختياره بشكل مطلق ؛ ولذلك سموا بالدعاة المطلقين ، ومن المهم التنبيه على أن هؤلاء الدعاة ليسوا بمعصومين عندهم مثل الأئمة ، وليس لهم إقامة الجمعة والعيدين ، ولا أن يخطبوا فيهما ، وليس لهم الدعوة للجهاد ، وهو الركن السابع عندهم ، وذلك بعكس الأئمة ، كما أنه ليس للداعي منهم أن يتجاوز في دعوته جزر الهند والسند واليمن ، وعليه أن يأخذ الميثاق من إمام الزمان وليس لنفسه . انظر : تحفة القلوب ، ص٣ - ٤ .

(١) نسبة إلي قطب شاه داود ، وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري ، وداعيتهم يقيم في بومباي .

(٢) نسبة إلي سليمان بن حسن ، وهؤلاء مركزهم في اليمن وجنوب السعودية حتىٰ اليوم .

(٣) تارمل : أحد ملوك الهند الذي كان يعكف على عبادة الفيل وقد دخلوا للدعوة الإسماعيلية المستعلية في مطلع القرن السادس الهجري على يد الدعاة اليمنيين أبي عبد الله الكوكباني ، وأبي أحمد الصنعاني ، ومن ذريتهم ينحدر زعيم البهرة الحالي محمد برهان الدين بمعنى ، أنه ليس من نسل الأئمة من آل البيت ، ومع ذلك يدعي لنفسه حقوقهم طبقًا للمعتقد الشيعي الإسماعيلي .

يوسع الداعي حدود دعوته في غير جزائر الهند والسند واليمن فقط[١] .

وهو ما تجاوزه إلى مصر ودول الخليج وإفريقيا والدول الغربية وغيرها ، مع أن الاجتهاد لا مجال له ولا مسموح به في ظل وجود إمامهم المستتر حسب اعتقادهم ، فلأول مرة منذ ثمانية قرون يتم تخطي هذا النظام بأول زيارة قام بها هذا الداعي المطلق لمصر عام ١٩٣٧م ، وقد أفصح عن هدفه من هذه الزيارة بقوله : « إنني جئت إلى القاهرة لأجدد فيما بيننا تلك الروابط الأصيلة القديمة وأوطد صلات التواد والتحابب » ، بيد أنه لم يفصح عن الهدف الحقيقي لتلك الزيارة من تهيئة الأجواء لظهور مهديهم واستعادة دولته منطلقًا من اليمن لتشمل مصر ودول المغرب العربي ، وهذا ما ستأتي الإشارة إليه لاحقًا ، بإذن الله تعالى ، وقد تلى ذلك أن قام أحد دعاتهم الدكتور محمد حسن الأعظمي بتأسيس جمعية الأخوة الإسلامية عام ١٩٣٧م بقبة الغوري بالقاهرة ، وأعتقد أنه قد كان لها أثر في ترويج كتب ومفاهيم الشيعة الإسماعيلية من خلال الجهد الوافر لمؤسسيها في ذلك ، ولنستكمل مسيرة تغلغلهم بمصر أولًا فنقول : هكذا كانت البداية والتي تلاها محاولات قد سبقهم بها الفرع الآخر للإسماعيلية النزارية الأغاخانية من خلال علاقتهم الوطيدة بالاحتلال البريطاني في مصر ، وكذلك بالقصر ، وبخاصة الملك (فؤاد) ، وقد استغل الداعي المطلق للبُهرة (طاهر سيف الدين) زيارة الرئيس (جمال عبد الناصر) إلى الهند عام ١٩٦٠م ، ولتوطيد العلاقات مع مصر قدم له صورة فوتوغرافية من كتاب « عيون الأخبار » والتي أودعها عبد الناصر بدار الكتب المصرية ، وفي المقابل أهدته الحكومة المصرية عام ١٩٦٥م قطعًا ثمينة من المنسوجات الأثرية من عهد الفاطميين المحفوظة في دار الآثار المصرية ، والتي تتألف من ٣٩ قطعة أثرية

---

(١) يقسم الإسماعيلية الأرض جميعًا إلى اثنتي عشرة جزيرة .

وبعض النقود الذهبية ، وذلك في أثناء زيارة (طاهر سيف الدين) للقاهرة التي أهدى فيها مقصورة فضية للمقام المنسوب لرأس الحسين ، رضي الله عنه ، بالقاهرة ، والذي أزاح عنها الستار رئيس الجمهورية (جمال عبد الناصر) عقب عيد الفطر المبارك في شوال ١٣٨٥هـ يناير ١٩٦٦م .

وكان لهذه السياسة الناعمة مفعول السحر ، ففي ١٣ مارس ١٩٦٦م بقرار مُسَيَّس من (جمال عبد الناصر) منحت جامعة الأزهر درجة العالمية (الدكتوراه) الفخرية في العلوم الإسلامية للداعي (محمد برهان الدين) تكريمًا له ولوالده ولطائفة البُهرة في شخصه تقديرًا لخدمات الطائفة في مختلف الميادين التعليمية والثقافية[١] في الوقت الذي كانت تجأر فيه السجون المصرية المكدسة بالموحدين من المصلحين والدعاة إلى الله تعالى من ظلم النظام وزبانيته؟!! ، ورغم ما شاب العلاقة بين الحكومة المصرية والبُهرة باقي فترة الستينيات من القرن الماضي من فتور في العلاقات ، فإنه قد شهدت هذه الفترة والتي سبقتها نشاطًا ملحوظًا في بعث التراث الإسماعيلي الفاطمي بشكل خاص واحتفاء الدوائر الثقافية والفكرية بالنشاط الفكري والسياسي الباطني بشكل عام ، وذلك في هوجة المد الثوري اليساري بمظلته الاشتراكية بدعوى أنه يجمع بينهم رؤى وفلسفات اجتماعية ونزعة تمرد

(١) مجلة الأزهر ، عدد أبريل ١٩٦٦م. واقتفاء بجامعة الأزهر قامت جامعة عليكرة بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٦٦م بمنحه شهادة الدكتواره في العلوم الفلسفية، كما طلبت منه عام ١٩٩٩م أن يرأسها كما ترأسها والده السلطان الراحل الدكتور طاهر سيف الدين من ١٩٥٣م إلى حين وفاته في عام ١٩٦٥م. وفي عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م منحته جامعة كراتشي بباكستان شهادة الدكتوراه في الآداب . ومن عجائب هذه الحقبة توزيع عبد الناصر درجات الدكتوراه الفخرية على الشواذ فكريًا من زعماء أو رؤساء لبعض الدول كما فعل أيضًا مع صديقه سكارنو رئيس أندونسيا الشيوعي الماركسي مؤلف ديانة البانتشاسيلا التي أجبر الشعب الأندونيسي على اعتناقها . للمزيد عن هذه الديانة انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والحركات المعاصرة ١ / ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

مشتركة ؛ ولذلك عمدوا إلى النكش في التاريخ لتدعيم فكرتهم في العالم الإسلامي ، يقول الاشتراكي الإسماعيلي مصطفى غالب : « كانت المدارس الباطنية وبخاص الإسماعيلية والقرمطية منها تدعو إلى مبادئ اشتراكية متطرفة ترمي إلى إحداث ثورات شعبية وعمالية وزراعية وصناعية ضد الحكام والملاك والإقطاعيين والأثرياء »(١) . ناهيك عن تسلل كثير من رموز الباطنيين داخل الدوائر الثقافية والفكرية والأدبية في مصر والعالم الإسلامي تحت مظلات الحداثة والتنوير فبرز جيل من المثقفين والأدباء يستخدمون نفس الأساليب الباطنية تحت زعم التأويل لتحريف الدين وتشكيك المسلمين في عقيدتهم مع الدعوة الصريحة أحيانًا والمستترة أخرى للتحلل من الأحكام الشرعية التي وجهوا لها سهامهم المسمومة(٢) .

فنجد بشكل ممنهج اهتمام كليات الآداب بالجامعات المصرية بتوجيه طلاب الدراسات العليا نحو إبراز الجوانب المتعددة للتراث الإسماعيلي في الوقت الذي دفعت فيه دار المعارف والهيئة العامة للكتاب بوصفهما الحكومي مع بعض دور النشر الخاصة بالعديد من كتب الإسماعيلية تحقيقًا وتأليفًا ، الأمر الذي يثير ظلالًا من التساؤلات ، ولعل ما يجيب عن بعضها أنه في هذه البيئة وفي هذا الوقت بملابساته الفكرية والسياسية من محاولة تسيد الفكر اليساري الناصري شتى الفئات والطوائف المنتسبة للأمة العربية في ظل التنافس مع المعسكر الآخر منها المؤيد من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب ، بدأ احتواء الأول (القومي) للكيانات الشيعية

---

(١) مصطفى غالب ، الحركات الإسماعيلية ، ص٥٤ .

(٢) مما يُذكر برتبة المكاسر داخل الترتيب التنظيمي للدعوة الإسماعيلية والتي من مهامه التشكيك في العقائد والثوابت لينتقل بعد ذلك المدعو إلى الداعي الذي يرتقي به حتى يسلمه للداعي المطلق داعي الجزيرة ، وللاطلاع على نماذج من أعمال هؤلاء الموسومين بالأدباء ومدعي الثقافة ، انظر للمؤلف : بحث الحداثة بمجلة الراصد ، عدد ٣٥ .

بأفكارها بمختلف مذاهبها ودعمها لتشكيل حركات مقاومة ضد حكوماتها - الموالية للمشروع الغربي الأمريكي - كما حدث مع شيعة المنطقة الشرقية بالسعودية التي ساعدها نظام عبد الناصر في تشكيل منظماتها المعارضة ، أو من خلال احتواء أحزاب البعث والأحزاب القومية للعناصر الشيعية الإسماعيلية والنصيرية بشكل خاص والاثني عشرية بشكل عام ، وبخاصة في كل من سوريا ولبنان والعراق(١) ، أو من خلال التحالف المشترك بين البُهرة والحزب الاشتراكي اليمني الجنوبي ، والذي لا يزال ، وهذا قد يفسر لنا سر دفاع هذه الحركات اليسارية بدرجاتها المختلفة عن المشروع الشيعي بشكل عام ، وهو ما سنلاحظه فيما سيأتي .

لقد استمرت حالة الفتور في العلاقات إلى أن وقع الرئيس المصري (محمد أنور السادات) اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩م ، وتحديدا منذ هذا العام بدأ التوافد المكثف ومحاولات الاستيطان في مصر بدءًا بزيارة السلطان الدكتور (محمد برهان الدين) للقاهرة لتبدأ رحلة في ظاهرها البحث عن المراقد المنسوبة لآل البيت وآثار العُبيديين والعمل على بعثها وتجديدها ، وفي باطنها تهيئة الأمر للظهور المرتقب لغائبهم المنتظر على ما سيتضح لنا فيما سيأتي ، إن شاء الله تعالى ، وكعادتهم فإن الهدايا الذهبية والرشاوى سبيلهم لتحقيق أغراضهم ، وفي ظل حميمية العلاقة مع النظام حيث منحه الرئيس (السادات) عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م وشاح النيل ، لذلك تقدموا بثلاثة طلبات وافقت الحكومة المصرية على الأول منها : وهو تجديد مسجد الحاكم بأمر الله والذي افتتحه (السادات) أواخر عام ١٩٨٠م ، والثاني : رفضته الحكومة بتسليمهم مفتاح المسجد لإدارته ، وفي سبيل ذلك قدموا هدايا

---

(١) وهو ما يلقي ظلالًا من الشك نحو تسيس فتوى التقريب بين السنة والشيعة المنسوبة للشيخ شلتوت ، رحمه الله تعالى ، شيخ الأزهر الذي كان لا يملك قراره في هذا الوقت ، بدليل ما سبقت الإشارة إليه من منح درجة الدكتوراه لزعيم البُهرة .

ذهبية لبعض المسؤولين لكن (السادات) رفض الأمر وسلم إدارة المسجد رسميًّا لوزارة الأوقاف ، ولكن عمليًّا فلهم السيطرة الكاملة حتى اليوم على المسجد والتي زادت في مدة حكم حسني مبارك (نوفمبر ١٩٨١م - ١١فبراير٢٠١١م) ، أما الطلب الثالث : فهو إنشاء إدارة تعليمية خاصة بهم على نهج الجامع الأزهر أي إنشاء فرع لمنظومتهم التعليمية في مصر استعادة لدور دار الحكمة زمن دولة العُبيديين ، وقد أرجأت الحكومة البت في هذا الطلب مع الوعد بدراسته لاحقًا . هذه كانت البداية المشؤومة التي ما إن تولى (حسني مبارك) رئاسة مصر حتى زاد نفوذهم وامتد انتشارهم وتغلغلهم في مفاصل الحياة الاقتصادية المصرية ، وفي إشارة واضحة لعمق العلاقة والنفوذ داخل مؤسسة الرئاسة المصرية ذلك الاستقبال الرسمي الذي يحظى به زعيمهم والذي يسبقه في العادة زيارة ولي عهده وابنه الأمير (طه مفضل سيف الدين برهان الدين) للالتقاء بوزير الداخلية المصري وكبار قيادته للاطلاع على الترتيبات الأمنية لزيارة والده السلطان على اعتبار أنه كان يستقبله الاحتلال الإنجليزي استقبال الرؤساء بإطلاق إحدى وعشرين طلقة المصاحبة للنشيد البُهري الخاص[1] ، وبعد استقبالات خاصة في صالة كبار الزوار بمطار القاهرة الدولي ، وتسخير سيارات رئاسة الجمهورية لمصاحبته خلال مدة إقامته في

---

(١) وفي ٩/٢٨ من العام نفسه استقبل ملك الأردن عبد الله الثاني محمد برهان الدين ، وقدّم له الشكر على تبرعه هو وطائفته بمقصورتين خاصتين لمقامي الصحابيين جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة في محافظة الكرك بجنوب المملكة. وكان قد استقبل من قبل والده الملك حسين قبل ذلك الذي كرمه بمنحه وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . ولمحمد برهان الدين منزل في مدينة الكرك بجوار قبر جعفر الطيار ، رضي الله عنه . ونستطيع القول : إنه قلما يزور سلطان البهرة بلدًا ما ، ولا يستقبل بحفاوة من قادتها ، ولا يخفى أن مد الجسور مع قادة الدول يسهل لهم نشر دعوتهم وتوفير الحماية لهم.

جولاته على أتباعه ومشاريعهم بمصر ، هذا في الوقت الذي كانت لمبارك علاقات متناقضة مع الجماعات والحركات الإسلامية على تنوع أفكارها من حيث التضييق والتنكيل الشديد برموزها وأبنائها ، وليس هذا فحسب فلقد طال عداؤه للإسلام نفسه حيث نجحت ماكينته الإعلامية في نسبة تهمتي الإرهاب والتطرف لكل ما هو إسلامي ، وتصدير هذا المفهوم للعالم حفاظًا على عرشه ؛ مما أنشأ حالةَ الخوف من الإسلام (الإسلام فوبيا) وهذه أبشع جرائمه التي تتضاءل بجوارها ماكُشِفَ عنه من جرائم ، وهكذا نجده في علاقةٍ وديةٍ وحميمةٍ مع طوائف النصارى ، ومع طائفة البُهرة التي مكن لها وقدم لهم التسهيلات والأراضي والحماية الأمنية المشددة وقصف الأقلام التي تتعرض لهم من الكُتاب والصحفيين ليتمددوا في صمت وهدوء على مدار عشرين عامًا في مناطق من القاهرة القديمة (الفاطمية) ، وقد استطاعوا خلالها شراء ٧٥٪ من محلات ومنازل بمناطق : الجمالية والحسين والدراسة والدرب الأحمر والموسكي على حسب ما صرح به جلال دراز أحد كبار الطائفة من المصريين ... ، وللتحايل على الحكومة خوفًا من المستقبل يتم كتابة هذه العقارات بأسماء أتباعهم من المصريين ، ويدلك على عمق هذه العلاقة ما كشفته صحيفة الأنباء الدولية[١] من خلال سلسلة تحقيقاتها حول وجود وخطر البُهرة في مصر من لقاءات الرئيس المخلوع حسني مبارك المستمرة لزعيم البُهرة تارة في استراحة شرم الشيخ ، وأخرى في قصر الرئاسة بمصر الجديدة ، وفي أحدها تلتقط

(١) وكان لمجلة التوحيد الصادرة عن جماعة أنصار السنة المحمدية قصب السبق في الكشف عن معتقدات هذه الطائفة الضالة من خلال افتتاحيات الشيخ أحمد فهمي رئيس التحرير – حفظه الله تعالى – ، ومن الحملة التي نظمتها عام ١٩٧٩م في أعقاب تجديدهم لجامع الحاكم ، وكذلك الحملة التي شنتها جريدة الموجز ، وأشير إلى المقالات الهادفة في جريدة الأنباء الدولية والمصري اليوم ومجلة أكتوبر وغيرها التي كشفت حقيقة هذه الطائفة وخفاياها .

له صورة وهو يرتدي الوشاح الذي لا يرتديه إلا زعيم الطائفة أو كبار المقربين منه مما أثار علامات الاستفهام التي لا يعجزها التخمين حول هذه العلاقة المريبة ؟![١].

ولأهمية الضيف يخرج السفير سليمان عواد المتحدث الرسمي باسم رئاسة الجمهورية في ٢٠٠٧/٥/٣م ويصرح بأنه : قد استقبل الرئيس حسني مبارك السلطان محمد برهان الدين سلطان طائفة البُهرة بالهند إحدي طوائف المذهب الشيعي ، وذلك بمناسبة زيارة السلطان الخاصة لمصر يزور خلالها مزارات آل البيت ويتفقد أحوال الطائفة ومشروعاتها في مصر ، حيث أعرب عن تقديره وشكره للرئيس مبارك لرعاية مصر للسياحة الدينية التي تقوم بها طائفة البُهرة ورعايته لمساجد آل البيت .

وأضاف : إن سلطان البُهرة تحدث خلال اللقاء مع الرئيس (مبارك) حول استثمارات الطائفة في مصر خاصة بمدينة السادس من أكتوبر ، حيث تقيم مصانع للرخام والبلاط والزجاج والسيراميك والملابس ، كما تحدث عن توجهات الطائفة لتوجيه هذه الاستثمارات إلى باقي قطاعات صناعة البناء . « هذا بالإضافة لشركات الأغذية والحلويات مثل شركة مونجنيزس بسلسلة فروعها : محلات (مونجيني) المنتشرة في القاهرة ، ومحلات أخرى في شارع المعز لدين الله الفاطمي ، ومحلات لبيع المواتير بشارع الجمهورية ، وثالثة بشارع النبي دانيال بالإسكندرية ، وبعض شركات صناعة الورق[٢] ، وقد منحتهم الدولة قطعة أرض بمنطقة الدراسة

---

(١) صحيفة الأنباء الدولية : انفراد حسني مبارك عضو في جماعة البهرة.
www.alanbaa-aldawlia.info\the131\body.asp?field=general_newsid195
أعتقد بصحة الواقعة وإن كان عنوان المقال غير صحيح .. ولكنه النهم على حب المال مع الارتباط بالأجندات المخابراتية الدولية .

(٢) وفي بعض دول الخليج العربي (دبي ، الكويت) تحتكر هذه الطائفة تجارة قطع غيار السيارات المستعملة وغيرها .

لإقامة فندق (الفيض الحكمي) لاستضافة ضيوف الطائفة ، هذا غير القصر الضخم لإمام الطائفة بشارع الأحرار بالدقي والشديد الحراسة والمحيط به منازل أتباعه .

وبتمويل مشترك من ليبيا التي سعى زعيمها المقتول (القذافي) على إحياء الدولة الفاطمية ، وكذلك من إيران ، وجند القذافي لذلك البهاليل والمرتزقة من المصريين وغيرهم وأقام المؤتمرات في الفيوم وغيرها لهذه الدعوى الباطلة –وكله بحسابه – ، وأيضًا من رجال الطائفة بالهند ؛ وذلك كله تحت دعوى إعادة ترميم آثار ومساجد مصر الفاطمية ، مثل شارع المعز لدين الله الفاطمي و جامع الحاكم الذي يحرصون على تجديده سنويًا ، وجامع الأقمر بميدان الليمون ، ومسجدي الجيوشي ، واللؤلؤة بالمقطم ، والذين استولوا عليه وسموه بمعبد (السيدة رولا) ، ومنعوا غير أبناء طائفتهم من دخوله ، وهذا ما حدث تحديدًا مع جمعية الحفاظ على التراث المصري التي كانت تقوم بزيارته ، وهكذا فعلوا في باقي المساجد التي يفرضون عليها سيطرتهم ؛ مما اضطر بعض الأثريين لأن يتقدم بشكوى رسمية.. ولكن من الواضح أن نفوذهم كان أقوى من أن تؤثر فيهم تلك الشكاوى !! ؛ ومن جانبه أكد الدكتور (عبد الله كامل) رئيس قطاع الآثار الإسلامية سابقًا بأن المساجد والآثار الإسلامية هي ملك لمصر وعلى أرض مصرية والجهة الوحيدة المسؤولة عنها هي المجلس الأعلى للآثار ، وبالتالي أي نشاط للبُهرة داخل المساجد الفاطمية ينبغي أن يكون بموافقات من المجلس الأعلى للآثار ، غير أن تلك الطائفة استطاعت أن تحصل على قرار بالموافقة على ترميم مسجد الحاكم بأمر الله ، ولكنها قامت بذلك الترميم على غير أسس علمية ، ويؤكد بشدة على أنه : « في الوقت الحاضر يجب أن تتوقف طائفة البُهرة عن ممارسة أي أنشطة داخل الآثار الفاطمية ، والمسؤول عن منع ذلك هو قطاع الآثار الإسلامية ، سواء كانت تلك الأنشطة ترميمية أو دينية أو اجتماعية ، وإعمال حق السيادة المصرية على الآثار يجب أن يُنفّذ » .

ويوضح كامل : « أن أعمال ترميم الآثار الفاطمية لم يكن ترميمًا ، بل كان عبثًا يستهدف تحديث هذه الآثار وليس ترميمها ، وهو ما يُخالف قواعد التعامل مع الآثار التي أقرّتها منظمة اليونسكو ، وهو ما يكشف أن تلك الأعمال التي قامت بها طائفة البُهرة كانت في غيبة من رجال الآثار في مصر وهي غيبة مقصودة » .

ويشير الدكتور (عبد الله كامل) إلى أن نفوذ طائفة البُهرة في مصر مؤثر جدًّا ، فقد استطاعوا أن يُتمّوا أعمال الحفر داخل القاهرة الفاطمية رغم أنه كان ممنوعًا بقرار من وزير الثقافة ، وأقاموا فندقًا داخل تلك المنطقة بالمخالفة للقانون ، وتواطأ الأثريون ورجال الإدارة المحلية معهم ، ولذلك فقد طالب بإزالة الفندق بيدَ أن المسؤولين تقاعسوا ، ويكشف الدكتور (حجاجي إبراهيم) أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة طنطا الغطاء عن الهدف الحقيقي لإعادة ترميم تلك الآثار وهو طمس المعالم السنية التي دونت على جدرانها في سّبيل إخفاء تلك الهوية عن مصر بعد انتهاء حكمهم فيقول : « إن البُهرة قاموا بترميم جامع الجيوشي دون مراعاة للقواعد المعمول بها في الترميم حيث قاموا بطلاء المسجد باللون الأسود دون اعتبار لشكله الأصلي.. وفي مسجد الحاكم بأمر الله أزالوا كل الإضافات الأثرية التي طرأت عليه بعد العصر الفاطمي والتي أضافها السنة » .

و يضيف حجاجي : « إن البُهرة يضعون في عقولهم ترميم الآثار الفاطمية بمصر مستقبليًا ، لذلك فهم يقومون بشراء المحال التجارية الواقعة في نطاق المساجد الفاطمية بأموال مغرية لغرض ما في نفس يعقوب »[(١)] .

وما ذلك إلا لأن « النقوش والآثار التاريخية أحد أدلة الإثبات التي يصعب الطعن في قيمتها ، أو التشكيك في أصالتها ، فهي من جهةٍ معاصرةٌ للحقائق والأحداث

---

(١) هامش : صحيفة الموجز . إمبراطورية البُهرة في مصر (٤)
www.almogaz.com/mode/3706 .

التي تسجلها ، كما أنها محايدة فتعوض النقص وتسد الفراغ في المصادر التاريخية ، ومن جهة ثانية فإنها تمتاز بأن تواريخها صحيحة -إلا فيما ندر - والأعلام الذين يذكرون بها يقل التحريف والتصحيف فيهم ، ومن جهة ثالثة فهي تفيد في مراقبة أقوال المؤرخين وإثبات صحتها أو الكشف عن أخطائها(١) .

ومن هنا حرص هؤلاء الشيعة الباطنيون على طمس الوجه السني لمصر من خلال طمس تلك النقوش المدونة على هذه الجدران ، حيث بها جزء من تاريخنا واستبدالها بغيرها ؛ مما يمثل جريمةً في حق مصرَ والمصريين والحضارةِ الإنسانية من ناحيةٍ ثانية ، وللبُهرة أسلوب خبيث في اختراق المؤسسات التنفيذية لتوفير المسوغات اللازمة لأعمالهم والغطاء الرسمي لممارساتهم المشبوهة بحيث تبدو للمسؤولين وجيهة ، وإذا لم يجد حشد المبررات اللازمة لذلك ، أظهروا الوجه الآخر بإبراز ذهب المعز من سلاسل وهدايا ثمينة يسيل معها لعاب أصحاب النفوس الضعيفة ، وذلك جريًا على سُنة إمامهم المعز لدين الله الفاطمي الذي استخدم السيف والذهب لتوطيد حكمه في مصر .. وبالفعل فقد دفعوا لذلك مئات الملايين من الدولارات غير الخمسين مليون التي يدفعونها سنويًا لوزارات السياحة والآثار والأوقاف مقابل زيارات تلك المساجد فيما يعد عندهم بمثابة نوع من الحج الذي له طقوسه الخاصة والتي عادة تكون بصحبة إمامهم الذي يحتفلون سنويًا بعيد ميلاده في حفل حاشد يضم الآلاف من أتباع الطائفة الذين يتوافدون على مصر على مدار أسبوع كامل داخل مسجدي الحاكم والأقمر ويبدأ عادة من بعد صلاة الفجر حتى لا يشعر بهم المصريون ، يرددون خلالها ترانيمهم الخاصة وهم يطوفون بضريح الحاكم بأمر الله ، ومن ثم يتسابقون على الشرب من البئر المقدسة عندهم

---

(١) محمد حمزة حداد ، النقوش الآثارية مصدرًا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ١/١٠ .

والموجودة في صحن الجامع لاعتقادهم أن جدهم مدفون فيها ، وأن لها خصائص بئر زمزم فهي باعتبارهم طعام طعم وشفاء سقم ، بعدها يخرجون إلى الشوارع رافعين الرايات والأعلام في شارعي المعز والجيوشي حاملين إمامهم على محفة ذات ثمانية قوائم متأولين قول الله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] ، ثم يعودون للجامع مرة أخرى ، هذا غير الطقوس الخاصة التي يحرصون على أدائها بعد مغرب يوم الخميس من كل أسبوع داخل مسجد الحاكم. وفي مدة إقامة الدكتور محمد برهان الدين يحرص يوميًا وسط حراسة أمنية مشددة على زيارة الضريح المنسوب للسيدة زينب ، والآخر المنسوب لرأس للحسين ، رضي الله عنه ، بالقاهرة حيث يتم إفراغ جزء خاص للطائفة التي تتوافد على المسجد قبل صلاة الظهر بزيهم المميز مفترشين مفروشات بيضاء فوق سجاد المسجد ويدخل زعيم الطائفة وكبار معاونيه داخل المقام وغير مسموح لغيرهم بدخوله ويتم منع المصريين من الاقتراب من المقصورة ، بينما يجلس إمامهم بداخله لمدة ساعة ، ومن ثَم يقومون بتعطير أركان المقام ليتلو زعيمهم آيات من القرآن الكريم وبعض الترانيم باللغة الهندية ويرددها خلفه أتباعه ، وقبيل أذان الظهر يخرج عائدًا إلى مقر إقامته وهكذا يوميًا ، وللأسف تشير صحيفة الأنباء الدولية[١] إلى خبر مزعج يتمثل في حضور كل من الدكتور (محمود حمدي زقزوق) وزير الأوقاف الذي أغمض عينيه عن استيلائهم وإدارتهم الفعلية للمساجد المذكورة رغم تبعيتها للأوقاف ، وحضور الدكتور (علي جمعة) مفتي الجمهورية والتي سبق لدار الإفتاء المصرية التي يترأسها أن أصدرت فتوى بأن « عقائدهم مثل عقائد الإسماعيلية ، مثل

---

(١) انظر : صحيفة الأنباء الدولية .

www . alanbaa - aldawlia . info \ the 131 \ body . asp?field = general _ newsid 195 .

وجوب إمام معصوم منصوص عليه من ولد محمد بن إسماعيل ، والقول بالإمام الغائب المستور ، ورفع أئمتهم لمنزلة أشبه بالألوهية ، ومنها القول بالتناسخ ، وأن الإمام وارث الأنبياء جميعًا ، وغير ذلك من العقائد الباطلة ، فهي فرقة غير مسلمة ، وغير كتابية ، وتعامل معاملة المشركين ، أو المرتدين في الأحكام ، فلا يجوز الزواج منهم ، ولا أكل ذبيحتهم من الأحكام الخاصة بمن ذكروا » .

والدكتور (أحمد عمر هاشم) رئيس جامعة الأزهر الأسبق ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب الذي حضر مؤتمر القذافي عن الدولة الفاطمية بالفيوم أيضًا ، وكان هذا الحضور الميمون احتفالًا بمناسبة عيد ميلاد إمام الطائفة محمد برهان الدين لبلوغ هذا الدجال مدعي الألوهية (٩٦ عامًا) ، وذلك على الرغم من فتوى مجمع البحوث الإسلامية ، ومن قبلها فتوى مفتي مصر الأكبر الشيخ (حسنين مخلوف) ، وهو ما أكدت عليه فتوى الشيخ (جاد الحق علي جاد الحق) شيخ الأزهر الأسبق - رحمه الله تعالى - في كتابه (بيان للناس) والذي كان مقررًا على طلاب جامعة الأزهر ، وفتوى الفقيه الشيخ (عطية صقر) ، رحمه الله تعالى .

وهذه واقعة حدثت معي شخصيًا في بداية النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي (العشرين) - لا أتذكر الآن السنة تحديدًا ..فما أكثر زيارات زعيم البُهرة للقاهرة في تلك الفترة!!- فبعد جولة دورية على مكتبات سور الأزهر قبل انتقاله لميدان العتبة ، دخلت إلى الجامع الأزهر لأداء صلاة الظهر ، وبعد الانتهاء من ركعتي تحية المسجد ، لاحظت توافد أعداد كبيرة من الهنود أصحاب السمت والزي الموحد ، وفجأة تم نصب خباء كبير - ساتر قماشي - في أحد جوانب المسجد للنساء اللاتي دخلن بأعداد كبيرة ، وكان كل منهم يحمل سجادة بيضاء ومفرش أبيض اللون يفرشه فوق سجاد المسجد ، وفي أثناء ذلك تقدم أحد عمال المسجد لينصب أعدادًا كبيرة من لاقط الصوت (كريستال الميكرفون) في

محراب المسجد ، وقد بدا كأن أمرًا غير معتاد داخل المسجد ، وبعدها بلحظات يدخل رجل مسن ذو لحية بيضاء وسط حشد كبير من أتباعه ، وإذا بأحد الشباب المصري يصيح : الشيخ أبو الحسن الندوي .. الشيخ أبو الحسن الندوي .. وبدأ يستعد للهرولة لعله يحظى بالسلام عليه ، وهنا استعادت بسرعة ذاكرتي ، فإنه ليس الشيخ الندوي ، رحمه الله تعالى ، ولكنه السلطان الدكتور محمد برهان الدين الذي تناقلت صورته وسائل الإعلام بسبب إهدائه مقصورة الضريح المنسوب للسيدة زينب ، وتذكرت ما سبق أن ذكره عنه الشيخ (أحمد فهمي) ، حفظه الله تعالى ، فأمسكتُ بيد هذا الشاب وأعلمتُه بحقيقة الرجل ، وكان يجلس بجواري أحد شيوخ الأزهر بزيه المعروف فسألته مستنكرًا : هل تصح يا مولانا الصلاة خلف هذا الشيعي العُبيدي الباطني ؟ ، فقال بأسى وحزن بعد أن ضرب كلتا يديه ببعضهما : لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا يا بُني ، فقلت له : فما العمل إذًا ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقبل أن يكمل كلامه بادرته : عندي الحل ..أن أقيم الصلاة قبلهم ونقدمك للإمامة فإن شاءوا صلوا معنا ، وإلا فليصلوا بعدنا؟ فوافق ، وبالفعل أقمت الصلاة بعد أن نبه الشاب المتحمس جموع المصلين بشكل فردي بالأمر وتقدم الشيخ للصلاة ، وما انتهينا من الركعة الثانية حتى صلوا بجوارنا وتلاصقت الصفوف واختلفت معها الحركات ؛ فضلًا عن ذكرهم بعض الأذكار الجماعية بعد انتهاء الركعتين اللاتي صلوهما بشكل سريع - حيث يصلون الظهر والعصر كعادتهم قصرًا وجمع تقديم - مما أربك من كان من المصلين على حدود الجماعتين ، وما إن انتهت الصلاة حتى ثار بعض هؤلاء(المصريين) اعتراضًا بسبب الخلل الذي اعترى صلاتهم.. وهنا امتلأ المسجد بضباط وأفراد مباحث أمن الدولة والشرطة الذين احتكوا بهؤلاء المصلين احتكاكًا خشنًا ، ومن بعدهم نزل فضيلة وكيل الأزهر الدكتور (رؤوف شلبي) ، رحمه الله تعالى ، إلى صحن المسجد ، ورغم

تقديري له لكتابته المتميزة حول بعض ديانات جنوب شرق آسيا التي عاش فيها فترة وأتقن لغتهم ، بيد أنه صاح مستنكرًا على هؤلاء المعترضين قائلًا : هؤلاء أفضل منَّا ؟ هو كل واحد في وجهه شعرتين هيعمل فيها مفتي ؟ هنا استرجعت ربي جل وعلا وانصرفت متأسفًا لعلمي أن هذا ليس برأي الشيخ ، رحمه الله.. ولكن لكل جوادٍ كبوة!! ، وأرسلت لجريدة النور لصاحبها الأستاذ (الحمزة دعبس) ، رحمه الله تعالى ، الذي نشر بعدها خبرًا عن هذه الطائفة (البُهرة) واستيلائهم على بعض المساجد ، ومن بعدها نشر خبرًا آخر عن انعقاد مجمع البحوث الإسلامية ليناقش موضوع البُهرة والذي كلف فضيلة الأستاذ الدكتور (محمد الطيب النجار) رئيس جامعة الأزهر بإعداد تقرير مفصَّل عن هذه الطائفة ، وقد انتهى فيه فيما بعدُ بالحكم بضلالهم وردتهم على ما نشرته بعض الصحف في وقتها.

أسوق هذه الواقعة على طولها لأدلل على مدى نفوذ هذه الطائفة المدللة من القصر الرئاسي حتى أصبح يحسب لها البعض ألف حساب .

وفي لعبة لتبادل الأدوار مع بعض المنتسبين للشيعة الاثني عشرية الذين يحرصون على الوجود المستمر – وبخاصة يوم الخميس من كل أسبوع – بضريح (الأشتر مالك بن الحارث النخعي) بمنطقة المرج بالقاهرة والمعروف بضريح (السيد العجمي)[1] ، وإقامة الطقوس الشركية هناك من استغاثة ودعاء وتضرع لصاحب

---

(١) الأشتر النخعي تابعي مخضرم ، من شجعان العرب الذين يضرب بهم المثل في الشجاعة ، وكان ذا فصاحة وبلاغة ، قال عبد الله بن سلمة المرادي : نظر عمر إلى الأشتر ، فصعَّد فيه النظر وصوَّبه ثم قال : إن للمسلمين من هذا يوما عصيبا ، وبالفعل كان زعيمًا لثوار الكوفة الذين ثاروا على الشهيد المظلوم ذي النورين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ويعد أحد أهم رجلين كانت سموم عبد الله بن سبأ قد أثرت فيهما ، فدبرا المكيدة لإثارة الثوار الذين أزال عثمان ، رضي الله عنه ، شكوكهم ، بتزوير كتابي الفتنة بمشاركة حكيم بن جبلة العبدي ، فحدثت الفتنة ، وكان مقتل عثمان أول ثلمة تفتح في الإسلام لتتابع الفتن بعدها ، ولم ينته دور الأشتر عند هذا الحد وإنما شارك السبئيين الترتيب لفتنة واقعة =

المقام ، ونظرًا للرفض المجتمعي لهم تولى الشيعة من طائفة البُهرة المهمة بما لهم من حظوة عند الحكومة المصرية ، فعملوا على تجديد الضريح ، وإضافة النقوش الشركية الخاصة بهم على جدرانه ، مثل : « إذا أزعجتك ملمة أو كربة ورجوت تنفيسًا فناد : يا علي » كما يقول الشيعة الاثنا عشرية في نقوشهم على مساجدهم : « ناد عليا مظهر العجائب... تجده عونًا لك في النوائب... يا علي يا علي » ، مما يلقي ظلالا من الشك في التنسيق المشترك بينهما - وإن كان الأمر يحتاج إلى مزيد بحث - ، ولتأكيد وضع أيديهم على المكان دفن زعيمهم محمد برهان الدين أخاه في نفس الضريح لتبرير الاهتمام والاعتناء به ومداومة زيارته وإقامة الطقوس فيه ، ولا تسأل أين كانت الحكومة؟ ولا أين كان المسؤولون عن هذا الاعتداء الذي قد يمس الأمن القومي لمصر ؟ ، ولا من سمح به ؟ لأن الإجابة أصبحت الآن بعد كل ما مر معروفة !! ، ولترسيخ ذلك زاد اهتمام أفراد الطائفة بالمنطقة التي سعوا لشراء الأراضي والعقارات وإقامة المشروعات فيها حول الضريح لإضفاء الطابع الشيعي الباطني عليها .

ومن الأماكن التي يحرص البُهرة على زيارتها باستمرار مسجد النبي دانيال بالإسكندرية والضريح المنسوب له ، وبجواره آخر منسوب للقمان الحكيم ،

= الجمل ، كما يذكر الطبري في تاريخه ١٩٤/٥ ، ومن بعدها موقعة صفين ، وكاد أن يحدث نفس الفتنة مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لعدم توليته وتولية عبد الله بن عباس البصرة وعبيد الله بن عباس اليمن وقثم بن عباس الحجاز ، فولاه أمير المؤمنين إمارة مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عبادة عنها ، فلما وصل القلزم (السويس) شرب عسلًا مسمومًا فمات سنة ٣٧هـ قبل أن يدخل الفسطاط ، انظر تاريخ الطبري ، ١٩٤/٥ ، ابن حجر ، الإصابة ، ٤٨٢/٣ . فمات بالسويس ولم يذكر أنه مات بالفسطاط ، ودفن في المرج ، ولم يكن عجميًا حتى يسمى بالسيد العجمي بل عربيًا يمنيًا.. فتأمل ؟؟!!

ويوجدان في القبو أسفل المسجد ، وكما هي عادتهم ركزوا استيطانهم وتجارتهم في نطاق نفس المنطقة ، وبخاصة في شارع النبي دانيال .

ومما لا شك فيه أنه بعد هذا التوصيف المختصر لعلاقة الشيعة الإسماعيلية (البُهرة) بمصر ووسائل وأساليب تغلغلهم اتضح لنا خطرهم الهادئ على هوية مصر السنية الذي تستخدم فيها التقية في أعلى صورها ، حيث لا نفوذ ولا وجود لهم فيها بعكس اليمن التي لهم فيها أقلية كبيرة تمتد حتى جنوب السعودية ، وبإمعان النظر في وجودهم هناك يمكن استقراء الجزء المخفي من خطتهم نحو مصر مستفيدًا من البحث الوثائقي للأستاذ علوي طه الجبل عن (الإسماعيلية من الداخل) ، وفيه كشف عددًا من الحقائق الخطيرة على لسان كبير البُهرة باليمن ومندوب إمامهم السابق الشيخ (غالب علي محسن) الذي أعلن توبته عن هذا الدين المنحرف ورجوعه إلى الإسلام على ما ستأتي الإشارة إلى بعضه لاحقًا.

ب ـ مصر والبهرة وعصر الظهور :

عموما تعيش الشيعة الإسماعيلية (البُهرة) كما الاثنا عشرية أحلام عصر الظهور والقيام بواجباته من حيث تهيئة بلدان ذلك الظهور لغائبهم المستتر ، ولذلك فهي لا تعترف بالسلطات القائمة في اليمن ومصر ودول المغرب العربي –التي تمثل النطاق الجغرافي للدولة الفاطمية – كما الاثنا عشرية تمامًا ، ويبشر الدكتور محمد برهان الدين في مقدمة « الدستور البُهري » بقرب زوال دولة الباطل وقيام دولته بقوله : « قد ادخر الله عز وجل للداعي الأجل سيدنا طاهر سيف ، رضوان الله عليه ، في جزيرة اليمن من شاناته أعظم شأن ، فرأى بما أمده ولي الله ، سلام الله عليه ، الإمام المستتر من تأييد الإشراق اليمن بنظر اللطف والأشواق ، حين علم أن الوقت لإنعاش المؤمنين قد آن أوانه ، وأن الباطل سوف يزول عن قريب سلطانه ، فأمر معصومه الداعي الثاني والخمسين محمد برهان الدين بالسفر إلى اليمن ، فبشر أهلها

بوجود معصومه فيهم بما سيريهم من سعادات »[١] .

ومن هنا فإن اليمن هي قبلتهم ومحط آمال استعادة دولتهم ومنها ستنطلق جحافلهم لإعادة بلاد المغرب العربي ومصر متأولين قول الله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] أي كما ظهرت دعوتهم من اليمن في القرن الثالث الهجري وعلى مدار عشرين سنة نجحوا في إقامة دولة لهم فيها ومنها فتحوا المغرب العربي ومصر ، وتمهيدًا لدولتهم المنتظرة تلك يروج البُهرة - كما الاثنا عشرية - فكرة خروج إمامهم المستتر الذي يشير إليه زعيمهم بأنه ولده وولي عهده الأمير المفضل بقوله إنه : « القائم ولده الذي يبشر به ، وهو تمام الدور من آدم ، عليه السلام ، وهو الموسوم بالعلي العظيم ، علي القدر ، سيد شباب أهل الجنة ، الذي سيملك الأرض وتكون بداية منطلق دعوته وظهورها بمنطقة الحطيب في محافظة حراز - باليمن - » ، على أنه سيخرج ملكًا لا داعية ، مما يستوجب توفير عوامل ومقومات الدولة كشرط أساسي للخروج ، ومن هنا شكل زعيمهم محمد برهان الدين نموذجًا إداريًا مصغرًا للدولة ، فأطلق على نفسه لقب السلطان ، وعلى أبنائه لقب (الشاه زاده) أي الأمير ، وعلى بناته لقب (الشاه زادي) أي الأميرات ، وقد أمر بإقامة دار للإمارة ، كما عين لحكومته رئيسًا للوزراء ووزيرًا للداخلية وآخر للخارجية وثالثًا للإعلام والعلاقات العامة.. وهكذا باقي المناصب الوزارية التي جعل لها صلاحيات واسعة على أفراد الطائفة ، كل في مجال اختصاصه ، في الوقت الذي أنشأ لهم قوات مسلحة خاصة مدربة تدريبًا عسكريًا ، ولتثبيت الأمر اخترع لهم عَلمًا خاصًا يحرص على رفعه فوق قلعة الحطيب باليمن عند زيارته الدورية لها ، مع تخصيص نشيد عرف بالنشيد البُهري الذي يحرص على عزفه

---

(١) الدستور البُهري ، ص٥ ، نقلًا عن : الإسماعيلية من الداخل لعلوي طه الجبل ، ص٤٤ .

في أثناء حفلات الاستقبال الرسمية مع زعماء الدول المختلفة والتي يحرص عليها بشدة ترسيخًا لحلم الدولة التي وضع لها دستورًا خاصًا بها ، كما أنشأ تنظيمًا خاصًا بشباب الطائفة (شباب أهل الجنة) تحت رئاسة ولي عهده وولده الأمير المفضل ، بينما يترأس ابن أخيه نصر داود الحزب الفيضي ، وأما العمل الاجتماعي فإنه يدار بواسطة الجمعية السيفية ، وهي غير الجامعة السيفية الخاصة بهم في الهند ، والخطورة في الأمر أن من يأتون إلى مصر تحت ستار السياحة الدينية من البُهرة منهم مليشيات مدربة تدريبًا عسكريًا ، فقد أشارت بعض التقارير المرفوعة من منطقة حراز باليمن حيث مكان اجتماع البُهرة السنوي أنه عند زيارة السلطان محمد برهان الدين في سبتمبر ١٩٩٥م ظهرت تشكيلات عسكرية من جنسيات مختلفة وتقوم بالتدريب ليلًا ، حيث يتدربون فيها على مختلف أنواع الأسلحة ، وبخاصة تنظيم شباب أهل الجنة ، الجناح العسكري لحزب الفيض الحاتمي الذي يكدس الأسلحة في المناطق الجبلية التابعة لنفوذهم في جبال حراز ، وما ذلك إلا لأن الجهاد في عقيدتهم يمثل الركن السابع من أركان إيمانهم ، ومن استقراء التاريخ نجد أنهم لم يجاهدوا عدوا للأمة مرة واحدة في حياتهم ، وإنما صوبوا سهامهم دائما نحو المسلمين متأولين الجهاد بأنه جهاد المناوئين لدعوتهم من المسلمين.

ج - البُهرة طابور خامس للصهيونية في مصر :

ولعلك لاحظت في إشارتي أن بداية توافدهم بشكل مكثف على مصر بدأت في عام ١٩٧٩م في أعقاب اتفاقية كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني المغتصب لفلسطين ، بما يحمله ذلك من إشارات ودلالات بأن ذلك الكيان اللقيط أحد الداعمين لخطة استيطان البُهرة في مصر لخلخلة النسيج الاجتماعي وإثارة الاضطراب الفكري فيها على التوازي مع زيادة النشاط الصهيوني منذ تلك الفترة في اليمن وإرتريا ، وكما احتضنوا البهائية في جبل الكرمل بعكا ، ومكنوا للقاديانية

الأحمدية في الكبابير بحيفا ، كذلك هناك تنسيق وزيارات مستمرة للسلطان (محمد برهان الدين) بحجة ترميم بعض الآثار الفاطمية وزيارات ورحلات منتظمة من أعضاء الحزب الفيضي لفلسطين المحتلة ، ويكشف الشيخ (غالب علي محسن) الذي سبق أن شارك في تلك الزيارات بصحبة سلطانهم أن ذلك يتم بتنسيق مسبق وبواسطة شفرة متفق عليها مع الخارجية الصهيونية ، وهي عبارة عن ختم على شكل مثلثات معينة تقوم مقام تأشيرة الدخول ، وقد كان يتم هذا الختم بداخل المساجد التي استولوا عليها بالقاهرة ، وكانوا يدخلون عبر معبر رفح بسيناء وكذلك من السويس[١] .

وهذا ما يؤكد عليه الدكتور (محمد إبراهيم) أستاذ علم الاجتماع بآداب حلوان بقوله : « إن اللعب بورقة النصارى أدى إلى إحداث فتن داخلية على مدار العقود الماضية ، وأصبح من الصعب إعادة الأمور النفسية بين طرفي الأمة إلى ما كانت عليه من وئام في عهود سابقة ، وإن ورقة النصارى وحدها لم تكن كافية ، لذلك تم اللعب بورقة الشيعة بهدف تفتيت الأمة لمصلحة دول خارجية إلى دويلات صغيرة مثلما حدث في نهاية عهد الدولة الإسلامية في الأندلس ، وإذا نظرت إلى ما يحدث الآن من إعادة توجيه للشيعة في مصر وإعادة تأهيلهم وإظهارهم كقوة لا يمكن إلا أن تقر بأنه مخطط للقضاء على الأمة الإسلامية » .

د – البُهرة وموقفهم من مخالفيهم :

نتيجة طبيعية لعقيدة التقية وما تولده من عزلة لاشعورية مع المحيط المخالف ، فإن البُهرة قد كتبوا على أنفسهم العيش في مجتمعات مغلقة (كانتونات) أشبه بالمجتمعات اليهودية ، ولتأكيد ذلك كتب السلطان محمد برهان الدين محذرًا

---

(١) وقد سبق لمجلة روزا اليوسف أن كتبت تقريرًا مفصلًا عن هذه الزيارات بعنوان (البُهرة من الجمالية إلى إسرائيل) ، العدد ٣٣٦٩ لسنة ١٩٩٣م ، فليراجع .

طائفته باليمن من مخالفة هذا الأمر بقوله : « اعلموا يا أبناء دعوتي أن من أخل بشرط من شروط العهد ونقضه فهو ناكث العهد ، خارج من سلك الإيمان والعقد ، واعلموا أن البراءة من الأعداء وترك مجالستهم ، ومواصلتهم في أي حال من الأحوال شرط من شروط التعهد ، فلا يجوز مواصلتهم بأي صلة ، وبأي حال في الحل والعقد ، فمن اتصل بهم وواصلهم في أي حال من الأحوال فقد أخل بشرط من شروط الميثاق ونكث عهده واستحق سخط الله ، وإن الله شديد المِحال... واعلموا أن مخالفي الحق هم إخوان الشياطين - يقصد المسلمين - وجنود إبليس أجمعون ، فجانبوهم واجعلوا البراءة منهم لكم جُنة ، لتعيشوا في أرض الدعوة بنفوس مطمئنة »[١] .

ومما يؤكد خطورة هذه الأفكار على المجتمعات الإسلامية في اعتراف قد لا نحتاج بعده إلى دليل ، ما سبق أن صرح به الكاتب الإسماعيلي المعاصر (مصطفى غالب) بتطور الحركة الإسماعيلية في أنظمتها ومعتقداتها الفكرية على دوران الزمن لتتحول إلى حركة فكرية ثورية علمانية تهدف إلى تحقيق أهداف انقلابية في النظم والأفكار والمعتقدات في المجتمعات الإسلامية[٢] ، وهو مما يحذر منه الدكتور حسن الشافعي أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة القاهرة والجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بباكستان سابقًا ، ورئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة بقوله : « إن مصر لا تعرف غير مذهب أهل السنة والجماعة ، وترفض تصدير المذاهب من بلد لآخر ، ووجود فئة مثل البُهرة لا شك أنه يهدد النسيج الاجتماعي المصري ويفتح الباب إلى دخول التشيع إلى مصر » ، ومن ثم يحذر من تزايد أعداد البُهرة داخل المجتمع المصري ، ويرفع صوته مطالبًا وزارة الأوقاف - ونحن معه - إلى تخليص مسجد

(١) علوي طه الجبل ، الإسماعيلية من الداخل ، ص١٢٤ . نقلاً عن هدايات الدين المضئ .. رسالة إلى أبناء الطائفة في اليمن كتبها عام ١٣٩٧هـ ، ص١٣ .

(٢) انظر : مصطفى غالب ، الحركات الإسماعيلية ، ص١٠٧ .

الحاكم بأمر الله وغيره من سطوتهم ، وتحذيره لكافة الجهات المعنية من خطرهم[١] .

٥ – استقواؤهم بالسفارات الأجنبية :

بالمقارنة بين تحركات الشيعة الإسماعيلية جناح البُهرة نجد التشابه في الخطط والاستراتيجيات ، ففي اليمن بعد أن أصبح لهم قوة وشوكة قاموا بتوزيع مذكرات استغاثة واستعطاف على السفارات الأجنبية تحت دعوى التمييز الديني ضدهم ، فتجاوبت معهم تلك الدول واهتمت بإبرازهم في وسائل الإعلام العالمية والمحلية كأقلية مضطهدة مهضومة الحقوق والحريات ، وفي مصر وسيرًا على نفس النهج أوردت جريدة (الموجز) المصرية خبرًا يشير إلى لقاء سري جمع بين أربعة من كبار قيادات طائفة البُهرة في مصر بـ « إدوارد إيدن » السكرتير بالسفارة الأمريكية بالقاهرة ، وذلك في بدايات يناير ٢٠١٢م ، وأشارت المعلومات الواردة في هذا الشأن إلي أن هذا الاجتماع جاء بعد أن أجرى « إيدن » العديد من الاتصالات بقيادات البُهرة في مصر وعلي رأسهم « جلال الدين دراز » الذي يعد أبرز زعماء الطائفة ، طلب من خلالها عقد لقاء يجمعه بمجموعة من زعماء الطائفة في مصر.. وهي الاتصالات التي بدأت منذ أواخر شهر نوفمبر ٢٠١١م ، ولكن اللقاء تم الإعداد له في منتصف ديسمبر من نفس العام ، وقد شهد اللقاء نقاشًا ساخنًا حول استثمارات البُهرة في مصر ومستقبل هذه الاستثمارات ، خاصة بعدما توسعت وشملت العديد من المجالات ، وأخبر « إيدن » زعماء البُهرة بأن الإدارة الأمريكية ستبحث وضعهم في مصر ، وسترىٰ إذا ما كانوا يتعرضون للاضطهاد أم لا ، خاصة

---

(١) صحيفة الموجز الالكترونية :

www . almogaz . com \ mode \ 3706

بعدما اشتكي زعماء الطائفة مما أسموه تعنت الأجهزة الحكومية –يقصد بعد مبارك – ضدهم وعدم سماحها لهم بافتتاح العديد من المزارات الجديدة على الرغم من أنهم يقيمون هذه المزارات بأموالهم الخاصة ، ولا يكلفون الحكومة المصرية مليمًا واحدًا ، بل على العكس ، فإنهم يقدمون خدمات جليلة للمجتمع المصري تتمثل في قيامهم بتجديد المزارات الدينية والمناطق المحيطة بها دون أن يكلفوا ميزانية الدولة المصرية أي شيء »[١] .

فهل ننتبه قبل فوات الأوان ؟!

لعل من نافلة القول الإشارة إلى أن دخل السلطان محمد برهان الدين سنويًا فقط من خلال الإتاوات والضرائب المختلفة – مع الزكاة والخمس – التي يفرضها على أتباعه باسم الدين يبلغ ٢٢٠ مليون دولار ، ومن خلالها استطاع شراء وإنشاء أكثر من عشرين مصنعًا كبيرًا في الهند وباكستان وغيرهما ، كما أن له فنادق ضخمة مثل : فندق (أمبسدار أتيل) وفندق (سندرا هاوس) ببومباي ، وللأسف يمتلك أيضًا فنادق في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بالإضافة إلى شركة كوكاكولا للمياه الغازية ببومباي ، ولبيان سخافة وتفاهة عقول أتباع هذه الطائفة المارقة أشير باختصار إلى أنواع الضرائب التي فرضها عليهم على أنها فروض دينية واجبة الأداء :

ضريبتا الصلاة والحج : وبها يجب على كل فرد شراء تذكرة لصلاة العيد يصدرها مكتب الداعي ، وتختلف قيمتها من الصف الأول إلى الثاني ، حيث تقل تدريجيًا كلما ابتعد المصلي من المجال المغناطيسي للبركات المتوهمة للمُلا جي (محمد برهان الدين) ، فمثلاً الصف الأول قيمتها ١٠٠٠ روبية هندية ، والثاني

---

(١) جريدة الموجز ، إمبراطورية البهرة في مصر (٤)

www . almogaz . com \ mode \ 3706 .

٨٠٠ روبية ، والثالث ٦٠٠روبية .. وهكذا[١] .

أما ارتياد بيوت العبادة الخاصة بهم فلا يُسمح لهم إلا بعد دفع مبلغ سنوي يسمى « النجوى » يستلمه النائب من السدنة ، أو يوضع في صندوق خاص ، أما الصلاة على الميت فلا تتم إلا بعد دفع الضريبة الخاصة ، ولا تتم إجراءات الدفن دون ذلك مهما مضى من الوقت ، وهذه الضريبة تسمى (روكشن) فيما يشبه صك الغفران حيث تدفن معه في القبر ، وكلما زاد المبلغ المدفوع ارتفعت درجة المتوفى في الجنة ، أما أمتعة الميت الخاصة فلا يحق لورثته التصرف فيها ، وإنما تجمع وتباع في مساجدهم لصالح الطائفة[٢] .

أما ضريبة الحج والتنقل فشأنها عجيب ، حيث يفرض على أتباعه دفع الآلاف من الدولارات للحج في مكة المكرمة ، حيث يعتقدون أنهم يحجون للإمام ، ويلتزمون بالإقامة في الفنادق التابعة لزعيمهم ، وكذلك عند زيارة مزاراتهم المتفرقة في كربلاء والنجف بالعراق ، والتي بالقاهرة ، والأردن ، وفلسطين ، والهند ، أما إذا أراد أن يتبرك بالضريح فلا يمكنه ذلك حتى يدفع ضريبة أخرى ، وثالثة إذا أراد الصلاة في تلك المزارات .

ضريبة السلام على الإمام : أما هذه فشأنها أعجب من السابقة ، حيث يتزاحم الأغنياء من أبناء الطائفة للسلام على الداعي ، ويتسابقون في دفع الهبات له بالعملات الصعبة والمحلية ، ويأتي كل صاحب رأس مال يحمل كيسه في يديه ليضعه بين يدي الداعي حرزًا لممتلكاته من كل مكروه وطمعًا في البركة والنماء ، ومن ثم يؤدي للداعي السجدات ومراسم العبودية ثم يلثم الأكف والأقدام ويقوم منصرفًا ليعطي الدور لغيره .

---

(١) خالد محمد علي الحاج ، الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد ، ص١٢٠ .

(٢) مصطفى غالب ، الحركات الإسماعيلية ، ص٤٥ .

هذا غير ضريبة الحمل لتحصل البركة للجنين وأخرى بعد الولادة ، وثالثة عند الختان ، ورابعة عند الزواج ، وخامسة عند فتح المحل الجديد ، وسادسة لتحقيق الأمنيات ، وسابعة لكفارة الذنوب السنوية ، أو لمخالفة تقاليد الطائفة .. وهنا تحضرني المحاورة التي تمت بين الدكتور (كامل محمد حسين) المهتم بدراسة الإسماعيلية وكانت تربطه علاقة صداقة بالأغاخان الثالث فسأله ذات يوم عن سر سماحه لهؤلاء الهنود أن يسجدوا له وهو المثقف؟ ، فضحك الأغاخان كثيرا حتى دمعت عيناه واستلقى على قفاه من كثرة الضحك ، ثم قال له : إن كان هؤلاء كانوا يسجدون للبقر أفَلَسْتُ أنا خيرًا من البقر؟؟ .. وصدق الله العظيم إذ يقول عن فرعون وأمثاله من هؤلاء الطواغيت[١] : ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ .

ومن تتمة البحث أن أشير إلى علاقة الإسماعيلية الأغاخانية[٢] بمصر ، فقد

---

(١) والشيء بالشيء يذكر : أما عند الفرع الثاني من الإسماعيلية المستعلية الطيبية السليمانية قسيمة البُهرة : فإنه على الواحد من أفراد الطائفة أن يوصي قبل موته بمال أو عقار للمنصوب (أي مندوب الداعي المطلق بينهم) وذلك حتى يصلي عليه ، ويتأولون في ذلك قول الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة : ١٠٣ ، والذي لايصلي عليه المنصوب يعتبرونه من المغضوب عليهم ، ومن مظاهر السخافة موضوع شراء الصلاة في عقيدتهم لمن كان مشغولًا في عمله ، أو لايريد أن يصلي ، أو من يريد أن يشتريها لقريب له فما عليهم إلا أن يتفاوضوا مع المنصوب على ثمن كل ركعة ، ومن ثم يقاول بعض الأشخاص على أدائها بالنيابة عنهم ، وتجمع كل هذه الأموال وتسلم إلى الداعي المطلق في نجران .

(٢) قد سبقت الإشارة إلى انقسام الإسماعيلية بعد وفاة المستنصر بالله الخليفة الفاطمي إلى مستعلية ، ونزارية التي انتقلت إلى فارس وانضم إليها إسماعيلية بلاد الشام والهند والسند واتخذت من قلعة آلموت عاصمة لها ، وفي عهد إمامة شمس الدين محمد انقسمت إلى فرقتين : الأولى نادت بإمامة ابنه الأكبر قاسم شاه اتباعًا لقواعد الطائفة ، وقد تسلسلت الإمامة من بعده في أولاده حتى إمامهم الحالي الأغاخان الرابع كريم شاه الذي يعد نفسه الوريث الوحيد والمحافظ على تسلسل الإمام =

كان للأغاخان الثالث (محمد الحسيني) (١٨٨٥ - ١٩٥٧م) علاقات وثيقة بالحكومة المصرية أيام الملك (فؤاد) ومن بعده (عبدالناصر) ، مما مكن هذه الطائفة من امتلاك عشرات الأراضي والعقارات في القاهرة ومدن الصعيد الكبرى التي تمارس فيها الأغاخانية عددًا من الأنشطة الاجتماعية من خلال مؤسسة الأغاخان للتنمية في مصر التابعة لشبكة الأغاخان للتنمية ، ويعتبر إنشاء حديقة الأزهر أحد أهم مشروعات الأغاخان الرابع (الحالي) كريم الذي اشترى مساحة ٢٥ فدانًا خلف التل المواجهة لمستشفى الحسين الجامعي بالدراسة ، وقد خصص جزءًا منها لإنشاء المركز العلمي لبحوث المذاهب الإسلامية - الذي لم يتم - في محاولة لإضفاء وجود رسمي على نشاط الشيعة الإسماعيلية بمصر بدعوى التقريب بين المذاهب ، وهي الخطوة التي نجح من خلالها الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في التغلغل على الأقل داخل الطبقة المثقفة

= الفاطمية حتى اليوم ، والثانية ساقت الإمامة في الابن الأصغر مؤمن شاه ولكنها لم تستمر طويلًا إذ انقرضت بعد وفاة إمامهم طاهر شاه الدكني عام ٩٥٠هـ بينما الأب علي خان تم تعيينه سفيرًا لباكستان لدى الأمم المتحدة ، ومن بعدهما تولى أخوه صدر الدين خان منصب المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (١٩٦٥م - ١٩٧٧م) ومن ثم تم تعيينه مستشارًا للأمين العام للأمم المتحدة ، وقد رشح لمنصب الأمين العام في دورتين سابقتين . ومن التقاليد الغريبة عند هذه الطائفة المنحرفة أنه اعترافًا بالولاء وتوطيدًا للعلاقات أقامت الطائفة احتفالا للأغاخان الأول محمد الحسيني بمناسبة الأعوام الاثنتين والسبعين لإمامته (١٨٨٥م - ١٩٧٥م) ، اليوبيل الذهبي (١٩٣٧م) ، والماسي (١٩٤٦م) ، والبلاتيني (١٩٥٤م) بتقديم ما يعادل وزنه من الذهب والماس والمال والبلاتين . وقد سبق أن أشرتُ لمعتقداتهم في استمرار العنصر الإلهي في ذرية الأغاخان ، وقولهم في الأذان .... ، والإشارة إلى طقوس الصلاة عندهم ... وبالتالي فهم لا يتوافقون مع البهرة في أداء عباداتهم ، وقد برز منهم من الساسة ذو الفقار علي بوتو ، وابنته بنازير بوتو وزوجها زرداري رئيس باكستان الحالي ، عبد الكريم الجندي من مؤسسي حزب البعث في سوريا .

بالمجتمع المصري ، بينما فشل فيها الإسماعيلية .

ثانيًا : معالم استراتيجية الشيعة الاثني عشرية للتغلغل في مصر

أ – خدعة التقريب :

في الوقت الذي فشل فيه الشيعة الإسماعيلية في افتتاح المركز العلمي لبحوث المذاهب الإسلامية ، نجح الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في افتتاح دار التقريب في مصر بعد أربع محاولات لاختراق الجدار السني في مصر تحت دعوى التقريب ، نجحت الأخيرة منها في أربعينيات القرن الماضي على يد الشيخ محمد تقي الدين القمي مبعوث آية الله العظمى البروجردي والذي استطاع أن يتسلل تحت مصطلح مخادع ومضلل باسم التقريب بين المذاهب الإسلامية ، مستغلًا حالة الفراغ والاضطراب ، بل والانكسار النفسي للمجتمعات السنية على أثر إلغاء الخلافة الإسلامية ، بالإضافة إلى سطوة قوات الاحتلال الأجنبية داخل المجتمعات الإسلامية وتفتيتها إلى دول وكيانات ضعيفة ، وتوق أبناء أهل السنة نحو إعادة سيادتهم .

فلقي ذلك المصطلح (التقريب) كطريق للوحدة وتحقيق القوة والعزة رواجًا داخل تلك النفوس المنكسرة ، فصدق المخلصون والطيبون من أهل السنة تلكم الدعوى وانساقوا يحدوهم الأمل في تحقيق هدفها المعلن ، على الرغم من تحذير الغيورين والمخلصين من علماء أهل السنة لإخوانهم أن يتعلموا من دروس التاريخ ويأخذوا منها العبرة .

فدائمًا ما يرفع آيات ومراجع الشيعة الشعارات ويعقدون المؤتمرات الكلامية المناصرة لقضايا الأمة ، ولكن مواقفهم العملية في جميع مراحلهم التاريخية تقف في صف أعداء الأمة .

وقد كان هدفهم الأساسي من تلك المحاولات هو كسر الحاجز النفسي عند

أهل السنة تجاه الشيعة والتشيع وتخفيفًا لحدة الخلاف بينهم .

المهم بعد أن كشف مؤامرتهم شيخ الأزهر محمد الخضر حسين[١] ، استجاب فريق ومن ثم انسحب سريعًا محذرًا من مغبة الانسياق في تلك المؤامرة ، منهم الشيخ (محمد عرفة) عضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ (عبد اللطيف السبكي) عضو هيئة كبار العلماء[٢] ، والدكتور(محمد البهي) وزير الأوقاف الأسبق وغيرهم ، ولعل آخرهم الشيخ (يوسف القرضاوي) أحد أعمدة الفكرة في العصر الحاضر الذي أعلن فشلها وبراءته منها متهمًا من تورط فيها من قبل بعدم تحصين المجتمعات السنية ضد عقائد الشيعة على حسب ما سبقت الإشارة إليه... بينما أحسن الظن فريق آخر من العلماء المصريين ، وبذلك أصبحت دار التقريب بالقاهرة منبرًا لتسريب العقائد الشيعية في مصر والعالم السني.

وهكذا استطاع الشيعة بمكر ودهاء بواسطة الخداع المصطلحي كسر الحاجز النفسي عند ذلك الفريق الذي له جمهوره ووسائل تأثيره، لينقلوا التشيع من كونه فرقة الخلاف بينها وبين أهل السنة في الأصول القطعية - وعلى حد وصف أحد مراجعهم : كالخطين المتوازيين اللذين لن يلتقيا أبدًا - ، إلى مذهب إسلامي الخلاف بينهم وبين أهل السنة فرعي - زعموا - كالخلاف بين المذاهب الفقهية ، مما ساعد على رواج المفهوم وانتشاره ، وبخاصة بين غير المتخصصين من أهل

---

(١) يذكر الأستاذ محب الدين الخطيب أنه وشيخ الأزهر محمد الخضر حسين قد فاوضا أبا عبد الله الزنجاني أثناء محاولاته الأولى والفاشلة في خداع علماء أهل السنة لتسريب عقائد الشيعة تحت دعوى التقريب بين السنة والشيعة، عن التخلي عن سب الصحابة وتصحيح نظرة الشيعة إليهم بيدَ أنه لم يوف بذلك،ومن ثم حاول خلفه عبد الكريم الزنجاني محاولة أخرى ولكن بشكل أوضح من سابقه بأن دعا إلى نزول أهل السنة على عقائد الشيعة فكان مصيره الفشل الذريع . انظر:محب الدين الخطيب ، نشأة الشيعة وتطورها،ص٤-٦.

(٢) انظر مقال الشيخ عبد اللطيف السبكي في مجلة الأزهر ، المجلد٢٤/٢٨٥-٢٨٦.

السنة في مصر ، وتبعهم غيرهم من أبناء العالم الإسلامي ، مما سهل استدراجهم إلى فخ التقريب ، تمهيدًا لنشر مذهبهم وترويجه بينهم.

وهذا الكلام ليس فقط من باب استقراء الأحداث وتحليلها ، ولكن تؤكده تصريحات كبار علمائهم حيث يقول (مرتضى مطهري الرضوي) : « **إن ما ننتظره على خط الوحدة الإسلامية أن ينبثق محيط صالح للتفاهم المشترك لكي نعرض ما لدينا ، بحيث يسمح لنا ذلك الجو أن نعرض بضاعتنا بعنوان كونها أفضل بضاعة ، حتى لا يبقى الشيعة في عزلة أكثر ، وتتفتح أمامهم المواقع المهمة في العالم الإسلامي ، ثم لا تبقى الأبواب مغلقة أمام المعارف الإسلامية الشيعية** » .

ومن ثم يؤكد (المطهري) أن هذا هو الهدف الرئيس الذي من أجله أرسل آية الله العظمى (البروجردي) الشيخ (القمي) للقاهرة بعد فشل محاولات من سبقوه فيقول : « **ما كان يفكر به المرحوم آية الله العظمى البروجردي على الخصوص ، هو إيجاد الأرضية المناسبة لبث معارف أهل البيت ونشرها بين الأخوة من أهل السنة ، وكان يعتقد أن هذا العمل لا يكون إلا بإيجاد أرضية التفاهم المشترك ، والنجاح الذي أحرزه المرحوم البروجردي جزاه الله عن الإسلام – يقصد الدين الشيعي المخالف لدين المسلمين – والمسلمين – يقصد الشيعة – خير الجزاء ، في طبع كتب الفقه الشيعي في مصر من قبل المصريين أنفسهم ، إنما كان على أثر هذا التفاهم الذي انبثق ، وكان ذلك أهم نجاح حققه علماء الشيعة** »[١] .

وهو ما صرح به أخيرًا الرئيس الإيراني السابق (رافسنجاني) في كلمته لجموع الحاضرين من الإيرانيين في أثناء زيارتهم للبقيع ، وذلك بعد حضوره مؤتمر الوحدة الإسلامية بمكة المكرمة في عام ١٤٢٩هـ : « **لا بد من اغتنام الفرصة**

(١) مرتضى المطهري ، الإمامة، ص٢٨- ٣٠ .

فالمفاوضات التي تجري حاليًا من خلال تبادل الحوار بين المذاهب فرصة ذهبية لنا لنأخذ منها أكبر حظنا في جذب قلوب المسلمين إلى مذهب أهل البيت ، عليهم السلام »(١) ، يقصد مذهب أهل البيت الذي ابتدعوه ونسبوه زورًا لأئمة أهل البيت وهم منه براء ، وأجد لزامًا علي أن أسوق ولو دليلًا واحدًا يوضح ما أشرتُ إليه ، ولا أجد أوضح مما كتبه (محمد صالح الحائري المازندراني)(٢) في مجلة (رسالة الإسلام) صوت ومنبر دار التقريب بالقاهرة تحت عنوان « منهاج عملي للتقريب إلى إخواننا المسلمين » في محاولته الماكرة لاستدراج أهل السنة لاعتناق عقائد الشيعة في الإمامة وترديد الاتهامات للصحابة الكرام ، رضي الله عنهم ، بعدولهم عن النص الظاهر بإمامة علي ، رضي الله عنه ، حسب زعمه والاجتهاد في تولية الصديق ، رضي الله عنه ، وذلك بقوله : (فما بالنا نتعارك في ذلك ، هذا بإنكار النص ، وذاك بإنكار صحة الخلافة... كما أن أهل السنة يمكنهم القول بالإمامة المنصوصة لعلي والأئمة من ولده ، وبأن الصحابة لم يخالفوا النص ، وإنما جوزوا تأخير العمل بالنص لصلاح الوقت ومراعاة ضعف أحوال الناس ، ولم يبطلوه ويكذبوه ، ولا تركوا العمل به رأسًا فتلقوا باجتهادهم النص واجبًا مؤقتًا يوقته المأمون عن الفتنة ونفوذ أعداء الإسلام في أمر الأمة في أول المصيبة العظمى... كيف وقد أخبر عليًا بما سيكون بعده ، وأوصاه بترك القيام والخلاف حتى تجتمع عليه الأمة بطباعهم ، وأنهم سيجمعون عليه وسينصره بالعراق مئة ألف سيف – وهو ما يكذبه التاريخ حيث لم يخذله إلا أهل العراق الذين

---

(١) www . shia – online . ir \ Yarticle . asp?id = 1300 .&cat=1

(٢) من كبار علماء سمنان بإيران.

(٣) الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة ، جمع وترتيب الدكتور عبد الكريم بن آزاد الشيرازي ، ص١٢٠ ، ١٢١ .

تبرأ منهم – ، وبهذا القول ترضى الشيعة ولا يكون على إخوانهم السنة فيه ضرر) ، هكذا بخداع ساذج ، ومكر لئيم من خلال طرح جديد يفرق فيه بين الإمامة التي يصفها بالسماوية المنصوص عليها ، وبين الخلافة الدنيوية في محاولة لتقريب السنة للتشيع لنرضي الشيعة ونغضب رب العالمين بتكذيب آياته البينات في عدالة وصدق الصحابة الذين مات عنهم النبي ﷺ وهو عنهم راض ، ولا يكتفي بهذا ، بل جعل من طرقه العملية المزعومة بعد عرض طريقته العلمية الأولى لتحقيق التقريب من حيث وجوب الرجوع للجوامع الأربعة عشر في الاجتهاد (الكتب الستة عند السنة ، والكتب الثمانية عند الشيعة) وهو ما عبر عنه بقوله : (وتمام هذا الأمر وكماله وضياؤه ومصباحه نصب كرسي لتدريس فقه أهل البيت في مصر وآخر لتدريس عقائدهم الكلامية) ليس في مصر وحدها ، بل يطالب بتدريس (الفقه الجعفري وسائر علوم آل محمد العترة الطاهرة في ممالك السنة فقهًا وأصولًا وكلامًا وتفسيرًا) ، والعجيب أنه نسي أن يطالب بنصب كرسي آخر لتدريس علوم أهل السنة في إيران والمعاهد الشيعية بها. ونحن نطالبه بأبسط من ذلك بأن يسمح فقط لأهل السنة في إيران بممارسة شعائرهم وفق مذهبهم ، وبناء ولو مسجد واحد لهم في طهران لصلاة الجمعة بجوار معابد المجوس واليهود وكنائس النصارى المنتشرة فيها ، مع هدم مزار أبي لؤلؤة المجوسي (المسمى عندهم بابا شجاع الدين) قاتل عمر بن الخطاب ، (ووقف الاحتفال بعيد فرحة الزهراء المزعوم...!!! على كل في جميع النصوص السابقة على امتداد الفترة الزمنية والمكانية بينها نلاحظ : أن الهدف واحد عبر عنه جميع من نقلت عنه آنفًا بألفاظ متقاربة ، وهو ترويج المذهب الشيعي بين أهل السنة وفي مصر خاصة.

ب – بعد مؤامرة التقريب :

تعددت حلقات مكرهم السيِّئ لإيجاد موقع قدم لهم في مصر مستفيدين من

تجاربهم التاريخية وسوابقهم في عدد من دول الخليج العربي واليمن ، فضلًا عن قيام دولة تحمل المشروع وتحميه بكافة مؤسساتها ، كل هذا سيكون في الحسبان عند محاولة استقراء استراتيجية الزحف الأسود نحو مصر خاصة والعالم الإسلامي بشكل عام ، ولا أبتعد كثيرًا أن قلت أن هذه الاستراتيجية قد اتخذت أشكالًا متعددة من أهمها : الاهتمام بالتمدد النوعي على حساب الكمي في هذه المرحلة وفيها يتم التحرك فيه على عدة مستويات ، مع الأخذ في الاعتبار أن التركيز هنا سيكون على الملامح العامة والخطوط العريضة لتلك الاستراتيجية بغض النظر عن بُؤر وجودهم داخل مصر ، أو الأشخاص والأدوات المنفذة للمشروع ، فجلهم إما مشوشٌ ذهنيًا ، أو معقدٌ نفسيًا ، أو مسترزقٌ على حساب دينه وأمته ووطنه ، وذلك حسب الآتي :

١ – المستوى الجغرافي :

* **الاهتمام بشبه جزيرة سيناء :**

يظهر المشروع الشيعي اهتمامًا ملحوظًا بترسيخ وجوده في بؤر معينة في عدد من محافظات الوجه البحري والصعيد وسيناء على حسب معايير ودراسات متعددة ، ويلاحظ بالاستقراء الميداني التركيز على القرى التي يكثر فيها التصوف المنحرف ، والمناطق الفقيرة التي ينفذون إليها من خلال المساعدات الاجتماعية المختلفة من محافظات الشرقية والدقهلية والغربية والبحيرة والجيزة ، على أمل أن يحقق لهم هذا الانتشار وجودًا إعلاميا يوهم بأنهم رقم فاعل – زعموا – ضمن النسيج المصري ، ولعل أهم تلك المناطق التي يسعى المشروع الشيعي إلى أن ينشط فيها :

شبه جزيرة سيناء ، وذلك لتوافر عدة عوامل من أهمها : حالة الاحتقان الشديد عند قبائل سيناء نتيجة التهميش الحكومي والمطاردة الأمنية بفعل فاعل على مر الحكومات السابقة مع انتشار الأمية لتمثل مرتعًا خصبًا لتلك الدعاوى الضالة ،

استفادة من تجربة ذلك المشروع السابقة بين القبائل العربية في العراق والتي تشيع قطاع منها على مدار خمسين عامًا تحت دوافع مختلفة آخرها القناعة العقائدية ، وبالفعل فقد حاول سماسرة المال الليبي والإيراني اختراق ذلك المجتمع القبلي تحت دعاوى وشعارات مختلفة لتحقيق أغراض سياسية في الأساس تميل ناحية الغرب حيث الصراع السياسي الليبي السعودي للعمل ضمن المخطط الليبي لمناكفة الحكومة السعودية من خلال حشد القبائل العربية تحت شعار مؤتمر القبائل العربية الذي سيدعى إليه وفود من عدد من الدول العربية لتأليب القبائل العربية داخل السعودية ، أو تجميع المنتسبين لأهل بيت النبوة والقذافي الذي يعد نفسه منهم بعد حصوله على النسب الشريف بشكل مشكوك في صحته ليبرر له دعوى المطالبة بإرثهم في مكة والمدينة مع الضغط الدولي لتدويل الحرمين ، وتارة أخرى تميل ناحية الشرق حيث التمويل الشيعي العراقي والإيراني لبذر الأفكار والمعتقدات الشيعية استغلالًا لحب وتقدير القبائل لأهل بيت النبوة من خلال إقامة الاحتفالات ، مثل احتفالية إحياء مسار أهل البيت على غرار ما حدث مع احتفالية مسار العائلة المقدسة من فلسطين المحتلة إلى القاهرة ، أو اختراع القداسة على بعض الأماكن بوسط سيناء وإقامة الاحتفالات السنوية عنده تمامًا مثلما فعل يهود مع الضريح المزعوم لأبي حصيرة بدمنهور ، ولعل الاهتمام بالتغلغل الشيعي جاء بعد فشل محاولة التغلغل النصراني الذي بدأ ظهوره بداية الثمانينيات من القرن الماضي في سيناء الأكثر مناسبة من الصعيد لإقامة نظام شبيه بكيان سعد حداد بجنوب لبنان ولو على المدى البعيد حيث استوطن عدد ملحوظ من المدرسين النصارى بعد انتقالهم للعمل في المناطق العمرانية الجديدة والقرى المنتشرة بصحراء سيناء رغم صعوبة الحياة فيها على غير أهلها ، وذلك بالتوازي مع النهم الشديد لشراء الأراضي والاستيطان بمدينة العريش بما يتبعه من تحويل للوظائف والمدارس وبناء كنيسة

كبيرة فيها رغم عدم وجود عائلات نصرانية بها تمامًا مثل مدينة رفح المصرية التي افتتح فيها البابا شنودة بطريرك الكنيسة السابق كنيسة ضخمة رغم عدم وجود عائلات نصرانية من أهل المنطقة بها أيضًا ، والمثير في الأمر دخول الشيعة على نفس الخط حيث أشار أحد ضباط الحرس الثوري الإيراني في تصريح مصور له على الإنترنت بأن لهم خلايا نائمة في سيناء[١] : والتي بلا شك لها ارتباط بالتشكيلات المتشيعة من بعض الفصائل المحسوبة على المقاومة في قطاع غزة من خلال الأنفاق المنتشرة على الحدود المصرية الفلسطينية ، وفي محاولة فاشلة لاستنساخ تجربة حزب الله وحسن نصر الله هناك في لبنان ، هنا في سيناء من قبل بعض مرتزقة المال الحرام تحت دعوى المطالبة بمنطقة أم الرشراش المصرية (إيلات) والتي لا زالت تحت الاحتلال الصهيوني على أنها مثيل مزارع شبعا في جنوب لبنان ، هناك قرائن وشواهد على وجود تلك البؤر أشارت إليها صورة التقطها مصور صحيفة (المصري اليوم) لأحد المسلحين في أثناء مقاومته للقوات الحكومية بجبل الحلال بوسط سيناء في عام ٢٠١٠م في صدر صفحتها الأولى في أثناء فترة استراحته وهو يقرأ كتاب (نهج البلاغة) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه[٢] .

وبعدها صرح اللواء مراد وافي محافظ شمال سيناء في الأسبوع الأول من تعيينه بأن هذا لا يمثل وجودًا شيعيًا حيث كان يقرأ الكتاب بالمقلوب على حد وصفه ،

---

(١) WWW . YOUTUBE.COM WATCH?V=PTXWDRTLLOUFEATURE= YOUTU.BE.

(٢) -almasryalyom.com\taxonomy\term\4555 ٠

سواءً نفى أو أكد أعتقد أنها كانت رسالة لها مغزاها ، وفي كل الأحوال تمثل سيناء بوضعها الجيوستراتيجي أهمية كبرى في المشروع الشيعي الصهيو أمريكي ، حيث تمثل دائمًا النقطة الأضعف والأخطر في خاصرة مصر والتي تعمل الخطط الصهيونية الحديثة على إقامة جمهورية البدو فيها والتي سبق أن أشار إلى حدودها غلاف مجلة أتلانتيك المتخصصة والقريبة من دوائر صنع القرار في الإدارة الأمريكية عدد يناير ٢٠٠٨م ؛ لتكون في تقديرهم بداية لتحقيق مخطط تفتيت مصر من أضعف نقاطها ليتلوها النقطة الأضعف المتمثلة في الصعيد جنوب مصر لتعمد التهميش والإقصاء الحكومي ، سبحان الله حيثما تجد المؤامرات والخطط الصهيونية تجد للمشروع الشيعي حضوره البارز في تلك المنطقة ، وللأسف ليس الوجود المقاوم ولكنه الذي يهيء لهذه المخططات الأجواء والظروف الملائمة لتنفيذها ، وإلا فما فائدة زرع بذور الفتنة والشقاق وإثارة الكراهية بين القبائل أو القبيلة الواحدة من خلال النتائج السلبية لنشر وترسيخ العقائد والمفاهيم الشيعية التي ستصطدم بلا شك مع الأعراف والتقاليد البدوية فضلًا عن تصادمها مع أصول الإسلام على حسب ما مر بيانه سواء كان ذلك في سيناء أرض الرباط التي تحتاج إلى مزيد من الوحدة والائتلاف ، أو في أرض الجهاد بفلسطين المحتلة؟!

*** الاهتمام بمحافظات الصعيد بجنوب مصر :**

المتأمل في استراتيجية تحرك الفرق الباطنية والمنحرفة على مدار التاريخ الإسلامي يجد أن جل اهتمامها ينصب على مناطق الأطراف بالدولة الإسلامية بفرض ضعف قبضة الدولة عليها ، ولعل محافظات الصعيد كانت إحدى محطات الهروب للشيعة الإسماعيلية بعد انهيار الدولة العُبيدية (الفاطمية) حيث تستروا فيها تحت ستار التصوف ، وقد شهدتْ قبل ذلك – على فترات متفاوتة عددًا من ثورات الشيعة الزيدية ضد الدولة العباسية ، وفيها كانت محاولات من الشيعة الإسماعيلية

للثورة في صعيد مصر سنة ٦٩٧هـ تزعمها من يدعى داود على أنه من نسل الخليفة العاضد الفاطمي والتي تم القضاء عليها ، وتلك محاولة أخرى دعمها الشاه (إسماعيل الصفوي) ضد دولة المماليك للدعوة له في مصر وتم القضاء عليها أيضًا ، وأعتقد أنه على مدار قرون سابقة على حكومات ما بعد يوليو ١٩٥٢م عانت محافظات الصعيد تلك من التهميش وعمليات الإفقار الممنهجة ربما للتركيبة السكانية التي يغلب عليها روح القبلية وما تحمله من طباع عربية لا ترضخ للظلم ، بل تتمرد عليه من خلال الثورات وهو ما تخشاه الحكومات دائمًا ، وبنظرة سريعة على تلك التركيبة القبلية العربية التي صاحبت الفتح الإسلامي لمصر أو من جاءت في أعقابه ، فمن القرشيين هناك من ينتمون لأهل البيت بفرعيه الحسني والحسيني ، والطالبي أيضًا ، وكذا هناك أحفاد للعباس عم النبي ﷺ ، ويتركزون في مدن وقرى محافظات قنا وأسوان ، وفيهما تنتشر قبائل العبابدة التي تنتسب للصحابي عبد الله ابن الزبير ، رضي الله عنه ، كما يتركز في هذه المنطقة قبائل العقيلات ، بينما تنتشر في باقي أقاليم الصعيد قبائل جهينة ، وفزارة ، وهوارة ، وعبس ، والمطاعنة ، والحجازية ، وغيرهم ، وبين كل هذه القبائل علاقات نسب ومصاهرة من فترات بعيدة ، ونتيجة للترابط القبلي أضحى لهذه القبائل وزنها الاجتماعي والسياسي مما يجعلها في بؤرة اهتمام المشروع الشيعي بالإضافة إلى عدد من الأسباب الآتية :

* استغلال حالة الاحتقان نتيجة التهميش والإفقار الحكومي المتعمد في الترويج بشعارات جذابة لهذه القبائل إلى إقامة دولة آل البيت ، وهو أحد موضوعات مؤتمر دعت إليه الطريقة الدندراوية في مارس ٢٠٠٩م بدعوى عودة الحق المغتصب لأهله بعد تأجيج العواطف والشعور العام بجرعات مكثفة من الروايات التاريخية المغلوطة والمبالغ فيها لهز الثقة في الصحابة وقادة التاريخ الإسلامي برمته ، ويتم ذلك من خلال عدد من المشروعات الخيرية تارة أو تسفير بعضهم إلى بعض دول

الخليج والعراق للعمل لدى المؤسسات والأفراد الشيعة هناك .

* استغلال انتشار العاطفة الدينية المصاحبة لأميةٍ شديدة مما يسهل ترويج الكثير من الأفكار والعقائد بعد تزويرها بنسبتها للنبي ﷺ ، أو لأئمة أهل البيت .

* محاولة اكتشاف بقايا الشيعة الفاطمية الذين تستروا بستار التصوف من خلال البحث عن العقائد والطقوس المشتركة مع الشيعة الاثني عشرية من إقامة الاحتفالات بالإضافة لمولد النبي ﷺ ، الاحتفال بموالد الأئمة الاثني عشر بما فيهم الموهوم المنتظر عندهم الذي تبدأ به عادة الاحتفالات ، مرورًا بباقي الأئمة لتختتم الليلة الكبيرة بالاحتفال بالخليفة الراشد علي بن أبي طالب بوصفه أبا الأئمة وسيدهم ، ويأتي ذلك في عدد من الطرق الصوفية ، أو الساحات التي تحمل اسم النبي الأعظم تارة أو أحد الأئمة الاثني عشر والغالب منها تحمل اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو ، الحسين رضي الله تعالى عنهما ، وأحيانا تحمل اسم العصبة الهاشمية والسدنة العلوية ، أو الأحفاد النورانية ، أو تحمل وصف السيدة فاطمة ، رضي الله تعالى عنها ، الحوراء ، على حسب الوصف الشيعي السابق الإشارة إليه من أنها حوراء إنسية ذات طبيعة ملكوتية ، بل طبيعة إلهية جبروتية ، وهكذا عدد آخر من الجمعيات الأهلية والمحلات والمطاعم .

يمكن قراءة ما سبق في سياق خريطة حدود الدم السابق الإشارة إليها والتي قسمت فيها مصر إلى أربع دول ، الصعيد أحدها ، ومدى تماس المشروع الشيعي في مصر معها بالاهتمام بنفس المنطقة بما يحمله من عقائد وأفكار من شأنها تأجيج حالة الصراع المجتمعي بإثارته الخلافات العقائدية التي تؤدي إلى التكفير المتبادل في ظل مجتمع متأصلة فيه العادات القبلية والتعصب لها مع امتلاكه لأدوات الصراع المستمر من سلاح وغيره ، وتوارث عادة الثأر.

يأتي اهتمام المشروع الشيعي بهذه المنطقة ليتناغم مع مشروعه النشط

بالسودان ، حيث إن التحكم في هذه المنطقة الممتدة من حيث الجغرافيا والسكان والتاريخ بروابط وعلاقات ومصالح ضاربة بأطنابها في عمق التاريخ ، علاوة على الأهمية الاستراتيجية والعسكرية للسودان بمتاخمتها لإرتريا بما فيها من قواعد عسكرية للكيان الصهيوني وكذلك قاعدة بحرية إيرانية ، ومع سيطرتهم على مضيق هرمز ، ومن خلال التحكم في المناطق المطلة على البحر الأحمر بمصر والسودان ووجود قاعدتها في إرتريا مع اكتمال مشروعهم في اليمن ، فإن هذا سيؤدي بلا شك للتحكم في حركة الملاحة في مضيق باب المندب ، وبالتالي حركة التجارة العالمية بالبحر الأحمر والخليج العربي وقناة السويس ، مما سيكسب المشروع الإيراني في مصر والمنطقة أوراقًا جديدة يستطيع بها أن يعزز قوته وفرض إرادته ومشروعه .

٢ – المستوى الثقافي :

* **احتلال مراكز التأثير والتوجيه :**

ويقصد بها تلك المراكز والأماكن التي يمكن من خلالها الاحتكاك بالجماهير أو التأثير على أفكارهم وتوجهاتهم ، وقد استطاع الشيعة في هذا الصدد العمل على اتجاهين في تلك المراكز ، واستغلالها والمناورة بها بما يحقق الأهداف المرحلية لاستراتيجياتهم في التسلل والنفوذ داخل المجتمع ، وهما :

الاتجاه الأول : اتجاه المتشيعين والموالين لمرجعياتهم الشيعية ممن تأثروا بالعقيدة الشيعية سواء عن شبهات أو شهوات ، وهذا الاتجاه أوضح في الدعوة إلى عقيدتهم وإن استخدموا التقية أحيانًا.

الاتجاه الثاني : اتجاه المناصرين والمؤيدين إما تحت دعوى أن الخلاف بين السنة والشيعة فرعي ولا دخل له بأصول العقائد ، أو بزعم مقاومة المشروع الإيراني للمشروع الصهيوني الأمريكي بالمنطقة (التشيع السياسي) ، وبالتالي استخدام فزاعة

الرمي بالعمالة للمشروع الصهيوني لكل من يتصدى للمشروع الشيعي ويحذر منه ، إما للمنفعة المادية أو غير ذلك ... ويُعد هذا الاتجاه الثاني أخطر من الاتجاه الأول؛ لعدم وضوح هويته وقدرته على التدليس والتلبيس على عوام الناس وأنصاف المثقفين .

وللشيعة في دول الخليج العربي واليمن تجربة ثرية نجحوا من خلالها في الاندساس ضمن مراكز التأثير الجماهيري ، وفق برنامج منظم ودقيق ، فكما استطاعوا تحويل مجموعات الشيعة اللبنانية من مجموعات هامشية إلى رقم صعب التجاوز في المعادلة اللبنانية ، استطاعوا كذلك من خلال السيطرة أو التغلغل في عدد من مراكز التأثير الجماهيري من تعميق التشيع في دول الخليج ، وبإمعان النظر سنجد ملامح نفس الخطة للتغلغل الشيعي داخل النسيج المصري ، ومن أهم مراكز التأثير تلك :

الجامعات والمدارس :

يعتبر مجال التعليم بمستوياته المختلفة حجر الزاوية للتغلغل والتأثير ، حيث إن أساتذة الجامعات منارات الفكر في الدولة وباحتكاكهم بالطلاب يستطيعون توريث أفكارهم ، وبخاصة طلاب الدراسات العليا الذين يكثر احتكاكهم بالأساتذة المشرفين على رسائلهم فيسهل توجيههم وتوجيه مسار دراساتهم ، وهو ما نجح فيه الشيعة في عدد من دول الخليج العربي .

ففي البحرين مثلا كان شعار الشيعة هناك خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي « بالعلم والعمل والولد سنحكم البلد » ، وبذلك أصبح المجتمع الشيعي يزخر بالكفاءات العلمية والمعرفية ، الأمر الذي غير ميزان القوى لصالحهم ، وبالفعل فإن هناك عددًا وإن كان محدودًا للأساتذة المتشيعين في بعض الجامعات المصرية وبخاصة في كليات الطب والآداب ، وكذلك في إحدى كليات الجامعة الأمريكية

بالقاهرة ، والذين يمارسون نشاطهم في بث دعوتهم بين جموع الطلاب بشكل مباشر أو غير مباشر ، هذا غير الفئة الأخرى من الذين يمكن تصنيفهم من الفريق الثاني من المناصرين ، وبخاصة بعض أساتذة التاريخ الإسلامي ممن ينتسبون إلى الماركسية أو اليسار المصري ، وبعضهم من أصحاب البروز الإعلامي أو ممن يحسبون على ما يعرف بالنخب الثقافية الذين يحتفون بالحركات السرية الشيعية والباطنية منها بشكل أخص على أنهم يمثلون اليسار - حسب تصنيفهم السياسي لأجنحة المجتمع - وأزعم أنهم حققوا نجاحًا في مسخ عقول بعض الشباب وشحنهم بالثورية والتمرد على عقيدتهم ومجتمعهم متأسين بنماذج من تلك الحركات الباطنية التي درسوها لطلابهم على أنهم أبطال ونماذج ويجب أن تحتذىٰ ، وهناك مجموعة أخرى احتكت في دراساتها باللغة والأدب الفارسي فظهر تحيزهم الواضح للفكر الشيعي.

فإن كان للطالب الجامعي القدرة على تمحيص الأفكار ، فإن الأمر بالنسبة للطفل أصعب مما يجعله سهل التشكيل ، ومن هنا كانت خطورة الحرص على جذب مدرسي المراحل الابتدائية والإعدادية لحظيرة التشيع وبخاصة الذين يدرسون مادتي اللغة العربية أو التربية الإسلامية ، وهو ما لاحظه بعض أولياء الأمور في بعض المدارس الخاصة بالقاهرة وكذلك بمحافظات البحيرة والشرقية والدقهلية .

وتشير صحيفة الحقيقة الدولية عبر مراسلها بالقاهرة (مصطفى عمارة) بتاريخ ١١ أبريل ٢٠٠٧م بقيام أحد مدرسي العلوم بإحدى المدارس الخاصة بعقد العديد من اللقاءات والدروس بشارع أحمد عصمت بعين شمس الشرقية مع بعض أتباع المذهب الشيعي مع توزيعه لمجلة البصائر اللبنانية مجانًا على عموم الناس وطلبة الجامعة بشكل خاص ، وفي وقت سابق وقبل إغلاقه قام مركز دراسات آل البيت بالدقي بتكوين مجموعات للتقوية والدروس الخصوصية في المناطق الفقيرة والعشوائية للغرض نفسه .

الكتب والمكتبات :

يهدف الشيعة من خلال ترويج الكتب الدعائية في مصر والعالم الإسلامي إلى خلخلة بعض الثوابت عند أهل السنة تجاه الشيعة لتحطيم الحاجز النفسي تجاههم ، ولعل كتب محمد جواد مغنية ، وعبد الحسين شرف الدين من أبرز الأمثلة على ذلك .

وكان من النتائج المترتبة على رحلات الشيخ (تقي الدين القمي) في فترة الأربعينيات من القرن الماضي ونجاحه في تأسيس دار التقريب وما تلا ذلك من زيارات لمرتضى الرضوي ومحمد جواد مغنية وغيرهم من مبلغي الشيعة ، الذين استطاعوا طباعة بعض تلك الكتب الشيعية الدعائية بواسطة وزارة الأوقاف المصرية ، التي قدم كبار علمائها لبعضها تحت دعوى التقريب ، بينما لم يطبع الجانب الإيراني الشيعي في إيران كتب السنة المعتمدة ، أما الكتب الأخرى فطبعت من خلال عدد من المكتبات المصرية مثل : مكتبة النجاح ، ومكتبة السعادة و... ، أو ما أنشأوه من مكتبات مثل : دار البداية ، ثم الهدف وغيرهما ، أو ما تنشره الطريقة العزمية من سلسلة كتب تدعم هذا الاتجاه.

ويمثل معرض الكتاب فرصة ذهبية لتلك المكتبات لإصدار وتوزيع كميات كبيرة من هذه الكتب الدعائية بشكل مجاني ، والتي لا تظهر المذهب على حقيقته ، أو تلك التي تسعى إلى خلخلة الثوابت العقدية عند أهل السنة ، وثالثة تهتم بالترويج للمشروع السياسي الشيعي على أنه مشروع الأمة المنقذ لها من وهدتها الحضارية والذي سيعيد لها بزعمهم عزتها وكرامتها ، وذلك بالتعاون مع بعض دور النشر اللبنانية والعراقية الشيعية التي حرصت على المشاركة فيه في الآونة الأخيرة بشكل مكثف ، بالإضافة إلى بعض دور النشر القادمة من هولندا ، مثل : المركز الثقافي الهولندي وغيره ، ويعد المعرض فرصة جيدة لتسليم خمس أموال الشيعة المصريين لتوصيلها لمراجع التقليد التابعين لها ، كما أنه فرصة جيدة لالتقاء المجموعات

الشيعية مع نظرائهم من الدول المختلفة لتبادل الآراء والأفكار.

إقامة كيانات ثقافية :

على الرغم من أن الشيعة استخدموا هذه الوسيلة قديمًا في مصر ، من خلال إنشاء دار الحكمة قديمًا ، ودار التقريب في العصر الحديث ، ثم جمعية آل البيت وبعض المؤسسات والمراكز الثقافية مثل مركز أهل البيت للدراسات بالدقي ، وقد كشفت بعض التقارير الصحافية عن إقامة تلك الجمعيات والمراكز احتفالات ولطميات في ذكرى عاشوراء بمناسبة استشهاد الحسين ، وبعضها تعرض فيه مسرحية (الليالي الحسينية) وأفلام ذات مضامين عقدية شيعية ، وفيه تلقى الكلمات شعرًا ونثرًا التي تتعرض بالقدح في الصحابة ، رضي الله عنهم ، غير ما تقيمه من ندوات وما تصدره من نشرات .

محاولة التسلل إلى منابر المساجد :

يسعى بعض المنتسبين للتشيع تحت ستار حب أهل البيت ، أو من خلال الادعاء بالانتساب لبعض الطرق الصوفية بخاصة في بعض قرى الوجه البحري أو مدن وقرى الصعيد في ظل حالة الارتباك السياسي والضغط الاجتماعي ، وبدعم من تيار التشيع السياسي والفضائيات الشيعية إلى التسلل لمنابر المساجد الرسمية التابعة للأوقاف والأزهر أو المساجد الأهلية ، هذا بالإضافة إلى ازدياد المطالبة بتخصيص مساجد للعراقيين الشيعة في بعض أماكن تجمعاتهم مثل مدينة ٦ أكتوبر ، وفي محاولة لإثبات الوجود يحرص هؤلاء بصحبة بعض المتشيعين المصريين على الاحتفال بمولد الحسين ، وكذلك بيوم عاشوراء ومحاولة إقامة مراسيم العزاء كما عند الشيعة وهو الشيء الغريب على المجتمع المصري مما يلقى استهجانًا واستنكارًا شديدًا ، مع حرصهم الدائم على تكثيف زيارات الأضرحة المنسوبة لأهل البيت مثل ضريح السيدة زينب ، والسيدة نفيسة بالقاهرة ، ويحيىٰ المتوج بالأنوار

بالزقازيق ، بالإضافة إلى ضريح الأشتر مالك النخعي وغيرهم ، إحياءً لتقاليد انحصرت في بيئات وأماكن محدودة في المجتمع المصري .

* **سلك القضاء والمحامين والمراكز الحقوقية :**

تحقيقًا لاستراتيجية التمدد النوعي بين النخب الفكرية المصرية يسعى بعض المحسوبين على التشيع اختراق سلك القضاة والمحامين تحت مسميات مختلفة وجلسات ولقاءات خاصة ، بالإضافة إلى تشكيل مراكز حقوقية للدفاع عن المشروع الشيعي ورموزه مثل : مركز الإمام علي لحقوق الإنسان ، أو ما أسهم فيه بعض المستشيعين المصريين من تشكيل لجنة حقوقية عالمية بتعاون عراقي خليجي ، تتعقب كل من يتصدى للمد الشيعي باسم (الرابطة العالمية للدفاع عن الشيعة) تابعة للتيار الصدري بالعراق.

٤ - المستوى الإعلامي :

يعتبر الإعلام الموالي الركيزة الثانية بعد المال في تثبيت النفوذ كدأب اليهود تمامًا، إذ رغم قلتهم فإنهم قد استطاعوا باستخدام المال والإعلام من السيطرة على الأجسام والعقول في أمريكا ، ونفس النهج ينتهجه المشروع الشيعي في مصر والعالم الإسلامي في نشر التشيع ، وعبر الإعلام يمكن التأثير على الجمهور وتغيير الرأي العام ، بل تحجيم الخصوم بالدعاية السوداء المضللة ، أو إزاحتهم بالكلية عن طريقهم ليسهل لهم التغلغل في المجتمعات السنية ، مستخدمين الوقيعة بين الحكام وعلماء ودعاة أهل السنة ، والعمل على تخويف تلك الحكومات منهم ، بنسج المؤامرات الوهمية ، وتضخيم الأحداث الفردية على أنها خطط ومؤامرات ضدها ، في اليمن يقول بدر الدين الحوثي (زعيم ومرجع الحوثيين) في رسالته الطويلة لجواد الشهرستاني - صهر وابن شقيق المرجع الشيعي السيستاني - والتي كشف فيها خيوط خطته بقوله : « لدينا معرفة كاملة بما يدور في دهاليز النظام الحاكم ، نظرًا لوجود عناصر أمنية مسؤولة في السلطة قريبة من

أعضاء الحركة ، ونحن نعرف خصومنا من كبار المسؤولين ، وهم لا يعرفون أن لدينا خمسة من الوزراء بين مؤيدين ومناصرين لحركتنا، مع وجود أربعة من المحافظين من الأتباع ، أو يضمرون الشر للحكم الظالم جهارًا نهارًا ، ويعملون على دعم الشباب المؤمن دون خوف » .

وعن دور الإعلام في الخطة يقول : « ولا ننسى هذا الدور البارز والحاوي للإعلام الصحافي الموالي للحركة ، فقد عمل ولا يزال يعمل على نقد الفساد والتهجم على رموز النظام وأسرة الحاكم الظالم المغتصب ، ويكفي أن نبين لكم مدى قدرتنا على الاكتفاء بصنع وإيجاد صحف مناصرة للحركة في اليمن ، ففي هذا الأسبوع ستصدر صحيفة « الوسط » ، وهدفها إثارة المشاكل بين الدولة الوهابية المجاورة ونظام الحكم الظالم في اليمن ، والمستفيد من ذلك هم السادة الأشراف في الحجاز ، وللإخوة في الأردن بالتنسيق معنا دور في خروج هذه الصحيفة بالتعاون مع السيد عبدالرحمن الجفري ، وفي هذا المجال فإن لدى الحركة صحفًا مناصرة ، منها : صحيفة « الشورى » ، وصحيفة « البلاغ» ، وصحيفة « الأمة » ، أما الصحف المناصرة للحركة منها : صحيفة « الثورة» ، و « ١٧ يوليو» ، ولدينا كوادر إعلامية مخلصة في صحف وأجهزة السلطة »[(١)] .

ورغم محاولات الشيعة المتكررة والتي فشلت في إيجاد منابر إعلامية موالية لهم في مصر ، فقد أصبحت مواقع الشيعة على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ، بالإضافة إلى المجلات القادمة من الخارج مثل المنهاج ، والكلمة ، والعالم ، والنور ، وشؤون الشرق الأوسط ، والبصائر وما تطرحه من أفكار تمثل لهم أحد أبرز مصادر

---

(١) الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية ، مجموعة من الباحثين ، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث ، ص١٥٢ – ١٥٣ ، ١٥٧ – ١٥٨ ، وقد نشرها موقع مأرب برس في ٢٠٠٨/١٠/٢٥م .

التثقيف . هذا بالإضافة إلى : الصحف والوسائل الأخرى المناصرة لمشروعهم الديني والسياسي ، من خلال حشد غير متوقع من الأقلام الصحفية التي تم شراؤها عن طريق وكلاء لهم بالداخل ، أو عن طريق فتح مكاتب لبعض الصحف الخليجية التي لهم فيها نفوذ ، أو الخالصة لهم ، وقد قادت هذه الأقلام حملات مدفوعة الأجر لخدمة ودعم المشروع الإيراني السياسي والعقدي في مصر ، حيث تهتم بإبراز رموز الشيعة المصريين ، وتلميعهم على أنهم أصحاب فكر حر ، في الوقت الذي تتولى بتناغم وترتيب إثارة حملة قوية للتشكيك والطعن في ثوابت الإسلام ورموزه .

ومن أمثلة ذلك : تلك الحملة مدفوعة الأجر للطعن في الصحابة في وقت واحد في عدد من الصحف المصرية المحسوبة على التيارات اليسارية أو الليبرالية ، مع الترويج للمشروع السياسي الشيعي والدفاع عن رموزه على أنه المدافع عن كيان وحقوق الأمة ، أو الحط من رموز أهل السنة والتهوين من عقائدهم ومواقفهم؛ مما يعمق فكرة التشيع السياسي والعقدي في المجتمع المصري .

* **إثبات الوجود الإعلامي المكثف :**

على نفس المخطط المتبع في دول الخليج واليمن أصبح الوجود الشيعي في الصحف المصرية في السنوات الأخيرة من المقررات اليومية على مادة تلك الصحف ، فمن خلال التكثيف الإعلامي ، والحرص على التعليق شبه اليومي على الأحداث باختراع منصب المتحدث الرسمي ، أو من خلال كتابة الأعمدة والمقالات بشكل دوري لنحت رقم للشيعة ضمن النسيج المصري - رغم قلته - لممارسة نوع من الوهم والتدليس وخداع البصر لحجم الوجود الشيعي في مصر تمهيدًا للظروف المواتية للبننة مصر (استنساخ نظام المحاصصة الطائفية كما في لبنان) والمطالبة بحقوق الأقلية بحكم المواطنة .

* **استغلال طفرة الفضائيات الشيعية :**

تنفيذًا لاستراتيجية السيطرة على العقول لتهيئتها لقبول أفكارهم وعقائدهم من خلال إمطار العقل السني بوابل من قنوات متنوعة في موضوعاتها ، متعددة في طرحها تغطي شتى الجوانب بترتيب وتنظيم محكم بين السياسي والدعوي والتجاري ، وبين الاجتماعي وما يخص الأسرة والطفل ، وبذلك أصبح للشيعة كم هائل من تلك القنوات التي تنطلق من سماء مدينة الإنتاج الإعلامي في مدينة السادس من أكتوبر والتي تغطي العالم العربي بالأساس بشكل متناسق ومتناغم مع المشروع الشيعي في مصر الذي يتواصل مع مكاتب تلك القنوات ، وفيها يلتقي بعلمائها ، وقد بلغ عدد هذه القنوات على (النايل سات) فقط أكثر من (٥٠) قناة متنوعة بين قنوات للأطفال (هادي ، طه) ، وقنوات إخبارية وحوارية ، وأخرى اقتصادية وعلمية ، وبين قنوات فنية وتراثية واجتماعية وتعليمية ، وقنوات دينية موجهة وهي أكثرها ، بينما يبث من خلال القمر الصناعي عرب سات ما يزيد عن (١٣) قناة ، وكل هذه القنوات تعمل ضمن استراتيجية الاختراق للمجتمعات السنية بداية من خلخلة الثوابت العقدية من خلال إمطار المشاهد بسيل من الشبهات المصحوبة بعدد وافر من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة المنسوبة زورًا للنبي ﷺ، وكم كبير من المغالطات التاريخية والمنهجية التي تؤصل لأفكارهم ، بالإضافة إلى أن كثرة التكرار لمظاهر الاستغاثة وتقبيل عتبات الأضرحة المنسوبة لأهل البيت وما يصاحبها من خروج عن التوحيد الخالص لله رب العالمين من الغلو في أئمتهم والخروج بهم عن حد بشريتهم والتي تورث في النفس الرضى والقبول بها في النهاية من باب إلف العادة ، وانتهاءً بتوفير الغطاء الرسمي ؛ أو الباب الخلفي لتمويل ودعم مشروع التغلغل الشيعي في مصر تحت مسمى أجور معدين وضيوف ومقدمي برامج وغير ذلك ، ومن ناحية أخرى تقوم بالترويج لبعض الرموز الشيعية المصرية من خلال

تقديمهم بعض البرامج في هذه القنوات ، ونظرًا لاهتمام قناة المنار اللبنانية والعالم الإيرانية بمتابعة الأخبار ومتابعة الشأن الفلسطيني ، مما حقق لهما نسبة مشاهدة عالية ، الأمر الذي يمثل شركًا خداعيًا للكثير من المتابعين لها لعرض وجهات النظر الإيرانية السياسية من المنظور الشيعي العقائدي ، مع الترويج لسياسة ونظام حكم ولاية الفقيه[(١)] .

* **العمل كمراسلين للقنوات الفضائية :**

على عكس ما يحدث في دول الخليج ، حيث يحرص الشيعة على العمل كمراسلين لتسريب عقائدهم ، أما هنا في مصر فتستخدم هذه الوسيلة لاستقطاب هؤلاء المراسلين نحو تشييعهم – أو على الأقل خدمة مشروعهم – حيث يختارون بعناية من الصحفيين المؤثرين .

* **استخدام الفن :**

تعد الأفلام والمسلسلات وأعمال الدراما وبخاصة التاريخية ، أو ما يتعلق منها بقصص الأنبياء وسيرة النبي ﷺ وصحابته وأهل بيته ، رضوان الله عليهم ، في مقدمة استراتيجيتهم لغزو العقول والقلوب حيث تقدم للمشاهد الذي هو في الغالب غير محصن من شبهاتهم ممن يمثلون السواد الأعظم من الأمة والذين جَرَفتهم النظم العلمانية وجففت ينابيع الثقافة الدينية الصحيحة عند كثير منهم ، وذلك في قالب فني ودرامي مبهر مستخدمين فيه أعلى التقنية وحبكة السيناريو وجودة الإخراج والتمثيل ليصيب في النهاية الثوابت العقدية والفكرية للمشاهد على الأقل بالتخلخل مما يؤدي لكسر الحاجز النفسي وتهيئته لقبول عقائد ومفاهيم التشيع للتسرُّب بكل سهولة ويسر داخل وجدانه ، والذي يتأمل ما احتواه مسلسل علي بن أبي طالب

(١) للمزيد : انظر : الهيثم زعفان ، الفضائيات الشيعية ..دراسة وصفية مع تحليل محتوى قناة الكوثر ، من إصدارات مركز التنوير للدراسات الإنسانية .

وحجر بن عدي من الترويج للعقائد الشيعية على حساب تشويه الصورة الذهنية للصحاب الكرام ، رضي الله عنهم ، وتسفيه جهودهم وجهادهم في نشر الإسلام يتأكد له ذلك ، ولا ينسى كاتب السيناريو أن يدس ويقحم عقيدة الانتظار والرجعة للمهدي داخل مسلسل يوسف الصديق الذي حرصت العديد من الفضائيات المصرية الخاصة على شرائه وبثه[١] .

٥ – المستوى الاقتصادي :

السيطرة على الاقتصاد : بالاستفادة من نجاح المشروع الشيعي في دول الخليج العربي في استخدام الاقتصاد كوسيلة فعالة في دول الخليج وفقا لإحدى بنود السيطرة التي قدمها (موسى الصدر) عند زيارته للبحرين في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات على ضوء تجربته في جنوب لبنان والتي تضمنت قوله : « إذا أردتم السيطرة على مقدرات الدولة فعليكم الاستحواذ على اقتصادها والقبض على مفاصلها ، فإن من يملك يحكم... ومن يحكم يملك... فالواجب على شيعة البحرين الدخول في عالم التجارة والمال ، وشراء الأراضي والعقارات ، والقبض على الصناعات الخفيفة وما يشابهها »[٢] ، على ما سبق ذكره يحاول الشيعة استخدام نفس الأسلوب في مصر في عدد من الأشكال المختلفة منها :

* **السياحة الدينية :**

دأب الشيعة على استغلال الفرص ، وعدم تضييعها دون الاستفادة القصوى منها لصالح مشروعهم ، فبعد أحداث الأقصر أراد بعضهم إعادة نفس السيناريو الذي

(١) انظر : الهيثم زعفان ، الفضائيات الشيعية ..دراسة وصفية مع تحليل محتوى قناة الكوثر ، ص١٨٧ – ٢٣٧ .

(٢) د. هادف الشمري، أَضواء على الخطة السرية لآيات قم في البحرين، ص٢٥.

حاولوا استخدامه في اليمن ، من استغلال السياحة الدينية كمدخل لنشر التشيع ، وهو نفس الأسلوب الذي مكن للشيعة في سوريا ، حيث يزورها سنويًا ما يقارب مليون و(٥٠٠) ألف إيراني ، وبخاصة في منطقة الزينبية بدمشق مما أعطى لرجال الدين الشيعة الحجة في الوجود بشكل دائم في منطقة الزينبية (السيدة زينب) بدمشق ، لدرجة أن أصبحت حوزة الزينبية الثالثة على مستوى العالم بعد قم والنجف ، هذا بالإضافة إلى انتشارهم وتغلغلهم في مختلف المدن والقرى السورية؛ حتى وصل عدد الحوزات العلمية فيها إلى (٥٠٠) حوزة بعد أن تحولت أعداد إلى التشيع تحت دوافع مختلفة ؛ مما أوجد احتقانًا شديدًا داخل المجتمع السوري ، يكاد أن ينفجر بين لحظة وأخرى ، على حسب ما صرح به كبار علماء سوريا مثل الشيخ « وهبة الزحيلي »[١].

ومن قوة نفوذهم بواسطة السياحة الدينية أصبح الأذان الشيعي ينقل أحيانًا من مسجد السيدة زينب أو السيدة رقية لأول مرة في تاريخ سوريا ، وهذا بالفعل ما سعى له البعض مستغلاً نتائج أحداث قتل السياح بالأقصر على السياحة في مصر ، حيث تقدم في عام (٢٠٠٥م) إلى وزارة السياحة المصرية في فترة وزارة/ ممدوح البلتاجي ، وذلك بعرض استضافة ٣ مليون سائح إيراني لتعويض خسائر السياحة الغربية ، ولكن عن طريق استبدالها بالسياحة الدينية الإيرانية ، التي سيتواكب معها ضمن البرنامج إقامة ملتقى ثقافي للدعوة للتشيع تحت دعوى التقريب ، سيدعى إليه عدد كبير من كبار علماء الشيعة أو الموالين لهم في أفريقيا ، ومن ناحية أخرى سيتواكب معه مشروع إحياء مزارات آل البيت ، والذي سيمثل لهم فرصة جيدة لوضع أيديهم على تلك الأضرحة بأموالهم كما فعل (البُهرة) في أحياء القاهرة القديمة ، ولكن المشروع رفض

---

(١) في انتصار الثورة السورية في القضاء على النظام الشيعي العلوي المجرم في سورية وإزاحته عن الحكم انكسار للمشروع الشيعي في المنطقة ، بإذن الله تعالى .

بعد أن تنبهت الحكومة آنذاك لخطورته على الأمن القومي المصري رغم اتخاذ خطوات جدية فيه ، وهو ما يحاول مكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة إعادة فتحه استغلالًا للظروف الاقتصادية بعد ثورة ٢٥ يناير[١] .

* **إنشاء الشركات :**

على نفس النهج السابق الذي تم استخدامه بنجاح في الكويت والبحرين ودبي وحديثًا بسوريا ، من خلال التعاون مع بعض المتشيعين المصريين ، من باب دعمهم الدعم المناسب؛ لتمويل عمليات التشيع داخل المجتمع بشكل رسمي غير مشبوه من ناحية ، أو من خلال التعاون مع الموالين لهم في المرحلة الأولى ، مع الجانب الإيراني في إنشاء مصنع للأدوية مع ممارسة عدد من الأنشطة التجارية المختلفة من استيراد وتصدير وغيره في هذه المرحلة ، أو اقتراح الاستثمار في تجميع السيارة البيجو الإيرانية ، والتي أصبح لها وكلاء في السوق المصرية ، أو من خلال مشاركة بعض الشيعة لعدد من المحلات في منطقة مساجد وأضرحة آل البيت ، وهناك حيلة يستخدمها المهجرون العراقيون الشيعة ، استطاعوا من خلال الشراكة الشكلية مع بعض المصريين إنشاء شركات ومصانع بعد دفع كامل المبلغ مقابل منحهم أسماءهم حسب القانون للحصول على الترخيص اللازم ، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعوه في دمشق بسوريا ، وبخاصة في منطقة الزينبية ، وقد سبقت الإشارة إلى إنشاء بعض دور النشر للمساهمة في ترويج الفكر الشيعي ، فقد ذكرت صحيفة « الحقيقة الدولية » بأن إحدى دور النشر الكبرى تقوم بطباعة ونشر كتب الشيعة في مصر ، كما يقوم صاحب دار نشر أخرى مشهورة بطباعة هذه الكتب ، التي يقوم بتصديرها إلى إيران ، وتوزيعها في مصر مقابل حصوله على السجاد الإيراني.

---

(١) مرفق صورة برنامج مهرجان العتبات المقدسة .

وتنتشر في مدينة (٦ أكتوبر) الأعمال التجارية ذات الصبغة العراقية ، مثل : مطاعم ومقاهي ، الأمر الذي يمثل فرصة للاحتكاك وانتقال الأفكار.

* **شراء المساكن والعقارات :**

وبخاصة في مناطق المزارات كالحسين والسيدة زينب ، أو في مدينة السادس من أكتوبر ، من خلال تجمعات اللاجئين العراقيين الشيعة ، الذين أغلقت عليهم مناطق بأسرها في المدينة؛ ليسهل عليهم إقامة حسينياتهم فيها وممارسة طقوسهم في شققها والتي يشاركهم فيها بعض المصريين ، بالإضافة إلى أن تجمعهم بهذا الشكل سيمثل قوة لهم ، تدعوهم للمطالبة بما يعتبرونه حقوقًا لهم من إقامة مساجد وحسينيات وهو ما حدث حيث تظاهر (٧٠٠٠) شيعي عراقي للمطالبة بإنشاء مسجد « العزيزية » طبقًا للمادة « ٤٦ » من الدستور ، التي تنص على أن تكفل الدولة حرية العقيدة ، وممارسة الشعائر الدينية الأمر الذي رفضته الحكومة منعًا لتقسيم المسلمين بمصر ، وحفاظًا على أمنها القومي ، مما استدعى تدخل السفير العراقي (سعد محمد رضا) لتهدئة الأمور.

ومرة أخرى حاولوا استصدار فتوى من دار الإفتاء المصرية تجيز إقامة ساحة حسينية للشيعة في مدينة السادس من أكتوبر ، الأمر الذي رفضه الدكتور (علي جمعة) مفتي الجمهورية ، وبدلًا من ذلك دأب الشيعة العراقيون على إقامة احتفالاتهم وندواتهم بمركز أهل البيت للدراسات بالدقي بجوار السفارة الإيرانية ، أو إقامتها ببعض المباني الملحقة ببيوت بعضهم (المضيفة) وبخاصة في القرى ، وذلك بشكل سري .

٦ – المستوى الاجتماعي :

نشط المشروع الشيعي في مصر في عدد من القرى و الأحياء والمناطق الفقيرة في شكل عدد من الجمعيات الأهلية أو ما تقدمه الساحات التابعة لبعض الطرق

الصوفية في محافظات الصعيد بشكل أخص من خدمات اجتماعية مختلفة ، أو مجموعات التقوية والدروس الخصوصية التي يقوم بها بعض مراكز البحوث والدراسات ، وقد سبق الإشارة إلى بعض ذلك في السطور السابقة ، ويمكن إضافة الآتي لخطة التسلل داخل المجتمع المصري :

* **الهجرة وتملك الأراضي والحصول على الجنسية :**

استطاع الإيرانيون الشيعة من خلال سياسة طويلة النفس من التسلل إلى الدول المستهدفة والتركيز على المناطق الحساسة فيها ، مستخدمين شتى الطرق المشروعة وغير المشروعة ، ففي عام ١٩٦٤ م اكتشفت السلطات في ساحل عمان عصابة لحرق البيوت ، يتزعمها الميجور البريطاني (الويمر) بعضوية مجموعة من البوليس السري الإيراني العاملين في ساحل عمان ، مما يضطر صاحب البيت لبيعه ، وهكذا ، حتى يستقلوا بأحياء خاصة بهم ، وبها يستطيعون إعلان شعائرهم ، وجعلها منطلقًا لخططهم ، ومن ثم يسهل عليهم الحصول على جنسيات تلك الدول ، وبالتالي بمقتضى حق المواطنة يمكن لهم التدرج في الوظائف الحكومية الحساسة .

ونتيجة لتلك الخطة المحكمة المتضمنة اتباع سياسة الإنجاب السياسي أو التفريخ السكاني زادت نسبتهم في البحرين حتى وصلوا إلى ما يزيد على ٥٠٪ من عدد السكان ، وفي الكويت ٢٠٪ ، وفي العراق ٤٣٪ ، غير نسبتهم التي زادت في غفلة من الزمن في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وهذا ما يسعى إليه الشيعة في مصر من خلال إيجاد البنية الأساسية لمشروعهم من خلال خطة الإنجاب والتفريخ السياسي لتوطين التشيع من خلال زواج بعض الشخصيات الخليجية الشيعية من بعض الفتيات المصريات الفقيرات مقابل ما يدفعونه لذويهم من أموال ، أو من خلال استمالة البعض الآخر من هؤلاء الفقيرات للعمل في المؤسسات الشيعية في دول الخليج أو سوريا بعد الزواج ، أو بالعكس ،

زواج بعض الشباب المصري من نساء هؤلاء ، وبخاصة من العراقيين الشيعة المقيمين في مصر ليضاف أبناء هؤلاء ممن سيحملون الجنسية المصرية أو من سيحصلون عليها تبعًا لجنسية الأم ، بالإضافة إلى اتساع مساحة التأثير على أسر وعائلات هؤلاء الذين في الغالب تكثر فيهم الأمية الدينية مع الحاجة والفقر الشديد مما يسهل تسريب العقائد الشيعية لهذا المحيط الذي سيكون داعمًا للرصيد المستجيب لدعوتهم مما سيعيد تلك التجارب المرة التي سبق أن حدثت في دول الخليج وآثارها النكدة على المجتمع المصري بعد توطين هذه الفرقة الضالة والمنحرفة في مصر ـ لا قدر الله تعالى ـ ... وما يحدث في البحرين ليس عنا ببعيد .

ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك الشيعة من المهجرين العراقيين الذين سعوا للحصول على الجنسيات بأشكال وطرق مختلفة ، تمهيدًا لإيجاد بذرة شيعية في المستقبل لها حق المواطنة ، ومن المعروف أن للشيعة العراقيين ، وبخاصة المدرسون منهم دور بارز في نشر التشيع في السودان والجزائر وتسريب عقائد الاثنى عشرية بين الشيعة الزيدية في اليمن ، وهو ما يقوم به قطاع من المهجرين العراقيين بمصر بأشكال مختلفة ، وقد سبقت الإشارة إلى جهودهم فى دعم المد الشيعي في مصر من خلال العمل التجاري ، أو بناء المساجد والحسينيات ، وإقامة الندوات وغيرها.

* **الطلبة الوافدون :**

مجال الطلبة الوافدين ساحة ثرية لأصحاب الأفكار الضالة والمنحرفة بشكل مزدوج من حيث استخدامهم كمبلغين للمذهب ، وبخاصة الوافدون من دول الخليج العربي والعراق ، وقد كان لهؤلاء دور بارز في دعوة بعض البارزين من المتشيعين المصرين على ما صرح به أحدهم ، وهو الدور الذي مارسوه في محاولة فرض شعائرهم وطقوسهم في احتفالاتهم المخالفة لشعائر المصريين أهل السنة ، ومن ذلك ما أثاروه في احتفالات مولد (الحسين) ،رضي الله عنه ، عام ٢٠٠٨م

وما تلاه ، أو في عاشوراء ، مما أعاد سيرة الصدامات بينهم وبين المصريين التي قضى عليها (صلاح الدين الأيوبي) منذ نهاية الدولة الفاطمية لتعود في بدايات متدرجة ما تلبث أن تزيد سنة بعد أخرى ، ولعل ما تثيره تجمعاتهم في مساجد مدينة السادس من أكتوبر من محاولة السيطرة عليها وإعلان شعائرهم مثال جلي على ذلك ، مما اضطر أحد نواب مجلس الشعب لإثارة الأمر لاتخاذ مواقف جدية ونزع فتيل تهديد النسيج الاجتماعي المصري ، وهو ما أشارت إليه بعض الصحف المصرية .

والوجه الآخر من المشروع يحاول اختراق الدول الإسلامية المختلفة من خلال اختراق التجمعات الطلابية لهذه الدول بعيدًا عن رقابة المؤسسات الرسمية الدينية وغيرها في بلادهم ، وبوجه أخص من المقيمين في مدينة البعوث الإسلامية ، فضلًا عن الدولة المضيفة مصر التي تهتم بالعملية التعليمية في الغالب دون وجود نظام للمتابعة والتأهيل لهؤلاء الطلاب بشكل فاعل في ظل عدم وجود مسؤولين يحملون هم المشروع الإسلامي الصحيح ويعون أخطار المشروعات المناوئة التي تحاول منافسة مصر في الساحات الدولية من خلال هؤلاء الطلاب الذين يقدم لهم المشروع الشيعي كافة وسائل الترغيب للدراسة في الحوزات العلمية بقم أو الجامعات المختلفة بإيران ، في الوقت الذي لا يلقى هؤلاء الطلاب مثل تلك الوسائل بشكل عام في الدول العربية ، والقطاع الآخر يتم دعوته للتشيع من خلال عدد من الطلاب الذين تم استمالتهم للتشيع بعد تدريبهم على إلقاء الشبهات وأساليب الإقناع ، ومنهم من يتم تفريغه بعد انتهاء دراسته للقيام بهذه المهمة ليتخرج في النهاية دعاة يعملون ضمن مشروعهم تحت عمامة الأزهر .

* **الطرق الصوفية :**

بداية أؤكد على الموقف المشرف من مشيخة الطرق الصوفية ومجلتها (التصوف الإسلامي) ومن كبار مشايخ الطرق ورموزها أمثال الشيخ (إسماعيل

صادق العدوي) إمام وخطيب الجامع الأزهر السابق ، رحمه الله تعالى ، و الأستاذ الدكتور (محمد محمود أبو هاشم) عميد كلية أصول الدين وشيخ الطريقة الهاشمية الخلوتية الأحمدية ، والدكتور (عمر عبد الله كامل) الذين تصدوا لمحاولات جر الصوفية لمستنقع التشيع بالكتابة والتصريحات والاستنكار لما تقوم به فئة من سماسرة التشيع في مصر من المنتفعين باسم التصوف ، تارة ، من ليبيا أيام المخذول (القذافي) الذي مثل فقده ضربة قاصمة لمشروعهم ، أو من خلال سفرهم الدائم لإيران بحجة مؤتمرات التقريب تارة أو بصحبة الوفود الشيعية التي زاد عددها في الفترة الأخيرة .. ، وتارة أخرى من خلال الالتقاء والتنسيق في أمريكا تحت شعار مؤتمرات التصوف ، وهو ما كشفته مجلة التصوف الإسلامي لسان حال مشيخة الطرق الصوفية في مصر ، وقد دأبت بعض هذه الطرق على استضافة لقاءات المتشيعين المصريين في مساجدهم ، أو التستر عليهم في حضراتهم وحلقات ذكرهم .

والأمر الخطير الذي يجب الالتفات إليه : أنه من المعروف انتساب عدد من المنتسبين لجهازي القوات المسلحة والشرطة إلى بعض الطرق الصوفية ، وقد وجدوا حثا وتشجيعًا على ذلك في فترات سابقة لتفريغ العاطفة الدينية لديهم ، أو في محاولة لتدجينهم بالتدين السلبي ، أو تطهيرًا للبعض الآخر من عقدة الذنب نظير ما يقترفونه من انتهاكات وتعذيب لقطاعات من المصريين ، وقد بات هذا الأمر يمثل خطورة بعد اختراق التشيع لبعض تلك الطرق ، مما يجعل طريق الشيعة مفتوحًا في هذين الجهازين الخطيرين ، وهو الأمر الذي سعوا إليه وبذلوا من أجله الغالي والنفيس في دول الخليج العربي واليمن .

* **المصريون بالخارج :**

يتعرض عدد من المصريين بالخارج في ظل مناخ الحرية المتاح في تلك الدول ، مع تعرضهم لضغوط اقتصادية وإغراءات مالية ، وأحيانا دخولهم في مناقشات مذهبية غير

مستعدين ومؤهلين لها ، وبخاصة في ظل ممارسة التقية وكافة أساليب الخداع ، الأمر الذي أدى ببعضهم إلى اعتناق المذهب الشيعي ، ويلاحظ ذلك في دول الكويت والبحرين والعراق من الدول العربية ، ولعل للمراكز الشيعية في هولندا ، وبلجيكا ، وإيطاليا ، وأمريكا ، دورًا بالغًا في هذا الشأن ، وقد أشارت التقارير بتشيع ما يزيد عن مئة ألف مغربي في بلجيكا ، كانت سببًا في قطع العلاقات الدبلوماسية المغربية مع إيران؛ للنشاط الكبير الذي مارسته تلك الجالية داخل المغرب في الدعوة للمذهب الشيعي.

٧ – استغلال مواسم الحج والعمرة :

لم يترك المسؤولون عن نشر المشروع في العالم الإسلامي فرصة ولا وسيلة للدعوة إلى مذهبهم إلا استغلوها ، حيث عملوا على إعداد مجموعة كبيرة من الدعاة « المبلغين أو السفراء » لاستغلال مواسم الحج والعمرة في الدعوة لمذهبهم ، من خلال تدريبهم بشكل مكثف على معرفة الجنسيات ، وأهم سماتها النفسية وانتماءاتها المذهبية والفكرية ، وكيفية التسلل إليهم من خلال التدرج بالحوار تارة ، وبالهدية أخرى ، وحتى الحجاج الشيعة الإيرانيون الذين يجيدون أكثر من لغة لم يسلموا من دورات التأهيل والإعداد[١] ، وقد أصدروا في ذلك كتبًا تتضمن توجيهات السفير(الداعية) والزائر وخطط نشر التشيع في موسم الحج (١٤٢٧هـ) مما يعري تلك الأهداف ويفضحها. وبذلك عملت إيران المذهبية على خدمة مشروعها السياسي داخل مصر من خلال ملاحقة المصريين السنة داخل مصر وخارجها؛ الأمر الذي يمثل خطورة لا يظهر أثرها إلا في الوقت المناسب لهم ، بسبب توريث المتشيعين الجدد أساليبهم في التقية والخداع ، كما أن مواسم الحج والعمرة تمثل فرصة جيدة لقيادات الشيعة في مصر على الالتقاء بقيادات الشيعة من

---

(١) ولعل في ملخصات الكتب المرفقة في ملحق الوثائق ما يفيد ذلك .

إيران ودول الخليج وغيرها للتشاور والتدارس . وبخاصة أنه أصبح لهم مقرات وفنادق خاصة داخل أماكن المناسك المقدسة بمكة والمدينة ، ولهم تجمع خاص بعرفات تلقى فيه خطاب مرشد عام الثورة الخمينية للعالم الإسلامي يدعى إليها الحجاج من مختلف الجنسيات بأساليب ووسائل ماكرة ، الأمر الذي قد يستهوي البعض ولو على سبيل التجربة والاستكشاف فيقع في أحابيلهم .

٨ - المشاركة في الندوات والمؤتمرات الخارجية :

أعتقد أن من أول المؤتمرات التي كان لها أثرها البالغ على عدد من الشباب المصري الذين حضروا مؤتمرًا عقد في لندن عام ١٩٨٦م ، عن « تطور الفكر السياسي في الإسلام» نظمه (المركز الإسلامي بلندن) الذي كان يرأسه في وقته «كليم صديقي» المتشيع الهندي ، ومن بعده توالت المؤتمرات التي يحضرها المتشيعون المصريون أو الموالون لهم تارة ، أو مؤتمرات تعقد في الولايات المتحدة الأمريكية تحت غطاء التصوف والتي يحضرها مشايخ بعض الطرق الصوفية على الرغم من اعتراض مشيخة الطرق الصوفية على سفرهم.

بالإضافة إلى مؤتمرات المؤتمر الشعبي في ليبيا (سابقًا) ، أو ما نشأ عنه من كيانات ومراكز داخل مصر ، بالإضافة إلى المؤتمرات الدورية بإيران ومنها مؤتمر الوحدة الإسلامية في طهران الذي حضره بعض الذين يحرصون على استمالة بعض الشخصيات العامة من مفكرين وباحثين تحت إغراءات متنوعة لكسبهم في صف مشروعهم بالإضافة إلى عملائهم من سماسرة التشيع وبعض المستشيعين المصريين ، وكان من ضمن توصياته إنشاء المجلس العالمي لآل البيت - ومن الواضح أنه بديل عن نقابات الأشراف في الدول العربية - وتكون طهران مقرًا له ، أو اجتماعات المجمع العالمي للتقريب بطهران بحجة عضوية بعضهم فيه ، غير الدعوات التي كانت توجه بشكل دائم لبعضهم ، يقول محمد الدريني في تصريحه لموقع العربية

نت : « أن الشيخ التسخيري عندما جاء مصر رغم أنه كان يعاني من المرض الشديد استقبلني أنا وحدي وطلبني . نحن لم نطرق باب أحد وقال لي تسخيري بالحرف : إننا في إيران نعتقد أنكم مجاهدون وأنهم سيوجهون لي دعوة وهي التي جاءت فيما بعد »[١] .

وأخيرًا : أشارت صحيفة الحقيقة الدولية الأردنية إلى توجه وفد من قيادات الشيعة المصريين إلى إيران عن طريق قبرص ، بعد استلام جوازات سفر إيرانية ، تحمل أسماء مستعارة؛ تجنبًا لأي إجراءات أمنية مشددة ؛ وذلك للمشاركة في مؤتمر القيادات الشيعية العالمي الذي عقد في شهر فبراير عام ٢٠٠٨ م بطهران.

٩ – المستوى السياسي :

*** استغلال الأحزاب والتيارات الوطنية :**

يلاحظ الانتشار والوجود الشيعي بنسب كبيرة بين كافة الأحزاب والتيارات الوطنية والعلمانية في لبنان والعراق وبعض دول الخليج واليمن ، حيث لا يخلو منهم حزب أو تيار ، إلا ولهم فيه وجود ، فحزب البعث العراقي مثلا كان ٧٥٪ من قيادته شيعية ، مما مكن لهم للتخلص من خصومهم بحجة مخالفة الحزب ، وفي الكويت ولبنان وباقي دول الخليج لهم وجود قوي في الأحزاب الشيوعية والقومية والناصرية ، وبخاصة المؤتمر القومي العربي الذي أجادوا استخدامه لصالح مشروعاتهم ، أي يلبسون لكل حزب لبوسه .

وبعد ثورة ٢٥ يناير حاولوا إضافة رصيد لهم على الساحة المصرية من خلال إنشاء حزب سياسي تارة تحت اسم الغدير ، أو اسم آخر ، وكلاهما رفضته لجنة شئون الأحزاب .

---

(١) موقع العربية نت ، تاريخ ٩/٥/٢٠٠٦م .

* استغلال تيار التشيع السياسي :

نشأ التشيع السياسي نتيجة اختراق بعض الحركات الإسلامية تحت دعوى الاصطفاف في مواجهة الصهيونية والامبريالية العالمية دون تحصين المجتمعات السنية من انحرافات العقيدة الشيعية ، كما أشار الشيخ (القرضاوي) ، بالتوازي مع اختراق قطاعات واسعة من التيارات اليسارية والناصرية والقومية ، رغم الاختلاف الجذري في التوجهات بينهم وبين التيار القومي الفارسي الذي يتعصب للقومية الفارسية ، ويدعو إلى إحياء اللغة الفارسية ، ويبغض جنس العرب بشكل أخص ، وبالتالي استطاعوا استخدام وتسخير منابر التيار اليساري والقومي العربي الصحفية وغيرها كمنابر للدفاع عن المشروع الشيعي الإيراني بشقيه السياسي والمذهبي ، أو على الأقل التشويش عليه والدفاع عنه ، وهو ما قامت به أحدىٰ الجرائد الأسبوعية المحسوبة على التيار القومي العروبي والمؤيدة بشدة (صدام حسين) في الوقت الذي سخرت فيه صفحاتها للدفاع عن (حسن نصر الله) واصفة إياه بـ (سيد المقاومة) وممارسة الضغط والتهديد ضد أي إجراءات قد تتخذ ضده ، وفي نفس السياق يكتب « عادل الجوهري » - بالمناسبة قد توفي على الهواء مباشرة في إحدى الحلقات التلفزيونية في أثناء دفاعه المستميت عن جرائم بشار الأسد في سوريا - في موقع المؤتمر الناصري بتاريخ : (١٨/٦/٢٠٠٨م) تحت عنوان « الناصريون والشيعة » ردًا على مقالة للأستاذ (ممدوح إسماعيل) المحامي عن علاقة الناصريين بالشيعة الذي نشره موقع جريدة (المصريون) الإلكترونية ، ومن أوضح أمثلة استخدام وتسخير تلك التيارات عقد الندوات واللقاءات لخدمة هذا المشروع ، منها الندوة التي عقدت بالقاهرة عن « العلاقات المصرية السعودية التاريخ والواقع » ؛ لمهاجمة السعودية والتحالف السعودي المصري تجاه مخططات إيران وكشفت (منظمة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة) - حسب ما أشار إليه

موقع المحرر العربي في (١٨/٨/٢٠٠٨م) – أنه قد تم دعم الندوة برعايتها من السفير (سيد حسين رجبي) رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة ، حيث خصص لها مبلغًا وقدره (٢٥٠ ألف دولار) ، وبمتابعة من رجل المخابرات الإيراني من أصل عراقي (قاسم تقي مولى) الذي يتحرك بجواز سفر عراقي يحمل اسم (محمد صادق) يتنقل به بين طهران والقاهرة ودمشق وعمان. كأجور للمحاضرين وإيجار القاعة وباقي فعاليات البرامج ، وبمتابعة من جهاز المخابرات الإيرانية « إطلاعات » .

وبالإشارة إلى ما سبق ذكره في تصريحات « بدر الدين الحوثي » من إنشاء صحيفة لمهاجمة السعودية؛ بهدف دق إسفين في العلاقة السعودية اليمنية ، وتهييج الرأي العام ضد هذه العلاقة ، وعلى نفس المنوال تسعى إيران إلى تمزيق التحالفات العربية المصرية ؛ للقضاء على التحالف العربي المقاوم للسياسة الإيرانية في المنطقة ، مستغلة في ذلك نهم أصحاب التوجهات اليسارية والقومية للأموال ؛ أو لتقاطع المصالح أحيانًا للثأر من الاتجاه الإسلامي الذي أقصاهم جماهيريًا من الساحة العربية. ويعتبر الشيعة أن اختراق المؤتمر القومي العربي من أبرز نجاحاتهم في اختراق النخبة السياسية في الوطن العربي ، بجعله من أكبر منابر الدفاع عن إيران ، وسياساتها المذهبية والسياسية ، ولعل ما كشفه الأستاذ (صلاح مختار) في مقاله : (انتهاء موسم سبات الخلد : الجواسيس ينهضون / الجزء الثالث) المنشور بموقع المحرر العربي ، يكشف المستور عن حالة المؤتمر القومي العربي الذي قبل في عضويته خلافًا لميثاقه (محمد صادق الحسيني) مستشار وزير الإعلام الإيراني ، الذي أصبح له نفوذ قوي فيه ، وهو ما نبه إليه الأستاذ (مهنا حبيل) فى نقده لمقالة : (خير الدين حسيب) مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية ، وذلك في مقاله بجريدة (المصريون) الإلكترونية ، وللأسف الشديد تتحمل بعض الحركات الإسلامية (الإخوان المسلمين) عبر أدبياتها وِزْرَ ترسيخ هذا المفهوم من التشيع

السياسي بين قطاعات من المتدينين بحجة مقاومة الصهيونية العالمية ، وقد كشفت لك سابقًا زيف هذه الدعوى .

* **الاستقواء بالخارج :**

يمثل الدعم المادي والثقافي والسياسي (اللوجستي) الإيراني والعراقي وبعض المؤسسات في بعض الدول الخليجية سندًا قويًا للتيار الشيعي في مصر ، الذي حاول أن يمد خيوط علاقاته مع أمريكا من خلال لقاءات مع السفارة الأمريكية بالقاهرة ، والحديث عن أوضاع الشيعة ومطالبهم ، ومع لجنة الحريات بالكونجرس الأمريكي التي سبق أن التقت ببعض رموزهم ، وما كشفته الأخبار بالتنسيق في الداخل مع التيارات الليبرالية واليسارية ، بل والبهائية ، وفي الخارج مع ما يعرف بأقباط المهجر ، ومن ناحية أخرى منظمات حقوق الإنسان التابعة للحوزات العلمية بقم . المهم محاولة الاستقواء والاستفادة من الدعم الليبي – سابقًا – للمشروع الشيعي في مصر عبر بوابة بعض الطرق الصوفية ، وباستقراء ما حدث في الخليج العربي في بدايات المد الشيعي هناك ، وما قد يحدث حاليًا من اتفاقيات وترتيبات إيرانية أمريكية بشأن العراق يعطينا مؤشرا لما قد يحدث من استخدام ورقة الشيعة في مصر لصالح السياسات الأمريكية الغربية .

١٠ – الانتقال من الدعوة والتربية إلى التدريب العسكري في مرحلة لاحقة :

انتقل العمل الشيعي في لبنان والبحرين واليمن والكويت ، وحديثًا في نيجيريا من طور التربية والدعوة إلى طور التنظيم العسكري والمليشيات المسلحة لتحقيق السيطرة وفرض النفوذ ، ولعل ما حدث في لبنان منذ أن حل موسى الصدر عام ١٩٥٩م ، ثم تكوينه لحركة المحرومين بها ، ثم أمل بجناحيها السياسي والعسكري ، وأخيرًا حزب الله بمشروعه السياسي المذهبي يعد نموذجًا صارخًا على ذلك، وعلى النهج نفسه سار الشيعة في البحرين منذ السبعينيات من القرن

المنصرم ، حيث يقيمون المعسكرات التدريبية في مزارعهم وحسينياتهم، وقد كشفت الصحف البحرينية أخبارًا عن معسكرات لتدريب شيعة البحرين من الجنسين « رجالا ونساء » بمعسكرات الحرس الثوري بإيران فضلًا عن حزب الله بلبنان، وتذكر أن عدد الذين تدربوا في إيران ولبنان حوالي ٣٥٠٠٠ (خمسة وثلاثين ألف) متدرب ، كنواة لحزب الله البحرين الذي استخدم السلاح ضد الدولة أكثر من مرة منذ محاولتهم الانقلابية الفاشلة عام ١٩٨١م مرورا بأحداث التسعينيات مع ما يكتشف بشكل دوري من أسلحة مهربة للبحرين قدرتها وزارة الداخلية بـ ٤٠٠٠٠ (أربعين ألف قطعة سلاح) ، وقد كللت هذه الجهود بدعوة (حسن مشيمع) الأمين العام لحركة « حق » الشيعية في عام ٢٠٠٦م إلى بدء الكفاح المسلح ضد الدولة وأهل السنة في البحرين، هذا بالإضافة إلى التدريب على أعمال التجسس وإثارة الشغب والقيام بالمظاهرات وشل الحياة الاقتصادية، ووفقا لتقرير وزارة الداخلية البحرينية فقد بلغ عدد المظاهرات والاعتصامات التي قاموا بها من عام ٢٠٠٢م إلى عام ٢٠٠٥م أربعة آلاف وأربع مئة مظاهرة .

ومن نافلة القول الإشارة إلى ما يحدث في اليمن من مواجهات مسلحة مع جيش كامل لم تستطع القوات الحكومية اليمنية القضاء عليه لوفرة عدد أفراده، وقوة تدريبهم وتسليحهم ، وقد كانت معسكرات الحرس الثوري وحزب الله بجنوب لبنان ساحات تدريب لهم ، وقواعدهم البحرية في البحر الأحمر خطوطًا خلفية لهم لتزويدهم بالسلاح والخبراء .

وعلى الرغم من أن التشيع في دولة مثل نيجيريا ليس أصيلًا بل بدأ بعد ثورة الخميني عام ١٩٧٨م من خلال الاندساس وسط حركة الإخوان المسلمين هناك والمعروفة باسم الحركة الإسلامية ، بينما انفصل من لم يقبل التشيع من أبناء الحركة تحت اسم جماعة التجديد الإسلامي ، وغم خطورة المذهب الشيعي ، فإنه في

سنوات قليلة تحول من طور الدعوة والتربية إلى أن شكل تنظيمًا عسكريًا بمليشياته التي ما فتئت عن محاربة الحكومة لفرض نفوذها في شمال نيجيريا ، وقد كان لها ما أرادت ، حيث تم تعيين زعيم الشيعة هناك إبراهيم الزكزاكي واليًا على بعض الولايات الشمالية بنيجيريا ، ولعل الصور المرفقة في ملحق الوثائق أبلغ من الكلام عن مدى ما وصل إليه الشيعة فى تلك الدول من تهديد للأمن والاستقرار في تلك الدول معلنةً الولاء للولي الفقيه كما تعبر راياتهم وصورهم التي يرفعونها، ومن صور تدخلهم السافر في السياسات الداخلية لهذه الدول شحنات الأسلحة التي تم القبض عليها في نيجيريا ، وأخرى التي تم القبض عليها في جامبيا ، والتي كانت متجهة للفريق المتشيع في السنغال ، مما جعل الحكومتين الجامبية والسنغالية تتخذان مواقف شديدة مع الجالية اللبنانية والمشروع الشيعي فيهما ، ولعل في تصريح مفتي نيجيريا ورئيس المجلس الإسلامي النيجيري وشيخ الطريقة التيجانية دقًّا لناقوس الخطر الذي بات يهدد وحدة المجتمعات بقوله : « أصبح حمى وحدة المذهب في نيجيريا ووحدة المعتقد يتعرضان لهزات نستطيع أن نسميها مدًا وجزرًا »[١] .

وأخيرًا يبقى السؤال : هذا عن بعض الدول التى انتشر فيها التشيع وكيف تحول من الدعوة والتربية إلى التنظيم العسكري ، فمتى يأتي الدور على مصر ؟!

وبعد هذا الاستقراء الموسع الاستراتيجية للمشروع الشيعي في مصر وارتباطه بالدور الوظيفي الذي يتقاطع مع المؤامرات والخطط الصهيو أمريكية تجاه مصر والمنطقة لا أجد ما يناسب المقام سوى قول الوالي الأموي (نصر بن سيار) محذرًا

---

(١) WWW. ISLAMONLIN . NET / SERVLET / SATELLITE?C =ARTICALEA - C&CID = 12246943089 ...

بني أمية مما يحاك ضدهم من هؤلاء :

أرى بين الرَّمادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... وأخْشَى أنْ يَكُونَ لها ضِرامُ

فإن النار بالعودين تزكى ... وإن الحرب مبدؤها الكلامُ

فقلتُ من التعجب : ليتَ شِعْري ... أأيقاظٌ أُمَيَّةُ أمْ نِيامُ ؟؟

وأنا أقول إبراءً لذمتي بعد عرض كل هذه السطور وما تضمنته من حقائق :

فقلتُ من التعجب : ليتَ شِعْري أأيقاظٌ قومي أم نيام ؟!

* * *



خاتمة

وبعد :

فهذه هي الدولة العبيدية (الفاطمية) الشيعية على صورتها الحقيقية ، هذه هي الدولة التي ذاق فيها المصريون من الذل والويلات ألوانًا شتى ، نقلت معظم فصولها عن أشد المؤرخين تحيزًا لها (المقريزي) ، وهذا هو موقف المصريين الراسخ بجميع فئاتهم في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة والتصدي لدعاوى الشيعة الفارغة ...

فكما كانت مصر مقبرة للشيعة ودولتهم في السابق ، فستظل بإذن الله تعالى مرابطة على ثغر الإسلام العظيم لتضع كلمة النهاية لكل الأفكار والعقائد المنحرفة على مر الزمان ، تحب الصحابة وتوالي أهل البيت ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

كانت هذه أبرز ملامح استراتيجية الشيعة الاثني عشرية للتغلغل داخل المجتمع المصري . وما دام أنه ليس بشرط أن تشرب ماء البحر كله لتعرف أنه ملح أجاج ، ولكن يكفيك منه قطرة ، فما مر بك في السطور السابقة قطرة من بحر مؤامرتهم ﴿ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ونحن نقول : نعم للوحدة والاعتصام بحبل الله تعالى كما أمر جلَّ وعلا .. لا للتقريب المخادع والوحدة الزائفة ، نعم للوحدة والاعتصام ، ولكن على الكتاب والسنة الصحيحة المسندة إلى النبي ﷺ ، يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] .

فالتقريب ينبغي أن يكون ابتداءً بالبحث في نقاط الخلاف حول أصول الدين قبل البحث في الخلافات الفرعية الفقهية ، فالخلاف الفقهي غالبًا ما يكون داخل المذهب الواحد أو بين المذاهب المختلفة سائغا ، وذلك لدرء تلك الخلافات ورفعها بالبحث

العلمي الصحيح على ما هو مشار إليه في ميثاق دار التقريب بالقاهرة .

وأعني بأهم هذه الأصول التالي :

القرآن الكريم :

فعلى الشيعة إن أرادوا التقريب حقًّا تحقيقًا للوحدة والاعتصام ، أن يرفعوا كل الافتراءات والدعاوى الباطلة مثل القول بتحريف القرآن الكريم تحريفًا ماديًّا أو معنويًّا ، أو أن هناك نقصًا في آياته ، أو الادعاء بأن هناك مصحفًا آخر غير الموجود بأيدينا اليوم سيظهر في آخر الزمان ، أو أن هناك كتبًا أنزلت بعد النبي ﷺ من السماء ، مع وجوب إعلان البراءة وتكفير كل من اعتقد أو دعا إلى ذلك مهما كانت منزلته ، مع عدم إعادة طباعة تلك الكتب التي تروج لذلك .

السنة النبوية المشرفة :

أضف إلى الأصل السابق الاعتراف الكامل بكل ما صح طريقه واتصل سنده إلى النبي ﷺ ، والالتزام بما دل عليه من أصول وفروع ، والتراجع عن التعصب لكل ما روي فقط عن أهل البيت ، رضي الله عنهم .

الصحابة الكرام :

وأيضًا أن تصدر الفتاوى الرسمية من جميع الحوزات العلمية بتحريم وتجريم سب الصحابة ، رضي الله عنهم ، ورفع كل ما كتبوه عنهم من سب ولعن وانتقاص من كتبهم قديمًا وحديثًا ، والبراءة من كل من يقدم على ذلك مهما كانت منزلته ، مع ضرورة النزول بأئمة أهل البيت ، رضي الله عنهم ، إلى مصاف البشر لتحقيق التوحيد الخالص لرب العالمين ، وبالتالي وجوب رفع جميع صور الغلو فيهم من كتبهم ، حفاظا على بقاء ونقاء أصل التوحيد الخالص لله رب العالمين . وأن يقرر كل ذلك بشكل رسمي من الحوزات العلمية للشيعة ، ويدخل ضمن المقررات الدراسية في المعاهد العلمية الشيعية . . وإلا فلا تقريب وسيظل الخلاف قائمًا ، لا

في المسائل الأصلية العقدية فقط ، وإنما في الفرعية الفقهية أيضًا ؛ لأن الأصول التي يقوم عليها الفقه الشيعي غير التي يقوم عليها الفقه السني ، وبالتالي فينبغي ألا يطلق هكذا القول بجواز التعبد بمذاهبهم الفقهية دون ضوابط ولا نظر وتأمل .

فهذه هي مخططات الشيعة في مصر لإعادة ماضي دولتهم واستعباد أهلها ونهب ثرواتها وتكرار تجربة جرائمهم نحو أهلها وتمكين يهود من رقابهم ، فقد أحل آياتهم العظمى قديمًا وحديثًا لشيعتهم سرقتها ، وسبي أموال أهلها غيلة ، وحل دمائهم وسبي أطفالهم ونسائهم ، حيث ألحقوا من خالفهم بأهل الحرب ولو كان يحب آل البيت ويترضى عليهم ، ولكن دون التبرؤ من الصحابة وأمهات المؤمنين ، رضي الله عنهم .

يقول مرجعهم الأعلى – المعاصر – آية الله العظمى السيد رضا الموسوي الكلبايكاني : « يجب الخمس في سبعة أشياء : الأول : ما يغتنم قهرًا من أهل الحرب الذين تحل دماؤهم وأموالهم ، وسبي نسائهم وأطفالهم . . . ويقوى إلحاق الناصب – السني – بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منه وتعلق الخمس به ، بل الظاهر جواز أخذ ماله أينما وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسه »[١] .

هذه مصر ومكانتها وفضلها عند السنة وأهلها . .

وهذه هي مصر وأهلها وعلماؤها عند الشيعة في أوثق مراجعهم . .

وهذه هي مصر التي فتحت ذراعيها ترحيبا بأهل البيت .. فبادلوها بالترحيب حبًّا .

وهذا هو دور مصر عبر تاريخها في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة . .

فهل وعينا الدرس من حقائق التاريخ ؟

والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

* * *

---

(١) آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني ، إرشاد السائل ، دار الصفوة ، بيروت ، ط/ الأولى ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ .


مركز التنوير
للدراسات الإنسانية

المصادر والمراجع

أولا : المراجع والمصادر السنية :

(أ)

١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ط . دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٢م .
٢- أحمد تيمور باشا : المهندسون في العصر الإسلامي ، ط. نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
٣- أحمد الشرباصي : المعجم الاقتصادي ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٨١م .
٤- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
٥- أحمد عوض أبو الشباب : نكاح المتعة بين الإباحة والتحريم ، لبنان : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧م.
٦- آدم متز : الحضارة الإسلامية ، تحقيق أبي ريدة ، ط. ٣ ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧م .
٧- أسامة شحادة : من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران ، كتاب الراصد (٧) ، ١٤٣٠هـ .
٨- الأشعري : مقالات الإسلاميين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت : المكتبة العصرية ، ، ١٩٩٠م .
٩- الألباني ، محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الضعيفة . الرياض : مكتبة المعارف .
- صحيح الترغيب والترهيب ، الرياض : مكتبة المعارف .
- صحيح الجامع ، بيروت : المكتب الإسلامي .
- صحيح سنن ابن ماجة ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط١ ١٤٠٨هـ
- ضعيف سنن الترمذي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط١ ١٤٠٨هـ
١٠- الآلوسي : تفسير الآلوسي « روح المعاني » ، تحقيق محمود الشرقاوي ، القاهرة : دار الشعب .
١١- أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ .

(ب)

١٢ـ البخاري ، محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، بيروت : دار الفكر ، ط١ ، ١٤١١هـ .

١٣ـ – بيان نويهض الحوت : صبرا وشاتيلا سبتمبر ١٩٨٢م ، منشورات المجموعة ، لبنان ، ١٩٨٢م.

١٤ـ البيهقي ، أحمد بن الحسن : السنن الكبرى ، بيروت : دار المعرفة .

(ت)

١٥ـ الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة : الجامع الصحيح ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة مطبعة الحلبي ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ .

١٦ـ ابن تغري بردي ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٢م .

١٧ـ تيرنر ، كولن : التشيع والتحول في العصر الصفوي ، ترجمة حسين علي عبد الساتر ، منشورات الجمل ، كولونيا – ألمانيا – بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

١٨ـ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم :

– أحاديث القصاص ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط١ .

– الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، القاهرة ، مطبعة المدني ، ط١ .

– مجموع الفتاوي ،جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، الجيزة ، د.ت .

(ج)

١٩ـ الجبرتي ، عبد الرحمن الجبرتي الحنفي : عجائب الآثار ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، د . ت .

٢٠ـ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، من إصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة .

٢١ـ جميل أبو العلا : الباطنية وموقف الإسلام منها ، دار المعارف المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

٢٢ـ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي : زاد المسير ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط١ .

(ح)

٢٣ـ الحاكم النيسابوري ، أحمد بن علي : المستدرك على الصحيحين . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٨٩هـ .

٢٤ـ ابن حجر العسقلاني :

– إنباء العمر ، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

– تقريب التهذيب ، ط٤ ، طبعة دار الرشيد ، سورية ، حلب ، ١٩٩٧م .

٢٥ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م.

٢٦ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م .

– تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسورية وبلاد العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .

– الفاطميون في مصر ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، ١٩٣٢م .

٢٧ـ حسن خضيري : علاقات الفاطميين « مصر ودول المغرب العربي » ، القاهرة : مكتبة مدبولي .

٢٨ـ حمدي عبيد :

– معجم مصطلحات الموسوعة الميسرة ، ملحق بالجزء الثاني من الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والحركات المعاصرة ،إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ .

– التأثير السياسي والحضاري لتطور البناء الفكري لعقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر الهجري (تحت الطبع) .

(خ)

٢٩ـ خادم إلهي بخش : أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية ، دار حراء للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

٣٠ـ خالد بن عبد الرحمن القاضي : الحياة العلمية في مصر الفاطمية ، بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٣١- خالد بن محمد البديوي : أعلام التصحيح والاعتدال : مناهجهم وآراؤهم ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ.

٣٢- خالد محمد علي الحاج : الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد ، وزارة الشؤون الإسلامية ، قطر .

٣٣- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت : تاريخ بغداد ، بيروت : دار الكتب العلمية .

٣٤- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، ط . لجنة البيان العربي ، ١٣٧٩هـ .

٣٥- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م .

(د)

٣٦- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت : المكتبة العصرية .

(ذ)

٣٧- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان :

- تذكرة الحفاظ ، مكة المكرمة : دار الباز .
- سير أعلام النبلاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
- العبر في خبر من غبر ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م .
- معرفة القراء الكبار ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م .

(ر)

٣٨- راغب السرجاني : الشيعة نضال أم ضلال ، القاهرة : دار أقلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .

(ز)

٣٩- زكي محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية ، القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٩٩١م.

٤٠ـ ابن زولاق : فضائل مصر وأخبارها ، تحقيق علي محمد عمر ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

(س)

٤١ـ سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، القاهرة : دار المعارف ، ط١ .

٤٢ـ السبكي ، عبد الوهاب بن علي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط١ ، ١٣٨٣هـ .

٤٣ـ السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن :

– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . ط١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

– المقاصد الحسنة . بيروت : دار الكتب العلمية .

٤٤ـ سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، القاهرة ، ١٩٧١م .

٤٥ـ السلفي ، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني : معجم السفر ، تحقيق : عبد الله البارودي ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م .

٤٦ـ السلومي ، سليمان بن عبد الله : أصول الإسماعيلية دراسة وتحليل ونقد ، دار الفضيلة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠١م .

٤٧ـ سليم حسن : مصر القديمة ، من إصدارات مكتبة الأسرة ، الهيئة المصري العامة للكتاب ، القاهرة .

٤٨ـ سيد قطب : في ظلال القرآن . القاهرة : دار الشروق ، ط ١٢ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٤٩ـ سيدة الكاشف :

– مصر في عهد الإخشيديين ، القاهرة : طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م .

– مصر في فجر الإسلام ، بيروت : دار الرائد ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ .

٥٠ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٧/١٩٦٨م .

(ش)

٥١ـ الشافعي ، حسن : المدخل لدراسة علم الكلام ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ،

باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ -١٩٨٨م
٥٢- الشنقيطي ، محمد الأمين : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، الجيزة : مكتبة ابن تيمية .
٥٣- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، طبعة مؤسسة الحلبي ، القاهرة .
٥٤- الشوكاني ، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، بيروت : دار المعرفة .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٢هـ .

(ص)

٥٥- صابر طعيمة : دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة ، القاهرة : مكتبة مدبولي .
٥٦- صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

(ط)

٥٧- طارق أحمد حجازي : الشيعة والمسجد الأقصى ، لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة - فلسطين .
٥٨- الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٤ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧م .
٥٩- طه الدليمي : التشيع عقيدة دينية أم عقدة نفسية ، القاهرة : مركز التنوير للدراسات الإنسانية ، ط٢ ، ٢٠٠٧م .

(ظ)

٦٠- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
٦١- ظهير ، إحسان إلهي : الإسماعيلية .. تاريخ وعقائد ، إدارة ترجمان السنة ،لاهور ، باكستان، د.ت.

(ع)

٦٢- عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ : السيدة سكينة ، طبعة دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٦٣ـ ابن عابدين : محمد أمين بن عابدين الدمشقي : حاشية ابن عابدين المسماة رد المحتار على الدر المختار ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٧هـ .
٦٤ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة : طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٩م .
٦٥ـ عبد الله جميل : بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ، القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، ط١ ، ١٩٩٢م .
٦٦ـ عبد الله السلومي : الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ، دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م .
٦٧ـ عبد الله بن الحسين السويدي : مؤتمر النجف ، تحقيق محب الدي الخطيب ، القاهرة : المطبعة السلفية .
٦٨ـ عبد المنعم الحفني : الموسوعة الصوفية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٦٩ـ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
٧٠ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي : القول السديد شرح كتاب التوحيد ، تحقيق صبري بن سلامة شاهين ، دار الثبات ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٧١ـ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، بيروت ، ١٩٩٦م .
٧٢ـ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي : هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، الرياض : دار طيبة .
٧٣ـ عبد العزيز سيف النصر : التأويل الإسماعيلي الباطني ومدى تحريفه للعقائد الإسلامية ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
٧٤ـ عثمان أحمد عبد الله : تاريخ الجامع الأزهر ، القاهرة : مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٥م .
٧٥ـ العجلوني ، إسماعيل محمد : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، دمشق : مؤسسة مناهل العرفان ومكتبة الغزالي .
٧٦ـ عدنان سعد الدين : مذكرات عدنان سعد الدين ، الأردن ، عمان : دار عمار .
٧٧ـ عرفان عبد الحميد فتاح : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل للطبع والنشر ، ١٩٩٣م .

٧٨- عز الدين إبراهيم : موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية ، معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، الجمهورية الإيرانية ، طهران ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٦م .

٧٩- عطية محمد سالم : نكاح المتعة عبر التاريخ – وفيه إلزام الشيعة بتحريمها في التاريخ ، مقدمة لرسالة أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ، تحريم نكاح المتعة ، حققها وخرج أحاديثها الشيخ حماد الأنصاري ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ .

٨٠- العلوي ، يحيىٰ بن حمزة : الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، تحقيق: فيصل بدير عون ، راجعه: علي سامي النشار ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ، ١٩٩٥ .

٨١- علوي طه الجبل : الإسماعيلية من الداخل ، دار الأمل ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.

٨٢- علي عبد الله الدفاع ، أثر علماء العرب والمسلمين في تطور علم الفلك ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٨٣- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، طبعة دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٨٤- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م .

(غ)

٨٥- الغزالي ، أبو حامد : فضائح الباطنية ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، بيروت .

(ف)

٨٦- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود : المختصر من أخبار البشر ، القاهرة : طبعة مصورة بمكتبة المتنبي ، د . ت .

(ق)

٨٧- ابن قتيبة : عيون الأخبار ، بيروت : طبعة دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م .

٨٨- القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري : تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » ، القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٣٨٧هـ .

٨٩- القلقشندي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد : صبح الأعشى ، طبعة الهيئة

المصرية العامة ، القاهرة ، د . ت .

(ك)

٩٠- ابن الكندي : فضائل مصر المحروسة ، تحقيق علي محمد عمر ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م .

٩١- ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل :

- البداية والنهاية ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

- تفسير القرآن الكريم ، القاهرة : دار التراث .

٩٢- الكندي ، عمر بن يوسف : فضائل مصر المحروسة ، تحقيق علي محمد عمر ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٧م

(ل)

٩٣- لجنة التاريخ القبطي : الأمة القبطية ، طبعة وزارة المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٢م .

٩٤- اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق أحمد سعد حمدان ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ .

(م)

٩٥- المحبي ، تقي الدين داود : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٩٠م .

٩٦- محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،ط٤ ، ١٣٨٤ هـ .

٩٧- محمد حمزة حداد : النقوش الأثرية مصدرا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٩٨- محمد رجب : الدولة العبيدية الفاطمية ، الرياض : مكتبة العبيكان .

٩٩- محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الفاطمي .. الشعر والشعراء ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م .

١٠٠- محمد سهيل طقوش : تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام ، بيروت : دار النفائس .

١٠١- محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل : نكاح المتعة – دراسة وتحقيق ، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

١٠٢- محمد عبد اللطيف هريدي : الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا ، القاهرة : دار الصحوة .

١٠٣- محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ، القاهرة : مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٥٨م.

١٠٤- محمد عتريس : معجم بلدان العالم ، طبعة الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

١٠٥- محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، القاهرة : دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٣م .

١٠٦- محمد قطب : المستشرقون والإسلام ، مكتبة وهبة للطباعة النشر ، القاهرة ، ٢٠٠١م.

١٠٧- محمد كامل حسين :

– أدب مصر الفاطمية ، القاهرة : دار الفكر ، ١٩٩٠م .

– طائفة الإسماعيلية ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

١٠٨- مجموعة مؤلفين : نهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي ، دار عمار ، الأردن.

١٠٩- مجموعة من الباحثين : الحوثيون في اليمن والأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية ، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث ، من إصدارات المركز العربي للدراسات ، القاهرة .

١١٠- مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٧٤هـ .

١١١- مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ، القاهرة : مكتبة مصطفى الحلبي ، ط١٤، ٢٠٠٠م .

١١٢- المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي :

– اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، ومحمد حلمي محمد ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

– إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق : كرم حلمي فرحات ، طبعة دار عين ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة مكتبة الآداب ، القاهرة ، د . ت .

– الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : كرم حلمي فرحات ، طبعة دار عين ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

– السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٤ – ١٩٧٠ – ١٩٧٢م .

– المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩١م .

١١٣- الملا علي القاري : الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م .

١١٤- ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .

(ن)

١١٥- ناصر خسرو : سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .

١١٦- نجوى كيرة ، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي ، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

١١٧- الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والحركات المعاصرة، إشراف وتخطيط : د: مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤ هـ –١٩٩٤م .

١١٨- أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، بيروت : دار الكتب العلمية .

١١٩- النووي ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

١٢٠- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

(هـ)

١٢١- هادف الشمري : الخطة الخمسينية السرية لآيات قم وانعكاساتها على واقع مملكة البحرين ،

ط٢ ، ١٤٢٩هـ .

١٢٢ـ الهيثم زعفان : الفضائيات الشيعية التبشيرية ، القاهرة : مركز التنوير للدراسات الإنسانية ، ط١ ، ٢٠١٠م .

١٢٣ـ الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين علي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٢هـ .

(و)

١٢٤ـ . ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

١٢٥ـ ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر : تتمة المختصر في أخبار البشر ، العراق : المطبعة الحيدرية بالنجف ، ١٩٦٩م .

(ي)

١٢٦ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، طبعة دار الفكر ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

١٢٧ـ يوسف الحسن : البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٠م .

* * *

ثانيا : مصادر الشيعة الإمامية الإسماعيلية ومراجعها :

(أ)

١٢٨ـ إبراهيم الحامدي : كنز الولد ، تحقيق : مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م .

١٢٩ـ إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، إعداد وتحقيق : عارف تامر ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م .

-جامعة الجامعة ، تحقيق وتقديم : عارف تامر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.

١٣٠ـ الأعظمي ، محمد حسن : الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،د.ت.

(ت)

١٣١ـ التميمي ، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي :

- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله ، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ،١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م.

- تأويل الدعائم ، تحقيق : محمد حسن الأعظمي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، د.ت.

- أساس التأويل ، تحقيق : عارف تامر ، مكتبة الفاو ، صنعاء ، ١٩٩٠م .

- المسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي وآخرين، دار المنتظر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى،١٩٩٦م .

(ج)

١٣٢ـ جعفر بن منصور اليمن : الكشف ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .

– سرائر وأسرار النطقاء ، تحقيق وتقديم : مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ –١٩٨٤م .

١٣٣ـ الجعفي ، المفضل بن عمر : الهفت الشريف ، ترجمة وتحقيق وتقديم : مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،٢٠٠٠م.

(ح)

١٣٤ـ الحارثي ، طاهر بن إبراهيم : الأنوار اللطيفة في مسألة البدء والمعاد ،ملحق بكتاب الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية ، لمحمد حسن الأعظمي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، د.ت.

(ز)

١٣٥ـ زاهد علي : إسماعيلي مذهب كي حقيقت اور اس كانظام ،دي أكاديمي أف إسلامك استديز ، حيدر آباد دكن ، الهند ، ١٣٧٣ هـ –١٩٥٤م.

١٣٦ـ أبو فراس ، شهاب الدين بن نصر : رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس ، ضمن أربعة رسائل إسماعيلية ، دار الكشاف .

(س)

١٣٧ـ السجستاني ، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد:

–إثبات النبوات ، تحقيق عارف تامر ، ١٩٦٦م .

–الافتخار ، تحقيق وتقديم مصطفى غالب ، ب.ت.

– الينابيع ، تقديم وتحقيق : مصطفى غالب ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥م .

(ش)

١٣٨ـ الشيرازي ، هبة الله بن موسى بن داود ، المؤيد في الدين :

– ديوان المؤيد في الدين ، تحقيق وتقديم محمد كامل حسين ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩م .

– السير المؤيدية ، تحقيق محمد كامل حسين ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩م .

- المجالس المؤيدية ، المئة الأولى ، تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت.

(ع)

١٣٩ـ عارف تامر :

- أربع رسائل إسماعيلية ، دار مكتبة الحياة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٨م .

- تاريخ الإسماعيلية ..الدعوة والعقيدة ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص ، الطبعة الأولى ،١٩٩١م .

(ق)

١٤٠ـ القرشي ، إدريس عماد الدين : زهر المعاني ، تحقيق مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤١١ هـ -١٩٩١م .

(ك)

١٤١ـ الكرماني ، أحمد حميد الدين :

- المصابيح في إثبات الإمامة ، تقديم وتحقيق مصطفى غالب ، منشورات حمد ، بيروت .

- راحة العقل ، تقديم وتحقيق مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧، بيروت .

١٤٢ـ ابن كلس ، يعقوب : الرسالة المذهبة ، تحقيق عارف تامر ، دار المسيرة ،١٩٨٨م .

(م)

١٤٣ـ المسبحي ، الأمير مختار عز الملك محمد بن عبد الله : أخبار مصر ، تحقيق وليم ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م .

١٤٤ـ مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، تقديم أغاخان الثالث ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

(هـ)

١٤٥ـ ابن هانئ : ديوان ابن هانئ الأندلسي ، تحقيق كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

* * *



ثالثا : مصادر الشيعة الاثني عشرية ومراجعها :

(أ)

١٤٦- الأردوائي ، محمد باقر : ديوان شعراء الحسين ، النجف : مكتبة النعمان ، ط٢ .

(ج)

١٤٧- جعفر كاشف الغطاء ، محمد الحسين : أصول الشيعة وأصولها ، مطبعة العرقان ، صيدا ، ١٣٥١ هـ ، ١٩٣١م .

١٤٨- جنة المأوى ، دار الأضواء ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .

١٤٩- جعفر بن منصور اليمن : أسرار النطقاء ، تحقيق مصطفى غالب ، ط١ ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م .

١٥٠- الجوهرجي ، محمد صالح : ضياء الحق ، مطبعة الآداب ، النجف ، الطبعة الثانية عشر ، ١٣٨٩ هـ .

(ح)

١٥١- الحر العاملي ، محمد بن الحسن : رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية ، نمقه وأشرف على طبعه الحاج مهدي الأزوردي الحسيني ، والشيخ محمد دوردي ، قم ، إيران : دار الكتب العلمية . د ت .

– الفصول المهمة من أصول الأئمة ، إيران ، ١٣٠٤هـ .

– وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة ، تحقيق عبد الرحيم الشيرازي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط٥ ، ١٤٠٣هـ .

١٥٢- الحويزي ، عبد علي بن جمعة العروسي : نور الثقلين ، صححه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاني ، ط٤ ، قم : مؤسسة إسماعيليان ، ١٤١٢هـ .

(خ)

١٥٣- الخوميني ، الإمام روح الله الموسوي : تحرير الوسيلة ، دمشق : المستشارية الثقافية الإيرانية ،

١٤٠٧هـ .
– الحكومة الإسلامية ، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى ، قم ، إيران .
– كشف الأسرار ، ترجمة محمد البنداري ، وعلق عليه سليم الهلالي ، عمان : دار عمار للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
– مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية . مؤسسة الوفاء ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
– المكاسب المحرمة مع تذييلات لمجتبى الطهراني ، ط٣ ، قم : مؤسسة إسماعيليان ، ١٤١٠هـ .
١٥٤ـ الخوانساري ، محمد باقر الموسوي : روضات الجنات ،تحقيق أسد الله ، طهران : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٠م .
١٥٥ـ الخوئي ، حبيب الله الهاشمي :
– معجم رجال الحديث ، ط٥ ، ١٤١٣هـ .
– حبيب الله الهاشمي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة .
– كتاب الطهارة .

(ر)

١٥٦ـ رسول جعفريان : الشيعة في إيران من البداية حتى القرن التاسع الهجري ، تعريب علي هاشم الأسدي ، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة ، مشهد ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ .

(س)

١٥٧ـ السيد ضياء الدين : ضياء الدراية ، قم : مطبعة الحكمة ، ١٣٧٨هـ .
١٥٨ـ السفارة الإيرانية : مكانة المرأة في فكر الإمام الخوميني بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الإمام الخوميني ، منشورات السفارة الإيرانية بدمشق .

(ش)

١٥٩ـ شير ، السيد عبد الله : مصابيح الأنوار ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، ط٢، ١٤٠٧هـ .

١٦٠- شهلا الحائري : المتعة .. الزواج المؤقت عند الشيعة مع حالة إيران ١٩٧٨م – ١٩٨٢م ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ط٨ ، ١٩٩٧م .

١٦١- الشيرازي ، عبد الكريم آزاد : الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٢١هـ .

١٦٢- الشيرازي ، محمد بن طاهر القمي : الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، قم : مطبعة الأمير ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

١٦٣- الشيرازي : المؤيد في الدين : المجالس المؤيدية ، تحقيق محمد عبد القادر عبد الناصر ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

(ص)

١٦٤- الصدوق : محمد بن بابويه القمي : الاعتقادات في دين الإمامية ، قم : المطبعة العلمية ، ١٤١٢هـ . وطبعة مركز نشر الكتاب بإيران ، ١٣٧٠هـ .

– إكمال الدين ، النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٩هـ .

– علل الشرائع ، النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٥هـ .

– فقه الرضا ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم : المؤتمر العالمي للإمام الرضا ، مشهد ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

(ط)

١٦٥- الطبرسي ، أحمد بن علي بن أبي طالب :

– إعلام الورى بأعلام الهدى ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم ، ط١، ١٤١٧هـ .

– الاحتجاج ، تعليق محمد باقر الخراساني ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات والنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ .

١٦٦- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن :

– تهذيب الأحكام في شرح مقنعة المفيد ، حققه وعلق عليه محمد جعفر شمس الدين ، بيروت : دار التعارف للمطبوعات . ط١ ، ١٩٩٢م .

– تلخيص الشافي . تعليق حسين بحر العلوم ، دار الكتب الإسلامية ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٤ هـ .

– النهاية ، تعليق حسين بحر العلوم ، قم : دار الكتب الإسلامية ، ط٣ ، ١٣٩٤هـ .

(ع)

١٦٧ـ عباس خامه بار : إيران والإخوان المسلمون ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والوثائق ، بيروت ، ١٩٩٧م .

١٦٨ـ عباس القمي : مفاتيح الجنان ، دار مكتبة الرسول الأكرم ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

١٦٩ـ عبد الحليم الغزي : فتن عصر الظهور الشريف ، بيروت : مكتبة الفردوس للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م .

١٧٠ـ عبد الرسول الغفار : الكليني وخصومة .. موقف أبو زهرة من الكليني ، بيروت : دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

١٧١ـ العياشي ، أبو النصر محمد بن مسعود السمرقندي : تفسير العياشي ، تحقيق هاشم الحلاتي ، قم : المطبعة العلمية ، د. ت .

(ف)

١٧٢ـ الفيض الكاشاني :

– تفسير الصافي ، قم : مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ . وطبعة مكتبة الصدر بطهران ، ١٣١٤هـ .

– علم اليقين في أصول الدين ، بيروت : دار البلاغة ، ٢٠٠٢م .

(ق)

١٧٣ـ القمي ، محمد إبراهيم : تفسير القمي ، دار الكتاب ، قم ، الطبعة الثانية ، تصوير بيروت ، ١٣٨٧ هـ .

١٧٤ـ القزويني ، إبراهيم الموحد : الإمام عليّ خليفة رسول الله ﷺ ، بيروت : دار الثقلين .

(ك)

١٧٥- الكاظمي القزويني : الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ، دار الزهراء ، بيروت .
١٧٦- الكشي ، أبو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز : أسماء الرجال الناقلين عن الأئمة العاملين المشهور برجال الكشي ، العراق ، كربلاء : مؤسسة الأعلمي د. ت .
١٧٧- الكلبايكاني ، السيد محمد رضا : إرشاد السائل ، ط١ ، بيروت ، دار الصفوة .
١٧٨- الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب ، أصول الكافي ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري ، طهران : دار الكتب الإسلامية ، ط ٣ ، ١٣٨٨ هـ.

(م)

١٧٩- المازندراني ، محمد صالح : شرح أصول الكافي .
١٨٠- المامقاني ، عبد الله : تنقيح المقال في علم الرجال ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣م .
١٨١- المجلسي ، محمد باقر : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، وط. دار الكتب الإسلامية بطهران ، ١٣٨٧هـ .
١٨٢- محسن الأمين العاملي : أعيان الشيعة ، حققه وأخرجه حسن الأمين ، بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٠٣هـ .
١٨٣- مرتضى المطهري : الإمامة ، تحقيق جواد علي كسار ، مؤسسة البلاغ ، ١٩٩٩م .
١٨٤- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، شرح وتقديم مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م .
١٨٥- محمد فاضل المسعودي : الأسرار الفاطمية في المقامات الملكوتية والمعاني الروحانية للسيدة فاطمة الزهراء (ع) ، بيروت : دار الإرشاد ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .
١٨٦- مصطفى كامل الشيبي : العلاقة بين التصوف والتشيع ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م .
١٨٧- المفيد :
- الإرشاد ، قم : منشورات بصيرتي .

– المقنعة ، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي بقم ، ط٢ ، ١٤١٠هـ .

١٨٨ـ ميرزا محمد تقي ، الملقب بحجة الإسلام ، صحيفة الأبرار ، عني بتصحيحه حجة الإسلام عبد الرسول الحقاقي الحائري ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٦م .

(ن)

١٨٩ـ نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية ، بيروت : مطبوعات الأعلمي ، ١٤٠٤هـ .

(ي)

١٩٠ـ يوسف البحراني ، السيد هاشم : البرهان في تفسير القرآن : لبنان مؤسسة الوفاء ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ .

– الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، ترجمة وتحقيق محمد علي الإيرواني ، ويوسف البقاعي ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩م .

– الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب ، تحقيق مهدي الرجائي ، قم : مطبعة أمير ، ط١ ١٤١٩هـ .

– الكشكول ، طهران : مكتبة نينوى الحديثة .

– معالم الزلفىٰ في معارف النشأة الأولى والأخرى ، تحقيق مؤسسة الكتب الإسلامية ، نشر مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

* * *

رابعا : كتب أخرى :

١٩١- آريل شارون : مذكرات آريل شارون ، ترجمة أنطون عبيد ، مكتبة بيسان ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
١٩٢- جريس هالسيل : النبوءة والسياسة ، ترجمة : محمد السماك ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢م .
١٩٣- باريتا غارسيا : التحالف الغادر / العلاقات السرية بين إسرائيل وأمريكا وإيران ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠١٢م .
١٩٤- العهد الجديد ، سفر يوحنا .
١٩٥- مايكل ونتر : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني ، ترجمة : إبراهيم محمد إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
١٩٦- برنارد لويس : أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة ، ترجمة : حكمت تلجوق ، راجعه وقدم له: د. خليل أحمد خليل ، دار الحداثة ، لبنان ، ١٩٨٠م .

خامسا : الصحف والمجلات ومواقع الانترنت :

١٩٧- صحيفة اللواء الأردنية ، بتاريخ ٢٥/٤/٢٠٠١م .
١٩٨- مجلة الأزهر ، مجلد ٢٤/ ٢٨٥ - ٢٨٦ .
١٩٩- صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٩/٢/٢٠٠٢م .
٢٠٠- صحيفة الحياة اللندنية ، بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ٢٠٠٧م .
٢٠١- صحيفة القبس الكويتية ، بتاريخ ١٧ / ١٠ / ١٩٨١م .
٢٠٢- صحيفة الرأي الأردنية ، بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٠٨١م .
٢٠٣- صحيفة القدس العربي ، بتاريخ ١١ / ٧ / ١٩٩٨م .
٢٠٤- صحيفة عصر إيران ، بتاريخ ٢ / ٣ / ٢٠٠٨م .
٢٠٥- صحيفة النهار اللبنانية ، ٧/١١/٢٠٠٢م .
٢٠٦- مجلة الأزهر ، عدد إبريل ١٩٦٦م . ١٣٩٨هـ .
٢٠٧- مجلة التوحيد / المجلد السادس العدد ١-٢-٣-٤ ، تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية .

٢٠٨- مجلة الراصد ، العدد (٣٤) ، السنة الثالثة .

٢٠٩- مجلة روزاليوسف ، عدد ٣٣٦٩ لسنة ١٩٩٣م .

٢١٠- مجلة مختارات إيرانية ، مركز دراسات الأهرام ، العدد ٤٥ ، يناير ٢٠٠٥م .

٢١١- وكالة أنباء شيعة نيوز .

٢١٢- وكالة مهر .

٢١٣- وكالة أنباء أخبار الشيعة .

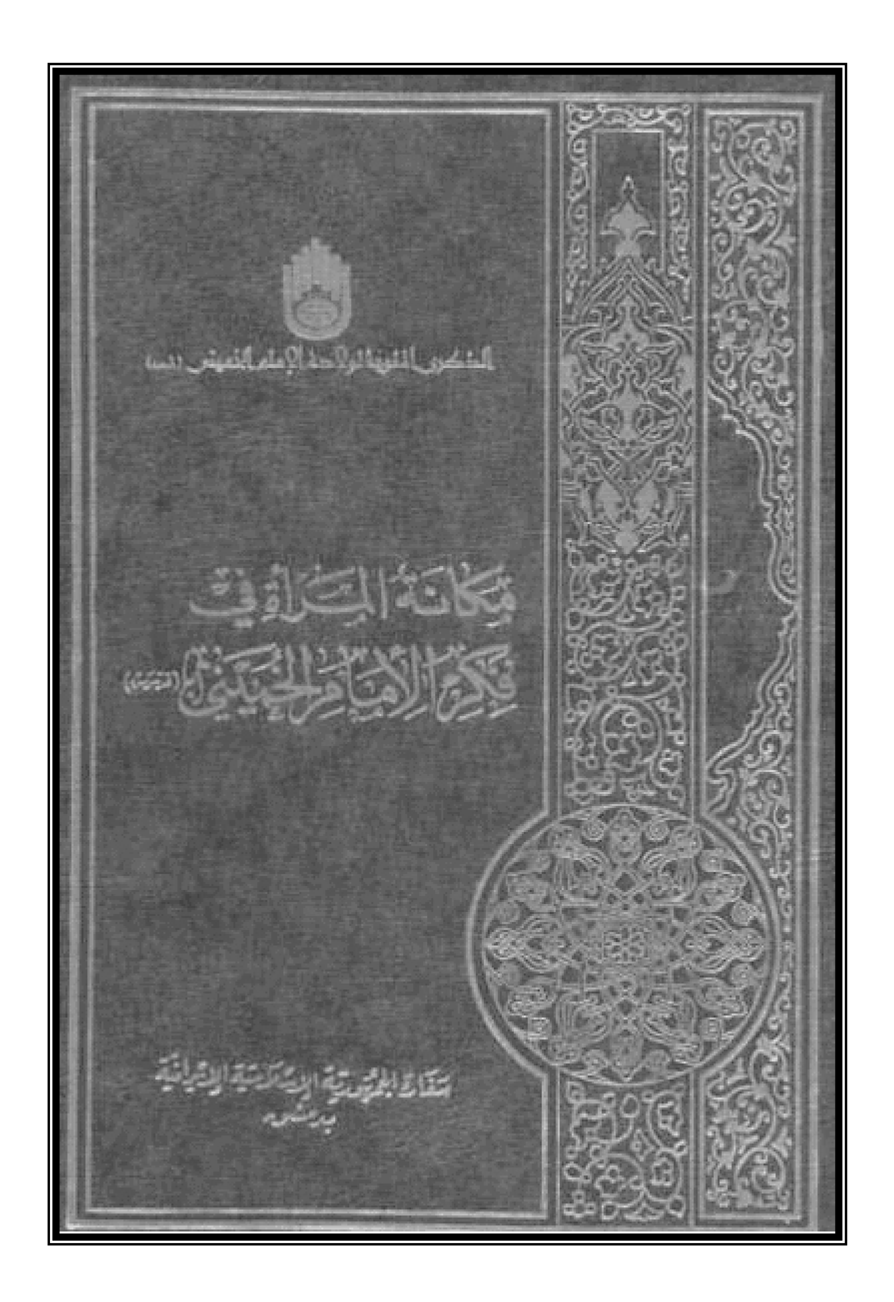
www.alrased.net

- www.IaJeed home
- www. mazameer.com
- www.semanoor.com
- www.montada.gowthoda.com
- www.maroc.quran.com
- www.bologh.com
- www.shioonlin.com
- wwwalamlli.net
- www.Ikwan.net
- www.alanbaa-aldawlia.info
- www.almogaz.com
- www.islamonline.com
- www.almasryalyom.com
- www.almasryoon.com
- www.al-moharer.net

* * *

وثائق مهمة





صورة مجلد كتاب (مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني)

طبعة سفارة الجمهورية الإيرانية بدمشق

شخصيتها الملكوتية

إنّ مختلف الأبعاد التي يمكن تصورها للمرأة، وللانسان، تجسدت في شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام .

لم تكن الزهراء امرأة عادية. كانت امرأة روحانية.. امرأة ملكوتية.. كانت انساناً بتمام معنىٰ الكلمة.. نسخة انسانية متكاملة.. امرأة حقيقية كاملة.. حقيقة الانسان الكامل. لم تكن امرأة عادية؛ بل هي كائن ملكوتي تجلىٰ في الوجود بصورة انسان.. بل كائن إلهي جبروتي ظهر على هيئة امرأة.

إذن يوم غد[1] هو يوم المرأة. فقد اجتمعت في هذه المرأة ـ التي يصادف غداً ذكرى ميلادها ـ جميع الخصال الكمالية المتصورة للانسان وللمرأة.

إنها المرأة التي تتحلىٰ بجميع خصال الانبياء.. المرأة التي لو كانت رجلاً لكانت نبياً.. لو كانت رجلاً لكانت بمقام رسول الله.

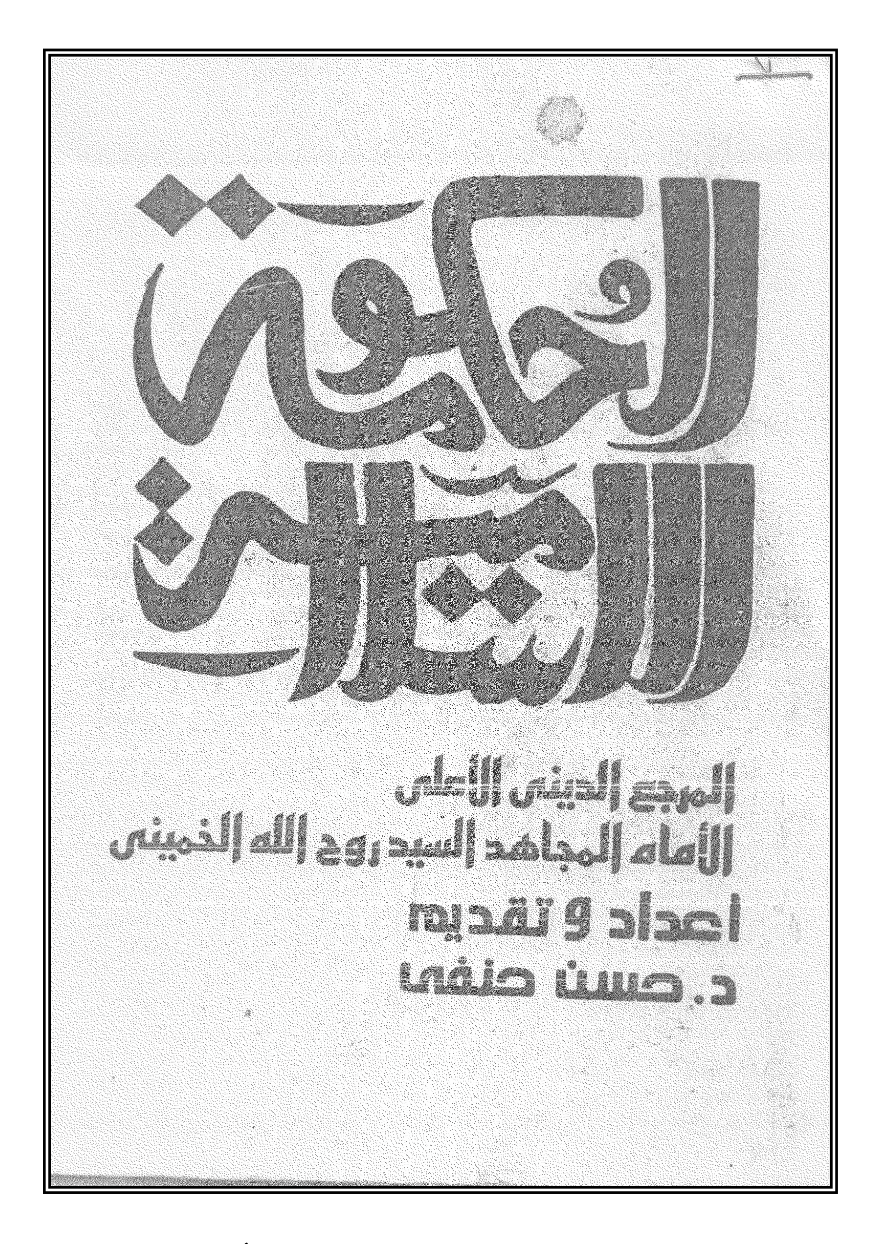
غداً يوم المرأة، حيث ولدت جميع أبعاد منزلتها وشخصيتها. غداً ذكرىٰ مولد الكائن الذي اجتمعت فيه المعنويات، والمظاهر الملكوتية، والالهية، والجبروتية، والملكية والانسية. غداً ميلاد الانسان بجميع ما للانسانية من معنى. غداً ميلاد امرأة بكل ما تحمله كلمة «المرأة» من معنىً إيجابي.

ان المرأة تتسم بأبعاد مختلفة كما هو الرجل، وإنّ هذا المظهر الصوري الطبيعي يمثل أدنىٰ مراتب الانسان؛ أدنىٰ مراتب المرأة، وأدنىٰ مراتب الرجل. بيد أن الانسان يسمو في مدارج الكمال انطلاقاً من هذه المرتبة المتدنية. فهو في حركة دؤوبة من مرتبة الطبيعة الى مرتبة الغيب؛ الى الفناء في الالوهية. وان هذا المعنىٰ متحقق في الصديقة الزهراء؛ التي انطلقت في حركتها من مرتبة الطبيعة، وطوتْ مسيرتها التكاملية بالقدرة الالهية؛ بالمدد

(١) العشرون من جمادىٰ الآخرة ١٣٩٩ هـ.

وثيقة تظهر غلو الخميني في السيدة فاطمة رضي الله عنها بأنها

(كائن إلهي جبروتي تجلى في صورة إنسان)



غلاف كتاب الخميني (الحكومة الإسلامية) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩

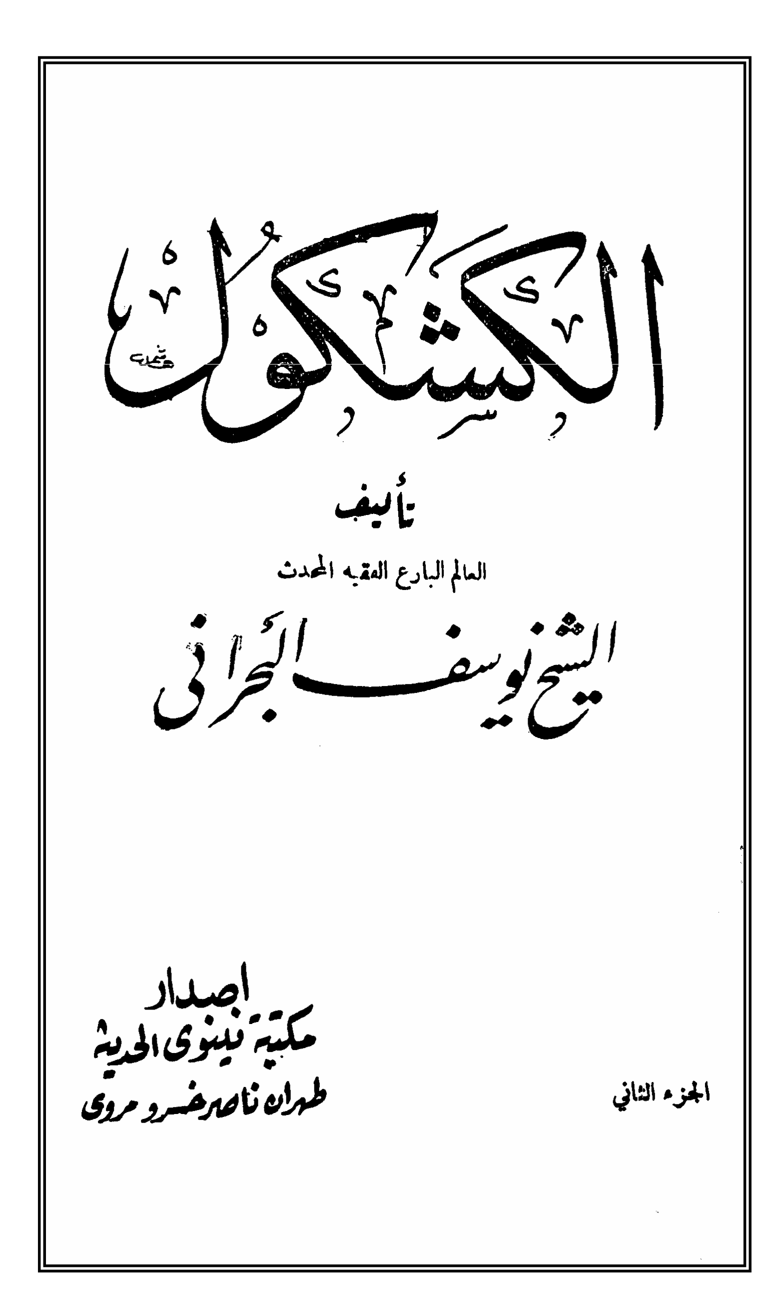
إعداد د. حسن حنفي

عدم امكان تشكيل تلك الحكومة ، فالولاية لا تسقط . لان الفقهاء قد ولاهم الله ، فيجب على الفقيه ان يعمل بموجب ولايته قدر المستطاع ، فعليه ان يأخذ الزكاة والخمس والخراج والجزية ان استطاع ، لينفق كل ذلك في مصالح المسلمين وعليه ان استطاع ان يقيم حدود الله . وليس العجز المؤقت عن تشكيل الحكومة القوية المتكاملة يعني بأي وجه ان ننزوي بل ان التصدي لحوائج المسلمين ، وتطبيق ما تيسر تطبيقه فيهم من الاحكام ، كل ذلك واجب بالقدر المستطاع .

الولايـــة التكوينيـــة :

وثبوت الولاية والحاكمية للامام (ع) لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله ، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام . فان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون . وان من ضروريات مذهبنا ان لائمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . وبموجب ما لدينا من الروايات والاحاديث فان الرسول الاعظم (ص) والائمة (ع) كانوا قبل هذا العالم انوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه الا الله . وقد قال جبرئيل — كما ورد في روايات المعراج — : لو دنوت انملة لاحترقت . وقد ورد عنهم (ع) : ان لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل . ومثل هذه المنزلة

وثيقة تظهر غلو الخميني وتطرفه في أئمة الشيعة الاثنى عشر



الكشكول

تأليف

العالم البارع الفقيه المحدث

الشيخ يوسف البحراني

اصدار

مكتبة نينوى الحديثة

طهران ناصر خسرو مروى

الجزء الثاني

صفحة العنوان لكتاب الكشكول ليوسف البحراني طبعة طهران

لو كان حب الوصي رفضاً فانني ارفض العباد

﴿ وله أيضاً ﴾ :

لو شق قلبي لراؤا وسطه خطان قد خطا بلا كاتب
الشرع والتوحيد في جانب وحب اهل البيت في جانب

﴿ جوابه ﴾ للمحرره الجامع لهذا التأليف .

كذبت في دعواك يا شافعي فلعنة الله على الكاذب
بل حب اشياخك في جانب وبغض اهل البيت في جانب
عبدتم الجبت وطاغوته دون الآله الواحد الواجب
فالشرع والتوحيد في معزل عن معشر النصاب يا ناصبي
قدمتم العجل مع السامري على الأمير ابن ابي طالب
محضتم بالود اعداءه من جالب الحرب ومن غاصب
وتدعون الحب ما هكذا فعل اللبيب الحازم الصايب
قد قرروا في الحب شرطاً له ان تبغض المبغض للصاحب
وشاهدي القرآن في (لا تجد) اكرم به من نير ثاقب
وكلمة التوحيد ان لم يكن عن الطريق الحق بالناكب
وانتم قررتم ضابطاً لتدفعوا العيب من الغائب
باننا نسكت عما جرى من الخلاف السابق الذاهب
ونحمل الكل على محمل الخير لنحضى برضى الواهب
تباً لعقل عن طريق الهدى اصبح في تيه الهوى عازب

والاشارة بقولنا لا تجد الى قوله سبحانه : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله) فانه غير مؤمن به ودعواه الايمان مع ذلك كذب بحت ، فلذلك من ادعى في احد حباً مع حبه لعدوه فهو كاذب .

الأنوار النعمانية

لمؤلفه
العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء
السيد نعمة الله الجزائري
طاب ثراه وجعل الجنة مثواه
المتوفى سنة ١١١٢

الجزء الثاني

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان

صفحة عنوان كتاب (الأنوار النعمانية) لنعمة الله الجزائري

الصفات ذاتيّة واعترض شيخهم فخر الدين الرازي عليهم بأنّه (بانخ) قال انّ النصارى كفروا لأنّهم قالوا انّ القدماء ثلثة والاشاعرة أثبتوا قدماء تسعة

أقول فالاشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح بل عرفوه بوجه غير صحيح فلافرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفّار لأنه مامن قوم ولاملّة الّا وهم يدينون بالله سبحانه ويثبتونه ؛ وانّه الخالق سوى شرذمة شاذة وهم الدهريّة القائلون ومايهلكنا الّا الدهر ؛ وأسوء الناس حالا المشركون اهل عبادة الأوثان ومع هذا فهم انّما يعبدون الأصنام لتقرّبهم الى الله سبحانه زلفى كما حكاه عنهم في محكم الكتاب بطريق الحصر فتكون الأصنام وسائل لهم الى ربّهم ، فقد عرفوا الله سبحانه بهذا الباطل وهو كون الاصنام مقرّبة اليه وكذلك اليهود حيث قالوا عزير ابن الله ، والنصارى حيث قالوا المسيح بن الله ، فهما قد عرفاه سبحانه بأنّه ربّ ذوولد فقد عرفاه بهذا العنوان ؛ وكذلك من قال بالجسم والصورة والتخطيط ؛ وذلك لما عرفت في أوّل الكتاب من أنّ الكل قد طلبوا معرفته وخاضوا بحار وحدانيته وكانت مضايق وعرة وسبلا مظلمة ، فمن كان له دليل عارف عرف الله سبحانه ، ومن كان دليله أعمى مثله خاض معه بحار الظلمات ؛ومازاده كثرة السير الّا بعداً ، فالاشاعرة ومتابعوهم أسوء حالا في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى ، وذلك انّ من قال بالولد اوالشريك لم يقل انّه تعالى محتاج اليهما في ايجاد أفعاله وبدائع محكماته؛ فمعرفتهم له سبحانه على هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب الّتي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفّار ،وأفادتهم الكلمة الاسلاميّة حقن الدماء والأموال في الدنيا ؛ فقد تباينا وانفصلنا عنهم في باب الربوبيّة ؛ فربّنا من تفرّد بالقدم والأزل وربّهم من كان شركاؤه في القدم ثمانية

ووجه آخر لهذا لاأعلم الّا انّي رأيته في بعض الأخبار ،وحاصله انّا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبيّ ولاعلى امام ،وذلك انّهم يقولوا انّ ربّهم هو الّذي كان محمّد صلى الله عليه وسلم نبيّه وخليفته بعده ابوبكر ،ونحن لانقول بهذا الربّ ولابذلك النبيّ ،بل نقول انّ الربّ الّذي خليفة نبيّه ابوبكر ليس ربّنا ولاذلك النبيّ نبيّنا ووجه آخر لكنّه جواب عن

الحقائق الخفية

عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية

إعداد وتقديم

محمد حسن الأعظمي

عميد كلية اللغة العربية بكراتشي

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٩٧٠

صفحة العنوان لكتاب (الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية) لمحمد حسن النجفي

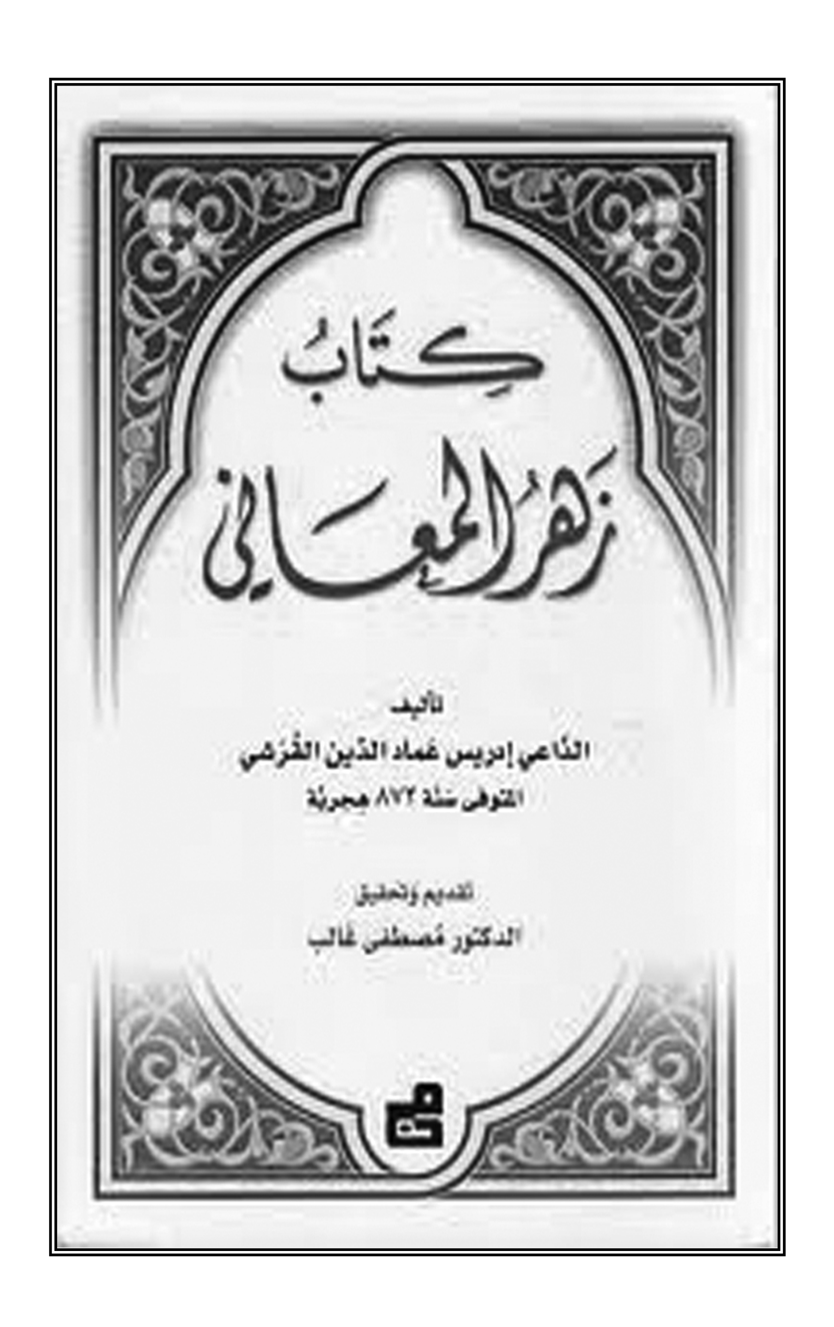
ذلك البرزخ ، ونزولها منه سموما كما سبق به القول، ومنها شخص يسلم ذلك السم الى ذلك المقام الشريف عنه ، وقد يكون من صور هؤلاء المذكورين من هم لعنات من المقامات والحدود ، فيكون أكثر لظلمهم ، وآكد لعداوتهم وشيطنتهم ، كالحجاج الذى ظهر لأهل العراق ، وهو لعنات أمير المؤمنين عه التى كان يلعنهم ، فلكون الحجاج وأمثاله لعنات ، وتصورات من الأضداد ، فاذا اجتمع ذلك كان أشد ضرارا وعداوة ، لأهـل الحق لجميع الخلق ، ولذلك فان بليته مهلكة لجميع العوالم ، فاجتمعت فى ذلك البرزخ المظلم الى أن ظهرت على أهل العراق ، فكان من أفعاله فيهم ما كان ، وكابن مهدى الذى كان من لعنات الحدود ، وتصور الأضداد ، لأهل تهامة ، فاجتمعت في ذلك البرزخ ، وصبت على فضلات أولئك الملاعين ، أعاذنا الله من ذلك بحق محمد وآله الطاهرين .

الباب الخامس ـ من السرادق الثالث :

الفصل الأول :

وأما أجسام هؤلاء الأضداد ونفوسهم ، فان نفس الواحد منهم عند موته تشيع في جسمه ، ويصيران شيئا واحدا ، ويستحيلان الى التراب ، ثم يصعدان بخارا ، ويعـودان مطرا ، ويحـدث من ذلك المطر البرقات المهلكات ، والسيول المخربات ، والبرد المضر ، وذلك من افعال المضادات منها في جميع الأوقات ، وينصبان الى الأرض ويصيران نباتا وحيوانا ، فيغتذيه من يصلح له الاغتذاء به ، ويستقبل بهما العذاب ، وهى الادراك السبعة ، أجارنا الله تعالى وأولياءه من ذلك . فأولها درك الرجس ، وهى قمص البشر ، فيصير ذلك المغتذى به نطفة يرتقي الى أن يخرج من بطن أمه جنينا ، في قميص من قمص الزنج والزنات والبربر والترك وغيرهم من الذين لا يصلحون لمخاطبة الحق ، ولا ينهجون نهج الرشاد ، ولايزال ينتقل من قميص الى قميص ، الى أن يستكمل فى كل نوع من أنواع هذا الدرس سبعين قميصا ، ثم خرج بالمزاج والممتزج ، الى قمص الوكس وهو الدرك الثانى المماثل للتركيب البشرى ، وهم القرود والدب والنسناس والغول والعذاء وأمثال ذلك ، فيسلك به فى كل نوع من هذه الانواع سبعين قميصا ، الى أن يستوفيها جميعها ، وهو في جميع هذه القمص الو كسة ، يتحقق أنه فى حال العذاب ، وأنه وقع فى ذلك بمخالفة الحق ، ويصير عارفا بهم متحققا لهم ، عارفا لأهل الباطل الذين بسببهم وقع فى ادراك العذاب ، ثم يسلك به فى قمص العكس ، وهو الدرك الثالث ، وهم سباع البر ، والبحر ، كالأسود والأنمار والذئاب وأمثالهم من السباع

صفحة من كتاب (الحقائق الخفية) تبين غلو الإسماعيلية في أئمتهم



غلاف كتاب (زهر المعاني) للداعي إدريس عماد الدين القرشي

على جنة من النار لا يضر معها سيئة . وأي عبادة لله أعظم من طاعته ، وأي طاعة تتم إلا بطاعة . وقال رسول الله (صلعم) : لا نبي بعدي . لأنه خاتم الرسل ، وبتم أدوار الستر . يقول : إني ومن تقدمني أرسلنا إلى الحق مبشرين بالقائم السابع ، ومنذرين من سطوته ، ومحذرين من عقوبته ، فإذا قد ظهر فلا رسول منبيء أجلي من حضوره ، ومخاطبته لهم من نفسه ، محاسباً ومعاقباً ، فمن أطاعه وعلم تأويله ، وحقيقة معناه ، فقد صار في الثواب ، ومن عصاه وأجحد أمره وتعداه ، فيالها من عقوبة ما أعظمها ، وحيرة ما أظلمها . ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾(9) ورسول الله محمد (صلعم) خاتم الأنبياء فلا نبوة بعد نبوته ، لكونه قد بلغ من درجات النبوة أقصاها ، ورقى من درجاتها إلى منتهاها .

وهو قائم لولد إسحاق ، ولجميع الأنبياء أهل الشرائع ، وجامع للزبد الشريفة والمجامع . وكان (صلعم) هيكلاً نورانياً ، ومقاماً إلهياً ، ولذلك كان (صلعم) يقول : أنا دعوة أبي إبراهيم . ولما ارتقى محمد (صلعم) في الرتب إلى أن بلغ رتبة النطق الإلهي ، انتقل إمام عصره المقيم له الذي هو (. . . . . .)(10) إلى ضمن العقل الذي في الرتبة العاشرة ، وهنالك مجمع المرتقين من الأنبياء والأئمة الطاهرين ، بزمرهم الشريفة من إتباعهم أهل الصور القدسية اللطيفة .

وذلك البرزخ الذي هم فيه مجموعون إلى ميقات اليوم المعلوم ، وقيام القائم صاحب النفخة الثانية ، البحر الذي منه تستمد (182) الأمطار ، وإليه تنقلب الأودية ، والأنهار . وقد جمع النبي محمد (صلعم) من كان في تلك الزمر الشريفة من صور أهل الدعوات الظاهرة ، القائمين بالعبادة والأعمال الصالحة ، من أهل الإستيداع ، الحافظين الودائع ، والرسل الذين أبسطوا الشرائع . وجمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المقامات العالية الإلهية ، والهياكل النورانية في جميع الأدوار من أول الثلاثة(11) آلاف الستة بعد دور الكشف ، إلى هاشم بن عبد مناف ، فكان النبي قائم الأنبياء والمستودعين من أولاد إسحاق ، وعلي وصيه عليه الصلاة(12) والسلام جامع أهل الإستقرار بالإستيجاب والإستحقاق .

---

(9) سورة 57 آية 13 .

(10) وجدنا في هذا المكان بياض مقدار كلمة أو كلمتين في كلا النسختين .

(11) الثلاثة : سقطت في م .

(12) الصلاة : الصل في ن .

153

رأي الإسماعيلية في الرسول عليه الصلاة والسلام

كتاب

كنز الولد

تأليف

ابراهيم بن الحسين الحامدي

عني بتحقيقه

مصطفى غالب

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

صفحة العنوان لكتاب (كنز الولد) لمصطفى غالب

خالقها إلاّ بما دلها عليه ، ودعاها بما علمها من العبادة له إليه ، لا إله إلاّ هو ربّ العالمين .

٣ قال سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه في بعض خطبه ومجالسه قولاً يدل به على حقيقة التوحيد منه قوله : وأشهد أن لا إله إلاّ الذي تقدس عن أن يكون متى ، ولا بأيدي الأوهام متناولاً ، فالوهم إذا سافر إليه تاه في عرض الفلاة ، ٦ وإذا قعد عنه قعد معطلاً مبطلاً .

وقال في موضع ثان : فسبحان من تصرف الخطرات فيه محال ، وصرفها عنه كفر وضلال . وقال أيضاً : اللهم يا من يجل عن أن يقال يا من ، فيكون ٩ مشبهاً ، وممتنع أن لا يقال يا من ، فيكون تعطيلاً وعمى ، فالفكر عنه على تصريفه مصروف ، والوهم بين الحركة والسكون موقوف ، والطريق ما بين النفي والإثبات مخوف .

١٢ وقال أيضاً : الحمد لله الذي بَعُدَ فعزّ توحيده أن ينال بمراس الفكر ، فالبصيرة عن إدراكه بحقيقته كالبصر مبدع الخالق ، البارىء ، المصور « وهو المنزّه عن صفة الخالق البارىء المصور »[١] .

١٥ وقال : الحمد لله الذي لا يدركه من لا تدركه الأبصار ، ولا يحصره من لا تحصره الأفكار ، الذي دون تناوله للأفكار أستار ، أو لإقدام الأوهام زلل وعثار ، فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة ، ولا يوما إليه بالإشارة ١٨ مكيفة ، ولا يقال عليه حيّاً ، ولا قادراً ، ولا عالماً ، ولا عاقلاً ، ولا كاملاً ، ولاتاماً ، ولا فاعلاً ، لأنّه مبدع الحي ، القادر ، العالم ، العاقل ، التام ، الكامل ، الفاعل ؛ ولا يقال له ذات ، لأن كل ذات حاملة للصفات ،

١ سقطت الكلمات التي بين قوسين من ج .

"انا وجه الله وانا يد الله الباسطة على الارض۔ انا جنب الله الذى يقول فيه القائلون ولحسرتا على ما فرطت فى جنب الله انا الاول والآخر وانا الظاهر والباطن وانا بكل شيء عليم وانا الذى رفعت سماءها وانا الذى دحوت ارضها وانا الذى انبت اشجارها وانا الذى اجريت انهارها۔[1] قال مولانا على انا نقلت لآدم ونوح وموسى وعيسى وانا نبأت النبيين وانا ارسلت المرسلين[2]۔

مولانا عبد المطلب کے اشعار

کہا جاتا ہے کہ مولانا عبد المطلب نے یہ شعر کہے ہیں :۔

ايها الداعى لقد اسمعتنى	منهج الحق وما بى من صمم
نحن آل الله فى بلدته	لم نزل ذاك على عهد ابرهم
ان للبيت لربا مانعاً	من يرده بفساد يصطلم
نحن سكان السموات العلى	نقسم الانوار فيها والظلم
ولنا الابحر قطوى موجها	ولنا التوراة والكتب القدم
نحن ارسلنا نبيا صادقاً	عربى القول يوفى بالذمم
ولنا فى كل دور سطوة	نقسم الارزاق فيها والعدم[3]
واذا ما بلغ الدور الى	منتهى الوقت اتى الطير قدم
بكتاب فصلت آياته	فيه تبيان احاديث الامم

عالم الغیب والشہادہ سے مراد قائم القیامہ ہیں

"عالم الغیب والشہادہ" سے مراد قائم القیامہ ہیں جو قیامت کے روز سب حساب لیں گے[4]۔

---

(١)، (ا) معاصر الهدى لسيدنا احمد حميد الدين الكرمانى (ب) المجالس المستنصريه (٢) الانوار اللطيفه لسيدنا محمد بن طاهر بن محمد بن ابراهيم قس (سارق ٣- باب ٢) (٣)، (ا) المجالس المويديه $\frac{٢}{٣٥}$ (ب) زهر المعانى (صفحہ ٣٦٥) اس نظم کے بعض اشعار مجالس مویدیہ میں نہیں ہیں۔ (٤)، (ا) تاويل الزكوة لسيدنا جعفر بن منصور اليمن (صفحہ ١٦٤) (ب) كتاب الافتخار لسيدنا ابى يعقوب السجستانى (صفحہ ١٢٢)

صفحة من كتاب (مذهب إسماعيلي) تبين غلو الإسماعيلية في أئمتهم

حاصل ہے۔ اور ہم لدنی آیتیں ہیں۔ ہم سنتے ہیں اور دیکھتے ہیں۔ تو نہیں جانتا کہ کتاب کیا ہے اور ایمان کیا ہے لیکن ہم نے اُسے نور بنایا جس کے ذریعے ہم ہدایت دیتے ہیں اپنے بندوں کو جنھیں ہم چاہتے ہیں۔ اور (اے محمد!) دیکھتے ہو تم ان کو کہ وہ تمھیں دیکھتے ہیں۔ لیکن حقیقت میں وہ تمھیں نہیں دیکھتے۔ ہم تین باتیں پیش کرتے ہیں........
اگر تو ملعون ہی کی طرح عمل کرنا چاہتا ہے تو جنت سے نکل بے شک تو مردود ہے........ ہرگز تمہیں کوئی پناہ کی جگہ نہیں ہے"

دیگر ائمۂ معصومین کے ارشادات

(۱) (ا) عن سلمان الفارسیؑ انه قال سمعت رسول الله صلعم يقول لعليؑ يا علي فيك مثل من "قل هو الله احد" من قرأها مرة كان اجر من قرأ القرآن[1]۔

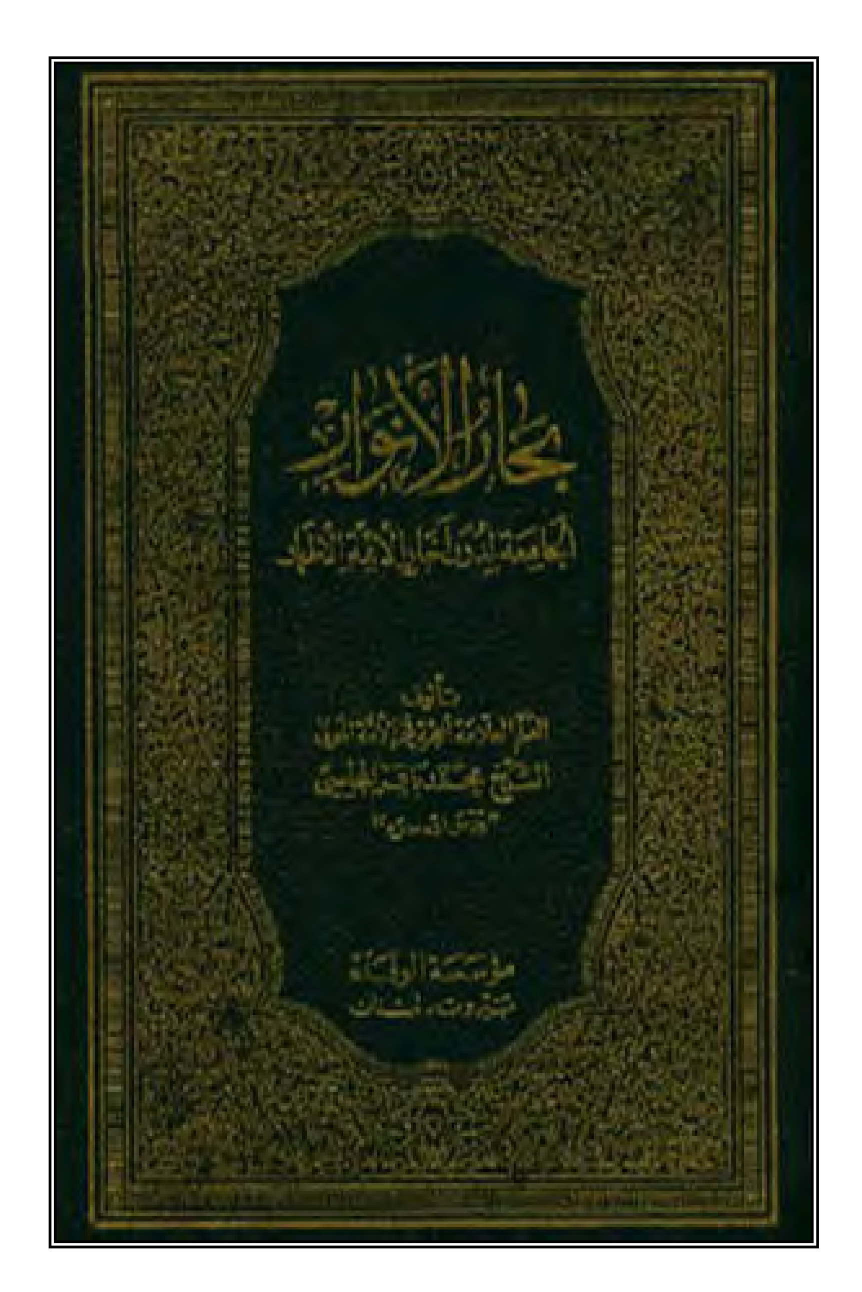
ترجمہ:۔ سلمان الفارسی سے روایت ہے کہ آپ نے رسول اللہ صلعم کو مولانا علیؑ سے یہ فرماتے سُنا کہ اے علی تم "قل ہو اللہ احد" کے مثل ہو جو کبھی اسے ایک دفعہ پڑھے گا اسے پورا قرآن پڑھنے والے کا اجر ملے گا۔

(ا - ب) سئل الصادقؑ عن صفة الرب فقال خمس كلمات - الله احد - محمد الصمد - فاطمه - لم تلد الحسن ولم يولد الحسين - ولم يكن لامير المومنين علي بن ابي طالب كفوا احد وقول الصادق هذا اشارة الى لواهيتهم فاما النواسيت فهي مولود[2]

ترجمہ:۔ مولانا صادق سے کسی نے پوچھا اللہ کی کیا صفت ہے۔ آپ نے فرمایا پانچ کلمے ہیں اللہ ایک ہے۔ محمد بے نیاز ہیں۔ فاطمہ سے حسن پیدا نہیں ہوئے اور نہ حسین کسی سے پیدا ہوئے اور نہ کوئی امیر المومنین علی بن ابی طالب کی برابری کا ہے۔ یہ اشارہ ان کی لواہیت کی طرف ہے۔ رہے نواسیت وہ تو پیدا ہوئے ہیں۔

(۱) شرح الاخبار ۷/۱۲ (۲) الشموس الزهرة لسيدنا حاتم - الاعتقاد

صفة الرب عند الشيعة الإسماعيلية من كتاب (إسماعيلي مذهب)



كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي من أهم مصادر ومراجع الشيعة الاثنى عشرية

عبدالله عليه السلام : إنّ بني [1] ينازعني مصر . فقال : مالك و مصر ؟ أما علمت أنّها مصر الحتوف ؟! ولا أحسبه إلاّ قال : يساق إليها أقصر الناس أعمارا .

١٥ ــ و **منه** : بهذا الإسناد ، عن ابن أسباط ، عن أحمد بن محمد بن الحضير ، عن يحيى بن عبدالله بن الحسن ، رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها . ولا أحسبه إلاّ قال : و هو يورث الدياثة .

بيان : قال في القاموس : نحاه قصده كانتحاه .

١٦ ــ **القصص** : بالإسناد المتقدّم عن ابن أسباط ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: لا تأكلوا في فخارها ولا تغسلوا رؤسكم بطينها فإنّها تورث الذلّة و تذهب بالغيرة .

١٧ ــ **كامل الزيارة** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن الحسين بن عبيدالله عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان ، عن عبد الجبّار ، عن أبي سعيد ، عن الحسين بن ثوير و يونس و أبي سلمة السرّاج و المفضّل بن عمر قالوا سمعنا أباعبدالله عليه السلام يقول لمّا مضى أبوعبدالله الحسين بن عليّ ــ صلوات الله عليهما ــ بكى عليه جميع ما خلق الله إلاّ ثلاثة أشياء : البصرة ، و دمشق ، و آل عثمان [2] .

١٨ ــ **الكشي** : عن محمد بن مسعود و عليّ بن محمد معاً ، عن الحسين بن عبيدالله عن عبدالله بن عليّ ، عن أحمد بن حمزة ، عن عمران القميّ ، عن حمّاد الناب قال : كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام و نحن جماعة إذ دخل عليه عمران بن عبد الله القميّ فسأله و برّه وبشّه ، فلمّا أن قام قلت لأبي عبدالله عليه السلام : من هذا الّذي بررت به هذا البرّ فقال : من أهل البيت النجباء ــ يعني أهل قم ــ ما أرادهم جبّار من الجبابرة إلاّ قصمه الله .

١٩ ــ **و منه** : بهذا الإسناد ، عن أحمد بن حمزة ، عن المرزبان بن عمران ، عن أبان بن عثمان ، قال : دخل عمران بن عبدالله على أبي عبدالله عليه السلام فقال له : كيف أنت ؟ و كيف ولدك ؟ وكيف أهلك ؟ وكيف بنو عمّك ؟ وكيف أهل بيتك ؟ ثمّ حدّثه مليّاً ، فلمّا خرج قيل لأبي عبدالله عليه السلام : من هذا ؟ قال : هذا نجيب قوم النجباء ، ما

(١) ابني (خ) .
(٢) كامل الزيارة : ٨٠ .

صفحة من كتاب (بحار الأنوار) تظهر اعتقاد الشيعة الاثنى عشرية في مصر وأهلها



القطرة - موقع رؤى ومحاضرات الشيخ الحبيب / الإجابات / هل كان عمر بن الخطاب مخنثا وما معنى تداويه بماء الرجال؟

يا ثارات آل محمد

هل في الإسلام ديكتاتورية دينية؟

هل كان عمر بن الخطاب مخنثا وما معنى تداويه بماء الرجال؟

(القسم : مثالب)

السؤال :

سلام الله تعالى عليكم

روت العامة و الخاصة ان عمر بن الخطاب (لع) كان يتداوى بماء الرجال و كان يشكو مرض في دبره فما المقصود بذلك مع التوضيح ؟

و هل كان (لع) مخنثاً ؟

بو عبدالله

الجواب :

باسمه تعالى شأنه. وعليكم من الله السلام والرحمة والإكرام. قد ورد عن مولانا الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنه قال: "إن لنا حقا ابتزه منا معادن الأبن". (شجرة طوبى للشيخ محمد مهدي الحائري ج1 ص69).

فتوى من موقع رؤى ومحاضرات للشيعي ياسر الحبيب تبين الافتراء والكذب على عمر بن الخطاب والشيخ الشعراوي

كما كان من دعاء مولانا الإمام الحسن العسكري (صلوات الله وسلامه عليه) قوله: "اللهم وقد شملنا زيغ الفتن، واستولت علينا غشوة الحيرة، وقارعنا الذل والصغار، وحكم علينا غير المأمونين في دينك، وابتزّ أمورنا معادن الأُبَن، ممن عطّل حكمك، وسعى في إتلاف عبادك، وإفساد بلادك". (مهج الدعوات لابن طاووس ص67 وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج82 ص230).

والأُبن – لغةً – جمع المأبون، وهو الذي يشتهي أن يأتيه الرجال لعيب فيه، كأن تكون في دبرة دودة لا تهدأ إلا بماء الرجال. (أنظر حاشية رد المحتار لابن عابدين وهو من علمائهم ج4 ص241).

وعندما جاء رجل إلى إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) وسلّم عليه قائلا: "السلام عليك يا أمير المؤمنين".. قام الإمام على رجليه مغضبا ونهر الرجل قائلا: "مه! هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين عليه السلام، الله سمّاه به، ولم يُسمَّ به أحد غيرُه إلا كان منكوحا". (تفسير العياشي ج1 ص276 ووسائل الشيعة ج14 ص600).

وشاهدنا في النصوص السابقة عن الإمامين المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهما) أن الذين ابتزّوا حقوق أهل البيت وظلموهم وأسموا أنفسهم بأمراء المؤمنين، إنما يكونون في الواقع من هذا الصنف القذر، ولذا قد صنّف الشيخ عبد علي الحويزي صاحب تفسير نور الثقلين (قدس سره) كتابا خاصا في هذا الموضوع أثبت فيه بدلائل استشفّها من نصوص وأشعار شتّى أن هذه الخصلة القذرة كانت في جميع خلفاء الجور، بدءا من أبي بكر بن أبي قحافة، وحتى آخر خلفاء بني العباس، لعنة الله عليهم أجمعين.

ولا شك بأن من أول هؤلاء الذين مارسوا هذا الفعل الشنيع واستمرؤوه، الخبيث عمر بن الخطاب، لعنة الله عليه. وفي شأنه الممقوت هذا وردت روايات من كتب الخاصة والعامة.

فمن كتبنا، ما حكاه السيد المحدّث نعمة الله الجزائري (قدس سره) من أنه كان في دبره (لعنه الله) داء لا يشفى إلا بماء الرجال. (أنظر الأنوار النعمانية ج1 ص63). وهو إنما حكاه عن جلال الدين السيوطي الذي هو من أكابر علمائهم، إذ قد كتب في حاشيته المدوّنة على القاموس عند ترجمة لفظة (الأُبنَة) ما لفظه: "إن هذه الخصلة كانت في خمسة نفر في زمن الجاهلية أحدهم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه"! (راجع أيضا زهر الربيع للسيد الجزائري رحمة الله عليه).

وقد كان في الطبعة الهندية القديمة من صحيح البخاري شاهد جليّ على ذلك، إذ قد ورد فيه ما معناه "كان سيدنا عمر مأبونا ويتداوى بماء الرجال"، لكن ذلك حُذف كما ترى من الطبعات الموجودة اليوم، كما قد حُذف التبرير الذي ساقه ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) وتحريفه للمعنى عندما قال أن ماء الرجال إنما هو نبت يخرج من اليمن وليس هو مني الرجال!

تابع بقية فتوى ياسر الحبيب

ويجب – أيها الأخ العزيز - أن تكون خبيرا متتبعا لكثرة ما حذفه علماء النواصب من طبعات كتبهم، وكثرة تحريفاتهم لها، فكلّما التفتوا إلى نص يقدح في خلفائهم وأئمتهم، حذفوه أو حرّفوه! ولك أن ترجع إلى بعض كتب العلامة السيد مرتضى الرضوي إذ قد سجّل شواهد من ذلك.

بيد أنه مع كل هذا البتر والتقطيع والتلبيس، تبقى هنالك شواهد وأدلّة على كون عمر منكوحا مأبونا وشاذّا جنسيا على الاصطلاح الحديث، ومنها ما هو موجود إلى اليوم في طبقات ابن سعد الذي روى عن عمر قوله: "ما بقيَ فيَّ شيء من أمر الجاهلية إلا أني لست أبالي إلى أيّ الناس نكحت، وأيّهم أنكحت"! (راجع الطبقات الكبرى ج3 ص289).

فهذا عمر (لعنة الله عليه) وبكل صفاقة ووقا ً يؤكد أنه لم يستطع التخلي عن عادته التي كانت فيه أيام الجاهلية (والتي ذكرها السيوطي) فلا يبالي من نكح، ومن أنكح نفسه له!

ولعلّ المخالفين سيفسّرون هذا القول الوقح منه على أنه يقصد الزواج، بمعنى أنه لا يبالي بمن تزوّج أو من زوّج من بناته مثلا، لكن هذا التفسير مضحك للثكلى كما لا يخفى، فلو أنه كان كذلك لما قال أنها عادة من عادات الجاهلية فتكون مذمومة! ولو أنه كان كذلك لما تحيّن الفرص وتوسّل بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقبل ابنته حفصة زوجة له، إذ هو لا ليس يبالي أي الناس ينكح حفصة! ثم.. كم كان لعمر بن الخطاب من البنات حتى يعبّر بمثل هذا التعبير الذي يُفهم منه الكثرة! إنه لدليل لا يرتاب فيه المؤمن، وواضح أن مقصوده (لعنه الله) أنه يقدّم نفسه رخيصة لكل قذر سافل وضيع مثله!

وفي ظنّي أن هذا هو ما يفسّر تحريمه للزواج المؤقت (المتعة) فإن الرجال آنذ لن تكون لهم حاجة فيه وفي أمثاله من المأبونين مع وجود النساء اللاتي يمكن الزواج بهن لأجل مسمّى، ولذا فإنه أراد أن يُفسد المجتمع الإسلامي باللواط بدلا مما شرّعه الله تعالى لقضاء الحاجة الجسدية بطهر وعفاف.

وإنك لو دقّقت وتفحّصت أحوال علمائهم، سيما أولئك المفتونين به لعنة الله عليه، لوجدت معظمهم على ما كان هو عليه من إتيان الرجال بدلا من النساء. وأتذكّر بالمناسبة أن إمام جماعتهم الذي كان يصليّ بالمسجونين في سجننا (سجن طلحة) بالكويت، إنما كان على هذه الحال على ما كان مشتهرا عنه في عنبر السجن! إذ كان في الليل يندسّ في مخادعهم، وفي الصباح يصلّي بهم!

كما قد حكى لي العلامة الأزهري المصري الشيخ حسن شحاته أن الشعراوي إنما كان مواظبا على هذه السُنّة!

ولعلّك شاهدت اعترافات إمام مسجد وهابي التي بثّها تلفزيون (العراقية) أخيرا إذ أقرّ بأنهم كانوا يمارسون هذا الفعل الشنيع في بيوت الله والمساجد!

فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.26 من جمادى الأولى 1426 للهجرة الشريفة.

تابع بقية فتوى ياسر الحبيب





صور مقابلات المخلوع مبارك مع زعماء البهرة



صورة لمحافظ أسوان مع الأغا خان



صور لمقابلة قائد شرطة دبي بالإنابة لوفود البهرة



صورة أمير الكويت مع وفد البهرة

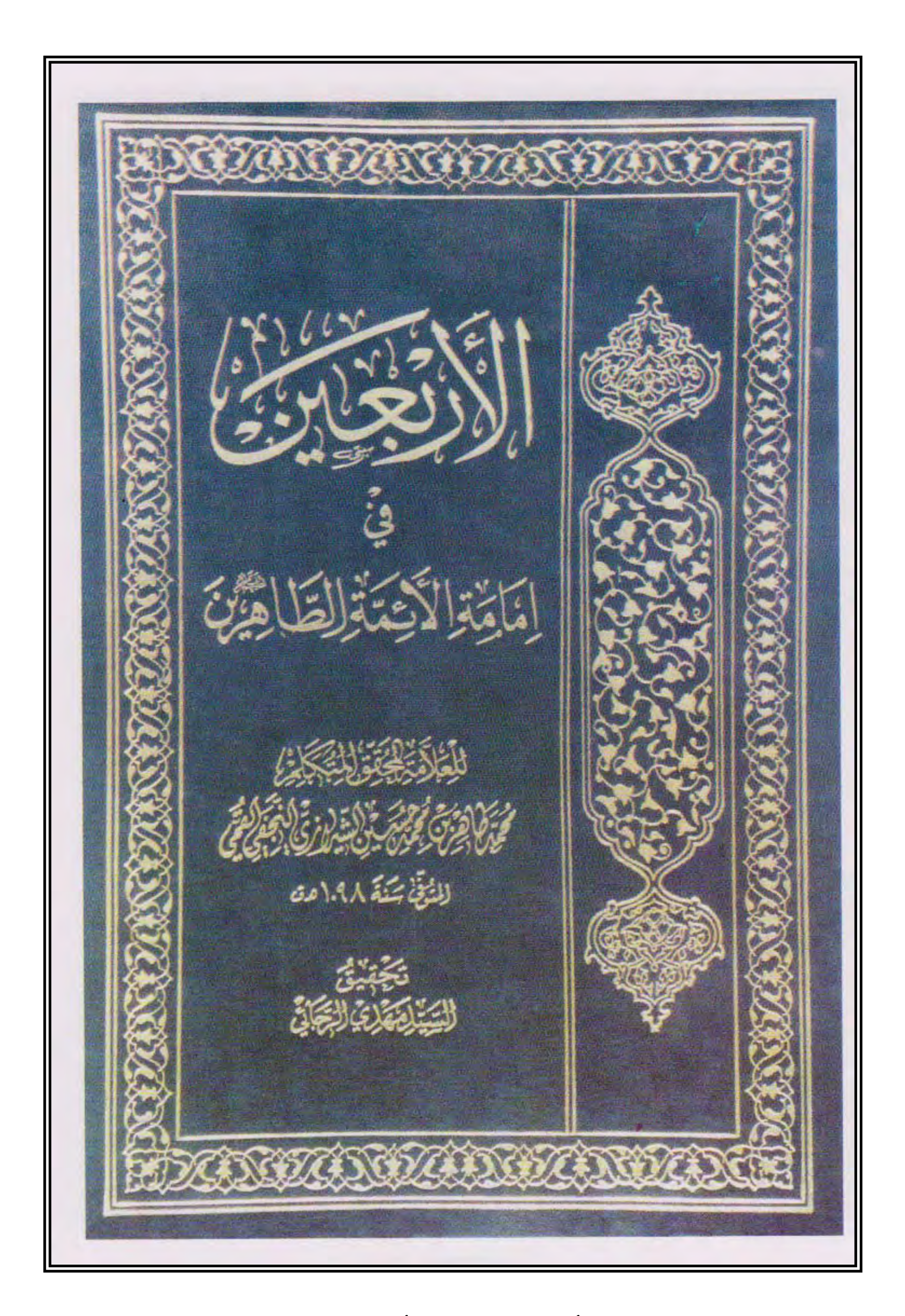




صور مقابلات الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح لزعماء البهرة



صور مقابلة الرئيس الأردني عبد الله بن الحسين لزعماء البهرة



صورة لكتاب (الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين) للشيرازي

أرسل عبد الرحمٰن الى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : لقد ولّيتك من أمر الناس وانّ لي لأمور ما هي لك ، شهدت بدراً وما شهدتها ، وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها ، ففرت يوم أُحد وصبرت . فقال عثمان لرسوله : قل له : أمّا يوم بدر فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله ردّني الى ابنته لما بها من المرض ، وقد كنت خرجت للذي خرجت له ، ولقيته عند منصرفي ، فبشّرني بأجر مثل أُجوركم ، وأعطاني سهماً مثل سهامكم.

وأمّا بيعة الرضوان ، فانّه صلى الله عليه وآله بعثني أستأذن قريشاً في دخوله مكّة ، فلمّا قيل له: انّي قتلت بايع المسلمين على الموت لما سمعه عنّي ، وقال : ان كان حيّاً فأنا أُبايع عنه ، وصفّق باحدى يديه على الأُخرى ، وقال : يساري خير من يمين عثمان ، فيدك أفضل أم يد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأمّا صبرك يوم أُحد وفراري ، فلقد كان ذلك فأنزل الله تعالى العفو عنّي في كتابه ، فعيّرتني بذنب غفره الله لي ، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفر لك أم لم يغفر (١)

أقول : غيبة عثمان عن بدر وعن بيعة الرضوان وفراره يوم أُحد ثابت باقراره ، وأمّا ادّعاه في الاعتذار فلا بيّنة عليه ولا شاهد .

الدليل الأربعون

[ما ورد في مثالب أعداء أهل البيت عليهم السلام]

ممّا يدلّ على امامة أئمّتنا الاثني عشر ، أنّ عائشة كافرة مستحقّة للنار ، وهو مستلزم لحقّيّة مذهبنا وحقّيّة أئمّتنا الاثني عشر ؛ لأنّ كلّ من قال بخلافة الثلاثة اعتقد ايمانها وتعظيمها وتكريمها ، وكلّ من قال بامامة الاثني عشر قال باستحقاقها

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ١٩٦ .



صورة تبين سجود الشيعيات عند القبور



صورة تبين سجود البهرة لزعمائهم



عرض عسكري للمتشيعة في نيجريا



شاهد عقيدة تقديس طينة قبر الحسين عند الشيعة الاثنى عشرية





أحمد الجلبي في زيارة للبهرة للتأكيد على تعاون الشيعة الاثنى عشرية مع البهرة



صورة بريمر تظهر التعاون الشيعي مع الاحتلال الأمريكي للعراق



أبطحي:

لولا إيران لما سقطت كابـــول وبغـــداد!

قال محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني للشئون القانونية والبرلمانية في ختام أعمال مؤتمر عقد بإمارة أبو ظبي منتصف يناير الماضي: إن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق. كما شدد على أن تنامي ما أسماه بالتيارات الدينية المتطرفة في الشرق الأوسط يرجع للسياسة الأمريكية غير العادلة في المنطقة.

وفي محاضرة ألقاها في ختام أعمال مؤتمر «الخليج وتحديات المستقبل» الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية سنوياً، أشار أبطحي إلى أنه «لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة؛ لكننا بعد أفغانستان حصلنا على مكافأة وأصبحنا ضمن محور الشر، وبعد العراق نتعرض لهجمة إعلامية أمريكية شرسة».

ولم يوضح المسئول الإيراني طبيعة التعاون الإيراني مع واشنطن فيما يتعلق بأفغانستان والعراق.

وكانت واشنطن قد أدرجت إيران قبل أكثر من عام إلى جانب العراق -في عهد الرئيس المخلوع صدام حسين- وكوريا الشمالية ضمن ما أسمته «محور الشر»، المؤلف من دول تتهمها بإنتاج أو حيازة أسلحة الدمار الشامل، وبدعم منظمات تعتبر واشنطن «إرهابية».

الصهاينة يعترفون بأن الجدار الأمني يسبب لهم الضرر

قالت صحيفة الديلي تلغراف البريطانية إن إسر
اعترفت للمرة الأولى بأن جدار الفصل العنصري ال
تبنيه ينعكس سلبا على علاقاتها الدولية. ونق
الصحيفة عن وزير الخارجية الإسرائيلي سيلفان شال
قوله إن ضررا كبيرا سيلحق بصورة إسرائيل دو
بسبب طرح قضية الجدار على محكمة العدل الدول
غير أن ذلك لا ينفي مبررات الاستمرار في بنائه.

وقال شالوم إن جدار برلين قسم شعبا واحدا إ
قسمين في حين أن ما نفعله نحن هو الانفصال ع

تصريح نائب الرئيس الإيراني بمساعدة إيران لأمريكا في احتلال أفغانستان وبغداد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٣/٨١٧٠م